

بلوطرخوس



العظماء

عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم

المجلد الأول

ترجمة: ميخائيل بشارة داود

الأعمال
المختارة

بلوطرخوس

العظماء

عظماء اليونان والرومان والموازنة بينهم

ترجمة

ميخائيل بشارة داود

المجلد الأول

الطبعة الثانية



الهيئة المصرية العامة للكتاب
٢٠٠٢

فهـــــرس

الموضوع | الصفحة

مقدمة

العظمة لله ولا تقدير لعظمته ٠

هذه سير طائفة من الرجال عاشوا للخير والمجد كدوا لهما أنفسهم وأفنوا فى سبيلهما أعمارهم ، عاش الرجل منهم كما قال صولون :

دوحة وارفة يستظلها قومه اذ أرهقهم وهج الحيـاة ، ومتي امنوا الأذى ابتعدوا عنها ، ومدوا أيديهم الى أغصانها يهصرونها الواحد بعد الآخر ، ولربما عمدوا الى الدوحة ذاتها فاجتثوا جذورها ٠

لم ينعم هؤلاء المجاهدون بما عملوا الا بما فى عمل الخير ذاته من نعيم ، ولم يظفروا بالمجد فى حياتهـم الا بلمحات بين البروق والرعود ٠ فالعظيم رجل أنار له الماضى أمامه وجه الحاضر ، وقرأ صفحات المستقبل على ضـــوء الحاضر تعشق أملا أعلى عاش به وله ومات مجاهدا فى سبيله ٠

يقولون : ان الرجل العظيم حادث قائم بنفسه ، يدلك على ذلك أنك تدخل الحديقة الغناء فلا تجد أشجارها سواء ، وتنظر الى الشجرة فلا تجد أغصانها سواء ، وتتأمل الغصن فلا تجد ثماره سواء ٠

كذلك تزور المدينة فلا تجد أهلها فى زى واحد ، وتنظر الى الأسرة فلا تجد أبناءها فى قالب واحد وتتأمل الأبناء فلا تجدهم سواء لا من حيث الشـــكل ولا المزاج ولا الصـــحة ولا العقل ، على أن الثمرة من جنس

شجرتها ، لابد · والرجل من أهله وبيئته ، لابد · لكل حالة خاصة ، وظرف خاص مما لا يقع تحت ضبط ولا ترتيب ·

اذا قيل ان الاسكندر كان عظيما لأن والده كان فيليب ملك مقدونية وأن معلمه كان أرسطو ، الذى علم «تميستوكل» العظمة حتى الفناء فى حب الخير لأهله ، يدفع عنهم غارة الفرس بالرغم منهم والحيلة عليهم ، ويحتمل مع ذلك الضيم من قومه حتى النفى والحكم بالموت يقابل ذلك أن يتجرع السم فى منفاه حتى لا يرفع سيفه فى وجه مواطنيه · ! « وليكورجوس » ، الذى سن لقومه خير شرائع البطولة ، ثار عليه قومه وفقأ « متهوس » عينه بضربة عصـا فلم يكن هذا بمقعد له عن العمل لما أراد من الخير ، دأب على عمله حتى نهض بقومه وجعلهم سادة البلاد اليونانية كلها ، ثم بلغ به الحرص على شرائعه ومجد قومه أن جمع رجالاتهم وأخذ عليهم العهود والمواثيق واستحلفهم أغلظ الايمان ألا يبدلوا منها شيئا حتى يعود اليهم · انطلق بعد ذلك الى رحلة حيث قتل نفسـه صبرا وأوصى بحرق جثته وتذرية رمادها فى الهواء ليبقى على قومه أيمانهم وتبقى لاسبرطة شرائعها فتدوم سيادة وطنه ؟

يزعم البعض أن من الممكن توليد الرجل العظيم باختيار والديه وبيئته وتهيئة ظروفه على طريقة الانتخاب الطبيعى قد يكون ذلك ممكنا ، ولكن ما الشروط اللازمة لاستبقاء هذا الانتخاب ؟ ·

صحة الوالدين أو ضـعفهم ، سعة علمهم أو جهلهم ، تقواهم أو فسـادهم ، غناهم أو فقرهم ؟ وما البيئـة والظروف ؟ وكيف تهيأ ؟ وكيف يؤخذ الصبى ؟ أيحول مزاجه الى حالة عصـبية مخصـوصة ، أم يدرب على الحيـلة والشـجاعة والصبر ؟ ممن تعلم رومولوس بناء روما ؟ من أبيه ولم يعرف له أبا ؟ من أمه ولـم يكن لـه من مرضـع سـوى ذئبة ؟ ألا يدل كل هذا أن للقدرة الإلهية وتصاريف حوادث العمران اليد الأولى فى خلق الرجل العظيم ؟

يقولون لو أخذ الانسان نفسه بالصبر والاقدام وتعلم فنون الحياة ، وأنعم النظر فى حوادثها ، وكان نهازا للفرص ، انقلب الفكر عنده عملا ، وصــار عظيما . ولكن ! مجرى الحوادث ، تقلبــات الظروف ، أهواء الرجال ، عماية الانسان عن معرفة ما يخبىء الغد ؟ ألم يفشل هينبال ونابليون فى أعظم مواقعهما ترتيبا وتقديرا ؟

يقولون كم عظيم قتله الفقر ! على أنا نرى ، كم فقير كان فقره سبب عظمته ! ويقولون كم عظيم قتلته بيئته ! مع أنا نرى البيئة هى التى تنبت من تحتاج من العظماء .

الواقع أن العظيم ينم عن نفســـه منذ صغره .. اذا لعب ، رأس اللاعبين ، واذا درس بز الدارسين ، يتصدى للحكم بين زملائه الصبيان ، ويشعر من حوله أنه خلق ليكون قائدا لا مقودا ترى ذلك الصبى يلتهم كل ما يقدم اليه من علم وفن يطلب المزيد بلا شبع كأن لعقله مخا قويا يهضم كل ما يلقى اليه . لا يقنع بما بين يديه من كتب المدرسة ولا يمل سماع أقوال الحكماء ، يندس الى مجالس العظماء ويغيظه أن يقال عنه صبى وان كان لا يتجاوز العاشرة . ومن خصائصه أن ينصب على نوع معين من العلوم يكره كل شىء عداه . لا يبالى من خلق لادارة السياسة بعلوم ما وراء الطبيعة مثلا ولا اللغات الميتة ، انما كله كلف بتعرف طبائع الناس وأساليب الحكم وفنون السياسة .

ينصح الأخلاقيون لمن رزقوا صبيا كهذا ، ألا يعطلوا ميوله ونزعاته وألا يرغموه على ما لا تشتهى نفسه . وان يروا فيه الرجل العظيم ، يتعهدونه بالمزيد مما يحب .

أين يجد ذلك الصبى العظيم ما يريد من مزيد ؟ ــ فى الكتاب ، فمن درى أخبار من قبله أضاف أعمارا الى عمره . لا شك أن من درى علوم من قبله ، وتعرف تجارب واختبارات سابقيه ومعاصريه إنفتق ذهنــه ورأى

الحياة على حقيقتها وعرف طبائع الناس ونظر من خلال ذلك الى المستقبل نظرة صادقة • فاذا كان مع هذا كريم الطبع متين الخلق ، محبا للخير ، عاش لعمل الخير وكان عظيما •

يقول أصحاب فكرة التدريب • يجب مران الصبى على ثلاث خلال النظرة الصادقة ، والفكرة الحكيمة والارادة الحازمة •

النظرة الصادقة مشاهدة الشىء أو الحادث على حقيقته من كل نواحيه وجميع ما يتالف منه ومقدار كل عنصر من عناصره ، ماهيته ، قوته ، أثره ، ولا يمكن أن يتوافر هذا لصبى حرم النظر الدقيق والمرشد الأمين •

والرأى الحكيم ان يعلل الصبى ما يرى وينظر الى ما ينتهى اليه • المقدمات والنتائج ، يتبين الفاسد منها والصحيح ، الوهمى والحقيقى ، أثر كل منهما • وكان يمكن أن يعطل حدوثه أو يفسد نتيجته • وما جاء قصدا • وما فيه من عمل الانسان وما فيه من عمل للظروف ، كيف نما ؟ كيف تم ؟ ومتى راض الصبى نفسه على النظرة الصادقة والرأى الحكيم فلا يعوزه سوى الارادة ؟

هل يمكن تربية الارادة ؟ ان كتـــاب « بايو » فى تربية الارادة خير ما يحســـن نقله الى اللغة العربية • حقيقة ان كلامه عن الحرية الشخصية المطلقة ليس مما يقنع العلماء الا أنه من الخير للانسانية أن تعتمد تلك الحرية • أما القول أن الانسان مسير لا ارادة له على الاطلاق فليس من المصلحة فى شىء • الحقيقة أن الانسان ليس حجرا يرمى به فى كل مكان ولا هو الها قادرا على كل شىء • على أن القول فى ذلك لم يبت به بعد • ومن المنطق المعقول أنه اذا كان لأمر وجهان حق لنا أن نأخذ بالأدنى الى المصلحة !

اذا كان هذا فليس الغرض من تربية الارادة جعل الانسان فعالا لما يريد • انما يراد بذلك ، أنه متى توافر لانسان النظر الصادق والرأى

الحكيم يتعين عليه أن يمضى فيما أراد بعزيمة صـــادقة لا تمل الجهاد ولا تعرف اليأس ٠ لو أن انســـانا تمرس بهذه الخلال الثلاث النظرة الصادقة والرأى الحكيم والارادة الحازمة لما بقى بينه وبين أن يكون عظيما سوى أن تظهره الظروف أو يرزق الحيلة لاظهار نفسه ٠

يقولون ، ان لكل عظيم سواسا تقدموه الى ما قصد له ٠ يريدون أشباه العظماء أو أنصاف العظماء الذين يبدو لهم الغرض السامى يهمون اليه وهم أقل من أن يدركوه فيسقط البعض فى الطريق ويضل البعض السبيل السوى ٠ يأتى بعد هؤلاء الرجل العظيم يدرس خطط سيرهم ويدرس مواقع أخطائهم يتخير أهدى السبل الى غايته ٠ فلهم عليه بذلك فضل التقدم وان لم يبلغوا شأوه ٠

ونقول اذا كان لهؤلاء السواس فضل على العظماء ، أفلا يكون للعظماء أنفسهم الفضل بعضهم على بعض بما يقدم المتقدم منهم للاحق من قدوة صالحة ومثل أعلى ؟

ألم تثر سيرة الاسكندر النخوة فى صدر « يوليوس قيصر » ؟ وألم تثر سير عظماء اليونان والرومان النخوة والمروءة أو الفضل فى نفوس عظماء العالم حتى اليوم ؟

لم أكن لأقدم على نقل سيرة هؤلاء العظماء الى اللغة العربية على ما بى من ضعف لولا الرغبة فى لفت أنظار مواطنى الأفاضل الى هذه القدوات الصالحة واستثارة نخوة الشباب الناهض الى العظائم يخدمون بها الله والحرية والوطن ٠

الفضل فى ظهور هذه الترجمة :

يرجع الفضل كله فى ظهور هذه الترجمة الى مروءة صديقى الفاضل الأستاذ اسماعيل بك مظهر صاحب مجلة العصور ومطبعتها ٠ لذلك أرجو اليه أن يتفضل بقبول شكرى واحترامى لا حرم الله الأدب من أمثاله الفضـــلاء ٠

ميخائيل بشارة داود

بلوطرخـــوس

بقـــلم : فيلمان

قال مونتنى (١) : لو أن بلوطرخوس كتب لنا شيئا عن نفسه لكان استمتاعنا بمؤلفاته أعظم ، وادراكنا لمعانيها أوضح ، وأثرها فى نفوسنا أقــوى ٠

ومن لا تشوقه معرفة حياة ذلك المصور القدير الذى أبرز لنا صور العظماء ، وأطلعنا على دخائل نفوسهم فى أبدع تصوير وأدق بيان ، ليعرف ما انطوت عليه مؤلفاته من خبرة وتفـــكير ٠ تمنى مونتنى أن يعلم عن بلوطرخوس ما أعلمنا هذا عن أولئك العظماء من التفصيلات المحكمة والحالات الخلقية الدقيقة ، التى تظهر آثار الطبيعة البشرية فى التاريخ ٠

لئن أعجبنا بما فى وصفه الدقيق من رقة وانسجام ، فان لأسلوبه فى الموازنة بين العظماء خطره فى الكشف عن شخصياتهم أو هى قبسات من العلم والفلسفة يرسلها عليهم فى تفكيره الهادىء ٠

لنا فى حوادث العصر الذى عاش بلوصرخوس فى ظله ما يزيدنا معرفة بحياته الشـــخصية ٠ انك لتعجب كيف نبغت تلك النفس الحرة الأبية فى تفهم فضائل الجمهورية تحت نير الاستبداد والظلم اللذين جعلا « اليونان » خاضعة ذليلة لحكم روما ، حين كان « دومتيانوس » يستذل روما ويستعبدها ٠

---

(١) فليسوف فرنسى شهير ٠

ان فلسفة بلوطرخوس عديدة المنابع ، شهدت تدهور فكرة تعدد الآلهة . وجهود جماعات من اليهود واليونانيين مبشرة بدين مقدس جديد ينطوى على أسمى مبادىء الحكمة القديمة ويستمد الكثير من فلسفة أفلاطون ومبادىء الرواقيين وكثيرا من مبادىء الجمهوريات القديمة ، كالاشتراكية والديمقراطية (الشعبية) الأخوية .

ان «بلوطرخوس» لأشهر كتاب العصور القديمة ، واسمه أكثر الأسماء دورانا على الألسنة ، وذكره أوفر شيوعا بين الناس . ولد فى مدينة « شارونة » الصغيرة من أعمال « بيوتى » التى اشتهرت بانتصار « فيليب » واستعباد اليونان .

لا نعرف بالضبط تاريخ ميلاده . ولكنه قال عن نفسه انه كان يتلقى العلم فى « دلفى » على « أمنيوس » أثناء سياحة « نيرون » فى اليونان ، وعليه يمكن القول بانه ولد فى آخر عهد « كلوديوس » أى فى منتصف القرن الأول للميلاد . وهو سليل أسرة شريفة توارثت الميل الى درس العلوم والآداب وقد شهد فى طفولته والده وجده ووالد جده ، ونشأ تحت تأثير العادات والأخلاق القديمة فى ظل هذه الأسرة الهادئة التى أعانته نوعا ما على التمكن من ذلك الخلق الرضى والعواطف الاجتماعية المحبوبة الظاهرة فى مؤلفاته . رسخت فى حافظته ذكرى والد جده « نيكارشوس » وما كان يلهج به ذلك الشيخ من وصف الويلات التى صبت على اليونان أيام حكم « انطونيوس » أحد أعضاء الحكم الثلاثى فى روما . وحروبه ضد «أوكتافيوس» حين أجتلب القتال الى مياه بلاد اليونان فأرهق الأهالى بما كان يطلب من الامدادات وتكليفهم حمل الغلال على أكتافهم لتموين سفنه . وكذلك يذكر بالخير جده « لمبرياس » معجبا بفصاحته وخياله البراق وانتعاش روحه . يروى عنه قوله والكاس فى يده بين جماعة من صحبه العبارة التالية ، يتبع القول بالعمل : « ان الخمر تعمل بالعقل ما تعمله النار بالبخور ، تاخذ منه أزكى وأطيب جزء فترسله بخارا » .

كان «بلوطرخوس» كثير المفاخرة بوالده لما كان عليه من فضل ووقار ومعرفة بالشئون الدينية والفلسفة والشعر . يذكر له مع الاحترام طائفة من النصائح والارشادات القيمة تلقاها عنه أيام طفولته .

وكان ل « بلوطرخوس » أخوان يحبهما حبا جما • وقد تلقى فى مدرسة « أمونيوس » التى دخلها صغيرا حيث تعرف بأحد أحفاد « تمستوكل » ، العلوم الرياضية والفلسفة ، ولا شك أنه تخرج فى الآداب على أساتذة مهرة • وأثر الشعر ظاهر فى مؤلفاته •

يظهر أن مواطنيه عهدوا اليه رغم حداثة سنه القيام بمفاوضات مع المدن المجاورة ، فقاده هذا المسعى الى روما التى كانت حينذاك محط رحال البارعين من صناع اليونان وفلاسفتها طلبا للشهرة والثروة ، سواء أكان ذلك باتصالهم بأحد من كبار رجالاتها ، أم باعطاء دروس خصوصية علانية فى الفلسفة والبيان • ولم يهمل «بلوطرخوس» ولاشك هذا المقصد فى سبيل الشهرة ، فقد قال عن نفسه انه « لم يجد مدة اقامته فى ايطاليا متسعا من الوقت لدرس اللغة اللاتينية لكثرة ما كان لديه من المهام العامة المكلف بأدائها ، عدا مباحثاته فى فنون الفلسفة مع العلماء الذين كانوا يأتون لاستشارته وسماع أقواله • وكان يخاطبهم بلغة بلاده جريا على ما حرص عليه اليونانيون حينذاك من حمل الفاتحين على تعلم لغتهم وجعلها لغة الفلسفة والبيان •

من البين الواضح أن هذه الدروس العامة وتلك المحاضرات كانت أساسا لما نشره « بلوطرخوس » من المباحث الأدبية •

كان فيلسوف شارونة « بلوطرخوس » ، يقوم فى روما بوظيفة السوفسطائى • وهذا اللقب أصبح شائنا يحسبونه دليلا على الانحطاط الأدبى • ولكن كثيرا من النوابغ اضطلعوا بهذه المهمة فى روما وسما بهم شأنها وذاعت شهرة أصحابها ، فصاروا موضعا للاضطهاد •

ويعرف أن الفلسفة كانت فى عهد أباطرة الظلم والاستبداد ، ملجأ الحرية الوحيد بعد طردها من الفوروم (١) ومجلس الشيوخ • قضت الفلسفة فيما مضى على الجمهورية اذ لم تكن سوى شك معطل أسماء

---

(١) المنبر العام •

العابثون استخدامه ، ثم ارتقت بهـا الحال فصـارت أشـبه شيء بعقيدة دينية تعتنقها النفوس القوية ، ولم يكن لأصحابها وتلك حالهم من حكمة يتعلمون بها كيف يحتملون الموت • فاســتحالت الفلســفة الى مذهب الرواقيين المعروف •

كان بلوطرخوس شديد العداء لتعاليم أبيقور شــديد الاعجاب والاحترام لافلاطون وتلميذه ، لاعتقادهما بخلود النفس والعـدل الالهى والخير وهى مبادىء وان كانت أقل طهـارة ونقـاء من المبادىء المسيحيه ، فانها كانت كافية لانهاض النفوس الشريفة •

روى بلوطرخوس شيئا عن عظماء الرومانيين الذين يحضرون دروسه فقال : بينما كنت ألقى درسى فى روما وكان « أرولينوس روسيكوس » حاضرا وهو الذى قتله دومتيانوس حسدا وغيرة من مجده ، دخل جندى أثناء الدرس وسلم اليه مكتوبا من الامبراطور ، فتولانا الجزع ولزمنا الصمت ووقفت عن متابعة القراءة ولكنـه أبى أن يفض المكتوب قبل نهاية المحاضرة واختتام الدرس •

و « أرولينوس » هذا هو الذى أطرى ســجاياه « ناســيتوس » و « بلينيوس » الشاب بالاعجاب والاحترام ، وهو صديق « ترازياس » و « هلفيديوس » ، فهو حقيق أن يغتاله الظلم كما اغتال ذينك العظيمين •

ليس من المحقق أن « بلوطرخوس » أقـام فى روما حتى أصـــدر « دومتيانوس » أمره بنفى جميع الفلاسفة • ويزعم العلماء أنه كان يتردد على روما ولكنه لم يرحل اليها منذ بداية حكم هذا الامبراطور ، ومن المؤكد أنه عاد الى وطنـــه فتيـا تحت تأثير حب الوطن ورغبته فى امتـاع مواطنيـــه بمـــا اقتـــرن باســـمه من الاحتـــرام والرعـــاية • تم تزوج مختـــارا من أعـــرق بيوتات « شـــارونة » زوجـــة تـــدعى « تيموكين » وكانت نفســـه فياضــة بالعواطف العائلية الشريفة يرددها بين الحنو والحب • وقد احتسب فى ابنين وابنة وهم فى المهد فخلد ذكرهم فى كتاب عزاء أرسله الى زوجته ينطوى على حقيقة الالم الذى يليق بالنفوس الزكية الراقية ، مصورا فضائل الزوجة والوالدة فى كثير من الأخلاق القويمة والتخيلات الشعرية التى تحبب الينا مطالعة كتبه •

والظاهر جليا أن « بلوطرخوس » الذى وضع مؤلفا فى الحب الزوجى، وكان أول من روى لنا حديث (ابونين وسابينوس) قد ذاق ذلك الحب فى أصفى حالاته وأسعدها · لذلك جاء بيانه وافيا مستفيضا عن واجباته وبطـــونه ·

وفى مؤلفاته واقعة جد حقيقة بعصر اليونان الذهبى أكثر منها بعصر دومتيانوس الحديدى · وتفصيل ذلك ، انه شجر خلاف بين بلوطرخوس وبين اهل روجته لا نعرف أكان منشؤه صلابة من هؤلاء وصلفا ام مصلحة· ففزعت الزوجـــة الفتية لهذا الخلاف وخشيت أن يتطاير شرره ، فيمس ما تنعم به من ذلك الاتحاد الزوجى العذب ، فألحت على رجلها فى الذهاب الى جبل « هاليكون » وتقديم ضحية للحب (الإله) الذى كانت لا تعتبره تعاليم العصور الخالية اله المحبين وحارس عهودهم ومواثيقهم فحسب ، بل الاله الذى يمد سلطانه على جميع الروابط العائلية والعواطف وأنه الموكل بصيانة الوفاق والوئام فى العالم المادى · قبل بلوطرخوس القيام بهذه الرحلة المقدسة مع امرأته مصطحبا جماعة من أصدقائه وقدموا الضحية على مذبح الاله وعادوا بقلوب مطمئنة تحمـــل الحب والســلام ، وهما خير ما يوحى به الى الناس ·

ان هذا لا يتفق وما رواه « أولوجل » من أن بلوطرخوس كان يؤدب خادمه بضربه بقضيب من حديد ، فرأى الخادم وهو يتوجع من شدة الألم أن يعيب على سيده القسوة ، فقال ان هذه الاساءة القاسية تدل على قلة ما فى نفسه من حب الفلسفة ، وجبهه بذكر المؤلف البديع الذى كتبه ضـــد الغضب ، وأنه نســيه · فأجابه بلوطرخوس فى هدوء وســكينة : أتحسبنى غاضبا لأنى أعاقبك ؟ هل تبدو على وجهى علامات الغضب ؟ هل بدرت منى كلمة مخجلة ؟ هذه علامات الغضب الذى نهت عنه الحكماء · ثم التفت الفيلسوف الى الجلاد وقال له (على رواية أولوجل) : « استمر فى عملك لا يعوقك حديثى مع هذا الرجل » · ويقول لنا بلوطرخوس نفسه فى ذلك انه لم يكن على شىء من ذلك الصبر ولا هذه الحدة · قال : « حدث مرارا أنى غضبت على عبيدى ولكننى رأيت أخيرا أن الأليق بى هو أن أدع تسامحى يفسد أخلاقهم ، لا أن أدع الغضب يفسد أخلاقى ، وأنا أعالج اصلاحهم » ·

وحرى بنا أن نعتقد صدق هذا القول الذى يتفق تمام الاتفاق مع طبيعة حسن الرعاية والخلق السامى الذى يبدو جليا فى مؤلفات بلوطرخوس حتى يشمل الحيوانات · وهل يستطيع من يقول انى لا أرضى أبدا أن أبيع ثورا هرم فى خدمتى ، أن يهزأ بتعذيب عبد ؟

كان بلوطرخوس شديد الاهتمام بشئون وطنه ، شديد الغيرة على ما بقى لمواطنيه من ظل الحرية فى عهد السيادة الرومانية · وكان يدعوهم الى تسوية مشاكلهم أمام حكامهم الوطنيين دون أن يلجأوا الى القنصل أو الحاكم الرومانى · وليكون لهم قدوة صالحة ، تولى بنفسه جميع شئون بلدته (شارونة) التى تركتها روما للأهالى ·

لم يكن حاكما يشغل أرقى مناصب المدينة فحسب ، بل بقى زمنا طويلا يؤدى عملا حقيرا بكل ما لديه من دقة وانشراح · وكان ذلك رقابة عمل عام يوجب عليه قياس القرميد وقيد ما يقدم اليه من الاحجار · وهذا لا يتفق مع ما زعمه بعض القدماء من أن بلوطرخوس نال شرف تعيينه قنصلا فى عهد « ترايانوس » · يكذب «سويداس» راوى هذا الخبر ، أمران: الأول عدم ورود ما يدل عليه فى صحف التاريخ · والثانى : ما هو معروف من عادات الرومانيين ·

وروى آخر أنه كان معلما « لترايانوس » وليست هذه الرواية بأصدق مما تقدمها · وغاية ما حدث أنه أهدى الى هذا الأمير مؤلفا · ولكن بلوطرخوس تولى على ما يظهر منصب كاهن « أبولون » عدة سنوات وقد وردت فى أحد بحوثه العبارة الآتية « تعلم أنه قد مضت عدة سنوات وأنا أمارس كهانة « أبولون » ، ولا أظنك تقول لى كفى يا بلوطرخوس ، لقد مارست الصلاة كثيرا وطفت بالموكب المقدس كثيرا وأدرت حفلات الرقص حول المذبح كثيرا وقد أصبحت شيخا كبير السن وقد حان الوقت لتخلع عن رأسك التاج لتقدمك فى العمر » وقد انضم بلوطرخوس وزوجته الى « أخوية باكوس » وهى اجتماع سرى كانوا يدرسون فيه تعاليم الاعتقاد بخلود النفس وثواب الآخرة وعقابها ·

لا نعلم بالضبط تاريخ وفاة بلوطرخوس • ومن المحتمل أن يكون قد مارس الفلسفة حتى كبر كما يؤخذ من مؤلفاته وما تضمنته من النكات •

انا لنتمثله شيخا امتلأ أياما وخبرة ، وقف من قومه موقف المعلم الخبير يروى لهم أخبار اليونان القديمه وأعمال أبطالها • يتدفق من فمه ذلك البيان الغزير وتحيط به تلك الهيبة الوقور وتعلو وجهه تلك السذاجة الرقيقة التى نعجب بها كلما تلونا مؤلفاته •

ان مؤلفات بلوطرخوس بسعتها واختلاف موضوعاتها لاكبر موسوعه للحوادث والذكريات والافكار التى وصلت الينا عن العصور الحاليه • لأنها جاءت فى عصر انحطاط علمى وفنى • الا انها جاءت عظيمة فى أسلوبها وعباراتها يأتنس مطالعها ببلاغة اليونان القديمة ويتسع بيانها فى كل عصر من العصور فلا نختلف عنها عبارة بلوطرخوس الا بما طبعت به عباراته من السذاجة والرقة والجودة ، اذ كان خياله يحمله الى عصر كل من الأشخاص والاشياء يحدثك عنه •

لا نقول ان جميع مؤلفات بلوطرخوس فى مستوى واحد من حيث الفن والموضوع • ان من مؤلفاته الأدبية ما لا يستحق الذكر وليس به سوى فلسفة عامية • وكان هذا أثر الشباب أو السفسطة التى أطالت معه أجل العيوب الى سن الكبر • على أنا اذا رجعنا الى زمن تأليفها علمنا أنه لم يكن ليكتب ما كتب لو لم يكن على شيء كثير من المهارة والذوق السليم ، نهض به عن الاسفاف الذى كان عاما حينذاك • هذا عدا ما كان مطبوعا عليه من الصفاء الطبيعى والتزام الحقيقة • ولا جدال فى أن أجل مباحثه لم يعد فى جوهره الفلسفة اليونانية ولم يعمل بها سوى أن لخصها مع فضله فى اجادة صياغتها واحكام سبكها وطبعها بطابعه النفسى ، حتى جاء ما نسقه منها غريبا فى بابه •

لئن كانت مؤلفاته الأدبية لا تنطوى على شيء مما تسمو اليه تعاليم الرواقيين ولا خيال افلاطون وحماسته ، فانها تملأ النفس شجاعة واقداما على العمل ،، اذ تستند الى الوقائع ، يزينها تصوير متقن وتشبيه جلى

يخاطب القلب والعقل معا • ولقد سما بلوطرخوس بمحاضراته الصغيرة الى مقام المؤلفات القيمة التى كانت نواة صالحة لأعظم الكتب ، كما كان بحثه فى التربية أكبر معين لروسو فيما احتواه كتابه الشهير « أميل » من الآراء السامية والعبارات البليغة •

لم يرد فى مؤلفات بلوطرخوس الادبية على وفرتها ذكر المسيحية • على أن « بلينيوس » يقول انها كانت فى ذلك الوقت قد انتشرت فى اقليم « بونت » المجاور لليونان حيث أقام كثير من المسيحيين ، وكانت المسيحية قد نفذت من زمن بعيد الى أثينا وغيرها من أحط بقاع اليونان مدنيـــة •

ولقد أثار الدين المسيحى فى روما ذلك الاضطهاد الفظيع الذى أشار اليه « تاسيتوس » فى غير اهتمام • على أن اشارته جاءت شهادة صريحة • لأن «دومتيانوس» الذى اشتدت قسوته أثناء اقامة بلوطرخوس فى ايطاليا على الفلاسفة ، أهلك سرا كثيرا من تلاميذ الدين الجديد • لأن الاقتناع القوى والايمان الذى يثير الحمية يقضان مضاجع الظالمين • ان الفيلسوف « أمونيوس » الذى تلقى بلوطرخوس عنه العلم ، ولد بالاسكندرية وهى موئل المسيحية • فاذا لم يكن قد اعتنقها فهو على الأقل مضـــطلع بأسرارها •

ومن المدهش أن بلوطرخوس الذى كان يعنى تلك العناية الدقيقة بأخلاق الناس وآرائهم لم يأت بكلمة عن دين تكلم عنه « لوسيانوس » بعد سنوات بتلك اللهجة المرة التى تشعر بغيرة وحسد السوفسطائيين الذين قضت عليهم تلك السلطة الجديدة (سلطة المسيحية) •

فهل كان بلوطرخوس يجهل هذه الحوادث وهى على مقربة منه ؟

لقد أشار العالم الأخلاقى الكبير « سنيكا » اشارة غير مقتضبة الى ما ذاق المسيحيون من عذاب • أفلم يلحظ بلوطرخوس شيئا من ذلك مع أنه كتب بعد ذلك بثلاثين سنة ؟ لنا فى حياة فيلسوف شارونة جواب

ما نتساءل عنه • لقد عرفناه شديد الحرص على اخلاق اليونان القديمة وآدابهم وكان والده وثنيا تقيا عالما بالأسرار القدسية ، وكان كثير العناية بشعراء اليونان وفلاسفتهم وعظمائهم وكان يؤدي بكل دقة وظيفة الكهانة ولم يزر يونان آسيا ولا سورية ، واطمأن الى سكنى بيوتيا حيث كان للدين من سداجة الأخلاق ما يصونه • فلا موضع للدهشة اذا رأيناه قليل الاهتمام بدين جديد يحرص أصـــحابه على كتمان تعاليمه وكتبه المقدســـة • وكأنه لم يكن يعلم شيئا كثيرا عن اليهود ، فلم يذكرهم الا بالسخرية من حرصهم على يوم الراحة (السبت) ولم يذكر عن دينهم سوى خرافة شائعة رواها « تاسيتوس » • فهو بطبيعته وميوله رجل العصور الماضية ينظر الى العادات القديمة نظر الرقيب الساذج • لهذا لم يعبأ بلوطرخوس بذلك الحادث الدينى الخطير الذى انتشر خفية فى جميع أنحاء العالم وهو الحادث الذى نظر اليه « بلينيوس » و « تاسيتوس » بذلك الاباء الرومانى المتراوح بين السخرية والقسوة •

لا شك فى أن مؤلفات بلوطرخوس الفلسفية خلاصة عظيمة لجميع ضروب الحكمة القديمة • ولكن مؤلفه فى سير العظماء له فوق ذلك ميزة جلية • انه يصور الطبيعة الانسانية بسذاجة بلغت غاية الابداع فترى فى أسلوبه عامة ، شيئا من آثار ذلك البيان الخلاب المستعار من مدارس السوفسطائيين فى بلاد اليونان وروما •

أطلق بلوطرخوس على مؤلفه العظيم اسم « المقابلات » أو « الموازنة بين سير العظماء » • أراد بذلك تدوين موجز من سيرة عظيم يونانى يتلوه آخر من الرومان ، ثم يقابل بين الرجلين ويزنهما بميزان واحد • أفلا يذكرنا هذا التعسف بنظريات المدارس الخيالية وتلاعب أصحاب البيان ؟

وهل نجد فى التاريخ تلك العلاقات أو أوجه الشبه التى تقتضيها القريحة الخطابية لتوازن بين خطى عظيمين ؟ ألا تمتنع علينا الدقة اللازمة اذا حاولنا التقريب بين طائفة كبيرة من العظمـــاء ؟ ألا يكون الكاتب مضطرا للاختلاف ليجد سبيلا للمشابهة أو التكلف لاظهار الخلاف ؟ وهل يمكن ألا يقع الكاتب فى التكرار والتردد متى يتعمد ــ رغم التاريخ ــ ايجاد مشابهات مستمرة عندما يحشر عظماؤه شعبين فى دائرة ضيقة كهذه ؟

قد يكون المبرر الوحيد الذى حمل بلوطرخوس على ارتكاب هذه المشقة : أنه يوناني يشعر بأن وطنه تحت سـيادة الرومانيين فوجـد من العزاء أن يخلد مجد الفاتحين بالمقابلة بين كل عظيم منهم وبين آخر ممن أنتتهم أرض وطنه ٠

لقد عد المدققون من العلماء على بلوطرخوس كمؤرخ غلطات كثيرة واتهموه لا بل أثبتوا عليه اهمالا وخطأ فى الوقائع والأسماء والتواريخ كما أثبتوا عليه التناقض فى أقواله وعدوا عليه أخطـــاء يراها المدقق مما يشين المؤرخ ٠ ولكنها لا تنفى شيئا من نبوغه وعبقريته ٠

لقد اعترف بلوطرخوس رغم كثرة ما كتبه عن روما أنه لا يجيد اللغة اللاتينية ٠ ومن المعلوم أن التدقيق التاريخى فى العصور الخالية كان صعبا كثير العناء لا ضابط له ٠ أما الآن فبفضل المطابع والصبر الطويل قد تيسر لنا جمع النصـــوص والآثار فأصلحنا أخطاء القدماء أنفســـهم ٠ ومع كل فأى خطر من قول بلوطرخوس ان « توللى » ابنة « شيشرون » لم تتزوج سوى مرتين وأنه نسى كراسيب؟ وأى خطر من خطئه فى اسم شعب أو بلد أو أنه حرف بعض عبارات « تيت ليف » ٠ ان هذه الاستكشافات العلمية لاتمس جمال ما رواه المؤرخ ٠ قد يدهشنا تناقضه فى أقواله اذ يروى لنا فى سيرتى عظيمين لقصة واحدة بأسماء وأحوال مختلفة متباينة ٠ لا يؤخذ من هذا سوى أن الكاتب كان خطابيا أكثر منه ناقدا ، وأنه كان أكثر اهتماما بالتصوير النفسى ودروس الحكمة منه بالتفصيلات ودقائقها ٠ على أن هذا الأسلوب كان شائعا بين جميع كتاب تلك العصور ٠

لا يســـعنا رغم كل هذه العيوب سوى الاعتراف بأن ما كتبه بلوطرخوس عن العظماء ، من أكبر الآثار العلمية حتى من حيث التدقيقات التاريخية ، وأنه أثمن ما اهتدى اليه الباحثون من الآداب القديمة التى وصـلت الينا مبتورة ٠ فلولا بلوطرخوس ما عرفنـا كثيرا من الحوادث ولا أسماء الكتاب ٠ ولقد امتاز عدا ما كتبه عن عظماء اليونان بدقة وتوسع بأنه دون لعظماء الرومانيين كثيرا من الحوادث التى لم يأت بها سواه ٠

لقد ذكر كثيرا من أقوال « تيت ليف » التى أبادها الزمن . وكثيرا من المؤلفات اللاتينيه التى قرأها وانفرد بنقلها الينا مثل خطب « تيبريوس جراكوس » ورسائل « كورنلى » ابنته ومذكرات « سيللا » ومذكرات « أغسطس » ... الخ ... الخ .

أبى النقاد الذين استدركوا على بلوطرخوس أخطاءه ان يعرفوا له فضله منكرين عليه ما انطوت عليه رواياته من البلاغة مدعين عليه أنه مؤلف بمعنى (ناقل ماهر) لا مصور بليغ ، وانه نسخ أجمل عباراته عن غيره من المؤرخين . وهذا النقد غير وجيه . فقد رأينا بلوطرخوس عندما تعرض له حاجة الى التمشي مع « تيوسيديد » أو « ديودوروس » او « بوليبوس » أو ترجمة شيء عن « تيت ليف » و « سالوست » يطبع ذلك بطبعه الشخصى فمن أقواله فى سيرة « تسيباس » انه يأسف لاضطراره الى معارضة « تيوسيديد » وأن يبدأ عملا سبقه اليه ذلك الأستاذ العظيم . فلنعرف لبلوطرخوس مجده فى الابداع الماثل حتى فى أوضاع قصصه ومزجه بين السمو والسذاجة وفاق مواهبه وما تلقاه من العلوم الخطابية وسذاجة أخلاقه وعاداته الشخصية . كم أكبر العلماء ما أوتى بلوطرخوس من السحر والبيان فى سير العظماء وكم أفاضوا فى القول بين التحديد والتحليل فى تلك القوة العجيبة ! ولقد قال توماس انه مونتى اليونانيين وانه لم يبلغ شأوه فى نبوغه وجرأته فى ابراز أفكاره وتخيل عباراته التى لم يسم اليها أحد الا قليلا من الشعراء .

هل هذا الحكم عادل ؟ الا أن بلوطرخوس الذى سكنت ولانت حدة لهجته تحت قلم أميوس الساذج المتضب . قد سمت كلماته الى أرقى درجات النبوغ والتخيل الانشائى . أية صورة أعظم وأى تمثيل حيوى أبلغ من صورة كور يولانوس فى منزل اتليوس أو وداع بروتوس وبورسى وانتصار بول أميليوس ورحلة كليوباترا على ظهر سدنيس ، وذلك المشهد المؤثر الذى تصف فيه كليوباترا منحنية على نافذة القلعة العصماء التى لجأت اليها تجهد نفسها فى التلويح الى أنطونيوس المقهور الجريح تجتذبه اليها وهى تنتظره لتموت معه . وكم له من آيات فى الدقة والبلاغة والرصانة الحقيقية بالاعجاب . يضاف الى هذا التصوير البارع بساطة ،

تلك التفصيلات الشخصية التى تكشف عن حقيقة الرجل عند وصف الوقائع ، فتبرز أعمق دخائله وتفضح صغائره .

قد تكون هذه القدرة التى يعترف بها الجميع لبلوطرخوس سببا لما وقع فيه البعض من غمط قدره وانكار روعة أسلوبه وبلاغة عبارته . على أن ما طبع عليه من البيان وتوخى الحقيقة هو الذى جعل له ذلك النفوذ العظيم على جميع أصحاب التخيلات الحادة . وهل تحتاج فى ذلك الى أكثر من ذكر شكسبير ، الذى لم تستمد قريحته الوقادة الحرة من أحد خيرا من بلوطرخوس المدين له بأعظم وأجل مشـــاهده فى روايات كور يولانوس ويوليوس قيصر ؟ وهل خلا مونتني ومونتسكيو وروسو من أثر بلوطرخوس ؟ لقد تأثروا بأدبه ومشوا على ضوء ناره . ان براعة أسلوبه واختياره أجل الموضوعات شأنا من حيث التخيل والتفكير جعلا مؤلفاته التاريخية موضع اعجاب الجميع وعنايتهم . ولقد حذق تصوير الانسان وابراز الطبيعة الانسانية فى أعظم صورها وأجل أعمالها . أن بيانه لا يزول أبدا ، لأنه يلائم كل سن وكل حالة من حالات الحياة تلذ الفتى والشيخ ، تبعث الحماسة وتعلمنا الذوق السليم .

تيزيــوس

قد يقع عهد تيزيوس بين عامى ١٢٤٩ ـ ١١٩٩ق٠م

جرت عادة المؤرخين يا صديقى سوسيوس سينسيون (١) عند وصفهم الكرة الأرضية أن يحذفوا من أطراف خرطهم البلاد التى لا يعرفون شيئا عنها ، ويبررون عملهم هذا بقولهم « وبعد هذه الحدود رمال قاحلة تســكنها الوحوش الضــارية » أو (أنها مســتنقع يغشاه الظلام) أو (صــحراوات سيتى) أو « بحر تغطيه الثـلوج » وانى لمقتف آثارهم فيما اكتب فى العظماء والموازنة بينهم ٠ فبعد أن أمر بالأزمنة التى تسمح الظروف بالكلام عنها ، حيث التاريخ يستند الى الوقائع ، أقول عن العصور الخالية ـ « بعد هذه الحدود بلاد المعجزات والمآسى التى يسكنها الشعراء ورجال الخرافات حيث لا حقيقة ولا سند » ٠

لقد صح عزمى بعد ما كتبت عن الملك ليكورجوس المشرع ونيوما ، على أن اكتب عن رومولوس ، ولكنى وقفت متمثلا قول آشيل « أتبارز هذا ؟ من يســتطيع مبــارزة شــجاع كهـذا ؟ ومن فيـه الكفـاية لنزاله ٠ ؟ ٠٠ » ٠

لاح لى أن مؤسس مدينة أثينا الجميلة الشهيرة حقيق بأن يكون له قرنا وأن لا بأس بالموازنة بينه وبين منشىء روما المجيدة ٠ راجيا أن أوفق

(١) يدعوه اللاتينيون « سوسيوس » ، تولى منصب القنصلية غير مرة فى عهـد « ترايانوس » ومرة فى عهد « نيرون » ٠

الى اخراج الخرافى من تلك الحياة وأميز جوانب الحقيقة وان أفرغ عليها الصبغة التاريخية فاذا جاءت بعد ذلك غير موضع للتصديق أو خانتنى الحقيقة ، فرجائى الى القراء أن يشملونى بصفحهم وأن يقابلوا هذه الرواية العتيقة بتسامحهم .

رأيت تيزيوس وروملوس متشابهين فى غير موضع ، ولد كلاهما خفية من زواج سرى ، وعرف بأنه من أبناء الآلهة :

« كل منا يعرفهما ، كلاهما شجاع قدير » (١) .

جمعا بين القوة والحكمة وانشـــاء أعظم مدينتين فى العالم روما وأثينا . أنشأ الأولى روملوس ، وأوجد الآخر أهالى الثانية . اختطف كل منهما النساء بلا فرق بينهما وعرفا نكد العيش والاضطرابات المنزلية وانتهت بهما الحال الى أن جلبا على أنفســهما بغض مواطنيهما ، على ما جـــاء فى الأحاديث التى وان كانت خرافية ، فانهـــا لا تخلو من حقيقـــة .

يمتد نســـب تيزيوس من جهـــة والده الى أريختة والأوتوختيين (الأهالى الأصليين) ومن جهة والدته الى بيلوت الذى كان أقدر ملوك بيلوبونيز وأوسعهم شهرة ، لا من حيث ثروته فقط ، بل من حيث كثرة أولاده . وقد زوجهم كثيرا من بنات أعيان البلاد ، وبث أبناءه فى حكومة المدن . وقد أنشأ بتيوس جد تيزيوس لأمه مدينة ترازين (٢) واشتهر بالعقل والحكمة . وكانت الحكمة المحترمة حينذاك على ما يظهر مجموعة مواعظ أدبية من النوع الذى اشتهرت به قصائد هزيود فى عبر الحوادث والأيام . ومما ينسب الى بتيوس الحكمة الآتية :

« قدر خدمات صديقك حق قدرها » .

وقد نسب أرســطو هذا القول اليه . ودلنا أوريبيد بقـوله ان هيبوليت تلميذ القديس بتيوس ، على مقدار ما كان له من الشهرة وبعد الصـــيت .

---

(١) من مقتطفات نشيد الســبعة أمام طيبة (اليونانية) .
(٢) مدينة فى الأجوليد من بيلوبونيز .

لم يرزق ايجة ولدا . وكان شديد الشوق الى نسل . فاستوحت له الكاهنة (بتيا (١)) فجاءها الوحى ينهاه عن الاتصال بامرأة قبل عودته الى أثينا فالتبس عليه معناه وأفضى به الى بتيوس عند مروره بمدينة ترازين وهذا نصه « أيها القدير مخضع الشعوب لا تحل الساق الذى يخرج من الزق (القربة) قبل العودة الى أثينا » . فتأوله بتيوس على ما رأى ، لأنه جمع ذلك اعتقادا أو بعد نظر ، بين أترة ، وبين ايجة ، التى علم هذا فيما بعد أنها ابنة بتيوس . ثم داخله الشك فى أنها حبلى ، فترك سيفه وغطاء قدمه (تزلك) وأخفاها تحت حجر ثقيل فى حفرة ولم يطلع على سره سوى أترة وحدها وأوصاها اذا ولدت ابنا وبلغ أشده ، وكان من القوة بحيث يستطيع رفع الحجر وأخذ وديعة والده ان ترسله اليه حاملا شارات التعارف هذه . ولا تعلم أحدا بذلك وأن تحرص على هذا السر الحرص كله . لأنه كان يخشى مكر البلاتيديين (أبناء بللاسى الخمسين) (٢) الذين كانوا يحتقرونه لأنه لم يخلف نسلا .

سافر ايجة ووضعت اترة ابنا يقول البعض انه دعى لوقته تيزيوس (كلمة يونانية معناها وضع أو اعتراف بابن) اشارة الى شارات التعارف التى تركها والده ويقول البعض انه دعى بهذا الاسم فى أثينا بعد أن اعترف به ايجة ابنا له . تلقى تيزيوس العلم فى منزل بتيوس عن حاكم يدعى ضونيداس يقدم له اليونانيون كبشا عشية الأعياد التيزية علامة احترام وذكرى ، هو أولى بها من سيلانيوس وبارهازيوس حفار تيزيوس ومثـــاله .

---

(١) كاهنة الاله « ابولون » فى « دلفى » كان يتعين ان تكون عذراء ثم اريد أن تكون فى الخمسين من عمرها وكانت تؤخذ من فقيرات دلفى من أحط أهلها نسبا ، جاهلة قليلة العقل ، وكانت قبل النطق بالوحى تصوم ثلاثة أيام تمضغ ورق الغار ثم يؤتى بها فتجلس على اثفية موثثة ذات ثلاث قوائم) تتصاعد منه أبخرة كريهة نتنة شديدة فيتولاها اضطراب شديد يعتبرونه من عمل الروح الالهى ويتلقى كهنة الهيكل كلماته بحرص وهم لا ينفكون عن تهديدها وأذاها كلما تأخر الوحى عن النطق ثم يأخذون هذه الكلمات ويصنفونها شعرا من اقبح الاشعار يلتزمون فيه الغموض .

(٢) كان « بالاس » شقيق « ايجة » وكان أبناؤه يعتبرون انفسهم ورثة عرش « أثينا » الشرعيين . وكانوا يرقبون موت عمهم بذاهب الصبر .

كان لايزال من عاداتهم الذهاب الى دلفى عند تجاوز سن الطفولة يقدمون للاله أبولون باكورة الشعر • ذهب تيزيوس ولايزال مكان الحفلة معروفا باسمه (تيزيا) ، ولكنه لم يحلق سوى الناصية كما كان يفعل الأوبيون (١) على ما رواه هوميروس وهذا سبب تسميتهم قص الشعر على هذه الطريقة (التيزية) وكان الأوربيون أول من اتخذها ، لم يقلدوا فيها العرب كما زعم البعض ولا الميزيين • فقد كانوا شعبا حربيا يأخذون العدو عن كثب وقد برعوا في القتال اليدوى كما شهد بذلك أرخيلوكوس (٢) فى أشعاره التالية :

« ليست عندهم رماحة ولا جيوش عديدة »
« سلاحهم المقلاع عندما يدير « مارس » »
« رحى القتال فى السهل »
« والسيف عند اشتداد الملحمة »
« تلك هى الحرب التى برع فيها »
« المحاربون أصحاب أوبا » •

كانوا يقصون نواصيهم حتى لا يمسك بها العدو ويقال ان هذا السبب هو الذى دعا الاسكندر المقدوني أن يأمر قواده بقص لحي المقدونيين، والحقيقة أنه من السهل أن يمسك بها المحارب عند القتال •

كتمت أترة زمنا طويلا أصل تيزيوس وأشاع بتيوس أنه ابن بتيون الاله الحامى لمدينتهم والذى يقدمون اليه باكورة أشعارهم • وكانت شارته على عملتهم (نقودهم) ولما بلغ تيزيوس أشده ظهرت عليه مخايل القوة البدنية والشجاعة والشهامة جامعا بين الحكمة والعقل فأخذته أترة الى مكان الحجر وأفشت اليه سر مولده وقالت له خذ شاوات التعارف التى تركها والدك ونصحت له أن يرحل الى أثينا عن طريق البحر • رفع

---

(١) اهالى جزيرة أوبا من أهل تراس يدعوهم هوميروس أصحاب الشعور الخلفية •
(٢) شاعر ولد فى باروس سنة ٧٠٠ ق٠م وهو مخترع الوزن المعروف باسم « ينب » •

تيزيوس الحجر بسهولة ولكنه أبى أن يركب البحر الى أثينا بالرغم من الحاح جده ووالدته . وقد ألحا عليه فى ذلك لأن طريق البر كان محفوفا بالخطر لكثرة من كان يسكنه من اللصوص وقطاع الطرق .

أنبت ذلك العصر كثيرا من الأشداء الأقوياء القادرين الذين لا يقهرون لبسالتهم وشدة مراسهم ولكنهم بدل أن يستخدموا هذه الميزات فى عمل صالح قصروا جهدهم على البطش والفتك والغدر والدعارة ولم يستخدموا تفوقهم هذا الا لاشباع شهواتهم ونزواتهم ويستبدون ويظلمون ويقضون على كل ما تقع أيديهم عليه مقتنعين أن أكثر الناس لا يمدح الحياء والعدل والانسانية ، الا لأنهم لا يجرؤون على ارتكاب الظلم أو يخشون وقوعه على رؤوسهم . وكانوا يعتقدون أن هذه الفضائل لم تخلق للذين يمتازون على سواهم بتفوق محقق .

قد أهلك هرقل فى طوافه كثيراً من هؤلاء اللصوص وأوقع الرعب فى نفوس الآخرين فكانوا يهربون عند دنوه منهم غير مجترئين على الظهور أمامه فصار هؤلاء الأوغاد موضع سخرية . ولما نكب هرقل بقتله ايفيتوس انسحب الى ليديا وبقى هناك زمنا طويلا فى خدمة أومفال كفارة عن جريمته فتمتعت ليديا بالســـلام والطمأنينة ولكن اللصوصية عادت الى الانتشار فى أنحاء اليونان وطغى سيلها من كل جانب اذ أعنت شر من يوقف طغيانها . لهذا كان من الخطر أن يسير الانسان من بيلوبونيز الى أثينا برا ولكى يقنع بتيوس حفيده تيزيوس بالسفر بحرا وصف له كلا من أولئك اللصوص وما هم عليه من بطش وقسوة على كل غريب .

ولكن قلب تيزيوس كان قد أولع من زمن بعيد بالشهرة الذائعة التى نالها هرقل موضع اعجابه وكان يقبل بكليته على سماع كل حديث عنه ووصف لشخصه لا سيما أقوال من رأوه وسمعوا حديثه وشهدوا مواقعه فكانت تبدو عليه الانفعالات النفسية التى أحســـها من بعده تميستوكل فدفعته الى القول (بأن انتصـــارات (أكاليل) ملتيادس تحرمه النوم) . كذلك كان تيزيوس يحلم فى نومه بحملات هرقل وبحس الغيرة والرغبة الشديدة فى الاقتداء به والقيام بمثل أعماله . على أنه كان من ذوى قربى هرقل . لأنهما ابنا ابنى عمومة . ذلك ان اترة ابنة

بتيوس والكمين ابنة ليسـيدس وهذه شقيقة بتيوس وهي مثله ابنة هيودامي وبلوبس • لهذا كان يرى من العار الفاضح أن يقتفي هرقل آثار اللصوص يطهر منهم البر والبحر ، وان يحاذر هو خوض قتال يعرض له في سبيله • وكان يرى في هذا ما يخجل الاله الذى ينسبونه اليه • ويخجله أن يقدم لوالده الحقيقى سيفا لم يصطبغ بالدماء وليس به أثر من شرف القتال •

سافر على عزم ثابت ألا يهاجم أحدا بل يدفع بالقوة كل اعتداء • فاعترضه ، وهو يجتاز أرض أبيدور ، سفاح يدعى بيريفتس لا يحمل سوى زقلة (١) دعى باسمها (الزقلة) فأوقفه وسد عليه الطريق ، قاتله تيزيوس فقتله وقد سر باستيلائه على الزقلة وجعلها سلاحه يحملها على الدوام كما كان هرقل يلبس جلد الأسد فيرى الناس فيه هيئة الوحش الضارى الذى قتله • كذلك رأى تيزيوس انه اغتصب الزقلة وأنها أصبحت بين يديه سلاحا لا يفل •

وأهلك فى خليج كورنث سينيس ثانى أشجار الصنوبر (سمى بذلك لأنه ثنى شجرتى صنوبر وربط فى كل منهما ذراع أسير وقع فى قبضته ثم أطلق الشجرتين فتمزق جسم الأسير) أهلكه تيزيوس على طريقته التى أهلك بها أسيره غير متعمد اظهار القسوة ، بل أراد أن يثبت أن الفضيـلة تعلو فنون الخبراء • كان لهذا اللص ابنة جميلة تدعى بيريجين ، رأت والدها ميتا فهربت الى الأدغال ، وتعقبها تيزيوس فى الغابات الكثيفة الملأى بالأشواك حيث ألقت بنفسها تصلى فى سذاجة الأطفال لتلك الأشواك قائلة ، لئن حمتها من أنظار تيزيوس فلن تقطعها ولن تحرقها • ولكن تيزيوس أدركها وناداها بصوت جهورى واعدا اياها الا يمسها بسوء ، وأن يحسن معاملتها • فاطمأنت الى وعده وخرجت من الغابة وقابلته وقد أولدها ابنا دعى ميلانيب ، ثم خلعها على دايونة بن أرتيوس من ايشالى ، ثم خلف ميلانيب ولدا دعاه يوكوس وهو الذي ذهب مع أويوس لانشـاء مسـتعمرة فى كارى ومن أجل ذلك كان

---

(١) عصا ضخمة متينة ملتوية فى احد طرفيها ، كانت سلاحا فى جميع العصور الخالية واشهرها عصا أو زقلة « هرقل » •

البوكسوسيون (نسبة الى والدهم) لا يحرقون البرموع (الهليون) بل يكرمونه على نوع من العبادة •

كان فى كروميون خنزيرة يقال لها فايا وهى وحش ضار شديد القوة أبت شهامة تيزيوس عليه أن يتجنبها فى حين كان ذلك فى وسعه ، فتربص بها وقتلها حتى لا يقال انه لا يخوض القتال الا لدفع ضرر ، اعتقادا منه أن البطل لا يقاتل الناس الا ليدفع غائلة الأشرار ، ولكن من الواجب عليه أن يهيج الوحوش الضارية ويعرض حياته للأخطار • ويزعم البعض أن فايا هذه كانت امرأة سفاحة فاجرة دعيت خنزيرة لسـوء أخلاقها وتبذلها •

وأهلك تيزيوس عند حدود ميجار ، سيرون ، اذ رمى به من أعلى الصخر الى البحر • ويروى عن هذا الفاتك أنه كان يسلب الغرباء وأنه كان يجمع بين غلظة القلب والكبرياء يدعو ضحاياه الى غسل قدمه،وبينما هم يغسلونها يرفس الواحد منهم فيلقيه فى البحر • ولكن مؤرخى الميغاريين ينكرون ذلك • روى عنهم سيمونيد قولهم أن الميغاريين كانوا يشتغلون بالحروب ، وأن سيرون لم يكن قاطع طريق ولا فاجرا عاتيا بل مبيدا للأشرار حاميا للذمار صديق رجال العدل والفضيلة وأنهم يقولون فى التدليل على ذلك ان أياكون كان أتقى رجل فى اليونان ، وان سيشره السـلامينى نال شرف المنـاصب الدينيـة فى أثينـا ، ولا يجهل أحد فضائل بيلة وتلامون • وكان سيرون هذا صهر سيشرة وحما أياكوس وجد بيلة وتلامون أبناء اندايس ابنة سيرون وشاركلو • فهل يعقل أن يكون هؤلاء الفضلاء شركاء رجل شرير وأن يعطوه ويأخذوا منه أعز وأثمن ما ينال الانسان ؟ ويقول أولئك المؤرخون ان تيزيوس لم يقتل سيرون فى رحلته الأولى انما قتله بعد ذلك عندما استولى على اليزيس التى كان يحتلها الميغاريون وطرد حاكمها ديوكلس • هذه هى المتناقضات التى تروى حول هذا الموضوع •

ولما بلغ فى مسيره اليزيس تغلب على سرسيون الأركادى وقتله ، وسار منها الى أريمة التى لا تبعد عنها فقتل داماست بتمديده على سريره كما كان يفعل هذا الفاتك بضيوفه واقتداء بهرقل الذى كان يوقع بالمجرمين

العـــذاب الذى أعدوه له • وهكذا أهلك يوزيريس وخنق ابنته وقتل سيسنوى فى معركة عنيفة وهشم رأس ترميريوس ، فذهبت فعلته مثلا والظاهر أن ترميريوس هذا كان يهشم رؤوس المارة بأن يصدمها بعنف • فكان تيزيوس يعاقب الأشرار بما كانوا يفعلون ويقضى عليهم بالعذاب الذي كانوا يذيقونه لغيرهم •

ولما وصل الى شواطىء سيفيز استقبله رجال من أسرة بناليد بالتحيه والترحـــاب فرجا اليهم ان يطهروه وبعد أن قاموا له بالتقاليد المعروفه انزلوه ضيفا فى منازلهم • وكانت هذه المرة الأولى التى قوبل فيهـــا بالترحاب • ويقال انه بلغ أثينا فى اليوم الثامن من شهر كرونيوس المعروف الآن بشهر هيكابنيون (١) فوجد الأعمال العمومية مختلة لما كان قائما فى المدينة من الاضطرابات وكانت صـــحة ايجة معتلة لاضطراب شئونه المنزلية ، وكانت ميدة المنفية من كورنث تعلل الملك بالشفاء من ضعفه بالعقاقير • عرفت هذه المرأة تيزيوس فأضمرت له السوء وعزمت على أن تقضى عليه قبل أن يعرفه ايجة • فاقنعت ذلك العجوز وكانت المخاوف تملأ صدره أن يدعو تيزيوس الى وليمة الضيوف حيث يدس له السم • حضر الوليمة على نية ألا يبدأ هو بالاعلان عن نفسه ليأتى التعارف من جانب والده وأراد أن يدله على نفسه باظهار السيف وهو يقطع اللحم المقدم له • عرفه ايجة وللحال قلب كأس السم ووجه أسئلة الى تيزيوس ولما أجابه حياه تحية ابنه ، ثم اعترف به أمام جميع الأهالى فاستقبلوه فرحين لما عرفوا من قدوه • ويقال ان السم انتشر فى ذلك الحى الدلفى الذى تحيط به الأسوار الآن حيث كان يسكن ايجة ولا يزال العمود المربع الشرقى للهيكل يعرف حتى اليوم باسم عمود باب ايجة •

كان البلانتيون لايزالون على أملهم فى الاستيلاء على ملك ايجة متى مات بلانسل • فلما علموا أنه نادى بتيزيوس وريثا له لم يحتملوا أن ايجة الذى تبناه بنديون ولم تكن له صلة بأسرة أريختيد لم يكفه أن ملك طول حياته بل يريد أن يورث تيزيوس الملك من بعده • وما هو

(١) بين يوليو واغسطس •

الا غريب مجهول النسب . فتأهبوا للحرب وقسموا الجيش الى فرقتين ليأخذوا العدو من ناحيتين . تقدمت الفرقة الأولى بقيادة الملك من جهة سفيت ، وكمنت الأخرى في جرجتوس ، وكان بينهم مناد من أنيوذ يدعى ليوس أفشى الى تيزيوس سر البالانتيين . فلم يضع الوقت سدى بل أسرع فانصب على الفرقة الكامنة وابادها . ولما بلغ خبرها الفرقة التى يقودها بالاس لاذت بالفرار ويقال ان أهالى قريه بالاين من ذلك العهد لا يزوجون ولا يتزوجون من الانيوزين ، ولا يذكرون فى مناداتهم تلك الكلمات المعروفة « اكويت ليوس » (اسمع أيها الشعب) ، اجتنابا للفظة ليوس اسم ذلك المنادى الخائن .

رأى تيزيوس مرانا لشجاعته واكتسابا لعطف الشعب ان يذهب لقتال ثور ماراثون الذى أضر كثيرا بأهالى تيترابول فأخذه حيا . وبعد أن طاف به المدينة قدمه ضحية لأبولون دلفى . ولا نخال ما روى عن « هيكالة » والوليمة التى أدبتها له خاليا من الحقيقة ، لأن أهالى الضواحى كانوا يجتمعون فيما مضى ليقدموا الى جوبيتر الهيكالى ضحية يدعونها الهيكاليزية . يكرمون بها هيكالة ويدعونها من باب التصغير والتحبب هيكالين . مثل ما فعلت هى عندما استقبلت تيزيوس وكان اذ ذاك مازال حدثا . تلك عادة العجائز اذ يصغرون الأسماء تحببا وقد نذرت أن تقدم ضحية لجوبيتر اذا عاد تيزيوس من الحرب منتصرا . ولكنها ماتت قبل عودته فأقام تيزيوس حفلة اعترافا بفضل الضيافة التى لقيها .

هذه رواية فيلوخوروس (١) .

وحدث بعد ذلك بقليل ان مندوبى مينوس (ملك كريت) جاءوا يطالبون الأهالى للمرة الثالثة بدفع ما تعهدوا بتقديمه سنويا . وذلك أنه لما قتل اندروجة ابن مينوس غيلة فى الاتيك أضرم مينوس على الآثينيين حربا شعواء . وفى ذلك الوقت ، صبت الآلهة على البلاد شر الويلات من عقم ومرض ونضوب أنهار فقال وحى أبولون لن يهدأ غضب الآلهة حتى يسترضى مينوس . فارسلوا اليه المنادين يسألونه السلام

(١) مؤرخ اثينى فى القرن الثالث ق.م.

فرضى على أن يرسل اليه الآثينيون مدة تسع سنوات سبعة أبناء وسبع بنات كل سنة • والمؤرخون على اتفاق فى ذلك • ويقال فى أفظع الروايات ان هؤلاء الأبناء متى وصلوا الى كريت كان نصيبهم أن يزج بهم فى اللابيرنت (البرياء أو التيه) حيث يفترسهم مينوتور • أو أنهم يموتون ضالين فى ذلك التيه وهم يحاولون عبثا الاهتداء الى مخرج • أما مينوتور فيقول عنه أوريبيد انه « جسم مزودج ومخلوق فظيع » ويقول أيضا « انه مزيج من طبيعتين ثور وانسان » • ولكن فيلوخرونوس يقول ان الكريتيين ينكرون ذلك ويقولون ان التيه ليس سوى سجن لا مشفه فيه سوى استحالة الخروج منه • يضيفون الى ذلك أن مينوس أقام احياء لذكرى ابنه ألعابا رياضية تكون مكافأة الفائزين فيها اولئك الابناء الذين يحوبون فى التيه • وكان الفائز فى العهد الاول لتلك الالعاب أحد ندماء الملك وهو رجل يدعى توروس قاسى القلب فظ الأخلاق سيىء الطبع يكثر الاساءة الى فتيان اتينا • وينكر أرسطو فى مؤلفه جمهورية البونيين ان مينوس كان يقتل أولئك الفتيان ، ويقول انهم كانوا يقضون حياتهم فى الخدمه مستأجرين • وحدث أن الكريتيين ذهبوا وفاء لنذر الأبكار من أبنائهم الى دلفى فانضمت اليهم سلالات الأسرى الآتينيين فغادروا المدينة جميعا ولكنهم لم يجدوا فى دلفى ما يقوم بأودهم فذهبوا الى ايطاليا وأقاموا فوق قمة يابيج ، ثم عادوا الى تراقيا ودعوا أنفسهم بوثيين • ومن أجل هذا تختتم بناتهم احدى أغانيهم الدينية بقولهن : « لنعد الى أثينا » •

من الخطر أن يعرض الانسان لبغض طائفة تعرف صناعة الكلام وتحذق فنونه • فكم شنعت المسارح على مينوس • ولم يغن عنه قول هزيود « انه أكبر الملوك » ولا قول هوميروس « انه نديم جوبيتر » ، فقد تغلبت عليه حملة الشعراء وصبوا على رأسه من أعلى مسارحهم ألوان الهوان وسجلوا عليه القسوة • ومما قالوا فيه ان مينوس مشرح الجحيم ولم يكن رادامنت سوى منفذ لأوامر مينوس •

جاء الموعد الثالث لأداء الغرامة ولزم عند ذلك اجراء الاقتراع عن آباء لأسر ذوى أولاد • وكان هذا مثارا لتذمر الأهالى ضد ايجة يتهمونه بأنه علة هذه النكبة وهو وحده الذى لا يناله نصيبه من الجزاء ، وقد نزل عن تاجه لابن غير شرعى وانه لا يعنيه حرمانهم من أبنائهم الشرعيين •

آلمت هذه الشكاة نفس تيزيوس فاعتزم مشاطرة الأهالى نصيبهم فى هذه البلية . فقدم نفسه مختارا للذهاب بلا اقتراع ، فأعجب الآثينيون بشهامته واكسبه الاخلاص حبهم . وقد ألح ايجة على ابنه أن يعدل عن عزمه ولكنه لم يستطع اقناعه لشدة مراسه وأخيرا رضى له ذلك ومن ثم اقترع على الآخرين .

أما رواية هيلانيكوس (١) فهى أن انتخاب هؤلاء الشبان لم يكن عن اقتراع بل كان مينوس يختارهم وكان تيزيوس أول من وقع عليه اختياره واشترط أن يقدم الآثينيون المركب التى تقلهم ، وألا يكون مع الشبان الذين يبحرون سلاح . وأن تبطل هذه الغرامة عند موت مينوتور .

- كان المعروف حتى الآن انقطاع الامل فى عودة هؤلاء الشبان لذلك كانوا يجعلون شراع المركب عند اقلاعها أسود للدلالة على أنهم يسيرون الى موت مؤكد ولكن تيزيوس طيب خاطر والده وملأ قلبه ثقة بتغلبه على مينوتور . فأمر ايجة للبحار بشراع أبيض وأوصاه أن ينشره عند عودته اذا عاد ابنه سالما وأن ينشر الشراع الأسود ايذانا بوقوع النكبة . ولكن سيمونيدس يقول ان ذلك الشراع لم يكن أبيض بل كان مصبوغا بعصير زهرة العفص فى لون خضرة الأغصان وتعرف بصبغة الكرمس وهذه علامة النجاة من الموت .

يقول سيمونيدس ان بحار تلك المركب هو امارسياداس فيريكلوس . ولكن فيلوخوروس يقول ، ان سيروس السلامينى أهدى الى تيزيوس بحارا يدعى نوزيثوس ونوتيا يدعى فياكس ، لأن الآثينيين لم يكونوا حينذاك يمارسون الملاحة ، وسبب هذا الاهداء أن مينيس ابن ابنة سيروس كان بين أولئك الفتيان . يؤيدون هذه الرواية بالتمثال الذى نصبه تيزيوس تكريما لنوزتوس وفياكس فى فالير بالقرب من هيكل سيروس ، وأنهم يقيمون عيد البحارة تكريما لهما .

---

(١) مؤرخ ولد فى ليسوس سنة ٤٩٥ ق.م. ولم تبق من اثاره سوى قطع منثورة .

ولما تم كل شيء ذهب تيزيوس بزملائه من بريتانة الى هيكل دلفي وقدم عنهم للاله أبولون غصن الضراعة وهو غصن من الزيتون المقدس عقدت على رأسه شرائط من الصوف الأبيض ، وبعد الفراغ من الصلاة أبحر يوم ٦ من مونيشيون (أبريل ـ مايو) وجرت لذلك العادة حتى اليوم ان ترسل البنات الى دلفي تضرعا للآلهة • ويزعمون أن الاله أمره وهو في دلفي أن يتخذ فينوس (الزهرة) مرشدة يستعين بها في سفره • كما يزعمون أن العنزة التي كان يقدمها ضحية انقلبت تيسا لذلك لقبت الآلهة ايتراجي (تيسا) •

يقول أكثر المؤرخين والشعراء انه بعد نزوله الى كريت ، أولعت به اريادنة فأعطته ملفا من الخيط وعلمته طريق الخروج من التيه • وانه قتل مينوتور ثم أبحر عائدا مع اريادنة ورفاقه • ويقول فيروسيد ان تيزيوس حطم المراكب الكريتية قبل ابحاره حتى لا تلحق به • ويقول داموں ، ان توروس قائد جيوش مينوس قتل ابناء المعركة البحرية التي وقعت بينه وبين تيزيوس عند الشاطىء لمنعه السفر • ولكن فيلوحوروس يقول انه عندما أعلن مينوس الألعاب المعتادة اقامتها احياء لذكرى ابنه ، شمل الحزن جميع الأهالي لبغضهم توروس وانتصاره على جميع أقرانه • بغضه اليهم سوء اخلاقه عدا ما كانوا يتهمونه به من صلات غير شريفة مع الملكة « باسيفاية » ولهذا اذن مينوس راضيا لتيزيوس في منازلته • ولما كانت عادة الكريتيين أن تحضر النساء هذه الحفلات وشهدت اريادنة القتال فتنت بجمال هذا الشاب الآثيني وأعجبت بالمبارز الجريء الذى بز جميع أقرانه وقد دهش له مينوس ذاته لا سيما عندما رأى توروس مغلوبا على أمره يضحك منه الجميع ساخرين • حينئذ سلم الفتيان الى تيزيوس ورفع عن مدينة أثينا تلك (الدية) التي كانت تقدمها • تناول كليداموس هذا الموضوع من أعلى نواحيه • وذهب فيه مذهبا يخالف الجميع بشروح مستفيضة • قال انه كانت هناك معاهدة بين جميع شعوب اليونان تحرم تجهيز مركب بأكثر من خمسة بحارة ما عدا جازون ربان المركب أرجوس الذى كان يجوس البحار ليطهرها من القرصان ، وحدث أن ديدال هرب من كريت الى أثينا على زورق فتعقبه مينوس في عدة مراكب كبيرة رغم ما نصت عليه تلك المعاهدة • فالقت به العواصف

على شواطىء صقلية حيث مات • سخط ابنه ديكماليون على الآثينيين وطالبهم بتسليم ديدال مهددا بقتل الفتيان الآثينيين (رهائن مينوس) اذا أبوا عليه مطلبه • فأجابه تيزيوس في لطف معتذرا بأن ديدال ابن عمه وأنه من أسرته أنه ابن ميروب ابنة آريختة وعمد فى الوقت ذاته الى اعداد عمارة بحرية كبيرة أخفى جزءا منها عند ثيموتادس في أتيكة بعيدا عن الطريق العام • وجزء عند بتيوس فى ترزين ليجعل التسليح أمرا خفيا • ولما أعد عدته أبحر بقيادة ديدال ومنفيي كريت • فلم يشك أحد في غرضه • وتوهمها الكريتيون عمارة أصدقاء • فاستولى تيزيوس على الميناء وأنزل جنوده وأسرع بمهاجمة مدينة سنوس ونشب القتال عند أبواب التيه فهلك ايكاليون وجميع رجال حرسه • واذ صارت اريادنة بوفاته صاحبة الملك استرضاها تيزيوس واسترد جميع شبان أثينا وعقدت معاهدة بين الكريتيين والآثينيين وأقسم هؤلاء ألا يعودوا للحرب •

وهناك روايات شتى عن اريادنة ولكنها لا تستند الى حقيقة تاريخية • يزعم البعض أن تيزيوس هجر أريادنة فشنقت نفسها يأسا • ويزعم البعض أنها بعد أن أقلها البحارة الى جزيرة باكوس تزوجت من أوتاروس كاهن باخوس وأن تيزيوس ضحى بها في سبيل غرام جديد •

« كان يهيجه الهيام بحب أجلة بنت بابوبيوس » • ويقول هرياز الميغارى (وهو كاتب مجهول) أن بيزاسترات سلخ هذا البيت من أسفار هزيود وأضاف اليه ارضاء للآثينيين بيتا آخر لهوميروس فى مناجاة الأبطال •

« تيزيوس وبيرتيوس من أبناء الآلهة العظام • (الأوديسية) » •

ويقول غير هؤلاء ، ان أريادنة رزقت من تيزيوس ولدين : أونوبيون وستافيلوس • هذا رأى يون من أهالى جزيرة خيوس (١) الذى يقول عن وطنه :

---

(١) شاعر تراجيدى عاش فى عهد بركليس •

(المدينة التى أنشأها أونوبيون بن تيزيوس) • وكل ما يروى من هذه الخرافات شـائع على الألسـنة • ولكن المؤرخ بايون (١) (من اماتونت) أذاع عن هذه الحادثة رواية تخالف سـابقاتها • زعـم أن العواصف ألقت تيزيوس على شـواطئ قبرص • وكانت اريادنة حبلى معذبة فأنزلها الى البر • وفيما هو يستوثق لمركبه دفعته الرياح الى عرض البحر • فأخذت نساء الأهالى أريادنة واجتهدن فى أن يخففن عنهـا آلام الوحدة وأطلعنها على خطابات مدعيات أن تيزيوس كتبها اليها • وأكثرن من العناية بها عندما أخذها ألم الوضع • ولكنها ماتت قبل أن تلد فأدين لها واجب الجنازة • عاد تيزيوس بعد ذلك فحزن حزنا شديدا لموتها • وقدم الى الأهالى مبلغا من المال لتقديم ضحية اكراما لذكراها • وأقام لها تمثالين أحدهما من الفضة والآخر من النحاس • ومازال يحدث فى التقدمة التى تقام فى الثانى من شهر جورببيوس (سبتمبر) أن ينام شاب على سرير يقلد صراخ وتأوهات المرأة عند المخاض • ومازال يدعو أهـالى أماتونت الغابة المقدسة التى فيهـا مقبرة أريادنة غابة أريادنة ـ فينوس الزهـراء •

ولكتاب تاكسوس رواية أخرى • اذ يزعمون أنه يوجد اثنان باسم مينوس واثنتان باسم أريادنة • الأولى تزوجت باخوس فى ناكوس وهى والدة ستافيلوس والأخرى قريبة العهد ، اختطفها تيزيوس ثم هجرها فجأة الى ناكوس ومعها مرضعها كورين ومازال قبرها شاهدا • وقد ماتت أريادنة هذه فى الجزيرة ، ولا تتفق الحفلات التى تقام لهذه مع تلك • الأولى تقام بين البهجة والسرور • والأخرى يمازجها الحداد والحزن •

غادر تيزيوس كريت ونزل الى دالوس وبعد أن قدم الضحية الى أبولون وقدس تمثال الزهراء الذى أخذ من أريادنة ، رقص مع الشبان الأثينيين رقصة مازال الدالوسيون يمارسونها وهى عبارة عن خطوات متوازنة تتجه وتتقابل فى نواح مختلفة على مثال منحنيات وتعريجات التيه • ويقول داسبارك ان الأهالى يدعونها رقصة الكركى • وقد رقص

(١) لا يعلم زمن وجود هذا الكاتب •

تيزيوس هذه الرقصه حول سيراتون (القرن) وهو هيكل تتألف واجهته اليسرى من قرون الحيوانات ، ويقال ايضا انه أقام حفلة لعب في دالوس وهناك قدم الى الفائزين سعف النخل • ولما دنا من أتيكا أنسى الفرح تيزيوس وبحارته الشراع الأبيض الذى من شأنه أن يبشر ايجة بالعودة السعيدة ، فبلغ اليأس من ايجة أن رمى بنفسه من أعلى الصخر فمات لوقتـــه •

دخل تيزيوس الميناء وأدى الضحية التى نذرها للآلهة فى فالير عند سفره وارسل المنادى يبشر المدينة بعودته فلقى المنادى أناسا يبكون وفاة الملك ، واستقبله الآخرون بفرح عظيم وأهدوا اليه الأكاليل جزاء البشرى التى حملها اليهم • وأخذ الأكاليل وطوق بهـا عصا السلام (١) ولما عاد الى البحر كان تيزيوس لم يفرغ بعد من أداء فروضه الدينية فبقى خارج الهيكل حتى لا يكدر التقدمة • وبعدها أعلن وفاة ايجة فاندفع الجميع الى المدينة منتحبين باكين • لذلك تراهم حتى اليوم فى أعياد أوسخوفوريس يتوجون عصا السلام ذاتها ، لا البشير • وعند نهاية العيد يصيح الجميع ايلوليوا ــ يو ! ــ يو ! ــ فالصيحة الأولى صيحة المهرولين الفرحين ، والثانية صيحة الدهشة والاضطراب •

وبعد ما دفن تيزيوس والده أدى فى السابع من شهر بيانيسيون (بين أكتوبر ونوفمبر) نذره لأبولون لأنه يوافق يوم عودتهم الى أثينا بعد تلك الرحلة الموفقة • ويقال ان سبب غليهم الخضار فى ذلك اليوم هو أن الشبان طبخوا في وعاء واحد كل ما بقي لديهم من المؤنة وأكلوها معا • وهم يحملون فى هذه الأعياد غصن زيتون مكسوا بالصوف على ما كان يفعل المبتهلون حينذاك اذ يعلقون عليه باكورات الأثمار اشارة لانقطاع العقم من أتيكا وهم ينشدون الأشعار الآتية :

« يحمل الغصن تينا وخبزا مغذيا •

---

(١) عصا من شجر الصفصاف او الزيتون فى راسها جناحان وقد التفت حولهـا حيتان متقابلتان • « اشارة السـلام والتجارة » والحيتان رمز الحكمة والحيلة والأجنحة دلالة النشاط •

« وعسلا فى كوتيل (١) وزيتا صالحا للطعام ٠
« وكاسا من النبيذ الجيد يسكرك وينيمك » ٠

ويقول البعض ان هذه الأشعار كتبت تذكارا لما كان يقدمه الأثينيون للهراكليين ، ولكنى تخيرت أكثر الروايات تقريرا ٠

أما المركب ذات الثلاثين مجذافا التى ركبها « تيزيوس » ورفاقه وعادوا بها سالمين الى أثينا فقد عنى الأثينيون بصيانتها الى عهد « ديمتريوس دى فالير » ، فكان كلما نخر من أخشابها جانب انتزعوه وأحكموا وضع جديد مكانه ٠ ويذكر الفلاسفة هذه المركب فى أبحاثهم عن طبائع الأشياء ، فمنهم من يقول انها هى بذاتها ، ومنهم من يقول انها غيرها ، أى مركبا أخرى ٠

و «تيزيوس» هو الذى أنشأ عيد «أوسخو فوريس» لأنه فى الحقيقة لم يصحب الى كريت جميع البنات اللاتى وقع عليهن الاقتراع ، بل اختار شابين من أصدقائه فى ملامح البنات ، ولكن قلبيهما عامران بالشجاعة والحزم وجعلهما يستحمان بالمياه الساخنة وأن يبقيا فى الظل وأن يدلكا جسديهما ليحفظا نعومتهما ولترخص بشرتهما وأن يعطرا شعورهما ، ثم مرنهما على تقليد أصوات البنات وحركاتهن وألبسهما ثياب النساء وغير من عاداتهما حتى صار المحال أن يشك الناظر اليهما فى جنسهما ، وتحت ثياب هذا التنكر خلطهما بالفتيات فلم يكونا موضعا للظن ٠ بعد العودة قام هو وصديقاه بموكب حافل مرتدين الثياب التى يلبسها اليوم الذين يحملون الأغصان المقدسة فى هذا العيد ٠ ويقال انهم يحملون هذه الغصون تكريما لـ « باخوس » و « أريادنة » ! اشارة الى أن « تيزيوس » ورفاقه عادوا الى أثينا ابان حصاد الاثمار ٠ ويقوم (الديبنوفوريون) الذين يعدون هذه الحفلة بكل ما يعمل أثناءها بتمثيل أمهات الذين وقع عليهم الانتخاب ٠ فيقدمون اليهم جميع ألوان الطعام ويقصون عليهم الكثير من الخرافات كما كانت تفعل الأمهات اللاتى كن يروين لأبنائهن

---

(١) وعاء يسع ٢٧١ر٠ من اللتر ٠

القصيص تعزية واحياء لشجاعتهم · ويرجع الفضل فى بيان هذه التفصيلات للمؤرخ « رامون » · ثم خصصت قطعة من الأرض لبناء هيكل « لتيزيوس » ، فأصر أن تقوم الأسر التى فرضت عليها تلك الجزية بنفقات الضحية ، وجعل الوكالة فيها لأسرة « فيتالديس » ؛ وهكذا وفى « تيزيوس » لتلك الأسرة بحقوق الضيافة التى نقلها منها ·

وبعد وفاة « ايجة » نهض « تيزيوس » بمشروع خطير مدهش ، وهو جمع أهالى الأتيك كلهم فى مكان واحد ليجعل منهم شعبا واحدا فى مدينة واحدة · كانوا قبل ذلك متفرقين فى قرى مترامية فيصعب جمعهم للمداولة فى الشئون العامة ، عدا أنهم كانوا متنافرين يكثر وقوع الحرب بينهم · طاف تيزيوس بنفسه بكل قرية وحادث كل عائلة يقنعها بقبول مشروعه ، فلم يتردد متوسطو الحال والفقراء فى قبوله · ولكى يستميل كبار القوم وعدهم بانشاء حكومة بلا ملك ، تكون فيها الكلمة للشعب وألا يبقى لنفسه سوى قيادة الجيش وصيانة القوانين · وأن يتمتع كل وطنى بما يتمتع به هو من الحقوق فيما عدا ذلك فاقتنع البعض وخشى البعض سلطانه الذى استفحل أمره وداخله الخوف من جرأته · فآثر القبول راضيا خشية أن يكره على ذلك · فهدم أماكن الاجتماع والمجالس فى كل قرية وألغى محاكمها وبنى للجميع مجتمعا واحدا وغرفه واحدة للمداولة وأطلق على المدينة والقرية اسم « أثينا » فكان المجتمع لجميع الأثينيين · وأجرى التقدمة المعروفة باسم « ماتوسى » ، التى تقدم فى السادس عشر من شهر هيكاتونيبون (بين يوليو وأغسطس) ولا تزال حتى اليوم ·ثم بر بوعده فتنازل عن الملكية وعنى بتنظيم شئون الدولة ، وكانت العبادة أول همه · واليك ما أجابت به الآلهة ردا على سؤالاته منبئة بحظ المدنية ·

« ياتيزيوس ابن ايجة وابن ابنته بتيوس ·

« أراد والدى أن تتعلق كثير من المدن من حيث مصالحها وحظوظها بمدينتك » ·

« فلا تجعل قلبك نهبا » للأفكار مثل القربة · فرغم العذاب ستجتاز البحار » ·

ويقال ان الوحى تنبأ بعد ذلك بزمن للمدينة بأن :

« تكونى كالقربة · تبتلين ولكنك لا تغرقين » ·

ورغبة فى زيادة عمارية المدينة سن شرعة المساواة بين جميع من يرغبون سكناها • ويقال ان النداء المعروف (أيتها الشـــعوب تعالى جميعـا) هو النداء الذى استخدمه تيزيوس لجعل أثينـا ملتقى جميع الأمم • خشى بعد ذلك أن يؤدى هذا التزاحم الى اضطراب الجمهورية ، فقسم الشعب ثـلاث طبقـات : الأشراف والفلاحين والصناع • خص الأشراف بالمناصب الدينية والحـــكم وسن الشرائـــع وتأويل العقـائد المقدسة ، وبهذه الميزات تســاوت مع الطبقتين الأخريين ، امتاز النبلاء بمناصب الشرف ، والفلاحون بفوائد منتجاتهم ، والصناع بوفرة عددهم • وقال أرسطو ، ان تيزيوس أول من آثر حكومة الشعب وتنازل عن السلطة الملكية • وقد أثبت هوميروس قبله هذه الحقيقة لأنه خص الأثينيين وحدهم بلقب « شعب » عند تعداد السفن (الالياذة) ثم ضرب تيزيوس سكة (عملة) عليها صورة ثور قد يكون ذكرى ماراثون أو اشارة الى قائد جيوش مينوس ، أو أنه قصد بذلك ترغيب الأهالى فى الزراعة ويقال ان هذه العملة سبب ما يدور على الألسنة من قولهـم « ان هذا يساوى مائة ثور أو عشرة ثيران » •

ثم انه وحد ما بين أتيكا والأراضى الميغارية بروابط وثيقة العرى ونصب على البرزخ ذلك العمود المشهور وكتب على جانبيه العبارتين التاليتين بيـانا لحدود البلدين • كتب على الجانب الشرقى (ليست هنا بالبيلوبونيز هذه يونيا) • وكتب على الجانب الغربى « هنا البيلوبونيز وليست يونيا » •

اقتدى تيزيوس بهرقل فى انشاء الألعاب • أقام هرقل الالعاب الأولمبية تكريما لجوبيتر ، فطمح تيزيوس أن يقيم اليونانيون العـــابا برزخية تكريما لنبتون • أما الاحتفالات التى كانت تجرى فى هذا المكان فانها كانت تقام تكريما لماليسوت ليلا ، وكانت أدنى الى تناول الأسرار منها الى عيد عام • ويزعم البعض أن الألعاب البرزخية كرست لسيرون ، أقامها تيزيوس كفارة عن قتله أحد ذوى قرباه • وسيرون هذا هو ابن كانتوس وهانوشة بنت بتيوس • ويزعم البعض أنها كرست لسينس لا لسيرون ومهما يكن من أمرها فقد اتفق تيزيوس مع الكورنثيين أن تكون لمن يحضرها من الاثينيين المقاعد الأولى وأن يكون لهم منها ما يسع ما يغطيه شراع السفينة تيورى منشورا •

ثم قام تيزيوس برحلته الى (بونت أكسين) ويقول فيلاخوروس وغيره أنه رافق هرقل في حملته على الأمازون (النساء المترجلات) وكان فوزه بأنتيوب جزاء بســالته • ولكن جملة الكتاب وبينهم فاراسيد وهيلانبكوس وهارودور ، يزعمون أن رحلته حدثت بعد حملة هرقل على سفنه الخاصــة وأنه أسر الأمازونة • وهذه أشــبه بالحقيقة لأن الرواة لم يذكروا عن ســواه أسر امرأة مترجلة • ويقول بيون انه احتــال على أسرها • وذلك أن الأمازونات (المترجلات) صديقات الرجال بطبيعتهن فلم تهربن عنــد نزول تيزيوس الى شــواطىء بلادهن وأرسلن اليه هدايا الضيافة ، فطلب الى المرســلة أن تنزل الى مركبه ، فما كادت تنزل اليها حتى أقلعت سفينته •

كتب رجل يدعى ماناكراكث تاريخا عن نيسة ونيتيني روى فيه أن تيزيوس عند عودته بأنتيوب قضى أياما في تلك الربوع ، وكان في صحبة ثلاثة شبان اخوة من أثينا ، وهم أينويوس وتورواس وصــولون ، وقد أولع الأخير بحب أنتيوب ولم يفض بسره الا الى واحد من أصدقائه ولكن انتهى به الأمر الى مكاشفة أنتيوب بغرامه فأنكرت عليــه في لطف وحكمة ولم يشك أمره الى تيزيوس • ولما يئس صــولون ألقى بنفســه في النهر فغرق • وعندئذ علم تيزيوس نبأ الشاب وما كان يعانيه من لوعة الحب والألم ، فأعادت هذه الحادثة الى ذاكرة تيزيوس وحي الكاهنة وهو الأمر الذي تلقاه في دلفي بأن ينشيء مدينة في أرض غريبة حيث يشعر بألم موجع وأن يقيم فيها صحبه حكاما ، فأنشــأ مدينة دعاها بيتوبوليس (اسم الاله) ودعا النهر المجاور لها صولون احياء لذكرى ذلك الشاب • وعهد الى أخوى صــولون بحــكم المدينة • وسن لهــا شرائع وتــرك معهم هرمس أحد سكان أثينا ومازال أهالى بيتوبوليس يطلقون على أحد أماكن المدينة بيت هرمس ، ولكن تحريفا بسيطا في هذا الاسم جعله اسم اله لا اسم بطل •

والظاهر أن حرب المترجلات لم تكن عن طيش ولا من أجل امرأة • هل يمكن أن يعسكرن حول أثينا وينشرن القتال حولها ، اذا لم يكن قد امتلكن تلك الأراضي ثم أخذن في مهاجمة المدينة بتلك الجرأة! أما اجتيازهن البوسفور على جليد من الثلج فليس مما يسهل تصديقه • ولكن تسمية

جملة أماكن فى أثينا بأسمائهن ، وتلك المقابر التى دفن بها من هلك منهن فى القتال ، فدليل على أنهن قد عسكرن فى وسط المدينة ٠

تردد الجانبان طويلا محجمين عن القتال ولكن تيزيوس عملا بمشوره الوحى قدم ضحية لاله الخوف ، وبدأ الهجوم فى شهر بوديروميون (بين سبتمبر وأكتوبر) فى ذلك اليوم الذى لايزال الأثينيون يقدمون فيه القرابين لبوديروميون ٠ وقد قال كليداموس فى شرح هذه الموقعة ان المترجلات بلغن المكان المعروف اليوم باسمهن ونشرن جناحهن الأيمن فى « حرزانيسة » وأخذ الأثينيون فى مهاجمة الجناح الأيسر كما تدل على ذلك قبور القتلى التى لاتزال قائمة عند مدخل بيرة ، فتقهقر الأثينيون متراجعين امام المترجلات ، ولكن القوة التى هاجمت الجناح الأيمن ردت العدو حتى معسكره بعد ان فتكت به فتكا ذريعا وانتهى الامر من القتال بعقد معاهدة بين المتحاربين بواسطة أسيرة تيزيوس التى يقول البعض انها قتلت وهى تحارب بجانب رجلها ، وأقيم فوق جثتها عمود هيكل الأرض الأولمبية ٠

ولا غرابة أن تضطرب الروايات عن حوادث كهذه طال عليها القدم ألا يقال اليوم ان الأمازونة الأسيرة كانت تمهد سبيل النجاة لمن تقع فى الأسر من أخواتها ، وان قتلى الحرب دفن فى الأماكن المعروفة بأسمائهن ؟ وما أكثر ما يعدون من مقابر تلك المترجلات فى أنحاء شتى ، والظاهر أنهن لم يخترقن أراضى تساليا بلا قتال ٠

هذا ما رأيت تدوينه عن حرب الأمازونات ولكن أحد الكتاب ذهب الى القول بأن اسيرة تيزيوس هى التى حرضت أخواتها على اقتحام تلك الحرب انتقاما لنفسها من رجلها الذى مال عنها الى الزواج من فيدر ، وأن هرقل أباد تلك المترجـــلات ٠ وهذه خرافة خيالية لا حقيقة لها لأن القائد الأثينى لم يتزوج من فيدر الا بعد وفاة أسيرته وقد رزق منهـا ابنا يدعى هيبوليت أو ديموفون ٠ أما الويلات التى عاناها من جراء هذه الزوجة الجديدة وابنهـــا وأجمع على صحتها المؤرخون والشـــعراء ، فلا ريب فيها ٠

ثم أقبلم على الزواج من كثيرات لم يكن زواجه منهن على شرف ولا انتهى بسعادة . وقد اختطف امرأة ترزنية تدعى اناكسو ، وبعد أن قتل سنيس وسيرسيون إغتصب بناتهما . ثم تزوج من باريبة والدة أجاكس ثم فيربيه ديوبه بنت ايفيكلس وعيب على زواجه من أجلة بنت بانوبيوس أنها حملته على هجر عشيقته اريادنة فى نذالة ولؤم . ثم جاء اختطافه هيلانة التى عمت الحرب من أجلها جميع اتيكا فكانت كما ستراه سببا لنفيه وموته .

يرى هيرودوروس أن تيزيوس لم يشترك الا فى الموقعة التى دارت بين اللا أثينيين والنتوريين بينما كان الأبطال يقومون بمواقع حربية مشرفة . ويرى غير العكس من ذلك أنه رافق جازون فى الكولشيد وأنه باشتراكه مع ماليجر هزم خنزير كاليدون وكان ذلك منشأ المثل المعروف « لابد من تيزيوس » ويزعم له البعض أعمالا مجيدة وأنه دعى هرقل الثانى . وأنه كان عونا على اكتشاف جثث القتلى الذين ماتوا وهم يقاتلون عند أسوار طيبة على غير ما رواه أوربيد فى مأساته « المتوسلات » التى يكذبها فيها أخيلوس فى مأساته (الاليزيون) وكان ذلك على أثر قتاله مع الطيبيين الذين تمكن من اقناعهم بعقد هدنة وهذه أصدق رواية وكانت هذه أول هدنة عقدت لدفن القتلى ولكن المعروف عن هرقل أنه كان يرد جثث القتلى الى أعدائه ، على ما رواه تيزيوس نفسه .

أما حكاية صداقته مع بيريتاوس فذلك أن هذا أراد امتحان شجاعة تيزيوس الذى ذاع صيته فاختطف قطيعا من ثيران ماراتون ، ولما علم أن خصمه يطلبه ثبت رابط الجأش فلما وقعت العين على العين امتلأت نفس كل منهما اعجابا بالآخر وأخذ كل منهما بجمال الآخر وأنفته وأبهته فبسط بيريتاوس يده الى قرنه وساله أن يقدر ما خسره معلنا استعداده للقيام بكل ما يطلبه فأعفاه تيزيوس وطلب اليه أن يكون صديقه وأخاه فى القتال فأقسم كل منهما للآخر أن يكون له الصديق الوفى الى الأبد .

حدث بعد ذلك أن بيريتاوس الذى تزوج من ديداميا دعا صديقه لزيارة البلاد والتعرف باللابيتيين ، ودعا السنتوريين أيضا الى

الوليمة ، ولكن هؤلاء اغفلوا في سكرهم واجب الوقار ومدوا يدهم الى النساء فنقم الأهالى عليهم ذلك وهموا بهم فقتلوا البعض فورا وأفنوا الكثيرين فى حومة القتال بمساعدة تيزيوس وطردوا الباقين من البلاد .

ولكن هيرودوروس روى هذه الحادثة على غير هذا الوجه قائلا ان الحرب كانت قائمة عندما ذهب تيزيوس لمساعدة اللابيتيين وانه انتهز هذه الفرصة فذهب الى تراخين لقربها منه لمقابلة هرقل الذى كان يستريح من عناء حروبه ، فتبادل البطلان عبارات التهانى وعواطف المودة • ولكن الأرجح ما رواه القائلون بأنهما تعارفا قبل ذلك بزمن بعيد وأن هرقل بفضل تيزيوس تناول الأسرار ، ومن قبلها التطهير ، وهو ما كان فى حاجة اليه لما اقترفه على غير علم من الأخطاء •

قال هيلانيكوس ان تيزيوس كان فى الخمسين من عمره عندما اختطف هيلانة التى كانت دون سن الرشد • وقال البعض تبريرا له من هذه الجريمة الشنيعة انه لم يختطفها بنفسه ، ولكن ايدا ولينة هما اللذان اختطفاها وأودعاها أمانة بين يديه وأنه أبى أن يردها الى دياسكوروس عندما طلبها منه • وقيل أكثر من ذلك أن تندار هو الذى عهد بها اليه خوفا من أنرسوفوروس بن هيبوكون الذى كان ينوى اغتصابها عنوة وهى دون البلوغ • ولكن أشبه الروايات بالحقيقة التى تؤيدها الشهادات الكثيرة ، هى أن تيزيوس وبيريتاوس ذهبا معا الى اسبارطة واختطفا هيلانة وهى ترقص فى معبد ديانة أورتيما ، وهربا بها • وأن الذين اقتفوا أثرهما لم يتعقبوهما الا الى حدود تيجة ولما اجتاز السالبان حدود بيلوبونيز وصارا فى مأمن ، اقترعا فيما بينهما على هيلانة على شريطة أن من تصير نصيبه يعاون الآخر على اختطاف أخرى • كانت من نصيب تيزيوس ولم تكن بالغة أشدها بعد ، فذهب بها الى أفيدنس وأودعها والدته أترة ، وجعلهما فى حمى انيدنوس صديقه وأوصاه بشدة اليقظة وكتمان السر • وبرا بوعده لبيريتاوس ، ذهب معه الى أبيرة لاختطاف ابنة ايدونيوس ملك المولدس • وكان هذا يدعو زوجته بروسبرين وابنته كورة وكلبه سربير • وكان من عادته أن يعرض خطاب ابنته لمقاتلة ذلك الكلب مع الوعد باعطائها لمن يتغلب عليه • ولكنه علم

أن بيرتياوس جاء لاختطاف الابنة لا ليطلبها زوجة . قبض على الخاطفين وجعل بيريتاوس فريسه لكلبه سربير . واحتفظ بتزيوس أسيرا .

ولكن مانسته بن باتيوس وحفيد أوانوس بن أرخته أول من عرف معانى الدعاية والشهرة واختبر تأثير الخطابه المملقة ، أثار كبار الوطنيين وأهاجهم ضد تزيوس الذى سبقت منه الاساءة اليهم ، اذ حرمهم سلطانهم فى قراهم وحشرهم في مدينة واحدة حيث جعلهم من رعاياه بل عبيده ، وكان يثير الجمهور عائبا عليه الانخداع لشبح من الحرية . فى حين أنه يجرد الوطنيين من أوطانهم وعبادتهم عائبا عليهم احتمال مستبد أجنبى مجهول الأصل بدلا من ملوكهم الصالحين وحكامهم الشرعيين .

ولم يسعد مانسته فى دسائسه وغاياته شيء أكثر من حرب التنداريين الذين أغاروا على أتيكا مسلحين بناء على دعوته ، كما روى ذلك بعض المؤلفين لم يبدءوا بالعداء بل طلبوا أن ترد اليهم أختهم . فأجابهم الأثينيون أنها ليست لديهم وأنهم لا يعلمون أين هى . تأهب التنداريون للقتال ولكن أكاديموس ـ ولا ندرى كيف علم السر ؟ ـ أبلغهم أن هيلانة مخبوءة فى أفيدنس . فخصه التنداريون جزاء هذا الفضل بالاحترام والرعاية طوال حياته . وكذلك السبارطيون الذين كثرت غاراتهم على أتيكا بعد ذلك وأمعنوا فيها نهبا وسلبا كانوا يحرصون على عدم المساس بحدائق الأكاذيمية اكراما لاكاذيمون ولكن ديسيارك يقول انه كان فى جيش التنداريين أركاديان يدعى أحدهما أخاذيموس والآخر ماراتوس ، سمى هذا المكان باسم الأول وكان يقال له أخاذيمية ، ثم أكاذيمية . وسميت قرية ماراتون باسم الثانى لأنه اجابة لأمر الوحى قدم نفسه ضحية على رأس الجيش . سار التنداريون الى أفيدنس واكتسبوا المعركة وأخذوا المدينة عنوة . ويقال ان أليكوس بن سيرون لقى حتفه هناك اذ كان يحارب من أجل الديوسقوريين وان المكان الذى دفنت فيه جثته فى أرض المجاريين لا تزال تدعى باسمه . وقال هاراياس ان البكوس هلك فى أفيدنس بيد تزيوس نفسه ، مستشهدا بالبيتين الآتيين اللذين قيلا فى أليكوس .. فى أفيدنس ذات الربوع الخضراء :

كان يقاتل لاسترداد هيلانة الحسناء . ولكن تزيوس ـ قتله (١) على أنه ليس معقولا أن يكون تزيوس موجودا وتسقط امه وأفيدنس فى أيدى الأعداء .

واذ سقطت أفيدنس اضطرب الأثينيون . وتمكن مانستة من اقناع الشعب أن يفتحوا الأبواب للتنداريين وأن يستقبلوهم استقبال أصدقاء قائلا انهم لا يعلنون الحرب الا ضد تزيوس الذى بدأهم العداء ، وانهم مخلصون للوطنيين ومنقذوهم . وقد جاء سلوكهم مبررا لهذه الشهادة . لم يطلبوا مع ما لهم من السيادة سوى أن يتسلموا الأسرار المقدسة بصفتهم من ذوى قربى الأثينيين على مثال هرقل ، تبناهم أفيدنوس كما تبنى بليوس هرقل وسلمهم الأسرار الالهية ودعاهم « أناس » (٢) منحوا هذا اللقب اما لأنهم حبوا المدينة السـلام . واما لأنهم منعوا الأذى عن الأثينيين ، رغم جنود جيشـهم العرمرم بينهم . يطلـق هذا اللقب على من يتولى العناية ، الحماة ، ولعل هذا هو السـبب فى اطلاقهم لقب أناكتوس على الملوك . ويقول البعض ان التنداريين منحوا هذا اللقب لظهور نجوم فى السماء تحت هذا الاسم من كلمات أتيكية تدل على ما هو فى العلاء .

ويقال انه قبض على « أترة » والدة تزيوس وسيقت أسيرة الى لاسيديمونيا (سبارطة) ومنها سارت مع هيلانة الى طروادة يعتمدون فى ذلك على بيت شعر لهوميروس (٣) « أترة بنت بتاوس ، وكليمن النجـلاء » .

ويقول البعض ان هذا البيت مدخولا على قائله لا يقل كذبا عما يروونه عن مونخيوس الذى يدعـون انه ثمرة غرام سرى بين داموفـون ولاوديس وان أترة أخفته فى اليون . ويقول استر (٤) فى كتابه الثالث عشر عن أتيكا غير هذا . يروى عن بعض المؤلفين أن الاسكندر الذى يدعوه التساليون باريس انهزم فى موقعة ضد أشيل وبتروكل بالقرب من نهر

---

(١) لا يعرف قائل هذين البيتين .

(٢) ـــ ملك .

(٣) الاليـادة .

(٤) كاتب مجهول .

ميرخيوس ، وان هكتور استولى على مدينة ترازين وعرضها للسلب والنهب وقاد أترة التى تركوها هناك . وهذه أكذب الروايات .

نزل هرقل يوما ضيفا على آيدوناوس المولوسى وقصه الأمير حادثة بيريتاوس وتزيوس وما كانا يقصدان اليه ، وما نالهما من العقاب . حزن هرقل لما نزل بأحدهما من موت مخجل وخشى على حياة الآخر ، لم ير فائدة من الكلام عن بيريتاوس وطلب اليه أن يتفضل فيسلمه تزيوس فأجابه الى طلبه . صار تزيوس طليقا وعاد الى أثينا ، حيث لم تكن الغلبة قد نمت على أصحابه . وكان أول همه أن كرس الهياكل التى خصه بها الأثينيون ، باسم هرقل واستبدل أسماءها من التزيوسية الى الهرقلية ولم يبق لنفسه ـ على رواية فيلوخوروس ـ سوى أربعة . حاول فى أيامه الأولى أن يتولى الحكم وادارة الأعمـــال على ما كان له . ولـــكن الفتن والاضطرابات قامت فى وجهه . فاقتنع أن أعداءه القدماء أضافوا الى بغضهم له احتقاره لضعفه . وأن الشعب قد فسد فبدل أن يطيع صامتا صار يطلب أن يتزلف اليه . حاول ارغامه بالقوة ولكن المحرضين والخطباء شلوا جهوده . يئس من استعادة سلطانه فأرسل أولاده خفية الى أربا عند الفانورين خالكودون ، وبعد أن صب لعناته على الأثينيين ، فى حرجوتوس فى مكان لايزال يدعى أراتاريون ، أبحر الى سيروس : ظانا أنه سيجد بها أصدقاء وكانت له بالجزيرة أملاك موروثة .

كان ليكومد حينذاك ملكا على سيروس ، ذهب اليه تزيوس ورجا أن يعيد اليـــه أملاكـــه لأنه ينوى الاقامة هنـــاك . ويقول البعض انه طلب اليه نجدة ضد الأثينيين ولكن ليكومد خشى جانب رجل له تلك الشهرة من جهة وأراد مرضاة مانسته من جهة أخرى، فسار بضيفه الى قمة الجبل مدعيا الرغبة فى أن يريه أملاكه ورمى به من أعلى الصخور فتردى تزيوس فى سقوطه . ويقول البعض انه قد زلت قدمه وهو يتمشى على عادته بعد العشاء . لم يعبأ أحد حينذاك بموته . واستتب الأمر لمانسته فى أثينا ، وعاش أبناء تزيوس كأفراد الناس عند الفانور وحضروا معه حرب طروادة . مات مانسته فى ذلك الحصار وعاد الأبناء الى أثينا واستولوا

على مقام ملكيتها • عاد الأثينيون بعد قرون الى تكريم تزيوس كبطل ، دعتهم الى ذلك جملة أسباب أهمها أن كثيرين من الجند توهموا أنهم رأوه في موقعة ماراتون يتقدم الجيش محاربا البربر •

كان فادون حاكمـــا بعد الحرب « الماودية » • وأمرت الكاهنـة الأثينيين الذين جاءوا لاستخارتها أن يجمعوا عظام تزيوس وأن يحتفوا بدفنها وأن يحرصوا عليها • ولكنه لم يدن من السهل ايجادها ولا معرفة القبر لأن سكان الجزيرة كانوا همجا غلاظ الأكباد لم يعاشروا أحدا من الشعوب ولم يعاملوا أحدا • ثم حدث أن سيمون على ما رويته في سيرته استولى على جزيرة سيروس فعني بهذا البحث • رأى على ما يقال نسرا ينقر رجمه من الأرض وينبش بمخالبه ، وكان وحيا الهيا هبط على سيمون وحفر هناك فوجد نعشا لرجل طويل القامة • والى جانبه رمح وسيف • نقل سيمون هذه الرفات على مركبه،عم السرور جميع الأثينيين واستقبلوا رفاته في حفاوة مهيبة وقدموا الضحايا كأن تزيوس عاد حيا الى المدينة • وأودعوه وسط أثينا في المكان المقام عليه الآن ملعب الجمناز (الرياضة البدنية) وهو ملجأ العبيد والضعفاء الذين يخشون ظلم كبار القوم • والحقيقة أن تزيوس كان طوال حيـاته حمى المظلومين ومجيب دعـوة المســتغيثين •

يقدم الأثينيون الضحايا تكريما له في الثامن من شهر بيانبسيون (أكتوبر ـ نوفمبر) ، اليوم الذى عاد فيه من كريت مع رفاقه • وهم يحتفون بتكريمه أيضا في الثامن من كل شهر • وقد يكون ذلك لأنه عاد لأول مرة من ترازين الى أثينـا في الثامن من شسهر هيكاتونبيون (يوليو ـ أغسطس) كما قال ديودور البرياجى (١) • أو لأنهم رأوا ان هذا العدد أليق به • اذ انه ابن نبتون ، وهم يقدمون الضحايا لهذا الاله في الثامن من كل شهر • وسبب ذلك أن العدد ثمانية أول مكعب لأول عدد زوجى • ومضاعف أول مربع ، ويمثل قوة نبتون الثابتة التى لا تتغير • ذلك الاله الذى ندعوه : اسفاليوس (٢) وجايوكس (٣) •

(١) كاتب يكثر ملوك رخوس من ذكره • له مؤلف عن المـقابر • ولم يعرف بغير هذا •
(٢) الذى يدعم اساسات الارض •
(٣) الذى يحتضن الأرض •

رومولــوس

من ٧٦٩ الى ٧١٥ ق٠م٠

لم يتفق المؤرخــون لا على موجد اسم روما ، ذلك الاسم العظيم الذى ذاع مجده بين جميع الأمم ، ولا على سبب تســـمية المدينة بهذا الاسم ٠ يقول البعض انه بعد أن طاف البلاسجيون العالم تقريبا وأخضعوا كثيرا من الأمم حطوا رحالهم فى هذا المكان ودعوا مدينتهم روما تنويها لسلاحهم من قوة (١)٠ ويقول البعض،انه بعد سقوط طروادة نجا جماعة من أهلها وتيسر لهم الحصول على سفن : ثم قذفت بهم الرياح فرسوا على شواطىء اترووريا بالقرب من نهر التبر ٠ وكان التعب قد أنهك قوى نسائهم وملت مشاق السفر وكانت بينهن واحدة تدعى روما لا يقل ذكاؤها عن كرم محتدها اقترحت عليهن اضرام النار فى السفن فعملن بنصيحتها غضب الأزواج ثم استسلموا لضرورة الواقع وأقاموا حول جبل بالاتن ٠ حيث فاقت سعادتهم ما كانوا يؤملون ، اذ وجدوا من الأرض خصوبه ومن الأهالى ترحيبا ولذلك خصوا روما بالاكرام ، وأطلقوا اسمها على المدينة التى كانت سببا لوجودها ٠ ويقال ان عادة تسليم الرومانية (الرومانيين) على أهلهن وأزواجهن بقبلة على الفم ، أصلها أن الطرواديات بعد اشعالهن النار فى السفن كن يهدئن غضب أزواجهن بالتوسل اليهم وتقبيلهم على هذا النحو ٠ ويزعم البعض أن روما التى دعيت المدينة باسمها هى بنت ايطالوس ولوكاريا ، ويقول آخرون انها بنت تالاف بن هرقل وأنهـــا تزوجت أنياس (أنيه) ويقول آخرون ان اسجانى بن أنياس كان زوجها ٠ وهؤلاء يدعون أن الذى بنى روما هو رومانوس بن عولوس وسرسه ،

(١) معنى كلمة « رومى » اليونانية قوة ٠

ويدعى أولئك ذلك لروموس بن أمانيون ، الذى أرسله ديومد الى طروادة ؟ ويقول البعض ان الذى وضع أساسها هو روموس ملك اللابينيين ، بعد أن طرد منها الترهينيين الذين جاءوا من تساليا الى ليديا ثم من ليديا الى ايطـــاليا ٠

والأدهى من ذلك ، أن الذين يدعون ـ ولهم الحق ـ أن رومولوس (١) دعا المدينة باسمه غير متفقين فيما بينهم على أصل رومولوس ذاته ٠ يحسبه البعض ابن انياس واكستيا بنت قورباس ٠ وأنه نقل اذ كان طفلا مع أخيه روموس الى ايطاليا ، وان نهر التبر طغى فحطم جميع السفن الا سفينة الطفلين التى دفعها بلطف الى شاطىء ممهد ونجت على غير المنتظر ودعيا المكان روما ٠ ويقول آخرون ان رؤما بنت واكستيا هذه تزوجت لاتينوس ، ابن تلماك فأولدها رومولوس ٠ ويذهب البعض الى أن رومولوس هو ثمرة اتصال سرى بين أميليا بنت انياس ولافنيا بالاله مارس ٠

ومن الرواة من يتحدث عن ميلاده بأغرب الخرافات ٠ يزعمون ان نارختيوس ملك الألبونيين وهو من أظلم الناس وأقساهم ، تراءت له وهو فى قصره رؤيا الهية ، رأى رمز اله التناسل خارجا من بيته ليلا حيث قضى بضـــعة أيام ، وكان فى اتروريا وحى تانيس فأرسل هذا الملك يستشيره فأجاب الوحى أن عذراء تتصل بهذا الاله ويكون لها ولد جليل الشأن يتفوق على جميع رجال عصره بشـــجاعته وقوته وحظه ٠ أفضى تارختيوس الى احدى بناته بهذا الوحى وأمرها باتمامه ٠ لم تر الفتاة ذلك وأرســلت احـــدى خادماتهـــا ، غضب الملك عندما علم الخبر وهم بقتل الفتاتين ٠ ولكن الالهة فيستا نراءت له فى حلم ونهته عن قتلهما ٠ أمر بنتيه أن تنسجا قطعة قماش ووعدهما أن يزوجهما متى أتمتاه فكانتا تشتغلان طول النهار حتى اذا جاء الليل أمر تارختيوس نســـاءه بحل ما نسجتا ٠ وضعت الخادم التى حملت من فالوس (اله التناسل) (توأمين) سلمهما الملك الى رجل يدعى تاراتيوس وأمره بقتلهمـــا ٠ وضعهما الرجل عند شاطىء النهر وهناك أسرعت اليهما ذئبة وأرضعتهما

---

(١) يدعـو فلوطارخوس شـــقيق رومولوس ، روموس اما جميع اللاتينيين فيدعونه راموس ٠

بما تحمله من الغذاء وأخذت الطيور تزقهما بما تلتقط من الغذاء •

بقيت هذه الحال الى أن رآهما راعي بقر فأخذته الدهشة لذلك ثم اجترأ على الدنو منهمـــا وأخذ الطفلين • ولما شــــبا قاتلا تارختيوس وهزماه • هذه هي رواية كاتب يدعى بروماتيون (١) ، في مؤلفه تاريخ ايطـــاليا •

أما أشبه الروايات بالحقيقة والتي أجمع عليها أكثر الشهود فهي رواية ديوكلس البيبارستي التي أذاعها قبل سواه بين اليونانيين وأيدها فابيوس بيكتور (٢) وقد وقعت بهـــا اختلافات ، الا أنها في جملتهـــا كما يأتي :

انتهى ارث سلالة أنياس الملكيين الى الأخوين • نوميتور واموليوس قسمه اموليوس الى قسمين أحدهما المملكة والآخر المال والذهب الذي جيء به من طروادة • اختار نوميتور المملكة ولكن اموليوس صار بماله أقوى نفوذا من أخيه وسلبه التاج بأهون سبب • خشي أن تلد بنت أخيه أبناء فجعلها « فستا » كاهنة حتى لا تتزوج وتقضي حياتها عذراء • بعضهم يدعوها اليا • والبعض ريا وآخرون ، سلفيا ، ولكنها وجدت بعد قليل حبلى خلافا لقوانين الكاهنات • شفعت لها أنثو بنت الملك لدى والدها فأبقى على حياتها • خشي اموليوس أن تلد على غير علم منه فأودعها سجنا ضيقا لا يراها فيه أحد • وضعت توأمين من أجمل وأفخم ما تلد الوالدات • ازداد خوف اموليوس فعهد الى خادم أن يعرضهما للهلاك • ويقال ان ذلك الخادم يدعي نوستولوس ويقول آخرون ان هذا اسم الذي التقطهما • وضع الخادم الطفلين في مهد ونزل يلقي بهما في النهر ولكنه وجد التيار شديدا فلم يجرؤ على النزول فالقي بهما على الشاطيء وعاد • هدأت المياه واحتملت المهد بلطف الى أرض منهدة تدعى اليوم سرمانوم وكانت تدعى جرمانوم • وظني أن ذلك لأن اللاتينيين يدعون الشقيقين « جرمان » وكان على مقربة من هناك شجرة تين برية يدعونها « رومينال » ويظن

(١) كاتب مجهول •

(٢) اقدم مؤرخي اللاتين معـــاصر هنيبـــال وكتب حوادث روما ولم يبق منهـــا شيء تقريبا •

البعض أن هذه التسمية نسبة الى روملوس أو لأن الحيوانات المجترة كانت تذهب وسط النهار فتستريح فى ظلها • أو أن ذلك نسبة لارضاع الطفلين هناك • وذلك أن قدماء اللاتينيين كانوا يدعون الثدى « روما » ويدعون الالهة التى تعنى برضاعة الأطفال رومليا • ولا تدخل الخمر فى تقدماتها أما المطهر فكان من اللبن •

هناك بقى الطفلان ترضعهما الذئبة ، يعاونها الشقرق فى تغذينهما والعناية بهما • وهما من الحيوانات المفترســة للاله مارس • ويخص اللاتينيون الشقرق بعبارة خاصة •

وهم كذلك يصدقون شهادة الوالدة أن الطفلين ابنا مارس • ويقول بعض المؤرخين ان ذلك وهم منها • لأن أموليوس كان مدججا بالسلاح حينما دخل يغتصبها • ويقول البعض ان اسم المرضع كان فى هذه الخرافة تورية لا حقيقة • لأن اللاتينيين كانوا يطلقون كلمة ذئبة على أنثى الذئبة والمومس وتلك كانت حالة زوجة فوستولوس الذى عنى بتربية الطفلين • وكانت تدعى أكالارنسيا : يقدم اليها الرومانيون كل سنة التقدمات فى شهر أبريل ويقوم كاهن مارس بصـــلاة الجنازة ويدعى عيدهـا عيد لارنســـيا •

وهم يكرمون أيضا لارنسيا أخرى للمناسبة التالية :

حدث ان حارس هيكل هرقل رأى فى ساعة ملل ان يقترح على الاله مقامرة بالنرد (الزهر) يشترط اذا ربح أن يمنحه الاله ما يريده • واذا خسر قدم للاله وليمة فاخرة وحسناء ينام معها • اتفقا على ذلك وألقى النرد عن هرقل أولا • ثم عن نفسه فكان الخاسر • فوفاء بعهده أدب للاله مأدبة فخمة واستأجر له لارنسيا ، التى كانت فى ريعان صباها لاتزار الا قليلا • وأقام سرير الوليمة فى الهيكل • واذ انتهت المادبة احتجز لارنسيا ليستمتع بها الاله • ويقال ان هرقل استمتع بها حقيقة وأمر ان تذهب مبكرا الى الساحة العمومية ، وتقبل أول رجل تقابله وتتخذه خليلا وكان أول من قابلته وطنى عجوز وغنى جدا قضى حياته حتى تلك الساعة عزبا • وكان يدعى تاروتيوس • لقى لارنسيا لقاء حسنا جدا وتعلق بها حتى انه عند موته ترك لها أموالا عظيمة • أوصت بمعظمها

للشعب الرومانى • ويقال انها نعمت بشهرة واسعة وكانت تكرم بصفتها خليلة اله ، عندما اختفت فجأة على مقربة من المكان الذى دفنت فيه لارنسيا الأولى • وهو يعرف اليوم باسم فالابر : مأخوذ من أن نهر التبر كان يطغى ـ أحيانا ـ فيجتازه الناس على قارب الى الفوروم (ساحة المدينة) واجتياز المياه على هذا النحو يقال له (فالاتورا) ويقول البعض ان الذين كانوا يقيمون الألعاب للشعب كانوا يمدون الأقمشة من المكان الى الملعب (السيرك) ، مبتدئين بهذه الساحة • والرومانيون يدعون القماش « فالا » • هذا هو أصل الحفلات التى يقيمها الرومانيون للارنسيا الثانية •

قام فوستولوس راعى خنازير أموليوس بتربية الطفلين فى منزله على غير علم من أحد • ويزعم البعض ـ وهو أدنى الى الصواب ـ أن نوميتور كان يعلم ذلك وأنه كان يمدهما بما يحتاجان اليه خفية • ونقلا بعد ذلك الى جابى (١) • ليتعلما اللغة وكل ما يجب أن يتعلم الأشراف •

دعى رومولوس وروموس نسبة الى الثدى لأنه قد شوهد أن الذئبة ترضعهما • وكان لهما من اعتدال قامتيهما ووسامة وجهيهما ما يدل منذ الصبا على ما يكون لهما من شأن • وكلما زادت أيام حياتهما ازداد كل منهما شجاعة وجرأة واقداما عند الخطر • ولكن رومولوس كان يفوق أخاه بسلامة الذوق والمهارة فى تدبير الأمور • ففى المرعى أو القنص أو كل علاقاته مع جيرانه ، يبدو عليه أنه خلق للقيادة أكثر منه للطاعة • لذلك كانا محبوبين من جميع زملائهما وممن كانوا دونهما • أما وكلاء الملك ورؤساء قطعانه الذين لم يريا لهم عليهما فضلا فى الشجاعة • فكانا يحتقرانهم ولا يعبآن بتهديدهم وغضبهم وسارا فى حياتهما سيرة الأحرار • ولم تكن الحرية فى نظرهما البطالة بل العمل : رياضة البدن ، القنص ، الركض ، القضاء على قطاع الطرق واللصوص ، وحماية المظلومين من ظلم الظالمين • بذلك اكتسبا شهرة واسعة •

وحدث أن رعاة نوميتور اشتبكوا مع رعاة اموليوس فى معركة واختطفوا منهم قطعانا ، فاستاء رومولوس وروموس واقتفوا أثرهم وشتتوا

(١) مستعمرة البا فى اللاوتيوم على بعد اثنى عشر ميلا من روما •

شملهم وعادوا بالغنائم التى سلبت . فزع نوميتور لذلك، ولكنهما لم يعبآ بالأمر وكانا قد حشدا جندا من الأهالى والعبيد بحجة اتقاء العصيان والثورة . وجرى بعد ذلك أن رومولوس كان غائبا يقدم ضحية دينية لأنه كان عليما بالتقاليد الالهية ، وفى غيابه التقى رعاة نوميتور برُوموس فى نفر قليل من رجاله فانقضوا عليه وجرح كثيرون من الجانبين ولكن النصر بقى لرجال نوميتور فأخذوا روموس أسيرا واقتادوه الى مصاحبتهم وعرضوا عليه شكاتهم ضده فلم يجرؤ نوميتور على عقابه خشية اغضاب أموليوس فتقدم اليه لانصافه من الاهانة التى لحقت به وهو أخوه فى خدمة الملك ، فتأثر الألبانيون وأشفقوا من اذلاله ورأوا أن مقامه حقيق بألا يذل . عطف أموليوس على مطالبه وسلمه روموس يعمل به ما يشاء فاصطحبه الى منزله، ولكنه لم يستطع ألا يعجب بهذا الشاب لما رآه فيه من الجمال والقوة والجرأة والثبات ما ينطق بتلك الصفات التى جعلته لا يبالى بالخطر المحدق به . ليضاف الى ذلك ما يروى عن أعماله الجليلة التى تؤيدها ما يشهده عيانا وظنى أن ذلك أثر وحى الهى قرر اجراء الأعمال الجليلة التى بدأت من ذلك الحين استشعر الحالة نوميتور وأراد أن يستوضح الحقيقة فسأل الشاب من هو وما مولده ، وكان كلامه فى هوادة ولطف وعطف حقيق أن يدخل على نفس الشاب الثقة والأمل .

أجاب روموس بجرأة : انى لا أكتمك شيئا وأنت على ما يلوح لى أولى بالحكم من أموليوس ، انك على الأقل تسمع وتتحقق قبل أن تعاقب ، أما هو فانه يسلم المتهم بلا تحقيق . كنا نحسب أنفسنا حتى اليوم أبناء فوستولوس ولارانسيا خادم الملك . ونحن توأمان . ولكن منذ وشوا بنا اليك واضطررنا للدفاع عن أنفسنا سمعنا أقوالا مدهشة وسيكشف موقفى الخطر هذا أكانت حقيقة بالثقة أم لا . يقولون إنا ولدنا خفية وانا غذينا وأرضعنا بطريقة غاية فى الغرابة . وان الطيور الجارحة والوحوش البرية التى ألقينا اليها قامت بتغذيتنا اذ كانت ذئبة ترضعنا ثديها وشقرق يقدم لنا ما يلتقطه أيام كنا فى مهد على شاطىء النهر الكبير ولا يزال المهد محفوظا تحيط به شرائط من النحاس وعليه حروف لا تكاد تقرأ قد تكون لوالدينا يوما ما علامة ليتعرفنا ولا يحين ذلك الا بعد فوات الوقت اذ سوف يقضى علينا . قارن نوميتور بين هذه الأقوال

وعمر روموس والزمن الذى عرض فيه الأطفال للهلاك فخامره أمل بهيج فعول على محادثة ابنته خفية وكانت لاتزال رهن السجن ٠

ولما علم فوستولوس أن روموس أسر وقد سلمه اموليوس الى نوميتور، تعجل روموليوس لاغاثته وكشف له عن سر ميلاده ولم يكن من قبل لا يشير الى ذلك الا باشارات غامضة لايقصد منها سوى اذكاء العواطف الشريفة ، ثم حمل بنفسه المهد وأسرع به الى نوميتور وهو يرتعد خوفا على روموس، أدخل ما كان عليه من رعشة الريبة الى نفوس حرس الملك وانتهى بهم الريب والجوابات المضطربة الى اكتشاف المهد الذى كان يخفيه تحت ردائه ٠ وقضت الصدفة أن يكون بين الحرس أحد الذين عهد اليهم أموليوس ابعاد الطفلين وشهد ما تعرضا له من خطر ٠ فما رأى المهد حتى عرفه من شكله وما كان محفورا عليه من الكلمات ٠ تغلب الحارس على الشك فأسرع لفوره الى الملك مصطحبا فوستولوس ليحمله على تقرير الحقيقة ٠ لم يتملك الخوف فوستولوس تماما ولكنه لم يملك الحزم تماما فاعترف بأن الطفلين على قيد الحياة ولكنهما بعيدان عن ألبا ٠ يرعيان القطعان ٠ وقد أحضر المهد الى « ألبا » ، لأنها تريد أن تراه وتلمسه ليقوى فيها الأمل بأن ولديها لايزالان علي قيد الحياة ٠

أخذ أموليوس الطيش الذى يلازم المضطربين المترددين الواقعين تحت تأثير الخوف والغضب ، فأرسل رجلا من أهل الخير صديقا لنوميتور يسأله، ألم يسمع أن ابنى ألبا على قيد الحياة ٠ وصل ذلك الرجل بينما كان نوميتور يهم بمعانقة روموس وضمه الى صدره وأخذ يشدد أمل الشباب ويدفعه لاغتنام الفرصة وانضم اليهم مقدما نفسه لمساعدتهم ٠ لم يكن فى الوقت متسع لأن روموليوس صار على مقربة منهم وقد انضم اليه أكثر أهالى المدينة يدفعهم خوفهم وبغضهم لأموليوس ٠ وكان روموليوس قد حشد جيشا عرمرما قسمه الى طوابير يؤلف الطابور منها من مائة رجل يقود كل طابور رجل بيده قناة على رأسها حزمة من العشب والحطب ٠ وهذا ما يدعوه اللاتينيون حمالة العشب المانولول ٠ ولايزال الجنود الذين يستظلون هذا العلم يعرفون بهذا الاسم حتى اليوم ٠ وكان روموس قد استمال الوطنيين المقيمين فى ألبا ٠ بينما كان روموليوس يتقدم برجاله

استولى الرعب على الظالم وحار فى أمره وبقى على غير هدى لا يدرى بم يدافع عن نفسه فقبضوا عليه وهو فى تلك الحالة وأعدموه ٠

هذه رواية فابيوس وذيوكلس البيباريتى يراها البعض مدخولا عليها الكثير من المحسنات الدرامية والزخارف الخرافية ، ولكن هل نستطيع نكرانها لو فكرنا فيما يحيكه الحظ الموفق من الروايات الشعرية أو فكرنا فيما وفقت اليه روما من النجاح الباهر ٠ فلم تكن لتصل الى ما وصلت اليه من قوة ومنعة اذا لم تكن مرتكزة على أساس الهى تدل عليه العظائم والمعجزات ؟

عادت السـكينة الى المدينة بعد موت أموليوس ، ولكن رومولوس وروموس لم يقبلا المقام فى ألبا ٠ دون أن يحكماها ولم يقبلا أن يحكماها فى حياة جدهما ٠ فبعد أن أقرا السلطة بين يديه وقاما بواجب التكريم لوالدتهما عولا على الرحيل ليسكنا مكانا يكون لهما الأمر فيه ٠ وعليه اعتزما انشاء مدينة فى المكان الذى أرضعا فيه فكان لهما من هذا المقصد أشرف عذر ٠ على انه لم يكن لهما بد من ذلك ٠ لم يكن جندهما سوى جماعات من المنفيين أو العبيد الهاربين فكانا بين أمرين اما أن يعرضا سلطانهما للضياع بتشتيت شمل جيش كهذا أو أن يذهبا به الى مكان آخر يستقرون فيه ٠ لأن الألبيين لم يقبلوا محالفة هؤلاء المنفيين والهاربين ولا اعتبارهم وطنيين ٠ يدلنا على ذلك أولا اختطاف نساء السـابيين (Sabiue) ، الذى لم يحدث عن شهوة وحشية بل عن ضرورة لأنهم لم يجدوا سبيلا لزواج اختيارى والحقيقة أنهم أحسنوا رعاية النسـاء اللاتى اختطفوهن ٠ كما يدلنا على ذلك أنهم لم يكد يستقر بهم المقام ،حتى أنشـأوا للهاربين ملجأ دعوه هيـكل الاله ملجـأ (١) يقبل فيه الجميع لا يسلم العبد لسيده ولا المدين لدائنه ولا القاتل لحاكمه محتجين بوحى من أبولون يكفل الحرية لجميع الهاربين ٠ لذلك كثر عدد سكان روما التى لم يكن بها سوى ألف منزل ٠ وسأتكلم عن ذلك فيما يلى ٠

---

(١) بلوطارخوس هو الوحيد الذى تكلم عن هذا الاله على أنه خطأ واضح كان هنـاك هيكل وملجأ لا اله « ملجـأ » ٠

وقد شجر عند انشاء المدينة خلاف بين الأخوين على الموضع الذى تقام فيه . انشاء روملوس المكون المعروف باسم روما المربعة . وهى قلعة على جبل (بالاتن) واعتزم المقام فيها ولكن روموس اختار حصنا على جبل « افانتين » (١) ثم اتفقا أن يفض النزاع بينهما ما تشير اليه الطيور الكريمة . فوقف كل منهما فى المكان الذى اختاره . ويقال ان روموس شهد ستة عقبان أما روملوس فشهد اثنى عشر ويزعم البعض أن الأول شهد عقبانه حقيقة ، أما الثانى فقد خدع وأنه لم ير الاثنى عشر الا عندما دنا منه روموس . ومهما يكن من الأمر فان هذه الحادثة هى سبب ما نراه اليوم من أن الرومانيين يفضلون التفاؤل برؤية العقبان . ويقال ان هرقل أيضا كان يسر اذا رأى عقابا قبيل اقدامه على عمل . والحقيقة أن العقاب أقل الطيور ضررا فلا يمس ما يبذره الانسان ولا ما يزرعه ولا ما يقوته ، انما يعيش من الجثث وهو لا يقتل ولا يجرح حيا ما ، ولا يمس الطيور حتى الميت منها احتراما لنوعه ، وهو فى ذلك على خلاف النسور والبوم والصقور التى تعتدى على الطيور الحية وتمزقها ، ولقد قال أشيل :

« هل يمكن أن يكون الطائر الذى يأكل لحم طائر نقيا (طاهرا) ؟ » .

ومع كل ، فان الطيور الأخرى تقضى حياتها بمرأى منا فنراها فى كل مكان . ولكن ظهور العقاب نادر جدا ومن الصعب العثور على أوكاره . وحدث عن هذه الندرة الرأى القائل بأن العقبان تأتى مهاجرة من بلاد أخرى : وهذا شأن الناس فى الحوادث غير الطبيعية حيث تجرى الأشياء على ما يقول عرفاء الفأل فى غير مجراها العادى ، بل بارادة الآلهة تدل عليها باشارة ظاهرة .

واذ علم روموس أنه خدع حزن حزنا شديدا لذلك كان يسخر منه أخوه وهو يحفر الحفرة التى تحيط بالجدران وكان يعطل تنفيذه . ويقول البعض ان روملوس قتله فى الحال ويقول الآخر ان « سيلر » أحد أصدقاء روملوس هو الذى قتله . وقد هلك فى المعركة فرستولوس

(١) دعى باسم رومونيوم ويدعى الآن ريناريوم .

وأخوه بلستنوس الذى كان عونا له في تربية رومولوس • وقد لجأ القاتل الى أتريري (١) •

وبعد أن دفن رومولوس أجاد ومربيه ، في الرمونيوم اشتغل ببناء المدينة وأحضر من أتريرى أناسا علموه نظام الحفلات والتقاليد الواجب مراعاتها والاصغاء بالأسرار •

واحتفر حفرة حول المكان المعروف اليوم باسم « كوميس » وألقوا فيها بكورة من كل شيء حلال من حيث الشرع وضرورى من حيث الطبيعة • من ثم أخذ كل واحد قبضة من تراب البلد الذى أتى منه وألقاه فيها بعد مزجها كلها وأطلقوا على الحفرة اسم « العالم » ومن هذه النقطة رسموا حظيرة المدينة وضع المؤسس سلاحا من النحاس فى المحراث وعلق ثورا وبقرة واحتز على الخط المرسوم حزا عميقا وكانت مهمة السائرين فى أثره أن يأخذوا الطين الذى يخرجه المحراث فيلقوه فى الحفرة لا يتركون منه شيئا • وكان الحز رسما لجدران المدينة ودعوه يوم مر يوم أى وراء أو بعد الحائط • وكان فى الأماكن التى يراد جعلها أبوابا يرفع المحراث فيبقى بلا أثر • لذلك يعتبر الرومانيون الجدران مقدسية • أما الأبواب فلا ، لأنها لو اعتبرت مقدسة لكان ادخال الضروريات الى المدينة واخراج الأشياء النجسة مخالفة للدين •

ثم أنشأ روما فى الحادى عشر من مايو (٢) ولا جدال فى ذلك ولايزال الرومانيون يقيمون هذا العيد السنوى ، يدعونه عيد ميلاد وطنهم وكانوا فى أول عهدهم لا يقدمون فيه ضحايا حية ، قائلين ان عيد ميلاد مدينتهم يجب أن يكون طاهرا لا تلوثه الدماء • على أنهم قبل تأسيس روما كانوا يقيمون عيدا خلويا يدعونه « بليلى » ولا يطابق اليوم تاريخ الرومانيين تاريخ اليونانيين • ويقولون ان اليوم الذى أسس فيه

(١) وقد أطلق اسمه على كل سريع خفيف كما أطلق على كنتوس ميتالوس الذى اقام بعد موت والده ببضعة أيام وقتله قتال الجلادين • اشارة الى السرعة التى جرى بها اعداد الحفلة •

(٢) فى ٢١ من ابريل سنة ٧٥٣ ق•م• هذا هو الرأى الاكثر احتمالا والاكبر انتشارا •

رومولوس المدينة بعد الثلاثين من الشهر اليوناني ، وأن الشمس كسفت في ذلك اليوم وأن الشاعر أنتيماخوس من تاوس قد رقيه في السنة الثالثة من الأولمبيادة السابعة •

كان للفيلسوف فارون–وهو أكثر الرومانيين معرفة بالتاريخ–صديق يدعى تاروتيوس فيلسوف ورياضي يستخدم أوقات فراغه في رصد الكواكب ويقال انه حذق هذا العلم طلب اليه فارون أن يحدد يوم وساعة ميلاد رومولوس يستنتجه من أعماله المعروفة كما يعمل في المسائل الهندسية قائلا بما أنه توجد نظرية يستدل بها من تاريخ ميلاد الانسان على حياته • فاذا علمت حياة الانسان أمكن الاستدلال منها على تاريخ ميلاد صاحبها ، فقام تاروتيوس بما عهد اليه صديقه وبعد أن فحص حوادث رومولوس وحركاته مدة حياته وكيفية موته وما تلاها وقارن بينها بدقة قال بنفه وبلا تردد ، ان رومولوس حبل به في السنة الأولى من الأولمبيادة الثانية في ٢٣ من الشهر المصري كيهك في الساعة الثالثة نهارا أثناء كسوف الشمس كسوفا تاما ، وولد في ٢١ من شهر توت عند مطلع الشمس وأنه أسس روما في التاسع من برمودة بين الساعة الثانية والثالثة •

ويروى الرياضيون ان نصيب المدينة كنصيب الأشخاص له وقته المعين ، وتمكن ملاحظته من موقع الكواكب أثناء التأسيس على أن ما في هذه الروايات من الملاحة ، لا يعادل ما في الخرافة من مضايقة في نظر القراء •

ولما تم بناء المدينة أخذ رومولوس في تقسيم رجال جيشه الى فرق تؤلف كل فرقة من ثلاثة آلاف رجل وثلاثمائة فارس ، وأطلق عليها الجيوش المنتخبة دلالة على أنه اختار من بين الأهالي من يصلح للقتال ، وترك للباقين مهام الشعب فأطلق عليهم هذا الاسم ، اختار رومولوس من الأعيان مائة ، وألف منهم مجلسا ودعاهم آباء أو حماة ؛ ودعا الهيئة كلها مشيخة أو مجلس الشيوخ ويقال في سبب هذه التسمية ان أعضاء المجلس كانوا آباء لأبناء أحرار أو لأنهم كانوا يستطيعون اظهار آبائهم ، ولم يكن ذلك في وسع جميع أهالي المدينة الأولى ويزعم البعض أن هذا الاسم مشتق من الرعاية أو الحماية على ما كان معروفا من حماية العظماء

للضعفاء ويقال انها مشتقة من كلمة باترون وهو اسم أحد رفاق ايفيدر وكان معروفا بغيرة وعطف على الضعفاء • والأولى أن يقال بأن رومولوس أطلق عليهم هذا الاسم لأنه يجب على الأقوياء أن يحنوا على الضعفاء حنوا أبويا • ويعلم الشعب ألا يخشوا الأقوياء وألا ينظروا الى ما يمتعون به من شرف بعين الحزن بل يحمونهم بالاحترام والرعاية ناظرين اليهم نظرهم الى الآباء وأن يكرموهم بهذا اللقب ، والأجانب يدعون الشيوخ حتى اليوم سادة ورؤساء أما الرومانيون فانهم يدعونهم الآباء المختارين وهو أسمى ألقاب الشرف لا يعرض أصحابه للحسد أو الحقد • كانوا يدعون أولا الآباء فقط ولكن لما ضم اليهم غيرهم أطلقوا عليهم لقب الآباء المقدسين • وكان هذا اللقب أسمى ما يشرف به الشيوخ تمييزا لهم عن الوطنيين •

ثم قسم الأهالي الى فريقين فريق العظماء وفريق الشعب ودعا الفريق الأول الحماة أو المحامين والآخر الأتباع (أو العملاء) • وجعل العلاقات بينهما على أحسن وأفضل ما تكون مبنية على الواجبات المتبادلة الحماة أو المحامون يفسرون الشرائع لأتباعهم ، يدافعون عنهم أمام المحاكم، يمدونهم بنصائحهم وارشاداتهم ويتولون بأنفسهم جميع أعمالهم • أما الأتباع أي العملاء فكانوا شديدي التعلق بمحاميهم يجلونهم ويرعون جانبهم يساعدونهم في امهار بنات الفقراء وتسديد ديونهم ، ولم يكن لحاكم ولا لمحكمة أن تكره عميلا (أو تابعا) على أداء شهادة ضد عميله ولا محاميا ضد عميله • واستمرت هذه القوانين الا أن المحامين رأوا فيما بعد أن من المعيب المخجل أن يتناولوا من الفقراء الصغار مالا •

يقول فابيوس ان رومولوس بعد تأسيس المدينة بأربعة شهور فكر في ذلك المشروع الخطير وهو اختطاف السابيات والمعتقد أن الذي حمله على ذلك هو رغبته في الحرب لاعتقاده بما أفضى به اليه الوحي أن القدر يخبيء لروما عظمة خطيرة وكلما غذتها الحرب ازدادت عظمة • فعمد رومولوس الى هذه الشدة لاثارة السابيين لذلك لم يختطف سوى عدد قليل من الفتيات لا يزدن عن الثلاثين عدا لأن حاجته الى الحرب كانت أشد من حاجته الى زوجات • والأقرب الى الصواب أنه رأى المدينة ملأى بالأجانب ولا نساء لهم سوى نفر قليل والباقون من ذوي الحاجة ،

والأمل المريب منظور اليهم بعين الاحتقار ، فلاح له أن هؤلاء لا يبقون طويلا في زمامه • فأمل أن يمهد لهم بهذا الاغتصاب النبيل معاهدة السابيين متى تمكنوا من استرضاء زوجاتهم • أما تنفيذ مشروعه فكما يلي : أشاع أولا أنه وجد مذبح اله تحت الأرض • وهو الاله كونسوس • أو المشير والرومانيون يدعون اليوم جمعيتهم العمومية مجلس المشيرين • ويدعون كبار حكامهم قناصل أو مشيرين • ويزعم البعض أنه الاله نبتون لأن المذبح وجد في المضرب (الملعب) الكبير الذى يبقى مفتوحا الا فى أيام سباق الخيل • ويزعم البعض ، أن كتمان المداولات ينم عن سر بقاء المذبح تحت الأرض وقد أعلن رمولوس أنه احتفاء باكتشافه سيقيم حفلة تكريم علانية للاله تتبعه ألعاب ومناظر ، فهرع اليها الناس من كل جانب • وكان مرتديا ثيابا أرجوانية يحيط به كبار الوطنيين وجلس فى صدر المحفل (فى الصف الأول) اما اشارة الهجوم فهى أن يقف رومولوس فيثنى طرفا من ثوبه ثم يرده ، ووقفت طائفة من رجال ترقب الاشارة مسلحة بالسيوف ولما أعطيت الاشارة استل القوم سيوفهم وهجموا صارخين واختطفوا بنات السابيين وتركوا الرجال يهربون لا يتعقبهم أحد • ويزعم البعض أن اللاتى اختطفن لم يتجاوزن الثلاثين فتاة ولكن فالاريوس الأتيومى يقول ان عددهن سبعمائة وسبع وعشرون فتاة ويقول « جوبا » انهن ستمائة وثلاث وثمانون وكلهن أبكار • وهى ملاحظة تخالف مقصد روموليس كل المخالفة ولم يكن بينهن سوى امرأة واحدة تدعى هرزيلي أخذت خطأ ولم يكن من غرض الغاصبين الاساءة الى السابيين ولا لاشباع شهوة حيوانية بل كان الغرض توثيق الاتحاد بين الأمتين ويزعم البعض أنها تزوجت من هوستليوس أحد مشاهير الرومانيين ويقول غيرهم انها تزوجت من روموليس نفسه فرزقت منه ابنة دعاها بريما (الأولى) لأنها ولدت أولا ثم ابنا دعاه أوليوس (الجماعة) ذكرى لاجتماع الشعب تحت امرته • وقد دعته الأجيال بعده ابليوس • على أن رواية زينودوت التريزينى هذه كذبها غير واحد •

وحدث أنه بينما كانت جماعة من الغوغاء الذين اشتركوا مع الغاصبين يقودون سابية غاية فى الجمال وحسن الاعتدال ، لقيتهم جماعة من الوطنيين فأرادوا انتزاعها منهم ولكن أولئك صاحوا بهم قائلين انهم يقودونها الى

تالاسيوس : وهو شاب وافر الكرامة والاحترام واذا سمع هؤلاء هذا الاسم صفقوا ايذانا بالموافقه والاستحسان وعاد بعضهم مع الموكب محبة وتكريما لتالاسيوس هاتفين باسمه • ومن هنا نشأت العادة المتبعة عند الرومانيين اذ يذكرون اسم تالاسيوس فى أناشيد أعراسهم كما يذكر اليونانيون اسم « ايمينة » ، ويقال ان هذه الزوجة كانت سعادة لزوجها • وقد علمت من سيلتوس سيللا القرطاجنى ـ وهو كاتب اصطفته اليها الشعر والكتابة ـ أن رومولوس أعطى هذا الاسم لجنده علامة الاختطاف ، وأن جميع الذين اختطفوا البنات كانوا يصيحون جميعا : تالاسيوس ! ولذلك جرت العادة بذكر اسمه فى الأعراس • ولكن معظم الكتاب ، وبينهم جوبا ، يعتقدون أن مؤدى هذه الكلمة تحريض الزوجات على حب العمل وغزل الصوف وكانوا يدعونه « تالاسيا » لأن الكلمات اليونانية كانت فى ذلك الحين كثيرة الامتزاج بالكلمات اللاتينية •

اذا كانت هذه الملاحظة حقيقة وكان الرومانيون يستخدمون كلمة تالاسيا فى معناها اليونانى جاز لنا أن نجد لهذه العادة أصلا محتملا ، فى نص المعاهدة التى ختمت بها الحرب بين السابيين والرومانيين ، تنص بنودها الأولى على أن الأزواج لا يكلفون زوجاتهم سوى غزل الصوف ، واستمرت العادة على ذلك فى كل زواج فلئن كان أهل العروس وصحبها وكل من يحضر الحفلة يهتفون فى مرح « تالاسيا » فلأنهم يذكرون الزوج انهم يحضرون اليه زوجة غير مكلفة بشىء سوى غزل الصوف •

وهناك عادات أخرى وهى أن العروس لا تجتاز بنفسها عتبة دار زوجها بل يحملها الغير فيجتاز بها العتبة ، ذلك لأن السابيات لم يجتزنها قط بل حملن بالقوة • ويزعم البعض أن عادة تفرقة شعر العروس بحد الرمح دلالة على أن زواج الرومانيين كان اغتصابا وبحد السيف • وقد تكلمنا عن هذا الموضوع بالتطويل فى المسائل الرومانية •

وقع هذا الاختطاف فى الثـامن عشر من الشـهر المعروف الآن بأغسطس وكان يدعى حينذاك سيكستليس • وهو يوم الأعياد القنصلية (القونسيوسية) •

كان الســابيون شعبا كثير العدد حربيا بطبيعته يسكن ضواحى لا أسوار لها • لاعتقادهم وهم جالية من لاسبيديمون (سبارطة) أنه يجب عليهم مواجهــة الخطر بلا خوف • ولكنهم رأوا أنفسهم مأخوذين بتلك الرهائن الثمينة التى اغتصبها العدو ، وخشوا أن الأذى يصيب بناتهم فأوفدوا مندوبين الى رومولوس يعرضون عليه شروطا معتدلة ، وهى أن يرد عليهم بناتهم وأن يرأب الصدع الذى أحدثه ويعمد الى الاقناع والطرق المشروعة لتوثيق عرى المودة والاتحاد بين الأمتين ، فأبى رومولوس رد البنات وألزمهم المصادقة على الزواج •

وبينما كان السابيون ينظرون فى هذا الرد ويضيعون الوقت فى اعداد معدات القتال أعلن أكرون ملك السنينيين الحرب وكان شجاعا وضابطا ماهرا قد داخلته الريبة من زمن بعيد فى مشروعات رومولوس ورأى من اختطاف السابيات أن جاره مخيف لا يسهل اخضاعه اذا لم يسرع بتأديبه • فتقدم اليه رومولوس فى جيش كبير وخرج هذا لملاقاته ولما وقعت العين على العين قارن كل منهما بين خصمه وبين نفســه ثم اتفقا على مبارزة يبقى أثناءها الجيشان ساكنين • أنذر رومولوس لو تم له النصر أن يجعل أسلحة أكرون تقدمة لجوبيتر (المشترى) ، وانتصر عليه وقتله بيده وهزم جيشه واستولى على مدينته • ولم يلحق بالأهلين أذى الا أنه ألزمهم هدم منازلهم والسير معه الى روما • حيث يصيرون وطنيين لهم جميع حقوق سكانها • لم يكن لروما أن تبلغ شأوها من العظمة، لولا ضم الشعوب المغلوبة على أمرها اليها ومزجهم بأهلها • أراد رومولوس أن يجعل التقدمة أكثر قبولا لدى جوبيتر ، وأن يشهد الوطنيين مشهدا طليا فعمد الى بلوطة فاجتثها وشذبها حتى جعلها فى هيئة شارة النصر وعلق بها ســلاح أكرون منسقة وشد ثوبه ووضع على شعره اكليلا من الغار وحمل شارة النصر على كتفه اليمنى ، وســار ينشد أناشيد النصر يتبعه جنده مدججين بالسلاح • فاستقبل فى روما بالفرح والاعجاب • وكانت هذه الحفلة أصلا وقاعدة لما تلاها من الانتصارات • وسميت هذه الشارة تقدمة جوبيتر الضارب ، لأن رومولوس سأله أن يضرب أكرون ويقتـــله •

يقول فارون ان هذه الأسلاب تدعى أوبيم من كلمة أوبس اللاتينية ومعناها الثروة ولكن يحتمل أن تكون من كلمة أوبوس (العمل) لأنه لا يجوز تقدمة هذه الأسلاب الا من قائد قتل بيده قائدا له ولم يوفق لذلك سوى ثلاثة من قواد الرومانيين • أولهم رومولوس بعد مقتل أكرون السـينى ثم كورنليوس كوسـوس الذى قتل تولوميتـوس زعيم الأترسكيين •

ثم كلوديوس مارسلوس الذى قهر فيريدومار ملك الغاليين • وقد دخل الآخران الى روما فوق عربة يجرها أربعة خيول يحملان على أكتافهما اشارة النصر • وقد أخطأ دنيس فى زعمه أن رومولوس استخدم عربة لأنه من المؤكد أن تاركان بن دامارات كان أول من أعلى شأن الانتصارات الى هذا المقام ، من ملوك روما • ويقول البعض ، ان بيبليكولا هو أول منتصر دخل روما على عربة • أما رومولوس ، فان جميع تمـاثيل انتصاراته فى روما تمثله على أقدامه •

بعد هزيمة السنينيين وبينما كان السابيون يستكملون استعدادهم اجتمع أهالى فيدان وكروستومر يوم واتيتيم وهاجموا الرومانيين، فلم يكن نصيبهم سـوى الفشل فأخذت مدنهم وقسمت أراضيهم بين الفاتحين وأخذوهم الى روما مجردين وقسم رومولوس أملاكهم بين الوطنيين تاركا لآباء البنات المختطفة أملاكهم •

أهاجت هذه الفضائح غضب السابيين فعقدوا لواء الرياسة لتاتيوس على جميع جيشهم وأخذوا سمتهم الى روما • لم يكن الدنو من المدينة أمرا يسيرا اذ كانت تحمى مدخلها القلعة المعروفة الآن بالكابتول تحت قيادة تاربيوس ، لا ابنته ، تاربيا كما يزعم بعض الكتاب الذين ينسبون الى رومولوس حماقة سخيفة والحقيقة أن تاربيـا ابنة القـائد اشتهت الأساور التى كان يلبسها السابيون فى معاصمهم اليسرى فعاهدتهم أن تفتح لهم أبواب القلعة نظير اعطائها ما يلبسون من الأساور ، هددها تاتيوس على ذلك وفتحت لهم ليلا أحد أبواب القلعة فدخلها السابيون ولسـان حالهم يقول مع انتيجونيس « أحب الذين يخونون أما الذين خانوا فلا » أو يردد ما قاله قيصر أغسطس فى تراس ريميتالك « أحب الخيانة أما

الخائن فلا » • وهذه حال كل من يســـتخدم الأشرار مثلهم كمثل من يستخدم سم الحيوانات السامة يسر بوجودها عند الحاجة ولكنه متى أخذ منها ما يحتاجه كره ما انطوت عليه من شر • وهذا شأن تاتيوس مع تاربيا ، أمر السابيين وفاء بالعهد أن لا يضنوا عليها بما يلبسون فنزع هو سواره والقاه على رأسها مع درعه واقتدى به الجند فلم يمض وقت على تاربيا وهي هدف لهم ، حتى سقطت قتيـــلة تحت عبء الدهب والدروع •

ويقول سولبتيوس على ما رواه جوبا ، ان روموليوس أعدم تاربيوس جزاء خيانته • وهناك روايات عن تاربيا غاية في السخف منها قولهم انه ابنه تاتيوس قائد السابيين ارغمت على المقام مع روموليوس وسلمت القلعه الى ابيها فعاقبها على الخيانه • هده روايه أنتيجونيس (١) ، اما الشاعر سيميلوس (٢) ، فقد كان مخرفا فيما زعم من أنها لم تسلم القلعه للســـابيين ، بل للغاليين الذين أحبت مليكهم حبا جما واليك أشعاره •

هناك على قمة الكابتول كانت تسكن تاربيا ، التى أحدثت خراب قلاع روما اشتد بها الشوق للزواج من ملك السلت ، فلم تصن بيت آبائهـــا •

لم يقل فى موتها :

ان البويين وجميع أمم السلت ، لم يقصوا شعرهم على قبرها وراء نهر البو :

بل انتزعوا سلاحهم عن أذرعهم الحربية ورموا بها تلك الفتـــاة التعسة فكانت حلة جنازاتها •

دفنت تاربيا في هذا المكان وعرف باسم « التاربيين » حتى جاء تاركان القديم وكرسه باسم جوبيتر ونقلوا عظام تاربيا ، واتخذ المكان

(١) وليس هو الضابط المشهور فهذا يدعى أنتيجونيس كارستيوس ، وكان فى عهد بطليميوس فيلادلفوس ، وله مؤلفات فى تتويج ايطاليا ومجموعة تاريخية عظيمة •

(٢) شاعر يونانى قليل الشهرة • ألف تاريخ ايطاليا شعرا •

اسما غير اسمها • على أنه لايزال بين صخور الكابتول صخرة تدعي حتى اليوم الصخرة التاربية التى يقذفون منها المجرمين •

ولما رأى رومولوس أن السابيين امتلكوا القلعة دفعته سورة الغضب الى اعلان القتـــال فقبله تاتيوس بلا تردد واثقا أن طريقه الى التراجع مأمون اذا اضطر الى ذلك • وكان موقع القتال محصورا بين الجبال ، وكان القتال صعبا على الجانبين لسوء حالة الأرض حيث الميدان ضيق لا يسمح بالهرب من العدو ولا بمطاردته • وكان نهر (التبر) قد طغى قبل ذلك بأيام فترك الأرض المعروفة اليوم باسم (فوروم) (ندوة المدينة) موحلة لا ترى فيها العين شيئا فلا سبيل لاجتنابها ولا سبيل للهرب • وكانت الأقدام تغوص فيها • كاد السابيون لجهلهم المكان أن يقعوا فيها لو لم تنقذهم صدفة حســـنة • ذلك أن كورتيوس وهو جندى شهير أخذته كبرياؤه وشجاعته وشهرته فاندفع بجواده بعيدا عن رفاقه فغاص به الجواد في الوحول ، وأعمل سوطه وصوته لانهاض جواده على غير طائل ولما رأى أن جهوده تذهب عبثا ترك الجواد ونجا بنفسه • ولايزال المكان يعرف حتى اليوم ببركة كورتيوس •

ولما حظر السابيون هذا الخطر تقدموا للقتال وحمى وطيس الحرب الذى لا تعرف مغبته ، هلك أثناءها من الجانبين خلق كثير بينهم هوستيلوس زوج هرسيلى • وهو على ما يظن جد تولوس هوستيلوس الذى صار ملكا على روما بعد « نوما » •

تعددت المعارك فى أيام قليلة ولكن الأخيرة كانت أشهرها حيث أصيب رومولوس بجرح فى رأسه من حجر كاد يقتله فانقطع عن مقاومة السابيين وفى هذه الأثناء ثنى الرومانيون ذيل الفرار وتعقبهم الأعداء حتى جبل بالاتن واذا كان رومولوس قد شفى من جرحه قليـــلا نادى بالهاربين يعيدهم الى صفوفهم وصاح بهم بكل قواه أن يثبتوا للعدو وأن يقفوا فى وجهه واذا رأى أن الفرار عاما وليس من أحد يجسر على العودة رفع يده الى الســـماء وتضرع لجوبيتر أن يقف الجنود وينقذ روما من الخراب • وما فرغ من صلاته حتى رأى عددا كبيرا من رجاله خجل من رؤية الملك وحده وحلت فيهم الشجاعة محل الفزع • فوقفوا فى المكان

المعروف الآن بهيكل جوبيتر ستاتور ، فنظموا صفوفهم للسابيين ودافعوهم حتى ردوهم الى المكان المعروف الآن باسم راجيا وهيكل فستا .

وبينما هم يتأهبون لمعاودة القتال وقف الجميع أمام مشهد غريب يعجز القلم عن وصفه . ذلك أن السابيات المسبيات جرت بين الجميع نصيح بهم صيحات الفزع والألم استولى عليهن رعب الهى فاندفعن بين المحاربين والقتلى متقدمات الى أزواجهن وآبائهن تحمل طائفة منهن الأبناء فوق أذرعهن ، والأخريات محلولات الشعور يدعون السابيين والرومانيين بأعز الأسماء ، تأثر المتقاتلون وافسحوا لهن مكانا بين الجيشين ، وقد بلغ صياحهن آخر الصفوف وكان منظرهن يملأ القلوب حنانا وبلغ أشده قولهم بعد اللوم الحر العادل :

«ماذا جنينا ؟ بأية جريمة أو أى ذنب استحققنا ما جلبتم وما تجلبون علينا من الآلام ؟ احتفظنا رجال بالقوة رغم كل شريعة وأصبحنا منهم . ولم يفكر فينا اخواننا وآباؤنا وأقرباؤنا الا بعد أن صار هؤلاء الرومانيون الذين كنا نبغضهم أعزاء علينا . وأصبحنا نألم ونبكى لقتال أولئك الذين حملونا قسوتهم وظلمهم لم تاتوا لتاخذوا بثأرنا أيام كنا لا نزال عذارى وجئتم اليوم تنتزعون نساء من أزواجهن وأمهات من أبنائهن ! يا ويلهن ! لم يسؤنا نسيانكم ايانا كما تسوؤنا اليوم عودتكم ، هذه ثمار العطف والمحبة التى لقيناها من أعدائنا وهذه ثمار عطفكم علينا ! اذا كان هناك باعث آخر حملهم على حمل السلاح لكان الواجب أن تعدلوا عن ذلك اكراما لنا نحن اللاتى جمعنا بينكم وبين من تحسبونهم أعداءكم بروابط القرابة والصداقة . أما اذا كنتم تحاربون من أجلنا فخذوا معنا أصهاركم وأحفادكم أعيدونا الى آبائنا وأقربائنا دون أن تحرمونا من أزواجنا وأبنائنا . أنا نضرع اليكم أن توفروا علينا استعبادا جديدا » .

ألحت هرسيلى بشدة وانضمت اليها رفيقاتها وأخيرا وقفت الحرب وتفاوض الزعماء وكانت النساء تجمعن بين أزواجهن وأبنائهن وبين آبائهن واخوتهن يقدمن المؤنة للمحتاجين وينقلن الجرحى الى منازلهن ، يضمدن جراحهم ويواسينهم ويرينهم مكانتهم من أزواجهن،وكيف أنهن موضع عطف واحترام الجميع . وبعد ذلك تم التعاقد على ما يلى :

ان النساء اللاتى يرغبن المقام مع أزواجهن لا يرغمن (كما قلنـــا) على شىء سوى غزل الصوف • وان يشترك السابيون والرومانيون فى سكنى المدينة • وأن يبقى لها اسمها (روما) من اسم رومولوس • وأن يطلق على الرومانيين اسم الكريتيين أيضا نسبة الى وطن تاتيوس • وأن يتولى الحكم تاتيوس ورومولوس بالاشتراك وأن يقتسما قيادة الجيوش ولايزال المكان الذى عقدت فيه المعاهدة معروفا باسم « كوميس » المجتمع (محل الاجتماع) واذا تضاعف عدد سكان المدينة أخذ من الســـابيين « مائة شيخ » انضموا الى القدماء وزيد عدد الفرق كل الى ستة آلاف راجل وستمائة فارس وقسم الشـــعب الى ثلاث فرق : الأولى رامننس (من رومولوس) ، والثانية تاتينس (من تاتيوس) ، والثالثة لوسيرنس (المقدس) نسبة الى الغابة المقدسة التى افتتح فيها رومولوس ملجأ ولجأ اليه أغلب الذين عرفوا باسم وطنيى روما :

أما أنهم لم يقسموا فى بدء أمرهم الا الى ثلاث قبائل فمعروف من أسماء القبائل أو الفرق ، ومن لقب الزعيم الذى يلقب به رئيس كل منها تحتوى كل منها على عشرة أقسام ، يزعم البعض أنها دعيت بأسماء السابيات ولكنه زعم خاطىء لأنها أسماء أماكن • وقد خصت النساء بكثير من امتيازات الشرف والتكريم يخلى لهن أسمى مكان فى الطرق ولا تلفظ فى حضرتهن كلمة غير شريفة ولا يتراءى لهن أحد عاريا • وأن القضاة الذين يعرفون جرائم خطرة كبرى لا يذكرونها فى المحاكم • وأن يلبس أبناؤهن « حلى » تدعى فقاقيع لتشـــابهها بفقاقيع المياه • وأن يلبســـوا ثيابا أرجوانية مزركشة •

لا يجمع الملكان المجلس كله ليعرض عليه ما يعد من المسائل بل ينفرد كل منهما بدرسها درسا مبدئيا مع شيوخه ثم ينعقد المجلس للفصل فيها وكان تاتيوس يســـكن المكان المعروف الآن بهيكل مونيتـــا وكان رومولوس يسكن المكان المعروف باسم درجات الشاطىء الجميل الواقعة فى الطريق الذى يمر به السائر من جبل (بالاتن) الى الملعب الكبير •

ويقال ان شجرة الزيزفون المقدسة كانت فى هذا المكان وهى التى تروى عنها القصة الآتية : أراد رومولوس أن يمتحن قوته فرمى من أعلى

جبل (افانتين) رمحا كان خشبه من الزيزفون ، فنفذ فى الأرض حتى صار من المحال اخراجه • واذا كانت الأرض جيدة نبتت فيها الشجرة وامتدت جذورها وتشعبت غصونها وعنى خلفاء رومولوس بهذه الشجرة غيرة منهم على صيانتها اذ كانوا يعتبرونها أثرا مقدسا فأحاطوها بسياج فاذا مر بها انسان ورأى ورقها ذابلا لقلة (الرى) انطلق فى المدينة ينشر هذا النبأ فيتصايح الناس الماء ! الماء ! كأن هنالك حريقا فيسرع الناس من كل جانب يحمل كل اناء مملوءا ماء • ويقال انه عندما كان كايوس قيصر يصلح تلك المدرجات أضر العمال وهم يحفرون بجذور تلك الشجرة على غير انتباه فذبلت •

تواضع السابيون على استعمال شهور الرومانيين ، وقد ذكرنا فى حياة توما كل ما يهم فى هذا الموضوع • وأخذ رومولوس عنهم الدروع الطويلة واستعملها هو والجند الرومانى بدلا من دروعه • وكان الشعبان يشتركان فى تقدماتهم وأعيادهم بدون أن يعطل كل منهما أعياده الخاصة • أنشأوا أعيادا وتقدمات جديدة • ومنها عيد ماترونال (الأمة) حيث تكرم النساء اعترافا بفضلهن فى عقد السلام ومنها عيد كرمنتال وكرمنتا على ما يقول البعض احدى الهات الجحيم التى تتحكم عند ميلاد الذكور ولذلك كانت الوالدات تخصـــها بالعبادة • ويقول البعض انها زوجة ايفاندر الأركادى وهى نبية ملهمة تنطق بالوحى شعرا فلقبت كارمنشتا من كلمة كارمينا اللاتينية ومعناها شعر • واسمها الحقيقى نيكوستراتا باتفاق جميع الكتـــاب • ورغم هذا يقـول البعض على شىء من الحـــق ان كارمنشتا معناها فقدان الحواس • اشارة الى ما كان يعتريها من الهذيان أثناء حمى التنبؤ • لأن كلمة كاريرا اللاتينية تفيد الحرمان أو الفقدان وكلمة منس تؤدى معنى الفهم أو الادراك •

قد تكملنا عن عيد باللبلى وعيد لوبارك فهو باعتبار ما يجرى فيه عيد كفارة وهو أحد أيام فبراير المشئومة ، ومعنى اسم هذا الشـــهر التكفير • وكان يدعى هذا اليوم فيما مضى « فبرواتا » اما عيد لوبارك فمعناه عيد الذئاب وفى هذه التسمية ما يدل على قدمه وأنه نشأ فى عهد الأركاديين أصحاب ايفاندر ، على أن هذا لايصح أن يكون سببا • فقد

يكون هذا الاسم مأخوذا من الذئبة التى كانت تغذى رومولوس ، وانا لنرى فى واقع الأمر أن اللوباركيين يبدءون شوط الجرى من المكان الذى عرض فيه رومولوس على ما يقال · ومع ذلك ، ففى بعض ما يجرى من أنباء هذا العيد ما يلقى شيئا من الغموض على أصله حيث يذبحون ماعزا ويقربون طفلين من عائلة شريفة يمسهما القائمون بالتقدمة بسكين دامية · يتلوهم آخرون يمسحون الأثر بخرقة من الصوف مغموسة فى اللبن · ومتى تمت هذه العملية يضطر الطفلان للضحك ثم يأخذ اللوباركيون جلود الماعز يصنعون منها أحزمة ويجرون عرايا لا يسترهم سوى حزام من الجلد يضربون بالسياط كل من يقابلونه ولكن الزوجات الصبايا لا تفر من هذا الجلد لاعتقادهن انه ذا أثر صالح فى الحمل والوضع · ومما يجرى فى هذا العيد أن الراكضين يضحون بكلب · ويزعم بوتون (كاتب يونانى الأصل مجهول) ، وقد اصطنع أشعارا ذكر فيها عادات الرومانيين لا تستند الا الى خرافات ، يزعم هذا الشاعر أن رومولوس بعد أن قهر أموليوس جرى فرحا حتى المكان الذى كانت الذئبة ترضع فيه الطفلين ثديها وأن هذا العيد تقليد لجريه · وأن أطفال العائلة الشريفة تجرى « وتضرب فى سبيلها كما كان رومولوس وراموس يجريان والسيف مصلت فى أيديهما من ألبا » ·

ويقول ان مسألة مس الجباه بالسكين الدامية اشارة الى ما حدث ذلك اليوم من المذابح والمهالك · أما الاغتسال باللبن فاشارة الى أول غذاء أعطى للطفلين ·

أما كايوس اسيليوس وهو خطيب الشعب سنة ٥٥٦ لروما وضع مؤلفا باليونانية عنوانه التواريخ ، فيزعم أن رومولوس وراموس قبل انشاء روما ضلا أثر قطعانهما وبعد أن تقربا بتقدمة للاله « فون » اله الحيوانات · نزعا ثيابهما لكى لا تعطلهما الحرارة وأخذا فى الجرى لذلك يجرى الراكضون فى العيد عرايا · أما التضحية فيمكن القول اذا فرضنا أنه عيد كفارة حقيقة فهو ضحية خليقة بالتطهير : لأن اليونانيين انفسهم يضحون بهذه الحيوانات فيما يشبه ذلك من التقدمات وما أكثرها عندهم (انظر كتاب المسائل الرومانية لفلوطرخوس المسألة ٦٨ ، اذ كانت تنطوى على الاعتراف بفضل الذئبة التى غذت رومولوس وأنقذته،

فلا غرابة ان يضحى بكلب وهو العدو اللدود للذئاب وقد يكون عقابا لأنه يعطل اللوباركيين فى ركضهم • ويقال ان رومولوس هو الذى أنشأ عبادة النار المقدسة وأنه عهد برعايتها الى عذارى تعرف باسم (الفستال) ويعزو البعض انشاءها الى توما مع الاعتراف بأن رومولوس كان تقيا جدا وعالما بفنون العيافة وكان يحمل عصا الفال وهى عصا مقوسة الطرف تستخدم عند مراقبة الطيور لتحديد مناطق السماء وكانوا يحرصون على الاحتفاظ بها فى القصر • وقد ضاعت عندما أخذ الغاليون روما ولكن بعد طرد أولئك المتوحشين (البربر) وجدوها تحت كومة من الرماد لم تمسها النار بأذى مع أنها التهمت وأتلفت كل شىء فى الضواحى •

ويعدون بين الشرائع التى سنها رومولوس شريعة قاسية جدا ، وهى تحرم على النساء مفارقة أزواجهن وتخول هؤلاء حق طلاق النساء اذا اقترفن جريمة التسميم (دس السم) أو ادعاء الأطفال أو امتلاك مفاتيح مزورة (مقلدة) أو لعلة الزنا • أما اذا طلق الرجل امرأته لغير احدى هذه العلل ، فتأخذ الزوجة نصف ماله وتعطى النصف الثانى للالهة سيرس ، ويلزم الزوج لالهة الجحيم •

ومن أغرب ما يؤخذ على رومولوس أنه لم يذكر جريمة « قتل الوالد » وانما يطلق هذه الجريمة على كل من قتل انسانا • كأنه يعتبر جريمة قتل الانسان جناية لا تغتفر وأنه من المحال أن يقتل الولد أباه • والحقيقة انه مضى على روما ستمائة سنة لم تقترف فيها ما يشبه قتل الوالد • وكان لوسيوس أوستيوس أول من اقترفها وذلك بعد حرب هنيبال • وكفى •

حدث بعد مضى خمس سنوات على حكم تاتيوس أن جماعة من ذوى قرباه قابلوا وفدا من لورنت قاصدا روما فطمعت الجماعة فى أموال المسافرين وأرادوهم على تسليمها فأبى عليهم هؤلاء وطلبهم ووقفوا لهم موقف المدافع عن نفسه فانهالت عليهم جماعة تاتيوس وقتلوهم فطلب رومولوس أن يسلم الجناة للعقاب ، ولكن تاتيوس أخذ يسوف ويماطل وكانت هذه أول مرة شجر فيها الخلاف بينهما اذ كانا سائرين معا على اعتدال واتفاق ولما أعيا أهل القتلى اقامة العدل بسبب تاتيوس هجموا

عليه وهو يقدم تقدمة مع رومولوس للالهة لافانتيوم وقتلوه • ولكنهم أطروا عدل رومولوس وساروا حوله هاتفين • أخذ رومولوس جثة تاتيوس وأجرى له الجنازة اللائقة بمقامه ودفنه فى جبل فانتين بالقرب من المكان المعروف باسم « أرميلوستورليوم » ولكنه لم يهتم بالانتقام له • ويزعم بعض المؤرخين أن اللورنتيين حدا بهم الخوف الى تقديم قتلة تاتيوس اليه فأطلق سراحهم قائلا لقد انتقم القتل للقتل • وكان هذا المسلك سببا لما قيل انه ارتاح للتخلص من زميل • ومع كل فلم ينشأ عن هذا الحادث اضطراب ما • ولم يتخذه السابيون ذريعة للعصيان ضده • البعض عن طريق الحب لشخصه والبعض خوفا من بطشه والبعض احتراما واعجابا لأنه فى نظرهم اله • وكثير من الشعوب كان يختص رومولوس بهذا النوع من الاكرام وهكذا أرسل اليه قدماء اللاتينيين وفدا ليعقدوا مع الرومانيين معاهدة اتحاد وصداقة •

ويزعم البعض أنه أخذ مدينة فيدين على غرة وهى قريبة من روما • أرسل اليها أولا فرسانا حطموا متاريسها ثم أخذ الأهالى على غرة • ويزعم البعض أن الفيديين هم الذين بدأوا بالاغارة على أراضى روما وخربوا القرى فكمن لهم رومولوس وفاجأهم عائدين وأخذ مدينتهم ولكنه لم يخربها ولم يهدم مبانيها بل أقام فيها جالية رومانية وأرسل اليها يوم عيد أبريل الفين وخمسمائة وطنى ليسكنوها •

وحدث بعد ذلك بقليل أن أصيبت روما بطاعون قتال وامتد الى الأشجار والحيوانات فعقمت • وأمطرت المدينة دما • فأضيف الى هذا الشقاء رعب وهمى ولكنهم اذ رأوا لورنتا حل بها مثل ما حل بالمدينة لم يبق لدى الأهالى شـك فى أن غضب الله على المدينتين عقـاب لمثل تاتيوس وجماعة المسافرين . والحقيقة ، أنه منذ سلم الجناة من الجانبين خفت وطأة الوباء وطهر رومولوس المدينتين بكفارة يقال انها لاتزال قائمة حتى اليوم عند باب فارانتين •

وقد هاجم الكانبريون الرومانيين قبل انقطاع الوباء انقطاعا تاما واهمين أن هؤلاء قد أعياهم الوباء فلا يستطيعون الدفاع عن أنفسهم • ولكن رومولوس لم يضع الوقت سدى ، بل أسرع اليهم فهزمهم تاركا فى

ميدان القتال ستة آلاف ، واستولى على المدينة ونقل من أهلها نصف الباقين الى روما وأرسل اليها من الرومانيين ضعف ما بقي بها من الأهالي وكان ذلك في شهر أغسطس • ولم يمض على بناء روما ست عشرة سنة حتى غصت بالسكان على ما ترى • ووجد بين أسلاب الكامريوم عربة من النحاس الأصفر تجرها أربعة جياد • فقدمها رومولوس الى هيكل فولكان وأقام عليه تمثاله متوجا بتاج النصر •

كان له من تعاظم شأنه ما أحنى الضعفاء من جيرانه لسلطانه قانعين منه بالسلام • أما الأقوياء فقد تولاهم الخوف والحسد وشعروا أن رومولوس جار لا يستهان به فيجب عليهم تعطيل تقدمه ومعاقبته • رأى « ألفييون » أنهم أصحاب أراض شاسعة ومدينة كبيرة فبدأوه العداء اذ طالبوه بأن يرد اليهم فيدين باعتبارها احدي مدنهم وهو زعم ليس فقط غير عادل ، بل انه مضحك لصدوره من قوم لم يقدموا أية مساعدة للفيديين وقت الخطر ابان حربهم مع الرومانيين ثم يأتون بعد سكوتهم عن قتل الرجال يطالبون ببيوتهم وأراضيهم بعد أن وضع عليها الغير يده • ولما طردهم رومولوس باحتقار قسموا جيشهم الى فرقتين وجهوا احداهما لمحاربة الرومانيين فى مدينة فيدين والأخرى لملاقاة رومولوس ، فأفلحت الأولى وقتلت من الرومانيين ألفين ولكن الأخرى هزمت شر هزيمة وفقدت أكثر من ثمانية آلاف من رجالها ثم وقعت معركة أخرى بالقرب من فيدين شهد الجميع أنها كانت من عمل رومولوس ، الذى بذل فيها من المهارة والبسالة وأظهر من القوة فوق طوق الانسان ، ولكن رواية القائمين أن رومولوس قتل بيده نصف الأربعة عشر ألف جنـــدى الذين بقوا فى حومة الوغى خرافة لا تصدق كما أن المسانين متهمون بالمبالغة كثيرا لقولهم ان اريستومين قدم ثلاث مرات تقدمة هيكاتوفونى ، لأنه قتل ثلاثمائة سبارطى فى ثلاث معارك •

لم يله رومولوس ، باقتفاء أثر الفيين بل قصد لفوره مدينة فايس فلم يبد الأهالى مقاومة بعد تلك الصدمة • وقبل رجاءهم فى أن يعقد معهم معاهدة لمدة مائة سنة بشرط أن يسلموا للرومانيين جانبا كبيرا من أراضيهم يدعى السبع (جزء من سبعة) وأن يسلموا اليه الملاحات المجاورة للنهر وخمسين من كبارهم رهائن • وأقام رومولوس حفلة النصر فى شهر أكتوبر

يجر وراءه عددا كبيرا من الأسرى بينهم قائد ألفيين وهو شيخ سلك مسلك الطيش بدل أن يسير على ما يليق بخبرة سنه · ومنذ ذاك جرت العادة في حفلات النصر أن يأخذ شيخا الى الكابتول بعد الطواف به في الأماكن العمومية يصيح دونه المنادى (سردى للبيع) لأن الأترسكيين يعتقدون أن جالية جاءت من سرد الى ليديا وعليه تكون فايس مدينة أترسكية ·

كانت هذه خاتمة حروب رومولوس لم يستطع بعدها اجتناب العثرات التي لا يقع فيها الا القليل ممن نهض بهم الحظ الموفق لقمة السيادة والشرف · اذ دهى بنجاحه وامتلأ ثقة بنفسه واستخف بالجمهور وطغى · واستاء الناس من بذخه في الملبس اذ كان يلبس الرداء الأرجواني ومن دونه الفروة · وكان يعقد الجلسات وهو جالس على مقعد منقلب · يحيط به شبان يدعون الراكضين لسرعتهم في تنفيذ أوامره · وكانت تمشي أمامه طائفة من هؤلاء يحملون عصيا يبعدون بها الناس عن طريقه يحملون أطواقا يغلون فيها من يأمرون بالقبض عليه ويطلقون على هؤلاء لقب (المشاديد) لما كانوا يحملون من عدة يشدون بها الوثاق على المغضوب عليهـــم ·

وقد آل الحكم الى رومولوس بعد وفاة جده نوميتور على ألبا · ولكنه عامل هذا الشـــعب بكرم اذ نزل لهم عن حكومة بلادهم محتفظا لنفسه فقط بحق ارسال حاكم يقيم العدل بين الألبيين · وكان هذا مثار الشهوات ، عظماء روما يطلبون السيادة على بلد مستقل لا ملك فيه يطاعون ويطيعون في وقت واحد · ولم يكن الشيوخ « أعضاء مجلس الشيوخ » أصحاب رأى في ادارة الحكم ولم تكن ألقابهم سوى علامات شرف اذ كانوا يدعون الى المجلس بحكم العادة لا للمفاوضة والمناقشة ، يسمعون صامتين أوامر الملك · ولم يكن لهم من فضـــل على الجمهور سوى سبق المعرفة بما تقرر · ومما زاد صدورهم حرجا أن رومولوس بمحض ارادته ، وبدون موافقتهم ولا استشارتهم ، وزع على الجند الأراضي المكتسبة ورد الى الفيين رهائنهم ·

رأى المجلس فى ذلك زراية وامتهانا ، لذلك وقعت الشبهة على الشيوخ عند اختفاء رومولوس بعد ذلك بقليل ورماهم الناس بالظنون والتهم ، اختفى رومولوس فى أول شهر يوليو الذى يطلق عليه الآن اسم تنتليوس ، وكل ما يعرف عن حادثة وفاته أنها وقعت فى ذلك اليوم . ولا تزال تقام الحفلات فيه ذكرى لهذا الحادث وليس فى اختفاء الحقيقة بالأمر الغريب ، فقد وجد سيبيون الأفريقى ميتا فى منزله بعد العشاء ولم يعرف أحد كيف مات ؟ قال البعض انه مات لكبر سنه وضعف بنيته ، وقال آخرون انه تناول سما . والمظنون أن أعداءه أغاروا على بيته ليلا وخنقوه ، على أن جثته عرضت على الجمهور وكان لكل انسان أن يرى فيها دليلا على كيفية موته . أما رومولوس ، فقد اختفى دفعة واحدة ولم يبق من جسمه أثر ولا من ثيابه خرقة . لذلك يظن أن الشيوخ وثبوا عليه فى هيكل فولكان وقتلوه وأخذ كل منهم قطعة من جثته يخفيها تحت ردائه . ويقول البعض ان اختفاءه لم يحدث لا فى هيكل فولكان ولا فى حضور الشيوخ وحدهم . كان رومولوس قد عقد ذلك اليوم جلسة للشعب خارج المدينة بالقرب من غدير العنزة . هبت فجأة عاصفة لا يستطيع القلم وصفها . وقامت فى الجو زوبعة أخفت ضوء الشمس ، انتشر الظلام على الأرض ولم يسمع سوى دوى الرعد من كل جانب . وكانت رياح هوجاء تهب شديدة . استولى الذعر على الناس فاختفوا ، ولكن الشيوخ التفوا حول بعضهم البعض ، فهدأت العاصفة وعاد للنهار ضوؤه وعاد الشعب الى اجتماعه، وكان أول همه البحث عن ملكه واستطلاع أخباره ، منعهم الشيوخ عن البحث والتنقيب وأمروا جميع الرومانيين أن يقيموا عبادة رومولوس ، قائلين انه رفع الى مصاف الآلهة . كان ملكا وديعا كريما فصار لكم الها . صدق الشعب أقوالهم وعاد بين الفرح والأمل وعكف على عبادة الهه الجديد . ولكن الريب والانتقام أوغرا صدور البعض فطلبوا كشف الستار عن الحقيقة . فأزعجوا الشيوخ ، اذ اتهموهم بقتل الملك واخفاء الجريمة بأحاديث مضحكة .

بينما كانت الحال على هذا الاضطراب اذ تقدم أحد أشراف الشيوخ وهو رجل معروف بفضله وصدقه . مهيب الجانب وافر الكرامة محترم من الجميع ، يدعى يوليوس بروكولوس كاتم سر وصديق رومولوس

وكان زميلا له فى رحلته من (ألبا) الى روما • تقدم هذا الرجل الندوة العمومية (الفوروم) بحضور جميع الشعب وأقسم واضعا يده على المذبح ، انه بينما كان سائرا تراءى له رومولوس فى أجمل وأبهى ما يكون يحمل سلاحا وهاجا كالنار ، استولى عليه الرعب عند رؤيته وأنه صاح به : ماذا جنينا أيها الملك ؟ لماذا تركتنا غرضا لتهم ظالمة وتركت المدينة كاليتيم غارقة فى الحداد ؟ أجابه رومولوس هذه ارادة الآلهة يابروكولوس بعد أن عشت بين الناس زمنا طويلا وبنيت مدينة ستفوق جميع المدن قوة ومجدا واذا كنت ابن السماء فقد عدت للمقام فى السماء • وداعا اذهب وقل للرومانيين : ان لهم من الاعتدال والشجاعة خير الوسائل لبلوغ قمة السيادة • أما أنا فسأكون اله الوحى مختارا لنفسى اسم « كيرينوس » • آمن الرومانيون بصدق هذه الرواية ، ثقة منهم بصدق راويها وقسمه • استشعر كل منهم بتأثر قاهر ووحى الهى ، ولم يفكر أحد فى المعارضة وعدلوا عن ظنونهم وخر الجميع ساجدين ومصلين لكيرينوس ضارعين ضراعتهم لاله •

تشبه هذه القصة ما يزعمه اليونانيون عن أرستياس البروكونزى وكليومد استباله ، مات أرستياس فى دكان صقال وأسرع أصحابه لأخذ جثته ولكنهم وجدوها قد اختفت • وقال جماعة آتون من سفر ، انهم لقوه فى طريق (كروتون) • أما كليومد فكان رجلا فى بنية وقوة لا مثيل لهما ولكنه كان عرضة لنوبات جنون وغضب تدفعه الى أعمال غاية فى الشدة والقسوة • دخل يوما مدرسة أطفال وضرب عمود القبة فحطمه وسقطت القبة على الأطفال وسحقتهم ، ولما رأى كليومد الناس يجرون وراءه دخل صندوقا وأغلقه عليه وشد بابه بقوة لم يستطع الناس فتحها متألبين فاضطروا لكسر الصندوق ولكنهم لم يجدوا به الرجل حيا ولا ميتا • بلغت الدهشة منهم أشدها فبعثوا من استوحى لهم وحيا ولف مخبأهم النبأ الآتى : أن كليومد استباله آخر الأبطال • يقال — أيضا — ان جثة الكيمن اختفت بينما كان الناس يسيرون بها الى الحريق ولم يجدوا مكانها سوى قطعة حجر • وهناك كثير غير هذه من القصص التى لا تقل عن هذه بعدا عن الحقيقة أراد بها واضعوها أن يشركوا الانسان الفانى مع الآلهة فى الخلود • حقيقة انه من الكفر والحسد أن ننكر ما فى الفضيلة من الصفات الالهية ولكن من الغباوة أن نخلط بين السماء والأرض • لنحرص على الحق ولنقل مع بنداد : ان أجسام جميع المخلوقات

خاضعة لسلطان الموت ، ولكن هناك صورة تعيش أبدا وهي صورة ما يأتي الينا من الآلهة ان هذا الجزء من الآلهة وهو يعود اليهم لامع الجسد بل بعدما يتخلص من الجسد • اذ ينفصل عنه تمام الانفصال ويصير طاهرا نقيا لا يتصل بشيء من الجسد العالي • قال هيراكليت ، ان النفس وحدها هي الكاملة ، تنطلق من الجسد انطلاق البرق من السحاب • أما التي انغمست مع الجسد وصارت شهوة جسدية فهي كالبخار الكثيف القاتم تلتهب بصعوبة وترتفع ببطء • فلنحذر أن نرسل الى السماء مع نفوس الأبطال أجسامهم التي تأبى عليها طبيعتها ذلك • انما نرسل مع نفوسهم فضائلهم : فيكون من المؤكد أنهم بفضل العدل الالهي يتحولون من أناس الى أبطال ومن أبطال الى عبقريين • ومتى تم لهم السلام ونالوا الرضى التام واجتنبوا كما يفعل المتقدمون في الأسرار ، شهوات الجسد الأرضية النائية • حينذاك ينقلون الى مصاف الآلهة ، لا بمرسوم أو قرار علني وبروح الحقيقة وانها لقضاء شرعي وهناك ينعمون بأجمل وأبهى سعادة •

وقد اختلفت الأقوال في لقب كيرينوس الذي أعطي لروموليوس ، يقول البعض انه في معنى كلمة « مارس » ويقول البعض انه نحت من كلمة « كيريت » التي أطلقت على الرومانيين ، ويقول البعض ان القدماء كانوا يدعون حديد الرمح أو الرمح ذاته « كيريس » ويدعون تمثال جوتون الذي يضعونه أعلى الرمح كيريتيس ، وكانوا يدعون الرمح الذي يقدسونه في القصر « مارس » • وكان يعطى المتفوقون في الحروب رمحا مكافأة لشجاعتهم ، وعليه يكون روموليوس قد دعي كيرينوس لأنه محبوب من مارس أو لأنه اله سلاحه الرمح • وقد أقيم لهذا الاله هيكل على الجبل المعروف باسم (جبل كيرينال) أو الكيرينيي ••

عرف يوم اختفــائه بيوم هروب الشــعب ، وعذارى كابراتين (العنزة) (كابرا كلمة لاتينية معناها العنزة) • وكانوا يقدمون في ذلك اليوم القرابين خارج المدينة بالقرب من مستنقع العنزة وكان من عادتهم عند خروجهم لتلك التقدمة أن يتصايحوا منادين أسماء مختلفة مثل ماركوس ، لوسيوس كايوس تشــبيها وتقليدا لما وقع منهم أثناء فرارهم • اذ كان الفزع قد ذهب بصوابهم واختلط عليه حتى معرفة

الأسماء . ويقول البعض ان ذلك لم يكن تمثيلا لهزيمة ولكنه تمثيل لأناس يسرعون مهرولين . واليك السبب : لما طرد كاميى جيوش السلتيين عن المدينة وكان الأهالى قد كدهم التعب وخارت قواهم . عند ذاك اجتمعت شعوب من اللاتيوم على رأسهم ليفيوس يوستميوس وقفوا بجيوشهم أمام روما . أرسل قائد الشعوب مناديا ينادى : ان اللاتينيين يريدون تجديد المعاهدة القديمة التى كادت تتلاشى وأنه بحب أن يجدد اتحاد الأمتين بروابط زواج جديدة : فاذا أرسلت اليهم عذارى وأرسل فتية كانت بينهم صداقة على مثل ما حدث لهم من السابيين ، اضطرب الرومانيون لهذه المطالب وحاروا فى أمرهم بين حرب يخشونها وبين ارسال نساء يجعلهم ارسالهن فى حكم الخاضعين للاتينيين . وبينما هم فى حيرتهم جاءت جارية تدعى فيلوتيس وفى رواية أخرى توتولا . ونصحت لهم أن يعمدوا الى حيلة توفر عليهم عناء الحرب وتخليهم من قبول تلك المطالب . أما الحيلة فهى أن يرسلوا الى العدو فيلوتيس ذاتها ومعها أخريات من حسان الجوارى الرقيق . يلبسن ثياب الحرائر . ومتى جن الليل ترفع مشعلا موقدا من معسكر الأعداء فيخرج اليهم الرومانيون مسلحين يأخذونهم على غرة وهم نيام : قبل رأى تلك المرأة ووقع اللاتينيون فى الفخ رفعت فيلوتيس المشعل من أعلى شجرة برية . وأسدلت بين المشعل ومعسكر العدو ستائر وأبسطة تخفى عنه ضوءه . رآه الرومانيون وهرولوا مسرعين يتنادون . أخذ العدو على غرة ومزقوا شمله شر ممزق . واحتفاء بهذا النصر يقيمون عيد هرب الشعب ويدعون يومه يوم عذارى شجرة التين ، ويؤدبون فى ذلك اليوم وليمة للسيدات فى ظل أشجار التين . وتطوف نساء الرقيق لاعبات تترامى بالحجارة تقليدا لما كانت تصنعه الاماء مساعدة للرومانيين اذ كن يرمين العدو بالحجارة . لم يذكر هذه الرواية الا قليل من المؤرخين على أن طريقة التنادى والخروج نهارا وتقديم القرابين بالقرب من غدير مستنقع العنزة أكثر ملاءمة للرواية الأولى هذا اذا لم تكن الحادثتان قد وقعتا فى يوم واحد لأزمنة مختلفة .

ومهما يكن من أمر هذه الروايات ، فان رومولوس قد اختفى من بين الناس وهو فى الرابعة والخمسين من عمره وفى السنة الثامنة والثلاثين لحكمه .

الموازنة

بين تزيوس ورومولوس

هذا ما استطعت جمعه حقيقا بأن يذكر عن تزيوس ورومولوس ·
رأينا تزيوس حرا غير مكره وفي وسعه أن يخلف جده في حكومة لا تنقصها الأبهة وأن يعيش ناعم البال في ترازين رأيناه يقدم من تلقاء نفسه وثابا على العظائم · ورأينا رومولوس على حد قول أفلاطون لا يجرؤ على العظائم الا عن خوف وفرار من الرق الذى كان يعيش فيه ، ومن عقاب الموت الذى كان يهدده ، وكان آخر ما قام به هو قتله ظالما واحدا هو حاكم (ألبا) · أما انتصارات تزيوس على سبون ، وسنبس وبرو كرست وكورنت ، فلم تكن سوى لهو وطلائع أعمال · لم يكن حين أهلك أولئك الطغاة وقضائه على طغيانهم وانقاذه اليونانيين من شرهم معروفا ممن أحسن اليهم كل هذا الاحسان · أضف الى ذلك أنه لو أراد السفر بحرا لسافر مطمئنا آمنا جانب أولئك السفاحين · أما رومولوس فلم يكن له من سبيل للطمأنينة مادام أموليوس حيا ، واليك دليلا على تفوق تزيوس أنه دون أن تصل اليه أية اهانة شخصية انحط على أولئك الأشرار لخير الآخرين · أما رومولوس وأخوه فكانا يعيشان مطمئنين ماداما بعيدين عن أذى الطاغية لا يباليان بما يصيب الناس من شره · ولئن برهن رومولوس على بسالة حين جرح في حربه مع السابيين ، وحين قتل أكرون بيده وحين انتصر على أعدائه في حومة الوغى ، فلا ندرى كيف نوازن بين هذه الأعمال الجليلة وبين حروب تزيوس مع المونيتور والمترجلات (الأمازون) ·

أما اقدام تزيوس على تحرير أثينا من الضريبة التى كانت تدفعها الى كريت وسفره مختاراً مع الفتيان والفتيات وتعرضه لخطر الموت فريسة المونيتور أو الذبح على قبر اندروجيه أو احتمال نير العبودية من قوم معروفين بغلظة أكبادهم وقسوة طباعهم ، فلا نستطيع التعبير

عما يستلزم هذا الاقدام من الشجاعة وعظمة النفس والاخلاص للخير العام • يالها من رغبة شديدة فى المجد والفضيلة ! لا أظن الفلاسفة مخطئين فى قولهم ان الحب قانون وضعته الآلهة لحماية الناس وحفظ كيانهم (١) • ان حب أريادنة كان ولا شك من عمل الآلهة ، استخدمته لنجاة تزيوس فلا نلوم من أولعت به ذلك الولع الشديد بل يجب أن ندهش من أن جميع الرجال وجميع النساء لم يحملوا له مثل هذا الحب • ولكنى أستطيع القول ان هذا الغرام الذى أحسته وحدها هو الذى جعلها أهلا لحب اله ، لأن من أحبته كان الجمال والخير والبطولة • ولقد أحبت فيه من أحب الجمال والخير والبطولة •

خلق تزيوس وروموليوس ليحكما ، وكلاهما لم يعرف الحرص على طبيعة الملك : امتهنا الملكية أحدهما عن طريق الديموقراطية والآخر عن طريق الاستبداد ، سقط كلاهما فى غلطة واحدة عن طريقين مختلفين • ان أول واجب على من يتولى الحكم هو صيانة المملكة • يجب عليه أن يجتنب ما لا يجب ويأخذ بما يجب واذا زاد فى لينه أو شدته لم يعد ملكا ، ولا رئيس شعب بل يكون مملقا أو ظالما يجلب على نفسه البغض أو الاحتقار • ينشأ أحد هذين العيبين عن الدعة والانسانية وينشأ الآخر عن الأنانية والقسوة •

اذا لم نلق تبعة شفاء الناس على القدر وحده • ورأينا من الواجب أن نقدر ما لاضطراب العقول والقلوب من الأثر ، فلا يسعنا الاغضاء عن الغضب الأعمى والانفعال المشهور اللذين ركبهما روموليوس ضد أخيه وتزيوس ضد ابنه • واذا راعينا الظروف كان أولاهما بالعذر من كانت أسباب هياجه خطيرة ، وكانت صدمته أشد عنفا • شجر الخلاف بين روموليوس وبين أخيه على مسألة عامة تحت المداولة ولا يمكن أن نفهم كيف ذهب به الانفعال الى ذلك الحد • أما تزيوس فكان فى ثورته ضد ابنه خاضعا لمؤثرات قوية لم يستطع التغلب عليها الا قليل من الناس : الحب والغيرة ووشـايات امرأة • وهنـاك فارق عظيم ، انتهى غضب

---

(١) الوليمة لافلاطون •

رومولوس الى عمل وفاجعة ، أما غضب تزيوس فانتهى الى سباب ولعنات وهي الانتقام العادى للشيوخ ٠ أما نكبة ابنه فمن صنع القدر ٠ وعليه يتعين علينا أن نعطى الأفضلية فى هذه المسألة لتزيوس ٠

يمتاز رومولوس أن سلطانه بدأ حقيرا اذ كان هو وأخوه عبدين معروفين أنهما أبناء راعى الخنازير ، حررا أنفسهما قبل أن تتحرر جميع الشـــعوب اللاتينية تقريبا ونالا أعظم الألقاب وأمجدها ، انتصرا على أعدائهما وأنقذا الأهالى ، وحكما الأمم وأقاما المدن وأنشآها دون أن يعمدا الى نقل السكان كما فعل تزيوس الذى خرب مدنا مأهولة قديمة معروفة بأســماء ملوك وأبطال لـكى يجمعها هيئة واحدة ومركزا واحدا ٠ يمتاز رومولوس أيضا بالزامه الشعوب المغلوبة على أمرها بهدم مدنهم والسكنى مع الفاتحين ولم يكن الغرض فى الأصل نقل أو توسيع مدينة ، أو انشاء كل شىء من لا شىء ، أوجد أمة ووطنا ومملكة وعائلات وروابط زوجية ومعاهدات لم يصب أحد من جرائها موت ولا خراب بل كان العكس ، خيرا عظيما لجميع اللاجئين الذين لم يكن لهم ملاذ ولا ملجأ اجتمعوا ليكونوا شعبا ويصيروا وطنيين ٠ لم يكن رومولوس قاطع طريق ولا عابثا ، ولكنه أخضع أمما ومدنا وأجرى فى موكب نصره ملوكا وقوادا ٠

تضاربت الأقوال فى مقتل روموس ، يعزو البعض الجريمة الى غير رومولوس ومن المؤكد أنه أنقذ والدته من الموت وأجلس جده نوميتور على عرش انياس بعد ما آل به الأمر الى عبودية حقيرة ٠

أوفى له الخدمة راضيا ولم يسىء اليه حتى عن غير قصد ٠ أما نسيان تزيوس أو اغفاله العمل بوصية والده فى تغيير شراع المركب فليس له فى اعتقادنا مبرر ولا تخليه البراهين المطولة ، فى نظر أعدل القضاة من عقاب قاتل والده ٠ تكلف أحد كتاب أثينا الثناء عليه فادعى أن ايجيه لما علم بقدوم السفينة أسرع مهرولا الى القلعة ليراه عن بعد فزلت قدمه وهوى ٠ وكأن لم يكن معه أحد من حاشيته أو أتباعه ٠

ولاندرى عذرا لتزيوس فى اختطاف النساء ،فقد ارتكب هذه الجريمة غير مرة ، سبى أريادنة ، وأنتيوب ، وأناكسوس من ترازان وبعدهن

هيلانه وهي دون سن البلوغ · سبى وهو شيخ طفلة صغيرة حين لم تكن شيخوخته لتسمح له بالدنو من امرأة وان كانت حلالا · على أنه ليس للسبى ذاته سبب معقول ، لأن بنات ترازان وسبارطة والمترجلات لم يكن له مخطوبات ، ولا هن أهلا لأن يعطينه أبناء مثل الأثينيات بنات أريخته وسيكروب · فهو ولا شك موضع للتهمة وأنه لم يسلك في ذلك سوى مسلك الهوى والشهوة ·

أما رومولوس ، فقد سبى ما لا يقل عن ثمانمائة امرأة لم يخص نفسه بهن جميعا بل اكتفى بواحدة وهي هرمليا وترك الأخريات لكبار الوطنيين· وقد ثبت من سلوك الرومانيين مع تلك النساء المسلك الحسن أن الغرض من ذلك السبى هو اتحاد الشعبين وهذا عمل حكيم وسياسة رشيدة · جمع بذلك الشعبين وجعل منهما أمة واحدة وكان ذلك منشأ الرعاية والود المتبادلين بين السابيين والرومانيين ومنشأ قوة وسيادة رومولوس ·

ان الزمن خير شاهد ينطق بما أوجده رومولوس في الأسر من الحياء والحب والوئام ، اذ مضت مائة وثلاثون سنة لم يحدث فيها أن رجلا هجر امرأته أو امرأة هجرت زوجها لم يعرف سوى الخبراء من اليونانيين اسم أول قاتل لأبيه ، كما يعرف الرومانيون أن سبوريوس كارفيلوس أول من طلق امرأته على أنه كان له من عقمها عذر · هذه شهادة السنوات التي تلت حادثة السبى · وقد نجم الاتحاد عن ذلك ووزعت السلطة بين الملكين وسنت قوانين المدينة التي جرى عليها الشعبان · أما زواج تزيوس فانه على العكس من ذلك لم يجلب للأثينيين صداقة ولا عهدا ، بل عداوة وحروبا وقتلا شنيعا : وقد انتهى بهم الى ضياع مدينة (افيدنس) ولم ينج أهلها الا بشق النفس واطراح أنفسهم على أقدام أعدائهم ضارعين اليهم كأنهم آلهة حتى رثوا لهم وأقالوهم من أن يصيبهم ما أصاب الطرواديين بعد أن سبى الاسكندر (١) هيلانة ، ولم تنج والدة تزيوس من الخطر اذ أصابها ما أصاب « هاكوبا » اذ تخلى عنها ابنها خيانة ، اذا

---

(١) هو المعروف باسم باريس عند اليونانيين ·

لم تكن هذه الرواية خرافة كما يقال عنها وسواها من حوادث تزيوس على أن ما ينسب للآلهة من رعاية نحو تزيوس ورومولوس يجعل بينهما فارقا كبيرا : حمت الآلهة رومولوس في ميلاده وكانت حمايتها ظاهرة بارزة في حين أنه يظهر من نهى الآلهة لا يحببه أن يمس امرأة على أرض غريبة · ان تزيوس جاء الى العالم رغم ارادة الآلهة ·

ليكورجـوس

نحو سنة ٨٨٤ ق٠م٠

لا تسمع كلمة عن ليكورجوس المشرع الا وسمعت ما ينافيها ٠ فقد اختلفت الأقوال فى أصله واسفاره وموته حتى شرائعه والحكومة التى أنشأها ، وأشدها اختلافا ما قيل عن زمن وجوده ٠ من الناس من يقول انه كان معاصرا لأيفتيوس وأنه عاهده على الهدنة أيام الألعاب الأولمبية ٠ ومن هؤلاء الفيلسوف أرسطو ، مسترشدين بالقرص الذى يعرض فى أولمبيا وعليه اســم ليكورجــوس ولــكن أمثــال اراتوســتيم (١) وأبرلودور (٢) الذين يحسبون الزمن باعتبار عدد ملوك اسبارطة يرجعون به الى عدة قرون قبل تلك الألعاب ويزعم « تيما » (٣) أنه وجد اثنان فى اسبارطة بهذا الاسم فى أزمنة مختلفة وقد نسبت الى أشهرهما أعمال الاثنين ويقال ان أسبقهما عاصر هوميروس ، ويزعم البعض أنهما تقابلا ، ويزيدنا كسونوفون على الاعتقاد بقدم عهد ليكورجوس اذ يرجع حياته الى زمن الهراقلة والحقيقة أن أواخر ملوك اسبارطة كانوا من هذه الأسرة ولكنه قصد طبعا الاشــارة الى خلفاء هرقل مباشرة على أنا رغم هذه التناقضات التى يظهر التاريخ على سطحها سنعنى فيما نورده من سيرة ليكورجوس بأقل الحوادث تناقضا على ما تسمح به رواية الثقات ٠

قال الشاعر سيمونيدان ، ليكورجوس لم يكن ابن ايمونوس بل ابن برتيانيس ويخالفه أكثر المؤلفين فى هذه الأقوال ٠ كان والد ديوس يدعى

---

(١) مؤرخ وفيلسوف وشاعر عاش فى عهد بطلميوس فلوباتير ٠

(٢) لغوى له مؤلف دعاء المكتبة وكان معاصرا للمؤرخ السابق ٠

(٣) من صقلية وكان معاصرا للسابقين ٠

باتروكلس بن اويستوديم وخلف ولدا يدعى أريتيون · وهذا ، ولد يدعى برتيانيس وهذا ولد يدعى اينوموس رزق ولدا من امرأته الأولى دعاه بولتيكنيس وآخر من امرأته الثانية ديا ناس دعاه ليكورجوس · ويزعم المؤرخ أوتيخيداس أن ليكورجوس هو السادس من سلالة باتروكلس والحادى عشر بعد هرقل ·

كان سويوس أشهر أسلافه وفى عصره استعبد السبارطيون أهالى هيلوت ووسعوا أراضيهم باغتصاب جزء كبير من أراضى الأركاديين ويقال انه لما حاصر سديوس الكليتورين فى مكان صعب لا ماء فيه قبل النزول عن الأراضى التى اكتسبها السبارطيون بشرط أن يسمحوا له ولرجاله أن يشربوا من مياه النبع المجاور ، وبعد أن تبادل الجانبان الايمان جمع سويوس رجاله وأعلن فيهم أنه يتنازل عن الملك لمن يمنع عن الشرب · فلم يقووا على ذلك وبعد أن شرب الجميع كان هو آخر من نزل الى النبع واكتفى بأن رطب وجهه من مائه ، مستشهدا أعداءه الذين كانوا لايزالون هنالك · فاحتفظ بالأراضى بدعوى أن الجيش كله لم يشرب ولكن رغم اعجاب الجميع به لم يعط اسمه لخلفائه ، بل دعوا الأريتيونيين نسبة الى ابنه والسبب على ما أظن أن أريتيون أول من تراخى فى سلطة ملوك سبارطة المطلقة تملقا للجمهور واكتسابا لرضاه ·

نشأ عن تسامح أريتيون ازدياد مطالب الشعب فكان خلفاؤه من الملوك موضع سخط الشعب كلما حاولوا ردعه بالقوة ، وموضع زراية كلما تراخوا مجاملة وضعفا · لذلك بقيت سبارطة زمنا طويلا فريسة للفوضى حتى ان أحد الملوك وهو والد ليكورجوس ذهب ضحية بينما كان يفصل بين متشاجرين أصيب بطعنة سكين قضت عليه وترك الملك لابنه البكر بوليدكتيس فتوفى هذا بعده بقليل فكان المنتظر أن يتولى ليكورجوس الحكم والواقع أنه صار ملكا لأن أحدا لم يكن يعلم أن زوجة أخيه حبلى ، ولما ذاع هذا الخبر قال ان الحكم من حق الطفل اذا كان ذكرا ولم يجر الأحكام الا بصفته وصيا · وكان من عادة السبارطيين أن يدعوا الوصى على الملك اليتيم قيما ·

أرسلت اليه الأرمل خفية من أفهمه أنه لو رضى بها زوجة وصار ملكا فانها تقتل ثمرة أحشائها . استفظع ليكورجوس لؤم طبعها ولكنه لم يرفض طلبها بل تظاهر بالموافقة قليلا انه لا يرى حاجة للاجهاض فقد يؤذى الشراب المجهض صحتها ويعرض حياتها للخطر وأنه سيجد متى ولد الطفل وسيلة للتخلص منه وبقى يأخذ هذه المرأة بهذه الحيل حتى جاءت ساعة الوضع فأرسل اليها من بناته من يعينها على الوضع ويراقبها . فاذا ولدت بنتا سلمتها للنساء وان كان ابنا أسرعت باحضاره اليه مهما يكن لديه من الاعمال . ولدت ذكرا وكان ليكورجوس يتعشى مع القضاة عندما أحضرت الأمينات الطفل اليه . أخذه بين يديه وخاطب الحضور قائلا : « أيها السبارطيون ، لقد ولد لنا ملك » . وضعه على العرش الملكى ودعاه خاريلاوس (فرح الشعب) لشدة فرح جميع الحاضرين واعجابهم بعظمة نفس ليكورجوس وعدله .

لم يحكم ليكورجوس سوى ثمانية شهور ولكنه بقى موضع احترام مواطنيه يصغون له الطاعة وينفذون أوامره احتراما لفضائله ولانه صاحب الأمر الملكى والقائم بالسلطة الملكية . ولكنه لم يخل من الحاسدين يبذلون جهدهم للاضرار بهذا الشاب ، لا سيما أقرباء الوالدة التى ادعت أنها خدعت وقد أهان ليوتيداس ، شقيق الملكة ، ليكورجوس بلا حياء قائلا : « أعرف جيدا أنك ستتولى الحكم » ، أراد بهذه الفرية اتهامه واثارة الخواطر ضده حتى اذا أصيب الملك بأذى وقعت التهمة عليه ، وكانت الوالدة - أيضا - تذيع مثل هذه المفتريات . فدفعه الحزن والخوف مما يخبئه القدر الى الابتعاد اتقاء هذه التهم واعتزم التجوال فى العالم حتى يبلغ ابن أخيه سن الرجولة ويكون له وريثا .

سافر وكانت أولى رحلاته الى كريت فأخذ يدرس أنظمة البلاد ويحادث كبار رجالاتها . فاستحسن بعض القوانين وحرص عليها ليجريها فى سبارطة متى عاد اليها وتمكن برجائه وتودده من اقناع رجل هناك معروف بحكمته وعلومه السياسية أن يغادر كريت ويقيم فى سبارطة . كان هذا الرجل يدعى تالس لا يرى فيه مواطنوه سوى شاعر ولكنه تحت ستار الشعر كان يؤدى فى الحقيقة مهمة المشرع العظيم ، وكانت قصائده

تحض على الطاعة والوئام ، بديعة النظم والتنسيق تملأ النفس قوة وايناسا . تلطف مزاج الجمهور وتوحى اليه حب الخير وتنفى روح البغضاء التى كانت تمزق شمل الاتحاد فمهد على نوع ما ، السبيل أمام ليكورجوس لتعليم وتهذيب السبارطيين .

انتقل ليكورجوس من كريت الى آسيا . ويقال انه قصد برحلته هذه أن يقارن بين سذاجة ومروءة الكريتيين ، وبين ما انطوت عليه حياة اليونانيين وشهواتهم وترفهاتهم كما يقارن الطبيب بين أجسام الأصحاء والضعفاء ويقدر الفارق بين أخلاق وحكومة هؤلاء وأخلاق وحكومة أولئك . وهناك عرف لأول مرة قصائد هوميروس وكانت بين يدى خلفاء كليوفيل . وأدرك أن ما تنطوى عليه من آداب وسياسة لا يقل قدرا عما فيها من طرائف الخيال وغرائب القصص . فأسرع الى نسخها وجمعها وجعل منها مؤلفا واحدا حمله الى اليونان حيث كان بعض الشىء منها متفرقا ولكن ليكورجوس هو أول من أذاع شهرة ذلك الشاعر الكبير بين الناس ويعتقد المصريون أن ليكورجوس سافر الى بلادهم وأعجب فيما أعجب به من أنظمتهم وتفريقهم بين رجال الحرب والطبقات الأخرى فنقل ذلك عنهم الى سبارطة حيث أنشأ طبقة خاصة من الجنود والصناع وأوجد بذلك هيئة حكومية طاهرة نقية . ويزيد المؤرخون اليونانيون بعض الشىء فى رواية المصريين . أما سفر ليكورجوس الى ليبيا وايبريا ورحلته الى الهند لمحادثة الرياضيين الروحيين فلا أعرف أحدا قال بها سوى اريتوقراطس السبارطى (١) بن هيبوكرات .

عم الأسف السبارطيين لغياب ليكورجوس ، ورجوا اليه غير مرة أن يعود قائلين ان ملوكهم لا تختلف عن عامة الشعب الا بالقابهم ومقامهم ولكنهم يعرفون فيه قدرة طبيعية على القيادة وقدرة على اجتذاب الناس الى رأيه . وكان الملوك أنفسهم راغبين فى عودته آملين أن يروع وجوده الجمهور عند الغواية والتمرد ، وقد وجد عند حضوره العقول مهيأة ، فبدأ بالقضاء على عوامل السوء وتغيير هيئة الحكومة ، اقتناعا منه بأن القوانين

(١) كاتب مجهول .

الجزئية عديمة الجدوى وأنه يجب أن يبدأ بمداواة الأجسـام المشوهة المريضة وابادة طبائع الفساد بالعقاقير والأشربة وتغيير المزاج قبل رسم نظام جديد ٠

ولما قر رأيه على ذلك ذهب الى دلفى لاستشارة الاله ، وقدم اليه القرابين وعاد بذلك الوحى المعروف ٠ حيث دعى صديق الآلهة وأنه اله أكثر منه انسان يضاف الى ذلك أن أبولون أجاب سؤاله ٠ وأنه سيمنحه القدرة على ايجاد قوانين صالحة ، تمتاز بقوتها على جميع أنظمة الشعوب وشدت هذه الوعود ساعد ليكورجوس ، فكاشف كبار المدينة وألح عليهم فى تعضيده ٠ أفضى بذلك سرا الى أصدقائه ثم أخذ يضم اليه شيئا فشيئا عددا كبيرا من مواطنيه ، عاهدوه على تنفيذ عزمه ٠

ولما حانت الفرصة المناسبة أمر ثلاثين من كبار القوم أن يجيئوا مسلحين الى السـاحة العمومية ارهابا لخصـومه ٠ وقد ذكرها رميبوس عشرين من أشهرهم ٠ وكان بين أصدقاء ليكورجوس رجل يدعى أرتميادس كانت له اليد الطولى فى تنفيذ المشروع واقامة القوانين ٠ خشى خاريلاوس فى بدء الحركة أن يكون مقصودا بأذى فهرب الى هيكل كالسيبوكوس ولما علم نيات ليكورجوس الحقيقية ، وطمأن الى الأيمان التى أقسموها له وخرج من الهيكل ووافق على كل ما تم لأنه كان بطبيعته ميالا للسلام ٠ وقد أشار أرخلاوس زميله فى الملك الى هذا الخلق المرضى بقوله لمن كان يثنى على سلامة نية هذا الشاب : « كيف لا يكون خاريلاوس صالحا وهو يأبى القسوة حتى على الأشرار ؟ » ٠

ان أول وأهم ما وضعه ليكورجوس من الأنظمة هو مجلس الشيوخ٠ وهو كما قال أفلاطون ، قوة تشارك الملوك فى سيادتهم لتهذب من حيرتهم ولا يقل سلطان المجلس عن سلطان الملوك ٠ يمهد للحكومة فى الأوقات العصيبة وسائل السلام ونصائح الحكمة ٠ كان دأب الحكومة أن تسبح فى لجج من الاضطراب يميل بها الملوك الى الاستبداد ويجتذبها الشعب الى الديموقراطية ٠ وقف مجلس الشـيوخ بين هاتين القـوتين المتعارضتين قـوة ثالثة تحفظ التوازن بينهما ، وبذلك استقرت الحـال واستقامت الشـئون ٠

كان الثمانية والعشرون شيخا يعضدون الملوك ، كلما اقتضت الحال وقف تيار الديموقراطية ويعضدون حزب الشعب لردع الاستبداد عند الحاجة ٠

يقول أرسطو ان ليكورجوس جعل عدد الشيوخ ثمانية وعشرين لأن اثنين من الثلاثين الذين اختارهم تولاهما الخوف وابتعدا عن المشروع ٠ ويقول سفاروس (وله مؤلف في حيـــاة ليكورجوس وسقراط ومبحث عنوانه جمهورية اسبارطة) مؤكدا أن العدد الذى اختير من البدء هو ثمانية وعشرون ٠ ولعله نظر في ذلك الى حاصية العدد الناتج من ضرب ٧ في ٤ وأن العدد ٦ هو العدد الزوجي الكامل لأنه يساوى جميع أجزائه وللرأى أن اختيارهم ثمانية وعشرين شيخا حتي اذا انضم اليهم الملكان كانت الجملة ثلاثين شخصا ٠

كان لهذا النظام في نظر ليكورجوس أهمية كبيرة ، حتى انه دهب الى دلفي يستوحى (ويترا) لهذه الهيئة خاصة ، وجرى الوحى كما يأتي : « عندما تقيم هيكلا لجوبيتر السيلانى ومنيرفا السيلانية وتقسم الشعب الى قبائل وفروع قبائل وتنشىء مجلسا للشيوخ مؤلفا من ثلاثين بمن فيهم الملكان وتعقد المجلس كلما اقتضت الظروف بين بابيس وسناسيون حيث يقترح الشيوخ القوانين ويكون للشعب حق رفضها » ، وهذه الأماكن تدعى الآن أومونت ولكن أرسطو يقول ان الأول اسم جسر والثانى اسم نهر ومن عادة السبارطيين أن يعقدوا مجلسهم هناك حيث لا أعمدة ولا مباني ويعتقد ليكورجوس أن هذه الزخارف لا تعين على تدبر الآراء الصحيحة بل تضر بما توحيه من تخيـــلات عقيمة وكبرياء وفخفخة لأولئك الذين اجتمعوا للمداولة في الشؤون العامة ٠ اذ يتلهون بالنظر الى التماثيل والصور والزخارف المسرحية وسقوف غرفة المجلس المتقنة الصنع ٠

لم يكن لغير الشيوخ والملوك في الجلسة العمومية حق الابتداء في عرض موضوعات المداولة بل كان ذلك من حق هؤلاء فقط وللشـــعب السلطة التامة في تقريرها ٠ ولكن حدث فيما بعد أن الشعب أخذ يفسد قرارات المجلس بالحذف والاضافة ، فأضاف الملكان بوليدور وثيونوتب الى الوحى العبارة التالية « اذا حاول الشـــعب احداث خلاف ، فعلى

الملكين والشيوخ أن ينسحبوا » ومعنى هذا أنهم لا يوافقون على القرارات وأن يؤجلوا الجلســـة ويلغوا قرارات الشعب لأنها غير مشروعة وقد أقنعوا مواطنيهم أن هذه أوامر الاله والى هذا المعنى أشار الشاعر تيرته بقـــوله :

سمعوا الوحى من فم أبولون · ونقلوا الى وطنهم وحى الاله وهذه الكلمات التى لا ريب فيها · يرأس المجلس الملكان المقدسان ، الساهران على مدينة سبارطة الهادئة يليهما الشيوخ ثم رجال الشعب · يؤيدون القرارات العادلة ·

على هذا النحو ، أعد ليكورجوس الجمهورية ولكن حدث بعد عهده أن أصبح الثلاثون شيخا حكومة طاغية (أوليجاركية) مطلقة ، تهدد الحرية العمومية بسلطتها التى لا حد لها فقيدت كما يقول أفلاطون بســلطة النواب ، بعد ليكورجوس بثمان وثلاثين سنة · وكان أتاتوس أول من عين نائبا وكان ذلك فى عهد الملك تيوتب ، الذى سمع زوجته تعيب عليه أنه سيترك المملكة لأولاده أقل سعة مما كانت يوم تسلمها · فأجابها : « ان الأمر على عكس ذلك ، سأتركها لهم أعظم شأنا وأثبت قدما » · والحقيقة،أنه باطراحه عنها المزيد،جعلها فى مأمن من حسد الحاسدين وخطر المعتدين ولذلك لم يتعرض ملوك سبارطة لشىء من الهوان الذى أنزله أهالى مسين وأرجوس بملوكهم لاستئثارهم بالملك وعدم ميلهم للتهاون فى شىء ما مرضاة للشعب ، ولا شىء أدل على حكمة ليكورجوس وبعد نظره من اتقائه الاضطرابات والويلات السياسية التى نزلت بمسين وأرجوس ماوكا وأهالى وهم من ذوى قربى السبارطيين وجيرتهم كانوا ينعمون فى أول عهدهم بما ينعم به هؤلاء وكان نصيبهم من الأرض خير نصيب ولكن سعادتهم لم تســـتمر طويلا ، اذ أساء الملوك السلطة وتمرد الشـــعب فاضطربت الأنظمة وظهر فضل الآلهة على السبارطيين الذين كانت حكومتهم تسير بحكمة بين النظام والاعتدال على أن هذا الفضل لم يظهر الا فيما ولى من الأيام ·

والثانى من أنظمة ليكورجوس هو تقسيمه الأراضى · كان عدم التساوى بالغا أشده لا يملك الكثيرون شيئا ولا مورد لهم وهم سواد

الوطنيين فى حين أن الثروة كلها مستفيضة بين أيدى نفر قليل العدد . عمد ليكورجوس رغبة فى اجتناب الاعتداء والحســـد والبخل والفخفخة وما هو أضر منهــا بالحكومات أى الغني والفقر الى اقناع السبارطيين بالنزول عن أراضيهم وتقسيمها من جديد وجعل كل الثروات على قدر واحد ومساواة تامة . تتولى الفضيلة وحدها توزيعها اذ لا فرق بين النــاس الا باحتقارهم ما يخجل وحبهم للخير . نفــذ المشروع فقســم ليكورجوس أراضى لاكونيا الى ثلاثين ألف جزء لأهالى الريف وتسعة آلاف لأهالى سبارطة مراعاة لعدد السبارطيين الداخلين فى القسمة . ويزعم البعض أن ليكورجوس لم يزد عدد نصيب السبارطيين عن ستة آلاف ثم أضاف اليها الملك بوليدور ألفا ويزعم البعض أن الأول وضـــع نصف تسعة الآلاف والآخر النصف الثانى . وكان ينتج كل جزء سبعين مدا (كيلة) من الشعير لكل رجل ، واثنى عشر لكل امرأة مع ما يناسبها من الأثمار السائلة (لعله يريد ما يستخرج منها من الشراب) ، وفى هذا القدر ما يكفى لحياتهم فى طمأنينة وصحة وما يسد حاجتهم وحدث بعد ذلك بسنوات أن ليكورجوس مر بلاكونيا وهو عائد من رحلته وكان ذلك ابان الحصاد واذ رأى أكوام الحزم مصفوفة صفوفا منتظمة ومتساوية قال لأحد رفاقه : « كأن حصاد لاكونيا ميراث تتقاسمه اخوة » .

ولكى يقضى قضاء مبرما على جميع أسباب التفاوت بين الأهالى شرع فى تقسيم الأموال غير العقارية . ولكنه رأى أن أصحابها لا تطيب نفوسهم لذلك فسلك طريقا آخر وهاجم الترف من سبيل غير مباشر . فبدأ بالغاء النقود الذهبية والفضية غير مجيز سوى النقود الحديدية وجعل القطع ثقيلة الوزن زهيدة القيمة بحيث انه يلزم لوضع مبلغ عشرة « مين » (١) غرفة كاملة ولا يمكن نقلها الا على عربة يجرها ثوران . وكان تداول هذه العملة سببا لازالة كثير من المبادىء ومن يقبل أن يسرق نقودا لا يمكنه اخفاؤها ، أو يطمع في سرقة أو اغتصاب ما لا يشتهى وما لو قطع أجزاء لا تصلح لشىء . ! لأن ليكورجوس كان يغمس الحديد بعد احمراره فى

(١) المين : مائة دراخمة ، والدراخمة : اقل من الفرنك الفرنسى ببضعة سنتيمات .

الخل لتذهب عنه صلابته ولم يعد صالحا لغير ما وضع له لأنه يصير سهل الكسر تحت المطرقة ٠

ثم ألغى من سبارطة جميع فنون الترف الكمالية على أنه لو لم يلغها لاختفت من العملة القديمة اذ لا يجد صناعها نفقات صناعتهم لأن النقود الحديدية لم يكن لها قيمة بين الشعوب اليونانية الأخرى ، يهزءون بها ولا يرغبون فيها ولذلك لم يستطع السبارطيون أن يجلبوا مشترى بضاعة من الخارج مهما يكن ثمنها زهيدا ولم ترس مركب تجارية فى موانيهم ولم تطأ أرض لاكونيا قدم سوفسطائى ولا عراف ولا سمسار عاهرات ولا جوهرى يتجر فى الذهب والفضة ٠ ولما جرد الترف مما يزكيه ويعديه ذبل من تلقاء نفسه ولم يكن لاصحاب الأموال ميزة على الفقراء ولم يكن لأموالهم منفذ بين الجمهور فيبقونها مكدسة فى بيوتهم عاطلة بلا فائدة لذلك أتقنت صناعة الأدوات الضرورية مثل الأسرة والمقاعد والموائد ، وكان ذلك سببا لذيوع الكوز اللاكونى ٠ ذلك الكوز سهل الاستعمال لا سيما للجنود فى المعارك ، لونه يخفى قذارة المياه التى يضطرون أحيانا لشربها وقد يقرفهم منظرها ، وتحجز أسلاكه الداخلية ما يرسب فى الاناء من الوحل فلا يصل الى الفم سوى المصفى والفضل فى ذلك للمشرع لأن الصناع لما تركوا صناعة ما لا ينفع انصرفت همتهم الى اتقان الضرورى ٠

اندفع ليكورجوس فى اضطهاد الترف والقضاء على شهوة المال فأنشأ نظاما ثالثا من أجمل ما يكون ٠ وهو نظام الطعام العام ٠ ألزم الوطنيين أن يأكلوا جميعا معا وأن يتغذوا من لحوم واحدة ومن الأطعمة التى تبيحها القوانين ٠ وحرم عليهم تناول الطعام فى منازلهم أو اقتناء الأسرة الناعمة والموائد الفخمة فلا يجعلون أنفسهم تحت رحمة صناع الفطائر والطهاة وأن تسمن أبدانهم فى الظلام شأن الوحوش النهمة والحقيقة ان فى ذلك افسادا للعقول والأجسام واطلاق سراح الشهوات والدعارة ٠ ثم الاضطرار الى النوم الطويل والحمامات الساخنة والبطالة الدائمة والتزام عيشة المرضى ٠ هذه مسالة عظيمة الشان ولكن نتيجتها اعظم ٠ ذلك انها جعلت الأموال فى أمان من السرقة أو كما يقول ثيوفراست اقل من أن تشتهى ، أو كأنها صارت لا شيء بتلك الولائم المشتركة والموائد البسيطة ولم يكن فى وسع احد ان يبذخ أو يباهى

بشىء لأن الفقير والغنى يشتركان فى غذاء واحد فكانت سبارطة بذلك هى المدينة الوحيدة تحت الشمس التى حق عليها ما يقال ان بلوتوس (١) ، أعمى مضطجع على الأرض بلا حياة ولا حركة كأنه تمثال ، لم يسمح لأحد أن يأكل فى بيته قبل الميعاد ويحضر الولائم المشتركة شبعان ٠

وكانت الرقابة شـــديدة على من يمتنع عن الشراب والطعام من الآخرين يعيبون عليه علانية ترفهه وضعفه عن تناول الأغذية التى يجب أن يتقاسمها الجميع ٠

وكان هذا أشد أنظمة ليكورجوس اغضابا للأغنياء فاجتمع منهم عدد كبير وصاحوا صيحات الغضب والاستياء ضده ولما تساقطت الحجارة حول ليكورجوس من كل جانب فر من الساحة العمومية وأسرع بالالتجاء الى هيكل ولم يلحقه أحد ولكن فتى يدعى الكاندر سليم النية ولكنه حاد المزاج أصر على تعقبه واذ كان ليكورجوس يلتفت اليه ضربه الفتى بالعصـا فقلع عينه ٠ لم تفت هذه الضربة فى عضد ليكورجوس بل تقدم الى مواطنيه مرفوع الرأس وأراهم وجهه داميا وعينه مفقوءة ، فتولاهم الخجل والخبل أمام هذا المنظر وسلموا اليه الكاندر ثم ســـاروا به الى بيته مواسين متأسين وبعد أن شكرهم على صنيعهم وصرفهم ، أدخل الكاندر الى منزله ولم يسىء اليه ولم يؤنبه على فعلته بل أمر خدمه بالانصراف وعهد اليه أن يقوم بخدمته ٠ فقام الفتى وهو طيب العنصر بجميع أوامره دون أن يفتح فاه واذ كان دائم القرب من ليكورجوس يراقبه كل يوم ويشهد منه العطف والدعة والأنفة والدأب على العمل بلا ملل أحبه حبا جما وكان يقول لمعارفه وأصحابه ان ليكورجوس أبعد الناس عن القسوة والكبرياء وانه ألين الناس عريكة والطفهم خلقا ٠ هكذا انتقم ليكورجوس لنفسه من الكاندر بأن جعل من ذلك الفتى الغضوب العنيد رجل حكمة واعتدال ثم أقام تذكارا لهذه الحادثة هيكلا للالهة مينرفا الاوبتيلية (العينية) لأن أهـــالى هذه البلاد يدعون العين « أوبتيل » ويقـــول البعض وبينهم

---

(١) اله الثروة ٠

ديوسكوريد (١) الذى ألف كتابا عن جمهورية سبارطة ، ان ليكورجوس جرح ولم تفقأ عينه فأقام هيكلا للآلهة تذكارا لشفائه ومذ هذه الحادثة لم يحمل السبارطيون عصا فى مجتمعاتهم ٠

كان الكريتيون يدعون هذه الولائم العمومية أندريا،ولكن السبارطيون كانوا يدعونها فيديتا ولعلها فيليتا (الاخاء) ، لما كانت تدعو اليه من الصداقة والرعاية ولعلها من أريتيا وهى كلمة يونانية معناها الأكل وكان يجتمع على المائدة الواحدة خمسة عشر شخصا أو اقل أو أكثر وعلى كل أن يقدم فى الشهر مديمن (٢) دقيق وثمانية كونج (٣) من الخمر وخمسة أرطال من الجبن ورطلين ونصف رطل من التين ، ومع هذا نقود لمشترى اللحم ٠ أما اذا كان أحد الوطنيين يقدم ضحية أو ذهب للقنص فعليه أن يرسل الى الوليمة المشتركة باكورة الضحية أو جانبا من غنيمته لأنه كان مباحا لمن يقدم ضحية أو يقتنص أن يأكل فى بيته من ضحيته أو غنيمته ، وما عدا ذلك كان الكل ملزما أن يحضر الولائم العمومية ٠ بقى السبارطيون زمنا طويلا حريصين على هذا النظام ولكن الملك أجيس طلب عند عودته من حملته فنحر منها الاثينيون نصيبه ليتعشى مع زوجته ، فأبى الزعماء عليه ذلك ٠ أهمل أجيس لشدة حنقه أداء التقدمة المعتادة فحكموا عليه بغرامـة ٠

كانت الأطفال تحضر هذه الولائم العمومية يؤخذون اليها كأنهم يؤخذون الى مدرسة زهد وقناعة ٠ هناك يسمعون الأحاديث السياسية ويتمرســون بطبــاع الأحرار ٠ وهناك يتعلمون كيف يمزحون فى خفة وكياسة ؟ وكيف يسخرون بلا فحص ؟ وكيف يحتملون السخرية ؟ صفات يحسبونها حقيقة بالسبارطى أما الذى يضيق بها ذرعا فما عليه الا أن يشير بوقفها فتنقطع ٠ ومن عاداتهم أن أكبر الحضور سنا يقف وهو يشير الى الباب ويقــول لكل ضيف « لا تخرج كلمة من هنا » ومن عاداتهم

---

(١) يحتمل أن يكون هو الذى بقى من مؤلفاته ستة كتب فى المادة الطبية كان يعيش فى القرن الاول تاريخيا ٠

(٢) المديمن يساوى ٥١٫٥٩٠ لتر ٠

(٣) الكونج ٣٫٢٣٧ لتر ٠

ألا يقبل وطنى فى الوليمة المشتركة الا برضي الآخرين • تجرى الموافقة عليه على ما يأتى : يطوف عبد بإناء يلقى فيه كل من الحضور قطعة من لباب الخبز مستديرة وهى علامة القبول أو مبسوطة علامة عدم الموافقة وواحدة من هذه كافية لرفض قبول الطالب ، لأنهم لا يريدون قبول من لا يرضى عنه الجميع وكانوا يدعون المنبوذ « كادا » نسبة الى « كادوس » الوعاء الذى يوضع فيه فتات الخبز

ومن أشهر أطعمتهم الشربة السوداء اذا أكل منها الشيوخ ذهبت شهيتهم للحم يتركونه للشباب ويأكلون الشربة فرحين • يقال ان أحد ملوك البونت اشترى عبدا سبارطيا يصطنع له الشربة ولما ذاقها ألفاها كريهة ، فقال له الطباخ : أيها الأمير لا يستطيب هذا الطعام الا من استحم (اغتسل) فى الايروتاس ! وبعد أن يشرب الجميع قليلا من الخمر ينطلقون تحت جنح الظلام دون أن ينار الطريق أمامهم لتعود بهم الأولاج بجرأة وثبات جأش فى الظلام هذا هو نظام الولائم العمومية •

لم يكتب ليكورجوس شرائعه بل من سننه ما يحرم كتابته الشرائع فمن رأيه أن أقوى وأعظم ما يجعل الشعب سعيدا وحكيما هو ما كان فى أخلاقه وعاداته اذ تكون المبادىء ثابتة لايزعزعها شىء لأن أساسها الارادة وهى أقوى من كل اكراه لذلك تمتزج بروح الشباب أثناء التربية وهى الشريعة الأولى للحياة • أما العقود ــ وهى أقوى من هذه شأنا ــ فلا تعنى الا بالوجهة الفقهية فانها تغير الحاجة فمن الصالح عدم اخضاعها لأساليب مكتوبة أو عادات تتبدل بل يجب أن يترك للاختيار ما يزيد عليها أو ينقص منها على مقتضى الظروف • فليكورجوس كان يجعل التربية الغاية الجلى التى اليها جميع الشرائع لذلك رأيناه ، كما تقدم ، يحرم تدوينها وله ضد الترف أمر آخر ألا يستعمل فى تسوية السقوف وأراضى البيوت سوى المطرقة ولا فى تسوية الأبواب سوى المنشار ليس غير • قال ابامينونداس بعد ذلك بزمن طويل فى حديث عن المائدة « لا موضع للخيانة مع غذاء كهذا » وقال ليكورجوس من قبل فى هذا المعنى : لا موضع فى بيت كهذا للترف والكماليات • والحقيقة هل يمكن أن يتجرد انسان من الذوق وسلامة الطبع فيضع فى بيت بسيط بل خشن سريرا ذا قوائم فضية ، وبساطا أرجوانيا أو أوانى ذهبية أو ما يلائمها من عدة البذخ ؟

الا يرى الانسان على العكس من ذلك أن يلائم بين البيت وما فيه ٠ وبين الغطاء والسرير وبين جميع الأثاث ؟ والى هذه البساطة ترجع كلمة ليوتخداس القديم ٠ رأى وهو يتعشى فى كورنت سقف الغرفة كثير الزخرف فسأل مضيفه هل فى بلاده أشجار ذات أربعة ألوان ٠

ويروى عن ليكورجوس أمر ثالث ، هو تحريمه على مواطنيه اطاعة الحرب مع عدو بعينه لئلا يستبسل ويتمرس لفنون القتال ويعتاد مقاومة الأعداء ٠ لذلك يعيبون على الملك أجزيلاس موالاته الحملات على البيوت حتى تمرس الطيبيون بالحروب ووقفوا فى وجه السبارطيين ، لذلك قال له انتالسيداس اذ رآه جريحا « انك تنال من الطيبيين الجزاء العادل عما علمتهم ٠ لم يكونوا يرغبون فى الحروب ولا يعرفون شيئا من فنونها ، فعلمتهم ضروبها » وكان ليكورجوس يدعو أوامره الثلاثة هذه (وحيا) كأنها مراسيم وحى أملاها الاله أبولون لاقتناعه ان تربية الأطفال أجمل وأجل أعمال المشرع وأقومها عدة،تتولاهم منذ نشأتها الأولى بما سن من القوانين للزواج والميلاد ٠ أما ما رواه أرسطو عن ليكورجوس فلا نصيب له من الحقيقة ٠ زعم أن المشرع السبارطى حاول اصلاح المرأة ثم عدل عن ذلك ، لأنه لم يستطع كبح جماح النساء أو التقليل من الحرية التى أباحها لهن أزواجهن ، اذ كان هؤلاء ملزمين الابتعاد عن منازلهم لاشتغالهم بالحروب ٠ تركوا ادارتها للنساء فاستفحلت سيطرتهن حتى كانوا يدعونهن « سيدات » والحقيقة أن المشرع جردهن من كل ما كان لهن من شأن ٠ أراد تقوية عضلات البنات بالمران على الجرى والقتال ورمى الرمح والسهام لكى تكون أطفالهن أقوياء المنبت شديدى الأصلاب يشبون شجعانا ويحتملن الوضع بلا خوف ويقابلن آلامه بشجاعة ٠ أبعد البنات عن رخاوتهن وتربيتهن فى ظلال الحياة الناعمة مما أضعف جنسهن ٠ عودهن الظهور عاريات أمام الجمهور كالشبان ، والرقص والغناء فى الحفلات أمامهم وعلى مرأى منهم فكانت الفتيات تشهد مسابقات الشبان توبخ من أخطأ وتثنى على من أصاب ، فكانت بذلك توخز الشبان بمنخاس ذى حدين تثير فيهم التنافس فى حب الخير وحب الفضيلة ٠ فمن نال منهن مديحا وأحس بالشهرة بينهن عاد مفاخرا بثنائهن كذلك كانت وخزاتهن لغير المفلحين ، أشد ايلاما لنفوسهم من التوبيخات العلنية ٠

لأن الحفلات لم تكن مقصورة على الوطنيين ، بل كان يشهدها الشيوخ والملوك أنفسهم • ولم يكن فى تعريهن شىء من الخجل اذ كان لهن فى الفضيلة والحياء حمى • ولم يكن أحد يفكر في سوء ، بالعكس كان لهن من ذلك اعتياد البساطة والعناية بأجسامهن وسمو قلوبهن الى ما فوق عواطف جنسهن اذ يرين أنفسهن قادرات على مساواة الرجل ومشاطرته المجد والفضيلة • لذلك ، يحق لجميع نساء سبارطة أن يفكرن ويقلن ما يعزى الى جورجو لزوجه ليونيداس • اذ قالت لها أجنبية « أنتن نساء سبارطة وحدكن تسيطرن على الرجال » ، فأجابتها : « ذلك لأنا وحدنا نلد رجالا » •

وكان من مثيرات الشهوة للزواج سير البنات عاريات فى المواكب وقيامهن بالتمرينات الرياضية تحت أنظار الشبان الذين يحسون أنفسهم منجذبين اليهن لا بدافع (هندسى) كما يقول أفلاطون بل بدافع الغرام وزاد ليكورجوس فى ذلك المعنى حتى جعل العزوبة عارا • يحرم على العزاب حضور هذه الحفلات ويضطرهن الحكام أيام الشتاء أن يطفن الساحة عاريات ينشدن وهن سائرات أناشيد ضد أنفسهن ، منها أنهن يعاقبن بعدم طاعتهن الشرائع • ويحرمن عدا ذلك من الاحترام الواجب على الشبان للشيوخ • لذلك لم يلم أحد ما قيل للأعزب درسيليداس رغم كونه من مشاهير القواد • ذلك انه دخل على جماعة وكان بينهم شاب لم يقف له احتراما « ليس لك ولد يقف لى احتراما » •

والعادة عند الزواج أن يختطف الشاب زوجته على أن لا تكون طفلة ولا دون البلوغ ، بل رشيدة صالحة للزواج • ومتى اختطفها سلمها الى مساعدة الأعراس فتقص شعرها وتلبسها ثياب وحذاء رجل ، وتنيمها على طبقة من أوراق الشجر وتدعها وحدها بلا نور ، ويأتى الشاب غير مخمور ولا منهك القوى بملاذ ، بل فى اعتداله العادى بعد تناول طعامه فى الوليمة المشتركة ، ينسل الى جانب خطيبته ويحل حزامها ويحملها الى فراشه • يقضى معها وقتا قصيرا ثم يعود فى وقار الى الغرفة التى اعتاد النوم فيها مع الشبان يستمر على ذلك زمنا يقضى نهاره وليله مع رفاقه لا يذهب لمشاهدة امرأته الا حذرا ، كأنه يختلس ذلك اختلاسا يخجل

أن يراه أهل البيت ، تعينه المرأة من جانبها بمهارتها على اختلاس الفرص المناسبة لزيارتها سرا ، وقد تستمر هذه الحالة زمنا طويلا ، حتى انه ليحدث أن يصير الأزواج آباء قبل أن يروا نساءهم على ضوء النهار ٠ لم يكن من شأن هذه العلاقات مران الزوجين على القصد والحكمة فقط ٠ بل تبقى لأجسامهم قوتها وخصبها وتحفظ نشاط الحدة الأولى وتجدد الحب وتمنعهما اشباع شهواتهما التى ينهك الافراط فيها الرغبات والقوى ، أما اذا افترق الزوجان على ما قدمنا بقيت فى نفس كل منهما بقية من لهب الغرام ودافع للحب والعطف ٠

لم يكن ليكورجوس بعد أن سن للزواج هذا الحياء وذلك الحذر أقل اهتماما بتعطيل فكرة الغيرة الكاذبة المتخنثة التى تحدث الشجار والاضطراب فى الحياة الزوجية ، فأباح الشركة فى الأولاد لمن أراد ٠ ومن آرائه أنه يجب السخرية بمن يريدون جعل الزواج ميزة شخصية لا يشاركهم فيها أحد ، ينقمون ممن يعتدى عليهم فيه بالغدر والحرب ٠ جعل من المباح لشيخ تزوج من فتاة غضة الشباب أن يدخل اليها فتى شريفا يحترمه ويحبه ، وأن يعترف بمن يولد له من دم زكى كابن له ٠ كذلك يباح للرجل المتأنق الذى يولع بجمال حسناء متزوجة ذات أولاد أن يطلبها من زوجها ليغرس فى تلك النبعة الخصبة ، ويلد أولادا أقوياء يمنحهم كبار النفوس دماءهم وألقابهم ٠ ذلك أن ليكورجوس كان يعتقد أن الأولاد ليسوا لآبائهم خاصة بل جميعهم ملك الدولة ، لذلك أراد أن لا تكون الأبناء نسل أول قادم بل الأكثر جدارة من الرجال ٠ لم يكتف بذلك بل كان يسخر من حماقة وكبرياء ما سنه المشرعون الآخرون للرواج ، قال فى ذلك ، انهم يبحثون لكلباتهم وأفراسهم عن خير الكلاب وأكرم الخيول يتوسلون الى أصحابها بالرجاء والأموال ويحجرون على نسائهم يحتمون عليهن الا يكون لهن أبناء الا من بعولتهن ولو كانوا أغبياء ، عاجزين ، مرضى ٠ كأن ليس من المحزن للآباء والمربين قبل غيرهم ، أن يكون لهم أبناء ضعفاء سلالة آباء ضعفاء ، وكأن ليس من السعادة أن يكون لهم أبناء أقوياء يشبهون آباءهم فى القوة وسلامة البنية ٠

كان ليكورجوس يستمد قوانينه من الطبيعة والسياسة . لم يحمل نظامه النسوى السبارطيات على التساهل ، بأكثر مما كن عليه فقد قيل ان الزنا لم يعرف في سبارطة يستشهدون لذلك بعبارة قالها جرادرس أحد قدماء السبارطيين . سأله أجنبي : ما عقاب الزانى فى بلادكم ؟ فأجابه جراردس : لا زنا في بلادنا . قال الأجنبى : واذا حدث ؟ فأجابه : يلزم الزانى بثور طويل العنق يستطيع أن يشرب من نهر أوروتاس وهو فى أعلى تايجت فقال الأجنبى ، وكيف يحصـــل على ثور فى مثل هذا الطول ؟ فأجابه جراردس ضـــاحكا : وكيف يوجد فى سبارطة زنا ؟! هذا ما يقرر التاريخ عن نظام الزواج .

لم يكن الوالد حرا فى تربية ابنه ، كان عليه أن يحمله الى محل يدعى « لسنشة » حيث تجتمع مشايخ كل قبيلة لفحصه فاذا كان سليما قوى البنية أمروا بتغذيته وخصوه بجزء من تسعة الآلاف نصيب التى قسمت اليها الأراضى ، أما اذا كان ضئيلا نحيلا أمروا بطرحه فى جفوة قريبة من جبل تايجت تدعى « أبوتت » ، لا يرون فائدة من بقائه لآله ولا للدولة اذ خلق ضعيفا مقضيا عليه بالحرمان من الصحة والقوة . ولكى تمتحن النساء سلامة الأطفال لا يغسلنهم بالمياه بل بالنبيذ ، لأن الصرعى والمرضى من الأطفال لا يحتملون حمـــام الخمر ، بل يذبلهم ويميتهم ولكن تزيد متانة الأصحاء وتقوى أعصابهم ، من ثم تتولى المرضعات تغذيتهم بطريقة فنية ، لا يشددنهم فى قماط بل يدعن جميع أعضائهم طليقة حرة ، بحيث تظهر هيئاتهم على طبيعتها . يتعلمون منهن ألا يتأثروا من طعام وأن يقنعوا بالبسيط منه . وان لا يهابوا الظلام أو العزلة . لا صياح ولا تهييج ولا بكاء فما هذه سوى علامات الضعف والجبن . لذلك كان الأجانب يشترون المرضعات السبارطيات لتربية أبنائهم . ويقال ان « اميكلا » التى أرضعت السيبياد الأثينى كانت سبارطية . ولكن افلاطون يقول ان بريكلس خص ذلك الشاب بمرب من العبيد يدعى روبير لا يمتاز عن أمثاله بشىء . أما ليكورجوس فقد أبى أن يعهد بأبناء سبارطة الى عبيد تشترى بالمال ولا الى مربين من المستأجرة .

لم يكن الانسان حرا فى أن يربى ويعلم ابنه على ما يريد : تؤخذ الأطفال متى بلغت السابعة ، وتقسم صفوفا تتلقى تربية مشتركة على

نظام واحد • يعودونهم اللعب والعمل معا ، ويرأس كل صف أذكاهم وأبسلهم في القتال تتجه أليه أنظارهم يطيعون أوامره ويحتملون ما يأمر به من عقاب بلا تذمر • وهذه التربيه كانت تعودهم الطاعة ولا شك • كان الشيوخ يحضرون ألعابهم وتحدث بينهم أسباب الخصام والعراك ليروا حقيقة أخلاقهم ويتبينوا جرأتهم ، وما اذا كانوا لا يهربون من القتال • لا يأخذون من العلوم الأدبية الا الضروری وما بقي فمحصور فی تلقينهم الطاعة ، واحتمال المتاعب بشجاعته ، والانتصـــار فی المعارك • وكلما تقدموا فی السن أخذوهم برياضة أشد ، يحلقون لهم رءوسهم ويعودونهم السير بلا أحذية واللعب معا أكثر الوقت عراة •

ومتى بلغوا الثانية عشرة ، لا يلبسون جلبابا بل يعطى لكل منهم رداء فی السنه ويبقون قذرين لا يستحمون ولا يتعطرون الا فی أيام معدودة يسمح لهم فيها بتذوق هذا النعيم • ينام كل فريق فی غرفة على فراش من القش يصنعونه بأيديهم من أطراف العيدان التی تنمو على شاطیء نهر الاوروناس ، يجنونها ويقطعونها بأيديهم دون أن يستعملوا حديدا • وفی الشتاء ينامون على هذا القش مضيفين اليه بعض الشیء من الفحم القطنی وهو مادة مدفئة • وفی هذه السن تتطلع أعين العشاق الى الممتازين ، وتزداد عليهم رقابة الشيوخ • يلازمونهم فی ألعابهم ومعاركهم ، يقوم الشيوخ بذلك لا كتأدية واجب بل بحرص وعناية كأنهم أصبحوا آباء ومعلمين ومهذبی جميع الأطفال ، لا يخلو الولد فی وقت ولا مكان يرتكب فيه خطأ الا وجد من يوافيه ويعاقبه • يضاف الى ذلك أن معلمی الأطفال يختارون من خير الناس •

ويختار هؤلاء من كل فرقة أوفر شـبانها عقلا وشـجاعة على أن يكونوا قد تجاوزوا سن الطفولة بسنتين • يتولى زعيم الفرقة وهو فی العشرين من عمره قيادة فرقته فی القتال ويستعمل أفرادها أيام السلم فی خدمة الموائد • يكلف الكبار احضار الأخشـــاب والصغار احضـار الخضراوات والبقول ، يسرقون ما يحضرون سواء بتسلقهم أسوار الحدائق أو انسلالهم الى أماكن الموائد العمومية بمهارة وحذر • ومن أخذ منهم عوقب على اهماله وبلادته • يسرقون ما يستطيعون سرقته من اللحوم

ويفننون فى اغتنام الفرص ، يسرقون النوام والغافلين عن الحراسة يعاقبون من يقبض عليه بالجلد والحرمان من الاكل ، ولا يأكلون عادة الا قليلا • لأنهم مضطرون للحصول على حاجاتهم بأنفسهم ». فالجرأة والحيلة من لازماتهم الضرورية • وهذا هو الغرض الأول من التقليل فى اطعامهم ، وهناك سبب اضافى وهو أن الأجسام تطول قامتها متى كانت الأعضاء غير متعبة باستهلاك أطعمة تعطل نموها طولا ولا تسمح لها الا بالنمو عرضا • فكانوا ينمون بسهولة لخفتهم وتطول قاماتهم بلا عائق ولا معض • ويظن البعض أن ذلك من دواعي الجمال ، لأن الطبائع الرقيقة المرنه تلائم قوانين القوام المعتدل الجميل ، اما التى تثقلها السمنة والافراط فى الطعام فتفسد الجمال • وقد لوحظ أن الأولاد الذين تشرب والداتهم شرابا مطهرا أثناء الحمل يكونون أجمل خلقة لأن المادة التي تتألف منها اجسامهم خفيفة ، وقابلة للتكيف • وأولى بنا أن لا نجزم فى هذا الموضوع برأى خاص فلندعه لغيرنا يبحثه بحثا وافيا •

واليك حادثة تدل على شدة خوف الأطفال من افتضاح سرقاتهم • سرق أحدهم ثعلبا صغيرا وأخفاه تحت ثوبه ، وصبر على ذلك الحيوان يمزق بطنه بأظافره وأسنانه دون أن يبدى الولد صيحة ألم ومات فى الساحة العمومية حريصا على سره • لا نرى فى هذه الحادثة شيئا من الغرابة اذا اعتبرنا حالة شبان سبارطة اليوم ، فقد رأيت غير مرة شبانا يموتون صامتين تحت سياط الجلاد ، على مذبح « ديانا أورتيا » •

كان الزعيم بعد العشاء وقبل الانصراف عن المائدة يأمر أحد الأطفال أن يغنى ، ويلقى على غيره أسئلة • كان يسأله من خير رجال المدينة ؟ وما رأيه فى عمل ما ؟ وبذلك يعودون الأطفال من صغرهم على الفصل بين الصالح والطالح • وتعرف أخلاق الوطنيين لأن التردد فى الجواب على سؤال مثل : من الوطنى الصالح ؟! ومن سيىء السمعة ؟! كان فى نظر السبارطيين دليلا على النذالة وفقدان العواطف التى تحث على حب الفضيلة • وكان من الواجب أن يشفع الجواب بسببه ، والدليل عليه بإيجاز فى كلمات مهذبة جلية • أما الجواب المهمل فكان جزاؤه العقاب وهو أن يعض الزعيم ابهام (اصبع) المجيب ، وكان العقاب يحدث غالبا بحضور الشيوخ والحكام ، ليتأكدوا ما اذا كان العقاب الذى يوقعه

الزعيم عادلا وفي دائرة اختصاصه أو لا · لا يعرضون له أثناء توقيع الجزاء ، بل يدعونه حتى ينصرف الطفل فيعاقبونه بدوره اذا كان قد قسا في المعاقبة أو تراخى في اجرائها ·

وكان العشاق يشاركون الأطفال الذين يعشقونهم فيما يصيبهم من عار أو مجد ويقال ان طفلا وهو يقاتل آخر صاح صيحة دالة على عدم الشجاعة فحكم القضاة على عاشقه بغرامة · كان العشق في سبارطة طاهرا ، وكانت الشريفات من السيدات يعشقن بناتا ، أما الغيرة فلم تكن معروفة بين السبارطيين ·

كان العشق نوعا من الصداقة تربط بين المتعاشقين · يتنافسون فيما بينهم أيهم يجعل حبيبه أكثر مروءة وفضلا ·

كانوا يعودون الأطفال على أسلوب من الكلام حاد وقارص في ملاحة ورقة · يتضمن معاني كثيرة في كليمات قليلة · رأينا ليكورجوس يجعل النقود قطعا ثقيلة من الحديد لا قيمة لها · ولكنه في النقد البياني عمد الى العكس · أراد أن تكون الكلمات قليلة ولكنها ذات معان دقيقة وأفكار قيمة · كانوا يطبعون الأطفال على الصمت الطويل ويجعلون همهم في مناقشاتهم وفرة المعاني في قليل من الكلام ، فلئن كان الافراط في الفحش يضعف أعصاب الانسان وينهك قواه فكذلك الهذر في القول يجعله مبتذلا ساقطا خاليا من المعنى · سخر أثيني يوما أمام أجيس ملك سبارطة من سيوف السبارطيين القصيرة قائلا « ان المصارعين يبتلعونها بسهولة على مسارح اللعب » · فأجابه أجيس ، « وبهذه السيوف القصيرة نصيب أعداءنا عن بعد » · ورأيي أن خطب السبارطيين على ايجازها واضحة الغاية أشد وضوح ، سريعة النفوذ الى عقول السامعين ·

كان ليكورجوس ذاته قصير العبارة جلي المعنى ، يدلنا على ذلك ما بقي من أجوبته ، ومنها عبارته عن شكل الحكومة · أشار عليه بعضهم أن يقيم الديموقراطية في سبارطة فأجابه « ابدأ باقامتها في بيتك » · ومنها كلمته في الضحايا ، اذ سئل : لماذا لم تأمر الا بتقديم ضحايا صغيرة قليلة القيمة ؟ فأجاب « ليكون لنا دائما ما نكرم به الآلهة » · وقوله عن

المصارعة الرياضية : « لم أحرم على مواطني سوى القتال الذي تمتد فيه الأيدي » • يذكرون له أجوبة غير هذه جاءت في رسائله الى مواطنيه مثل جوابه على سائل سأله : كيف نستطيع دفع غارة الأعداء ؟ فكان جوابه ، متى كنتم فقراء ، لا يطمع أحدكم في نصيب أوفر من نصيب سواه • وقوله عن الأسوار :

« ما من مدينة بلا سور متى كان سياجها لا الطوب بل قلوب الشجعان » • على أنه لا يمكن الجزم بنفي أو اثبات هذه الرسائل وغيرها بلا تردد •

أما بغض السبارطيين للخطب الطويلة فدليلنا عليه العبارات التالية :

كان انسان يكثر في غير مناسبة كلمات لا تخلو من معنى فقال له الملك ليونيداس :«ما أقدرك على وضع الكلمات الطيبة في غير موضعها !»• وقيل لخاريلاوس : لماذا لم يسن ليكورجوس سوى قليل من الشرائع ؟ فقال لأنه يلزم قليل الكلام قليل من الشرائع وعيب على السوفسطائي هيكاتيه الذي أجيز له الاشتراك في الموائد العمومية ، عدم تفوهه بكلمة فقال أرخيداميداس : « ان من يعرف مواضع الكلام يعرف ــ أيضا ــ متى يجب الكلام »• هذه من طائفة من أجوبتهم القارصة التي تزينها اللياقة كما قدمنا • ــ تدفق وأمارات من أسئلة متنطع في غير موضعها كان يكرر سؤاله : من هو خير السبارطيين ؟ فأجابه :« أقل الناس شبها لك» • أثنى بعضهم أمام أجيس على عدالة أحكام الآلين في أعياد أولمبيا فقال « من أعجب العجب أن يعدل الأمبون يوما كل خمس سنوات » • باهى أجنبي باخلاصه للسبارطيين قائلا ، انهم في بلدنا يدعونني صديق السبارطيين ، فقال ثيوبوتب ليتهم يدعونك صديق مواطنيك • ــ نعى أحد كتاب أثينا على السبارطيين جهلهم فقال بلستوناكس :« صدقت نحن الوحيدون الذين لم نأخذ عنكم ما يضر » وسئل أرخيداميداس كم عدد السبارطيين ؟ فقال « عددنا ــ أيها الصديق ــ كاف لطرد الأشرار » •

ولو تتبعناهم في هزلهم ، لرأيناهم قد اعتادوا حتى في ذلك ألا ينطقوا سخفا أو يلقوا الكلام على غير هدى ، اقترح على سبارطي أن يذهب

لسماع رجل يقلد البلبل ، فقال « لقد سمعت البلبل ذاته » • وقال بعضهم بعد تلاوة البيتين التاليين : « بينما كانوا يطفئون الظلم افترسهم مارس الجبار ، هلكوا عند أبواب ساليمانت » • « حق عليهم الهلاك كان يجب أن يدعوا الظلم يحترق » • وعد شاب أن يعطى ديكة يقتل بعضها بعضا فى العراك بينها • فقال « لا أريدها أعطونى ديكة تقتل وهى تدافع عن نفسها » • ورأى أحدهم أناسا محمولين على حمالة فقال « معاذ الله أن أكون فى موضع لا أستطيع منه النهوض احتراما لشيخ » • هذه صراحتهم فى عباراتهم على أنه قد قيل بحق ان ايجازهم فى المران الجسدى كان أقل منه فى حب الحكمة •

كان ولعهم بالغناء والشعر الغنائى يعادل طلبهم الرقة والهناء فى اللغة • كان فى شعرهم ما يثير الشجاعة ويوحى الحماسة ويحمل على جلائل الاعمال أسلوبه بسيط قوى ومواضعهم جدية كفيلة بتكوين الاخلاق يطرى من ماتوا فى سبيل سبارطة ويذم من أظهروا الجبن يصور حياة هؤلاء بين الأحزان والتعاسة وكان معشما بين ما يلائم كل سن ، حاثا على التقدم الى الفضيلة أو اظهار ما يحسن أن يتجمل به الانسان • ويحسن بى أن أذكر بيانا لهذا المعنى ، أنهم كانوا يقيمون فى الأعياد ثلاث فرق غنائية مختلفة من حيث الأسنان ، فكان الشيوخ يقولون : « كنا فتيانا وشجعانا » فتجيبهم فرقة الشبان (ونحن اليوم كذلك (شبانا وشجعانا) اقترب « تربا ندر ») ، وتقول فرقة الأطفال : « ونحن سنكون يوما كذلك • وأوفر شجاعة » •

واذا ألقينا نظرة عامة على شعر السبارطيين وقد وصل الينا بعضه ، وعلى الألحان الحربية التى كانوا يرتلونها وهم سائرون لملاقاة العدو لرأينا أن تربا ندر وبندار لم يخطئا الصواب عند قولهما ان الشجاعة ترافق الموسيقى • قال الأول عن سبارطة : هناك تزهر شجاعة الجنود والأنغام الشجية والعدالة حامية المدن •• وقال بندار « هناك مجلس الشيوخ ، وفوارس الحروب ، يدهم على الرماح • وفرق المرنمين والأغانى والأعياد » • كلاهما يمثل لنا السبارطى شديد الولع بالموسيقى والحرب •• والحقيقة أن هناك شيئين متعادلين •• هزات الرماح ودقات المزاهر • كما قال الشاعر السبارطى •

كان الملك يقدم قبل الموقعة قربانا لآلة الموسيقى تذكيرا للجنود بما تلقوه من التربية وما سوف يحكم به عليهم ولتبعث فيهم الحمية فيخوضون المخاطر ويقومون بجلائل الأعمال • وفي هذه الحالة يتسامحون مع الشبان فيما يقتضيه النظام من الشدة ، يباح لهم أن يعنوا بشعورهم وثيابهم وأسلحتهم • وان موقفهم كالجياد الفتية تنتظر المعركة ، لمن أشهى ما تتوق النفس الى رؤيته حيث تبرق عيونهم جراة وكبرا وتزداد عنايتهم بتنسيق شعورهم قبيل اقتحام الخطر على أنها موضع اهتمامهم منذ الشباب واضعين نصب أعينهم قول ليكورجوس ان الشعور الطويلة تزيد الجمال هيبة والقبح رهبة • كانت تمارينهم في المعسكرات أخف منها في ميادين الرياضة وحياتهم الين وأفسح فالشعب السبارطي هو الشعب الوحيد الذي يجد في الحرب راحة من عناء المران والاستعداد للحرب •

ومتى اصطف الجند للقتال ولاقوا العدو وجها لوجه ، نحر الملك عنزة وأمر الجند بلبس التيجان والموسيقيين أن يرنموا على المزمار لحن كاستور وهو ذاته يغني نشيد الحرب ايذانا بابتداء الهجوم • ومن المناظر التي تجمع بين الجلال والرهبة ، مرأى الجنود يسيرون بخطى منتظمة على نغمات المزمار ، كل في صفه لا يخرج عنه • ولا أثر للخوف في نفوسهم يقتحمون الخطر بأقدام ثابتة ووجوه طلقة تخدرهم الأنغام الموسيقية • والحقيقة أن رجالا تسير بهم أمثال هذه العواطف لا يمكن أن يخامرهم خوف ولا يساورهم غضب ، ان صدورهم ملأى بالثقة والأمل والجرأة معتمدين على حماية الآلهة •

كان الملك يتقدم الى العدو ومعه مقاتل على رأسه تاج ويكون ممن فازوا في الألعاب اليونانية ، ويحكى لهذه المناسبة أن عرض على مصارع سبارطي مبلغ جسيم ليتخلى عن المصارعة في الألعاب الأولمبية فأبى ، وبعد أن صرع خصمه وقد شاقه مشاقة طويلة ، سئل : ماذا استفدت أيها السبارطي من انتصارك ؟ فقال باسما : « أصحب الملك في ميدان القتال » •

متى تغلبوا على العدو وأكرهوه على الفرار ، لا يتعقبون الهاربين الا الى حيث يتأكدون من النصر ، ويقفون لاعتقادهم أن ليس من المروءة

ولا من الشهامة ولا مما يخلق بشعب يوناني أن يتعقب ويقتل أناسا اعترفوا بالهزيمة وولوا الأدبار .

وهذا مسلك يجمع بين الفائدة والنبالة اللائقة بالنفوس الكبيرة ، يرى الأعداء أنهم يقبضون على من يقاومهم ويبقون على الهاربين فيؤثر الفرار على المقاومة .

زعم هيبياس السوفسطائي (١) أن ليكورجوس كان محاربا عظيما وأنه قام بعدة حملات . ويعزو فيلوستفانوس (٢) الى ليكورجوس تقسيم الخيالة الى دوائر يؤلف كل منها من خمسين فارسا وتكون مربعا . ولكن ديمتريوس الفالارى يدعى أن ليكورجوس لم يحمل السيف وأنه وضع نظام حكومته أيام السلم ومن المؤكد أن ايجاد فكرة « الهدنة » أيام الألعاب الأولمبية دليل على رقة خلقه وميله للسلام ومع كل فان هرمنتوس يروى عن بعض الكتاب أن ليكورجوس لم يكن يفكر في ذلك أولا ، ولم يقل عنه شيئا لأيفيتوس ، ولكنه حضر الألعاب أثناء رحلاته متفرجا ، حيث سمع خلفه صوت رجل يعيب عليه في استنكار عدم الزامه مواطنيه الاشتراك في عيد حافل كهذا ، التفت ليرى مخاطبه فلم يجد أحدا . وقع في روعه ان هذا تنبيه من الآلهة فقصد ايفيتوس ونظم معه معدات الأعياد فزادها بهاء وضمن استمرارها زمنا طويلا .

كان نظام التربية في سبارطة يخضع لقوانينه الرجال الكاملين لا تبيح لأحد حرية العيش على ما يريد . وكانت المدينة أشبه شيء بمعسكر يعيش فيه الأهالي على ما نصت عليه القوانين لكل عمله في الحكومة . وكلهم يعيشون على فكرة أنهم ليسوا ملك أنفسهم بل ملك الوطن . ومتى كانوا غير مأمورين بعمل وليس لديهم عمل ، تولوا مراقبة الأطفال وتعليمهم ما يفيد ، أو انقطعوا الى تعليم أنفسهم يأخذون العلم عن الشيوخ ، فمن خير ما أحسن به ليكورجوس على مواطنيه ، اخلاؤهم من العمل واكتسابهم

---

(١) من اليس ومعاصر لسقراط ، وقد سخر أفلاطون في محاوراته من ادعائه العلم بكل شيء .

(٢) مؤرخ وجغرافي ولد في سيرين وعاصر بطلميوس فيلادلفوس » .

الوقت الطويل بفضل ما حرم عليهم من الاشتغال بالأعمال الرابحة حيث جعلهم في غير حاجة لعمل يحصلون به ثروة وقد صار المال لا شيء أو شيئا حقيرا • كان الهيلوتيون يقومون لهم بتفليح الأرض ويدفعون لهم خراجا معينا • كان سبارطي في أثينا يوم قضاء ، فسمع أن قد حكم على رجل لأنه كان عاطلا • فلما عاد مع رفاقه الى منزله قال « أين ذلك الرجل الذى يحكم عليه لأنه يعيش عيشه الرجل الحر » • الى هذا الحد بلغ احتقارهم للفنون والصناعة ، وجمع الاموال • خرجت القضايا والمخاصمات من سبارطة يوم خرجت الاموال ، وهذا أمر طبيعى اذ لم يكن هناك ثراء ولا فقر • قضت المساواة على الفاقة ، واجتلب التقشف الخصب • لم يكن هناك سوى المراقص والولائم ، والتلهى بالصيد والقنص والمران على الألعاب الرياضية والمحادثات العامة ، لا يذهب الذين بلغوا الثلاثين من العمر الى الأسواق بل يقوم بقضاء حاجاتهم ذوو قرباهم او معشوقوهم، أما الشيوخ فكانوا يخجلون من ضياع الوقت فى شأن كهذا ، يقضون بياض نهارهم فى الألعاب الرياضية أو أماكن الاجتماع حيث يتجاذبون أطراف الحديث عن الفضائل غير مفكرين فى تجارة ولا ثروة • حديثهم اطراء الأعمال الصالحة وذم الطالحة فى أسلوب يجمع بين النقد والاستفادة •

لم يكن ليكورجوس عبوسا فقد قال عنه سوسيبوس (١) انه صنع بيده تمثالا صغيرا للضحك ، أراد به أن لا تفارق البشاشة الولائم المشتركة والألعاب فتكون ملحا يصلح مزاج العمل والمجتمعات • أراد أن يعود مواطنيه ألا يشعروا بالعزلة أو يعرفوها ، بل يكونوا كالنمل دائمى الاتحاد للمصلحة العامة • ملتفين حول رؤسائهم خارجا عن ذواتهم فى نوع من الانشراح الالهى وحب المجد مما ينعش النفوس فكانوا جميعا للوطن تعرف ذلك مما يروى عنهم من الأحاديث ، لم يفز بادارتيه بالانتخاب ضمن الثلاثمائة فعاد من الاجتماع جزلان راضيا ، لأنه يوجد فى سبارطة ثلاثمائة خير منه • كان بيز بسيستراتيداس بين الموفدين الى قواد الفرس فسألهم هؤلاء ، هل أنتم موفدون من قبل رئيسكم أو من قبل جمهوريتكم

---

(١) نحوى من سبارطة عاش فى عهد البطالسة الاول •

فاجابه اذا نجحنـــا فنحن موفدون من قبل جمهوريتنا والا فمن قبل رئيسنا » • جاءت جماعة من امفيبوليت الى سبارطة لزيارة ارخيلونيوس والدة برازيداس فسألتهم : هل مات ابنها شجاعا خليقا بابن سبارطة ؟ فاطراه الأجانب قائلين أن ليس فى سبارطة كلها أشجع منه ، فأجابتهم الوالدة ، لا تقولوا هذا أيها الأصدقاء كان ابنى شجاعا ولكن فى سبارطة كثيرون خير منه وأشجع » •

قلنا ان ليكورجوس انتخب رجال مجلس الشيوخ (السينا) من بين الذين عاونوه فى عمله ثم سن بعد ذلك شرعة مؤداها أنه اذا توفى شيخ انتخب بدلا منه أوفر الوطنيين فضلا ممن تجاوزوا سن الستين • وكان التنافس معركة من أمجد المعارك فى العالم وخير ما تبذل فيه جهود المتنافسين لم يكن القصد انتخاب أنشط النشطاء ولا أقوى الأقوياء بل أحكم الحكماء وأفضـــل الفضـــلاء ، يستمتع المنتخب طول حياته بأجر الفضيلة ، وهو السيادة التامة المطلقة فى الحكومة ، يحق له التصرف فى حياة وســمة الأهالى أى فى أهم مصـــالحهم واليك تفصـــيل عملية الانتخـــاب •

يجتمع الشعب فى الساحة العمومية ويجتمع المختارون (المرشحون) فى بيت مجاور لا يرون أحدا ولا يراهم أحد ولكنهم يســـمعون هتاف الجماعة لأن الشعب كعادته يرفع صوته عاليا • ولا يرى المرشحون سوى المكتوب على لوحة الدرجات الأول والثانى والثالث وهلم جرا • ولا يدخل المتنافسون الى الساحة دفعة واحدة بل يجتازونها الواحد بعد الآخر صامتين فمن كان موقنا كان الهتاف له أكثر وأقوى • كان المنتخب يتوج باكليل من الزهر ، ثم يذهب الى الهيكل يقدم الشكر للآلهة يمشى خلفه جماعة من الشبان يثنون على شمائله ويطرون فضائله ، ثم طائفة من النساء تنشد الأناشيد تهنئة بحياته الفاضلة • ثم يعد له كل من أصحابه طعاما • ويقول له ان المدينة تكرم فضله بهذا الطعام ، وبعد أن يزورهم جميعا يعود الى الساحة العمومية حيث يقضى الشئون عادة • غير أنهم يعدون له طعامين (حصتين) يترك أحدهما، وبعد تناول العشاء تحضر ذوات قرباه تقفن عند أبواب الساحة فيدعو أكثرهن احتراما فى نظره يقدم اليها الحصة الثانية قائلا ، أعطيت هذا جزاء الفضيلة وبهذه الصفة أقدمها

اليك ، فتصحبها النســـاء الى منزلها وتكون هي ايضـا موضعا للحفاوة والتكريم ٠

ولا تقل شرائع ليكورجوس عن الموتى والحيازات حكمة عن سواها ٠ فلكي يبعد الأوهام عن العقول لم يحرم دفن الموتى ولا اقامة المقـابر بالقرب من الهياكل فعود بذلك الشبان رؤية الموت وحال بينهم وبين الفزع من مشهده وتوهم الدنس من لمس الجثة أو الطواف حول المقبرة ولم يسمح بدفن شيء مع الميت ، انما يكفن في قماش أحمر وورق الزيتون وحرم كتابة الأسماء على المقابر الا أسماء الذين يموتون في ميدان القتال أو المرأة المكرسة لعبادة دينية ٠ جعل ليكورجوس مدى الحداد أحد عشر يوما ، وفي الثـــاني عشر يذهبون لأداء التقدمة للالهة سيرس فينقضي الحداد ٠ وذلك لأنه لم يرد بقاء القوم عاطلين زمنا طويلا ٠ اذ كان دأبه أن يجمع بين أداء الواجب الضروري والتشـجيع على الفضيلة وتقبيح الرذيلة ٠ لم يدع رواية في المدينة دون أن يقيم فيها الأمثلة والقدوات الصالحة يقتدي بها الوطنيون اذ يرونها نصب عيونهم على الدوام تجتذبهم بقوتها القاهرة الى الخير وتفرغهم في قالبه ٠

أما حرمان مواطنيه السفر والطواف في العالم فلأنه كان يخشى عليهم أن يجتلبوا عادات البلاد الأخرى والأمثلة السيئة ، أو يروا في الحكومة رأيا غير رأيه ٠ لقد فعل أكثر من ذلك ، طرد من سبارطة جميع الأجانب الذين أتوا اليها لغير مصلحة ٠ لم يكن منه ذلك ، كما زعم توسيديد خوفا من أن يقلدوا حكومته أو يتمرسوا بالفضيلة بل كان ذلك منه خوفا من أن يكونوا في سبارطة معلمين للرذيلة ٠ والحقيقة أنه لابد من أن يدخل مع الدخلاء في المدينة آراء جديدة ، ومع الآراء الجديدة ، وجهات نظر جديدة ، ولا تلبث هذه أن تلد أهواء ورغبات توقع الاضطراب في النظام كما تحدث الأصوات الناشزة عند الغناء اضطرابا في الأداء والتوقيع ٠ لذلك رأى ليكورجوس أنه تجب صيانة المدينة من الأخلاق الفاسدة بعناية أكثر مما يلزم لابعاد المرضى والموبوئين عنها ٠

يوجد فيما قدمنا أثر للظلم أو القســـوة التي يعيبونها على شرائع ليكورجوس ٠ يقولون انها صالحة لايحاء الشجاعة ولكنها قليلة الفائدة

في اقامة العدل . ولعلهم يقصـــدون ما يدعونه في سبارطة الغـــدر (أو الاغتيال) . اذ كان ذلك مما سنه ليكورجوس على ما زعم أرسطو الذى ادعى أفلاطون استياءه من حكومة المدينة ومشرعها .

وتفضيل هذه الشرعة ان الحكام كانوا يرسلون أشد الشبان حذرا وقوة يقطعون الطريق في المزارع غير مسلحين الا بالخنجر والمؤنة . يتفرق الشبان نهارا ويختفون في أماكن بعيدة عن الأنظار ، يستريحون فيها حتى اذا جن الليل يخرجون وينتشرون في مفارق الطرق يذبحون من يلاقونه من جماعة الهيلوت . وقد يغيرون نهارا على المزارع يقتلون أشد الهيلوتيين بأسا . قال توسيديد في تاريخ حرب البيلوبونيز ان السبارطيين اختاروا عددا كبيرا من رجال الهيلوت الممتازين بشـــجاعتهم لتحريرهم وتوجوهم بأكاليل الزهور وساروا بهم الى الهياكل ليقدموا واجب الشكر للآلهة على ما أصـــابوا من الحرية ، وحدث بعد ذلك أن اختفى أولئك المحررون وكان عددهم ألفين . لم يقل لنا أحد في ذلك العصر ولا فيما بعده كيف ماتوا ؟ ويقولون ـ أيضا ـ وأرسطو يؤيد القائلين ان النواب عند تسلمهم مهام الحكم ، يبدءون باعلان الحرب على الهيلوتيين حتى لا يعد قتلهم رجســا . وان الســبارطيين كانوا يعاملونهم حيثما وجدوا بأقسى ما يكون من القسوة . كانوا يكرهونهم على الافراط في شرب الخمر ومتى ثملوا ساقوهم الى ساحة الطعام العمومية ليرى الشبان ما هو السكر . وكانوا يكرهونهم على أن يغنوا ويرقصــوا « أغان ورقصات وقحة مزرية ويحرمون عليهم كل ما تحتوى عليه هذه الملاهي من خير وشرف » ويقال ـ أيضا ـ أنه حدث بعد ليكورجوس بزمن طويل أيام حملة الطيبيين على سبارطة ان الهيلوتيين أبوا أن يغنوا شيئا من شعر تارباندر والكيمان ، وسبباندون السبارطي لأن سادتهم حرموا عليهم ذلك .

وعليه يكون أجلى ما توصف به حكومة كهذه ، ان أحرارها كانوا على أسمى ما يكون من الحرية وعبيدها في أدنى ما يكون من العبودية . أما أنا فرأيي أن السبارطيين لم ينزلوا الى هذا الدرك من القسوة الا بعد ليكورجوس بزمن طويل . اشتدت وطأة القسوة بعد الزلزال الخطير الذى حدث سنة ٤٨٩ ق. م. انتهزه الهيلوتيون فرصـة للثورة فنهضوا لها بالاتفاق مع المسينيين ، وقد أنزلت هذه الثورة بالبلاد شر الويلات وعرضت

المدينة لأشد الأخطار . على أني لا أستطيع أن أنسب لليكورجوس بدعة هذا الضرب الأثيم من القدر ، اني أحكم عليه حسب أخلاقه ودعته وعدله ، تلك الخلال البارزة في مسلكه وهي التي شهدت لها الآلهة .

وما لبثت روح الأنظمة الجديدة أن انتظمت أخلاق الوطنيين فتوطد دعائم الحكومة الى درجة تستطيع معها البقاء والاحتفاظ بكيانها . قال أفلاطون ان الله لما أتم خلق العالم سر سرورا عظيما عندما رآه يتحرك حركته الأولى . كذلك سر ليكورجوس سرورا عظيما عندما رأى جمال شرائعه وجلالها تسير وحدها وافية بالغاية التي قصد اليها . حينئذ أراد أن يضمن لها جهد المستطاع بقاء خالدا وسلامة لا تشوبها شائبة . جمع مواطنيه كلهم وقال لهم انه أنشأ هذه الحكومة كما يجب لسعادتهم ودوام فضائلهم ولم يبق الا نقطة واحدة ، هي في الحقيقة أهم ما سبق . ولكنه لا يريد احداثها قبل استشارة وحي أبولون . حثهم على صيانة الشرائع بكل حرص وأمانة لا يغيرون فيها ولا يبدلون حتى يعود من دلفي متعهدا بتنفيذ ما يأمر به الاله ، عاهدوه على الطاعة التامة واستعجلوه في الرحيل . أخذ ليكورجوس اليمين على الملكين والشيوخ والشعب أن يحرصوا على الحكومة التي أنشأها ثم سافر الى دلفي . ولما وصل الى الوحي وقدم التقدمة الى الاله سأله اذا كانت شرائعه صالحة لسعادة السبارطيين وانماء الفضيلة بينهم ، فأجاب أبولون أن شرائعه عظيمة جديدة وأن سبارطة ستبقى أشهر المدن مادامت حافظة للأنظمة التي وضعها ليكورجوس ، كتب ليكورجوس جواب الوحي وأرسله الى سبارطة ، ثم أدى تقدمة أخرى وعانق أصحابه وابنه وارتضى أن يموت حتى لا يتحلل مواطنوه من قسمهم . كان في تلك السن التي يكون فيها الانسان من القوة بحيث يستطيع الحياة ، ومن النضوج بحيث يستطيع الموت اذا أراد . رأى جميع متمنياته محققة على وجه التقريب فأمات نفسه جوعا معتقدا أن موت السياسي أوفر فائدة لمواطنيه من حياته العاطلة .

هنا مجال فسيح للنظر في هذا الموقف العظيم للفضيلة والعمل . رأى أن يتم سعادته بعد ما قام به من جلائل الأعمال بالموت . رأى أن يحفظ لمواطنيه الذين أقسموا أن يحرصوا على شرائعه حتى يعود ، دوام ما اجتلب لهم مدة حياته .

لم يخب ظنه فقد بقيت سبارطه فى المقام الاول بين مدن يونانية متفرقة بفضل حكومتها الحكيمة محتفظة بمجدها مدة الخمسمائة سنة التى حرمت فيها على شرائع ليكورجوس · لم يحدث أحد من الأربعة عشر ملكا الذين تلوه فى الحكم من المشرع الى أجيس بن أرخداميس تغيرا ما فى الشرائع لان النواب لم يتهاونوا فى شأن من شؤون الحكومه بل ازدادوا حرصا على صيانتها · وكان فى ذلك الخير للشعب · ولكن قوة الارستوقراطيه احدث فى النمو ايضـــا · فى عهد اجيس تسربت النقود الى المدينه ومعها البخل والجسع · وفى ذلك العهد اجرى ليزاندور فى وطنه محبه المال والترف ، ولو انه لم يكن يسمح لنفسه ان تستهويها شهوة الذهب · وانتهى الأمر بأن تغلبت الأموال التى عاد بها من الحرب على شرائع ليكورجوس · اما ايام أحترام سبارطه تلك الشرائع فكانت اشبه ببيت عاقل حسن النظام منها بمدينة تسودها الحكمه · أو كما يقول الشعراء عن هرقل أنه طاف العالم لابسا جلد أسد وبيده « زقلة » يصهره من اولاد الخنا والطغاة الظالمين ، كذلك كانت سبارطه برســالة صغيرة وطاقية حقيرة تملى ارادتها على جميع بلاد اليونان فتدين سلطانها طائعة · تقوض أركان الظلم والاستبداد اللذين يرهقان المدن ، تحكم تبطل الحروب والفتن ، وكثيرا ما كان يحدث ذلك دون أن تجرد سيفا أو تدير ترسا ، لا يكلفها ذلك سوى ارسال سفير يخضع الجميع لارادته كما يعمل النحل متى رأى ملكه يسرع اليه ويصطف حوله · فما أعظم ما كان لسبارطة من هيبة وما اشتهر عنها من عدل !

يدهشنى بعد ما تقدم أن يقال ان السبارطيين لا يعرفون ســوى الطاعة ، أما القيادة فلا · انى أفهم ما يعلقون من خط على كلمة الملك تيونوتب ، قيل أمامه يوما ان سبارطة محتفظة بمقامها لأن ملوكها يعرفون كيف يقودون · فقال تيونوثب « الأولى أن يقال ان الوطنيين يعرفون كيف يطيعون » · ان الشعوب على ما أرى ، لا تخضع طويلا لمن لا يعرف كيف يقودها · ان طاعة الرعية ثمرة علم الراعى · فمن أحسن القيادة حسنت له الطـاعة · وكمـا أن الغرض من رياضـة الخيل هو كبح جماحها واخضاعها للشكيمة ، كذلك الغرض من السياسة الملكية هو افراغ الشعب فى قالب الطاعة ·

لم يخضع السبارطيون الشعوب لارادتهم فقط بل كانت الأمم تتنازع شرف رئاسة أحدهم عليها يخضع لأمره . لم يطلب منها الأجانب سفنا ولا مالا ولا جيوشا ، بل قائدا سبارطيا . ومتى فازت به أمة تقدمته اليها الهيبة والرهبة . على هذا خضع الصقليون لزعامة جيليب ، والكاليديون لزعامة برازيداس ، وجميع يونان آسيا لزعامة ليزاندز وكاليكراتيداس واجزيلاس . كان القواد السبارطيون يدعون حكام ومصلحى شعوب وملوك العالم . كانت سبارطة سيدة العالم فى فنى الحياة الطيبة والحكمة . وهذا ما دعا ستراتونيكوس (١) الى القاء عبارته الساخرة : « على الأثينيين أن يحفلوا بالأسرار والأعياد الدينية . وعلى الأثينيين أن يقيموا الألعاب العمومية التى برعوا فيها ، واذا أخطأوا تولى السبارطيون جلدهم » . كلمة أراد بها الضحك . ولكن انتستين السقراطى (٢) قال فى جد اذ رأى الطيبيين يفاخرون بانتصارهم فى ليكثر، انهم يشبهون تلاميذ يباهون بضرب معلميهم .

لم يكن من هم ليكورجوس أن يجعل سبارطة على رأس جملة شعوب لاعتقاده أن سعادة المدينة كسعادة الفرد ثمرة الفضيلة والنظام . فصد الى ذلك واحسن الوضع بحيث جعل الأهالى وهم أحرار مكتفين بأنفسهم يحرصون جهد استطاعتهم على الفضيلة . عنه أخذ أفلاطون وديوجنوس وزينون وجميع المؤلفين السياسيين آراءهم السياسية ، ولكنهم لم يتركوا سوى كتب وخطب . أما هو فقد أخرج للعالم ، لا فى الخطب ، بل فى الحقيقة جمهورية لا مثيل لها . وأقنع الذين يدعون أن الرجل الحكيم على ما حدده الفلاسفة لا وجود له ، انهم مخطئون . لذلك فاق مجده بحق جميع أمجاد مؤسسى الجمهوريات فى اليونان .

لذلك قال أرسطو ان السبارطيين لايوفون ليكورجوس ما يستحق من التكريم وان كانوا يكرمونه تكريما خارقا للعادة . أقام له السبارطيون هيكلا يؤدون له التقدمات كل سنة كأنه اله . ويقال ـ أيضا ـ انه لما أحضرت رفاته الى سبارطة انقضت الصاعقة على قبره ، ولم يحدث هذا لغيره من

(١) مؤسس المذهب الكلى ومعاصر لافلاطون .
(٢) موسيقى اثينى معروف بنكاته وملحه .

العظماء سوى أوربيد الذى مات بعد ذلك بزمن بعيد فى مقدونيا ؛ ودفن بالقرب من اراتوسن ، وهذه شهادة مجيدة وفى بها المعجبون به لأنها ميزة انفرد بها وحده بعد موته كافرس وأعز رجل على الآلهة ٠

يقول البعض ان ليكورجوس مات فى جبرها ، ويقول أبولوتنيس(١) انه نقل الى أوليد ، ويؤكد تيما (٢) واريستوكسين (٣) أنه أنهى أيامه فى كريت وأن الكريتيين يدلون على قبره بالقرب من الطريق الكبير ويقال انه ترك ابنا وحيدا وهو انتيوروس ومات بلا عقب فكان آخر أسرته ، أقام أصحاب وأهل ليكورجوس عيدا عاما يحيون به ذكراه ، بقى زمنا غير قليل ٠ يدعون أيامه باسـمه « الليكورجوسية » ويقول اريسـتوكرات ابن هيبارك (٤) ، انه لما مات ليكورجوس فى كريت أحرق الأهالى جثته وذروا رمادها فى البحر بناء على وصيته ٠ لأنه ان تعد رفاته الى سبارطة ، يتحلل السبارطيون من ايمانهم بحجة أنه عاد فيغير شكل حكومته ٠ هذا ما يعرف عن ليكورجوس ٠

---

(١) كاتب مجهول ٠

(٢) لعله تيما التوروموينمى الذى سبقت الاشارة اليه ٠

(٣) له ثلاثة مؤلفات فى الموسيقى نشرت باسمه فى مجموعة مايبوسيوس ٠ وله مؤلف فى سير الفلاسفة ٠ ولد سنة ٣٥٠ ق٠م ٠٠ وكان تلميذا لارسطو ٠

(٤) مؤلف غير معروف ٠

نـــوما

من سنة ٧٥٤ الى سنة ٦٧١ ق٠م ٠

تتناقض الأقوال في زمن حكم الملك نوما على أن السلالات متصلة اليه من جيل الى جيل ٠ حقيقه ان كاتبا يدعى كلوديوس يؤكد في مؤلف له عنوانه منافشات في الازمنه ، أن جميع السجلات ضاعت أيام أغار الغاليون على روما وأن الموجود منها مختلق اصطنعته أيدى البعض ، رغبة في اثبات سلسلة أنسابه الى قدماء الرومانيين ليفسحوا لأنفسهم مكانا في منازل العظماء ٠ يقال ان نوما كان صديق فيثاغوروس ٠ ويقال انه لم يكن يعلم شيئا من الآداب اليونانيه ، لأن الطبيعة وحدها هى التى كونته وحملته على التزام الفضيلة ٠ واذا كان قد تلقى العلم والأدب على أستاذ فيجب أن ينسب هذا الشرف الى رجل من البربر (الأجانب) أعلى كعبا من فيثاغوروس ، ويؤكد البعض أن فيثاغوروس لم يوجد الا بعد نوما بزمن طويل يقدر بخمسة أجيال على الأقل ٠ ولكن فيثاغوروس السبارطى الذى أحرز قصب السبق فى الألعاب الأولمبية للدورة السادسة عشرة التى حدث فى سنتها الثالثة انتخاب نوما ، قام برحلة الى ايطاليا وصار صديقا للملك وأعانه على تنظيم شئون مملكته ٠ هذا سبب ما نراه من الأنظمة السبارطية خلال النظم الرومانية ٠ ولكن النصائح التى تعزى الى فيثاغوروس هذا قد تكون آتية الى نوما عن طريق أصله السابى ، لأن السابيين يزعمون أنهم سلالة جالية سبارطية ٠ على أنه من المتعذر ضبط الزمن ، لا سيما اذا أردنا تطبيقه على الدورات الأولمبية التى انشأها أخيرا هيباس الأليسى ولا يستند الى وثيقة حقيقية ثابتة ٠ ومع كل سنروى ما وجدناه عن نوما جديرا بالذكر وفى الموضوع ذاته ما يدلنا على بدايته ٠

في السنة السابعة والثلاثين لبناء روما وحكم رومولوس وفي السابع من شهر يوليو وهو اليوم المعروف الان بيوم العذراى الكابرانيه ، ذهب رومولوس الى خارج المدينه ليؤدى تقدمه عامة بالقرب من غدير العنزة يصحبه جميع رجال مجلس الشيوخ والشعب كله تقريبا • تغير الجو فجاة تغيرا غريبا • انتشرت على الأرض غيمة كثيفة مظلمة وهبت رياح عاصفة فكانت زوبعة مخيفة • استولى الرعب على الجمهور فتفرقوا بددا واختفى رومولوس وسط هذه العاصفة ولم يجدوا حتى جثته • اشتدت لشبهة ضد الشيوخ وجرت الاشاعة بين الناس ، انهم ملوا الخضوع لسيطرة ملك فعملوا على التخلص منه ليستأثروا بالحكم • في الواقع أن رومولوس كان قد مال عليهم وعاملهم بالقسوة والاستبداد ولكنهم كسروا حدة هذه الأراجيف بتقديمهم الى رومولوس التقدمات الالهيه واقناع الشعب بأنه لم يحث وانه ينعم بحياة أوفر سعادة • وأكد لهم بروكولوس وهو من أكثر رجالهم شهرة مقسما أغلظ الأيمان أنه رأى رومولوس صاعدا الى السماء متقلدا أسلحته ، وانه سمعه يأمرهم بأن يدعوه كيرنيوس •

ولكن مسألة انتخاب ملك جديد أوقعت المدينة في الاضطرابات والفتن ، فلم يكن الأجانب قد امتزجوا بالوطنيين • وقع الخصام بين الأهالي وتمزقت كلمة الشيوخ كل يسيء الظن بالآخر • كان الكل مجمعين على ضرورة وجود ملك ولكنهم مختلفون في من ينتخبون ، ومن أيه أمة من الأمتين يختارونه • رأى الذين اشتركوا مع رومولوس في تأسيس روما، أنه من الظلم أن يدعي السابيون السيطرة على شعب دعاهم لمشاركته في المدينة وأراضيها • ويقيم السابيون البراهين التى لا تقل قيمة عن هذه بقولهم انهم بعد موت تاتيوس ملكهم لم يشقوا عصا الطاعة على رومولوس بل تركوا له الحكم هادئا مطمئنا وعليه يجب لهم في مقابل ذلك أن يختار الملك منهم • يضيفون الى ذلك أنهم يوم جاءوا الى روما لم يكونوا أقل قدرا من الرومانيين وأنهم زادوا في قوتهم زيادة كبيرة وجعلوا من مدينتهم تلك المدينة القادرة القاهرة ، ولكن الشيوخ خشية اضطراب الحال اتفقوا فيما بينهم أن يتولى كل منهم الحكم واحدا بعد واحد يقدم التقدمات المعتادة على ما كان يفعل رومولوس وأن تكون مدة حكمه ست ساعات نهارا وستا ليلا • رضى الشيوخ بهذا الاتفاق

لتداول السلطة بين أيديهم ويرى كل شيخ في كل نهار وفي كل ليلة وطنيا وملكـــا فتزول أسباب الغيرة ويطلق الرومانيون على هذا العهد (عهد ما بين الحكومتين) ٠

لم ينج الشـــيوخ رغم اعتـــدالهم وتقربهم للشـــعب من الريب والظنون والتذمر ضدهم ٠ اتهمهم الشعب بتحويلهم الحكومة الفرديه الى حكومه جماعه وأنهم يضمرون عدم انتخاب ملك ليبقوا الحكم بين أيديهم ٠ فاتفق الفريقان على انقاء هذه الظنون ان يعين أحدهما ملكا يختاره من الفريق الاخر ٠ هذه هي الطريقة التى ظن أنها خير ما يصلح الحال ، تحمل الملك المنتخب على العدل لعطفه على الفريقين يعطف على هذا الذى اختاره مدينا له بالملكية ، وتعطفه على الآخر لحمة القرابة ٠ ارتضى السابيون أن يقوم الرومانيون بعملية الانتخاب ورأى الرومانيون أن خيرا لهم أن يعينوا سابيا يختارونه هم من أن يقبلوا حكومة رومانى ينتخبه الســابيون ٠ وبعد المداولة قر قرارهم على اختيار نوما بونبليوس ، ولم يكن من السابيين الذين أقاموا فى روما ولكنه رجل أذاعت فضائله شهرته بين الجميع بحيث ان السابيين هتفوا عند سماعهم اسمه أكثر من الذين انتخبوه ٠ أعلن الانتخاب الى الشعب وأرسلوا وفدا من الفريقين الى نوما يرجون اليه المجيء لتسلم أزمة الملك ٠

كان نوما من كوريس وهى احدى مدن السابيين الشهيرة اخذ منها الرومانيون والسابيون الذين اكتسبوا حقوق الوطنية الاسم الذى أطلقوه على انفسهم الكيريت وهو ابن بونيونيوس رجل محترم وهو أصغر اخونه الاربعة ٠ وهو وليد توفيق الهى أذ ولد فى اليـــوم الذى وضـــع فيه رومولوس أساس روما ، الحادى عشر من شهر مايو حملته فطرته الطبيعيه على التحلى بالفضائل زادها كمالا بالعلم والصبر والفلسفة ٠ طهر نفسه لا من جميع الأهـواء المخجـلة بل من الأهواء التى يفخر بهـــا البربر (المتوحشون) كالقسوة والشراهة ٠ لاعتقاده أن الشجاعة الحقيقية هى اخضاع الشهوات لغير العقل وحرصا على هذه المبادىء أبعد عن بقية جميع أسباب الترف والفخفخة ٠ رأى فيه الأهالى والأجانب حكما عادلا لا غش فيه ٠ خص أوقات فراغه لا للسعى وراء التمتع بالملاذ ، ولا بجمع الثروة بل لتكريم الآلهة والسمو بعقله الى معرفة طبائعها وقدرتها حتى

اكتسب من الصيت الحسن والمجد ما حمل تاتيوس زميل روملوس في الحكم على اختياره صهرا له ، زوجه من ابنته الوحيدة ثاثيا • لم تستهوه هذه القرابة الى مغادرة موطنه والمقام بقرب حميه بل بقي في كوريس يعتني بخدمة والده العجوز وقد آثرت ثاثيا امرأته البقاء مع زوجها في بيته الخصـــوصي ناعمة البال قريرة العين على ما كانت تجد من أنواع الاحترام والتبجيل في روما وفي بيت أبيها يقال ان ثاثيا توفيت بعـد زواجها بثلاث عشرة سنه فهجر نوما بعدها المدينه واعتاد سكنى الريف وكان من دواعي السرور عنده أن يتنزه منفردا بين خصاص الالهه والمروج المقدسه والاماكن الخربة • وظني أن هذه الحياة كانت سببا لما أشيع عنه من اتصاله باحدى الالهات •

ظن القوم ان لا الضجر ولا الحزن هما اللذان حمـلا نوما على الابتعاد عن الناس ، بل انه وجد أليفة أسمى وان الهة وجدته خليقـا بعهدها وأنه صار زوجا للالهة أجيرى تغدق عليه خيرات حبها فصار بفضل المقام معها سعيدا عالما بجميع الأمور الالهية وفي هذا ما يشبه ما توارثه الأبنـــاء عن الآباء من الخرافات كالتي يرويها الفريجيون عن أتيس والطيبيون عن هيردوتوس والاركاديون عن انديميون وغيرهم مما يروى عن رجال أسعدهم الحظ بصداقة الالهات لا بأس ، لا بل من الطبيعي أن الله الذي يحب الخيول والطيور ، بل الناس ، يرضى مخاطبة الممتازين بفضائلهم ولا يأبى محادثة التقي الورع • أما ان الها أو ذاتا الهية تتصل بجسد انسان فان تتعشق جماله ، فهذا ما لا يسهل تصديقه • ويذهب المصريون في ذلك مذهبا خاصا اذ يرون أنه ليس محالا أن تقترب روح الاله من امرأة وتبذر فيها غرسا ولكن لا يستطيع بحال أن يتصل أو يتخذ جسديا بالهة • ولكن هذا لا يتفق مع المبدأ المعروف أن كل ذات تتصل بمادة تترك فيها جزءا منها وتأخذ منها جزءا لا يقل عن ذلك في الحقيقة ، ان الآلهة تود الناس • ومن هذه المودة ينشأ فيهم ما يدعى حبا • وما هو منهم سوى عناية خاصة بتكوين أخلاق من يحبون وجعلهم فضلا • هذا ما يمكن تصديقه وبهذا تفسر أحاديث الشعراء عن حب أبولون لفورباس ، وهيانث وأدميت وهيبوليت البسيوني ويقال ان هيبوليت لم يكن يركب البحر من مدينته الى غيرها الا اذا شعر أن الآلهة بقربه وفرح بعودته ، حتى يوحى الى متسلم الوحي أن ينطق بهذا الشعر الحماسي •

« هيبوليت ذلك الرأس الغزير يجتاز البحر ويعود » ويقال ـ أيضا ـ ان « بان » أحب بندرا وشعره وان الآلهة أكرمت هزيود وارخيلوك بعد موتهما وانهما كانا عزيزين على آلهة الشعر ، وان الاله اسكولاب أقام في مسكن سوفوكل هدة حياته ولايزال هناك حتى اليوم أدلة على هذه الزيارة وأن بعد موته قام له اله آخر بالواجب الأخير • اذا كان هذا شأن الآلهة مع الشعراء فهل نستطيع في غير عدل أن ننكر عليهم تكريمهم ، أمثال : زالوكيس ومينوس وزرادشت ونوما وليكورجوس وهم حكام ومؤسسو جمهوريات ؟ ألا يجدر بنا أن نقول ، ان داعيا خطيرا يحمل الآلهة على مواصلة هؤلاء العظماء ؟ وجب عليهم أن يأتوا ليوحوا اليهم مشروعاتهم المجيدة وتشجيعهم على تنفيذها فى حين أنه اذا صح اتصالهم بالشعراء والموسيقيين فلا يكون لغير شيء سوى التلهى • واذا رأى أحد غير هذا ، فالمجال فسيح • كما قال أكيليدس ، فلا بأس من الاعتقاد بما ذهب اليه بعض المؤلفين أن ليكورجوس ونوما وغيرهما من العظماء ممن تولى قيادة جماهير خشنة الطباع شديدة المراس ادعوا لقبول ما أرادوا احداثه من التغييرات صدورها عن الآلهة : تخيل وافر الخير حتى لمن خدعوا •

كان نوما فى الأربعين من عمره عندما وصل اليه وفد روما يرجوه قبول الملكية • قام بمخاطبته بروكلوس وفالازيوس اللذان وقع عليهما الانتخاب الأول من الرومانيين والثانى من السابيين ، لم يكن خطابهما طويلا ولم يشكا في أن نوما سيتلقى الخبر الذى يحملانه اليه كنعمة كبيرة ولكنهما لم يجدا السبيل لاقناعه سهلا • كان لابد لهما من تقديم الأسباب المعقولة والرجاء لاقناع رجل اعتاد العيش بين الراحة والسلام ، بقبول حكومة مدنية ولدت في الحروب ونمت فى ظل السلاح • أجاب بحضرة والده وماريوس أحد أقربائه بما يأتى :

« فى كل تغيير يحدث فى حياتنا خطر علينا أما من لا يعوزه شيء ولا يشكو حالة فمن الجنون أن يعدل عن عاداته ويغير من شـــأنه وأن يستعيض عما هو مؤكد الفائدة بما لا تؤمن عقباه كما يستفاد مما حدث لرومولوس فقد الصقت به تهمة قتل زميله تاتيوس وتركه التهمة لاحقة برجال مجلسه بعد موته بأنهم هم الذين قتلوه •

مع أن الشيوخ يحتفلون بذكرى رومولوس بصفته ابن الآلهة . يقولون ان رومولوس غذى فى طفولته وأنقذ بعناية الهية خاصة . أما أنا فمن البشر غذيت ونشأت بين رجال تعرفونهم وما تمتدحونه في من الصفات ليست ما يلزم لرجل يقدم على تولى الحكم .

ان ما أحببته دائما هو الراحة والدرس بعيدا عن مهام الأشغال وما يلازمها انى أحس بميل شديد للسلام ، للرياضة البعيدة عن الحرب ، لتلك المجتمعات التى تشتغل بتكريم الآلهة التى تمتع بالمسرات البريئة يعود منها الى حراثة الأرض ورعاية القطعان .

أما أنتم ـ أيها الرومانيون ـ فقد خلف لكم ـ رومولوس ـ حروبا يحتمل أنكم لم تكونوا تودونها . ان المدينة محتاجة في مقاومتها الى ملك ممتلىء حماسة وفي عنفوان الصبا . لقد اعتاد هذا الشعب الحروب والنصر يغرى بشجاعته ويعلم الكل أنه لا يريد سوى التوسع والسيادة على الشعوب الأخرى . فيكون من المضحك خدمة الآلهة وتعويد الأهالى العدل وبغض الحروب واحتمال الشدائد فى أمة حاجتها الى قائد جيوش أشد منها الى ملك .

قابل الرومانيون ما قدمه نوما من الأسباب لرفض الملكية بالالحاح الشديد وتوسلوا اليه ألا يرمى بهم ثانية بين الاضطرابات والحروب الأهلية لأنه الرجل الوحيد الذى ارتضاه الفريقان . ولما انسحب بذل والد نوما وماريوس الجهد لاقناعه بقبول هذه المنحة الجميلة الالهية .

« اذا كان لك من ثروتك ما يغنيك ولم تكن فى حاجة الى كنوز : اذا كنت لا تطمع فى مجد محقق فلتصبر على الأقل انه فى تولى الحكم خدمة للآلهة . ان الاله الذى يدعوك اليوم ، لا يريد أن تبقى العدالة التى اقترنت به عاطلة لا أثر لها . فلا تقاوم ارادته . لا ترفض الحكم انه مجال يأتى فيه الرجل العظيم جلائل الأعمال هناك يستطيع أن يكرم الآلهة أكبر تكريم بإخضاع الرجال لعواطف التقوى بما يقدمه الملك من القدوة الصالحة المؤثرة » .

لقد أحب الرومانيون تاتيوس وهو غريب عنهم وأكرموا ذكرى روملوس بتكرمات دينية ، ومن يدرى اذا لم يكن هذا الشعب المنتصر قد مل الحروب وشبع من النصر والأسلاب وتاق الى رجل يحب العدل يقيم خير الشرائع التى تكفل لهم السلام ؟ واذا بقى ذلك الشعب على ميوله وشهرته الحربية ، ألا يكون من الخير تحويل هذه الحمية الى شئون أخرى متى قبضت على أعنة الحكم • تجمع كلمة الوطنيين وتوثق روابط المودة بين السابيين وأهالى المدينة العامرة الرهيبة ؟ ويقال ان فألا حسنا أيد هذه الأسباب ، وزادها رجاء مواطنيه الذين أسرعوا اليه عندما سمعوا بقدوم وفد روما ، ألحوا عليه في السفر وقبول الملكية ليوثق الاتحاد والألفة بين رجال الأمتين •

ومذ قبل قدم تقدمة للآلهة وسافر الى روما فاستقبله رجال مجلس الشيوخ والشعب يحدوهم الشوق لرؤيته ، هتفت له النساء هتاف الفرح وقدمن التقدمات فى الهياكل وشمل الفرح الجميع حتى كأنهم لا يستقبلون ملكا بل مملكة • ولما وصل الى الفوروم (ساحة المدينة)، شرع سيوريوس فتيوس القائم بالحكم فى اجراء الانتخاب فاجتمعت الأصوات على انتخاب نوما وقدموا اليه الشارات الملكية • فطلب اليهم نوما أن يتريثوا حتى يتأكد من رضى الآلهة فأخذ طائفة من الكهنة والعرافين وصعد الى الكابيتول الذى يدعوه الرومانيون حينذاك تل تاربيا فألقى على وجهه رئيس العيافة غشاء وأداره نحو الجنوب ووقف خلفه • ونوما يده اليمنى على رأسه وصلى وأدار نظره فى جميع الجهات ليرى ما تعلنه الآلهة بطيران العصافير أو علامات أخرى • وكان السكون الرهيب يخيم على تلك الساحة المكتظة بالناس والكل ينظر ما يحدث الى أن ظهرت أخيرا طيور حسنة الطالع سائرة الى اليمين وحينئذ لبس نوما الرداء الملكى وتوسط الشعب فعلا هتاف الفرح يحيى الجميع الملك يلقبونه القديس ابن القديسين وأعز انسان على الآلهة وكان أول عمله بعد توليه الملك الغاء فرقة الحرس وهى مؤلفة من ثلاثمائة جندى ، وهى التى كان روملوس يقيمها حوله وكان يدعوها السريعة لخفة رجالها فى الجرى • لم يرد نوما أن يظهر عدم الثقة بمن وثقوا به ولم يرد الا الحكم بين أناس يثقون به ثقة تامة • ثم زاد على كاهنى جوبيتر ومارس كاهنا آخر لرملوس ، ودعاه فلامين كبيرينال •

وفلامين كلمة مأخوذة من لفظة بكلاتين اليونانية ومعناها القبعة الحمراء وهي التي كان يلبسها الكهنة • وذلك لأن الكليمات اليونانية كانت كثيرة التداول بين الرومانيين في ذلك العصر كذلك كلمة لين التي تطلق على أردية الملك مأخوذة من « كلين » اليونانية وكاملوس وهو الاسم الذي كان يطلقه بعض شعوب اليونان على مرقير لأنه وزير أو (رســـول) الآلهـــة •

وبعد هذه الاصلاحات التي أكسبته عطف الشعب ورضاه لم يضع نوما لحظة من الوقت • أخذ يلين أخلاق الوطنيين كما يلين الحديد وأن يبدلهم من ميولهم القاسية الحربية عواطف أرق وأعدل ، كانت روما حينذاك المدينة الثائرة التي تكلم عنها أفلاطون • صنيعة أجرأ الرجال وأبسلهم في القتال اجتمع أبناؤها من كل حدب عاشوا بين الحملات والحروب المتوالية تحت قوتها بفضل السلاح وكانت المخاطر يزيد قدمها رسوخا كما يزداد الوتد تمكينا بالدق • كان نوما يعلم انه من الصعب جدا أن يحمل هذا الشعب المتكبر الحربي على حب الســـلم فاستعان بالدين ، متوسلا باقامة الأعياد وتقديم القرابين واقامة المراقص يدبرها بنفسه ويخفف من حركتها بما يودع فيها من أسباب السرور وهو بهذا راض تلك الطبائع الهائجة وهذب من سورتها ، وكان يعمد أحيانا الى الافضاء اليهم بأحاديث المعجزات المخيفة التي أظهرتها اليه الآلهة : رؤى غريبة وأصوات تهديد ، وأخيرا أفلح في تهدئة تلك النفوس وثناها تحت سلطة الدين •

كان هذا المســـلك داعيا للقول بأن نوما مدين بحكمته لتعاليم وصداقة فيثاغوروس والواقع أن أساس حكومة نوما ومبادىء الفيلسوف هما عبادة الآلهة والرياضة الصالحة ، ويقال أيضـــا ، انه ذهب مذهب فيثاغوروس في ابراز جميع ما يعمله في شيء من المباهاة • فقد راض الفيلسوف نسرا حتى جعله يوقف طيرانه متى دعاه وينحط على راسه • وكان في الألعاب الأولمبية يمر بين الجماعات مظهرا فخذه الذهبي وكم من حيلة تعزى اليه وكم معجزات ، حملت تيمون الفليازى (١) على القـــول :

---

(١) شاعر هجاء اشتهر بهجائه الفلاسفة التقليديين وكان من أهل الشـك على مذهب بيرهون معلمه لا يحب الخلط بينه وبين تيمون النفور الذي عاش قبله بقـرن •

« فيثاغوروس صاحب البيان الساحر الجشع فى حب المجد »
« الذى كان يأسر الناس بخطبه الخطيرة الفخمة » ٠

وفى الناحية الروائية من حياة نوما حبه لاحدى الالهات أو عذارى الجبال تلك الصلة التى سبق لنا الكلام عنها ، وأحاديثه المزعومة مع الهة الشعر ٠ وكان يعزو الى هذه أكثر ما أوحى به اليه وسن للرومانيين شرعة تكريم احداهما ودعاها (تاسيتا) (الصامتة أو الخرساء) ، وكأنه قصد بها ذكرى وتقديس الصمت الذى سنه فيثاغوروس كحميه ٠

أما أوامره عن تمـــاثيل الآلهة فكانت شـــديدة الشـــبه بتعاليم فيثاغوروس وكان الفيلسوف يعتقد أن الذات أو الروح الأولى لا تدرك ، ولا تحس ولا ترى ، معصومة من الفساد كلها « ادراك » ٠

حرم نوما على الرومانيين أن ينسبوا للآلهة شكل انسان أو حيوان ولم يكن بينهم فيما مضى صورة ولا تمثال الهى ٠ وظلوا مدة المائة والسبعين سنة الأولى لا يضعون فى هياكلهم ولا معابدهم صورة ماثلة ، معتقدين أنه من الكفر تمثيل « الأكمل » فى « الأحقر » وأنه لا سبيل لمعرفة الله الا بالفكر ٠ وكذلك كانت تقدماته مطابقة للتقاليد الفيثاغورية لا يستخدم فيها الذبائح بل الدقيق والفول وأشياء بسيطة أخرى ٠

ويستشهد الذين يتمسكون بوجود صلة بين الرجلين بأدلة محسوسة يقولون ان الرومانيين منحوا فيثاغوروس حقوق المدينة يذكرون تأييدا لدعواهم شهادة أبيشارم وهو شاعر هزلى روى ذلك فى مؤلف أهداه الى انتنور وهو شاعر قديم كان تلميذا لذلك الفيلسوف (١) ودليلهم الثانى ان نوما دعا أحد أبنائه الأربعة مامركوس اسم أحد أبناء فيثاغوروس ونسلت من هذا الابن أسرة الأميليين،وهى من أنبل وأشرف عائلات الشيوخ أما اسم أميليوس فهو اسم تحبب أعطاه الملك لابنه للدلالة على رقة طبعه ولطف حديثه (ميليوس كلمة يونانية تؤدى ذلك المعنى) وقد سمعت بنفسى غير مرة فى روما أن الوحى أمر الرومانيين أن يقيموا فى المدينة

(١) خطأ تاريخى لان الشاعر ابيشارم عاش سنة ٤٥٠ قبل الميلاد وكان معاصرا لسقراط ٠

نصبا لأوفر رجال اليونان حكمة وآخر لأوفرهم شهامة . فأقاموا فى الفوروم نصبين من (النحاس) أحدهما لفيثاغوروس ، والآخر لالسبياد .

على أن هذا الرأى كثير الشك ومن البله والسخف أن نطيل فيه الحديث اثباتا أو نفيا .

ويعزى الى نوما – أيضا – انشاء وتعظيم كلية الكهنة المدعوين الأحبار (السادة) وتولى رئاستها وكلمة بونتيف فى عرف البعض مأخوذة من أن أولئك الكهنة كانوا يخدمون الآلهة القادرة على كل شىء وسيادة كل شىء ، لأن كلمة صاحب القدرة أو السيادة فى اللغة اللاتينية (بونس) .

ويزعم البعض أن هذه الكلمة تعين شرطا « لو كان فى الامكان » وذلك لأن الشرع لم يعين على الكهنة سوى التقدمات التى يستطيعون تقديمها ولا يجعلهم مسؤولين اذا عاقهم عائق مشروع . ولكن أغلب الكتاب مجمعون على أصل أراه مضحكا ، اذ يزعمون أن كلمة بونتيف فى عرفهم معناها الجسور وأطلقت على الكهنة نظرا للتقدمات التى كانوا يقدمونها فوق الجسور وهى أقدم وأقدس من سواها .

وفى الواقع ان كلمة جسر فى اللغة اللاتينية « بونس » يضيفون الى ذلك أن صيانه واصلاح الجسور لم تكن أقل وجوبا على الكهنة من التقدمات غير المعينة ولا الحفلات القومية عدا أن الرومانيين يعتقدون بحكم الدين أنه من الرجس تحطيم جسر (كوبرى) من الخشب (١) ويزعمون أن هذا الجسر أنشىء بلا حديد متماسك وأياد خشبية طبقا لما أراد الوحى ولم يبن الجسر الحجرى الا فى عهد أميليوس . ويقال – أيضا – أن الجسر الخشبى لم يكن موجودا فى عصر نوما . وانه بنى فى عهد حفيده مارسيوس ، يقوم الكاهن الأكبر بوظيفة المفسر والعراف لا يقوم بالتقدمات العامة فقط بل يراقب – أيضا – من يقدمون التقدمات الخصوصية ويحرص على الا يتعدى أحدهم الأوامر الدينية وهو الذى يتولى تعليم الجميع ما يجب عمله لتكريم الآلهة أو تسكين غضبهم .

---

(١) كوبرى (جسر) سابليسيوس مشهور فى مفاخر روما الجمهورية .

ومن وظيفة الكاهن الأعظم مراقبة العذارى المقدسة (فستال) اذ يقال ان نوما هو الذى أنشأ نظامها يعهد اليهن العناية بالنار المشتعلة على الدوام والحرص على الطقوس والتقاليد ولعل نوما رأى أن مادة النار الطاهرة النقية ، لا يصح أن يعهد فى رعايتها الا لأجسام طاهرة بلا دنس ولعله لاحظ الشبه الجامع بين اللهب العقيم بطبيعته والبتولة والواقع أن فى بيشنو وأثينا (اليونان) حيث تشعل النار على الدوام لا تحرسها العذارى بل الأرامل اللاتى تجاوزن سن زواج ثان واذا حدث ما أطفأ هذه النار كما انطفأ المشعل المقدس فى أثينا أيام ظلم أريستيون ، وفى بيثو حين أحرق الميديون الهيكل ، وفى روما أيام حرب ميرايداد والحروب الأهلية حيث التهمت النار الهيكل والمذبح • ومتى حدث هذا كان من المحرم اعادة اشعالها بنار عادية بل يجب احداث نار جديدة فيقتبس من الشمس لهب طاهر نقى • يعملون لذلك اناء مقعرا يقسم داخله الى زوايا متساوية حادة تتجه جميع أضلاعها الى مركز واحد تعرض هذه الأوانى للشمس فتعكس جميع الأشعة من جميع نقط محيطها وتتحد فى المركز المشترك يشف الهواء وينقسم فيحصل من الانعكاس طبيعة وقوة النار وتشعل فى الحال المواد الجافة الخفيفة التى تعرض لها •

يزعم بعض المؤلفين أن وظيفة العذارى المقدسة منحصرة فى صيانة النار الدائمة فقط ويقول غيرهم ان هناك أشياء أخرى كان يباح لهن النظر اليها • وقد ذكرت فى سيرة كاميل كل ما يعرف ويقال عن هذه الأسرار • ويقال ان نوما بدأ بتعيين اثنتين فقط وهما جيجانيا وفارانيا ثم زاد عليهما اثنتين ، هما : كانولينا وتوبيا ثم زاد عليهن سرفيوس اثنتين والى هذا الحد بقيت حتى اليوم •

سن نوما للعذارى العفة مدة ثلاثين سنة العشر الأولى لتلقى العلوم ، والعشر الثانية لممارسة العمل والثالثة لتعليم الناشئات • ومتى انتهت هذه المدة كان لهن الخيار فى أن يتزوجن أو يتركن المعابد أو أية عيشة يردن • ولكنهم يؤكدون أن قليلات منهن اللاتى استفدن من هذه الحرية ، ومن فعلت منهن لم تجد ما يسر بل قضت بقية حياتها بين الندم والحزن

فكانت مثلا يدخل الخوف الدينى الى نفوس زميلاتها ، فيؤثرن البتولة الدائمة على الزواج .

وقد منحهن نوما امتيازات عظيمه مثال ذلك يرثن في حياة والدهن ويتمتعن بحقوق الزوجه التي لها ثلاثة أولاد ، فتدبر أمرها كما تريد بلا رقيب ومتى خرجت احداهن سارت المشاعل أمامها ، واذا قابلن مجرما يساق الى القتل خلى سبيله بشرط أن تقسم العذراء أنها قابلته على غير اختيار صدفة لا تدبير فيها . واذا مر أحد تحت الحمالة التي تقلهن كان ذلك ذنبا موجبا للموت . أما اذا اقترفت عذراء ذنبا عاقبها الكاهن الأعظم بالجلد يوقع عليها القصاص فى مكان مظلم سحيق وهى عارية لا يسترها سوى ثوب رقيق ، أما التى تخون دنزر بتولتها فتدفن حية بالقرب من باب التل . يوجد في ذلك المكان داخل المدينة « رجمة كبيرة » يدعونه المدخل أنشأوا فيه حفرة ينزلون اليها من فتحة فى ظهر الأرض وأودعوا الحفرة سريرا وسراجا مضيئا وقليلا من المؤنة الضرورية للحياة . قليل من النبيد والخبز والماء وجرة لبن وقليل من الزيت كأنهم يخفون قصدهم من اماتة انسانة مقدسه جوعا . توضع المحكوم عليها على حماله تغلق غلقا محكما يشد عليها بالحبال بحيث لا يسمع صوتها ثم يجتازون بها الساحة العمومية وحينئذ يصطف الناس في حزن وصمت عميق . مشهد لا يوجد فى روما أفظع منـه ولا يـوم مثله ، تـرى فيه المدينة غارقة فى الكدر ومتى وصلت الحمالة الى مكان التنفيذ يحل رجال المشاعل عنها الوثائق ويؤدى رئيس الكهنة صلاة سرية رافعا يده الى السماء ، ثم يجذب المقضى عليها من الحمالة وعليها غشاء وتوضع على السلم الذى تنزل منه الى الحفرة ثم يعود مع باقى الكهنة . ومتى نزلت الى قاع الحفرة رفعوا السلم ثم يغطون الحفرة بأن يكدسوا عليها التراب حتى يساوى الأرض هذا جزاء العذارى اللاتى يخن عهد دنزر بتولتهن .

ويقال ان نوما هو الذى أنشأ هيكل فيستا المستدير لتحفظ فيه النار المقدسة ولم يكن الشكل المختار شكلا يمثل الأرض المعتبرة انها فستا ، بل الكون الذى تشعل النار فى وسطه حسب عقيدة الفيثاغورسيين ويدعونها (فستا والمونادا) لأنهم لا يعتقدون أن الأرض ثابتة ولا أنها فى مركز الدائرة بل يعتقدون أنها تدور حول النار ولا يحسبونها من

افضل ولا أول الأجزاء التى يتألف منها العالم ويقال ان أفلاطون قبل شيخوخته أخذ بهذا المبدأ وهو ان الأرض ليست مركز الكون بل تدع ذلك المقام الشريف الى عنصر اطهر • وقد سنت الأحبار طقوس الجنازات وقد علمهم نوما أن ليس فيها ما يدنس بل يجب تكريم آلهه الجحيم الذين يتلقون خير عناصر ذواتنا وبينهم الالهة ليبتين برعاية حقوق الموتى كأنهم يخلطونها مع الاله بروزيريس او فينوس كما يفعل أشهر علماء الرومانيين ينسبون الى الهة واحدة ميلاد وموت الناس أما مدة الحداد فجعلها مناسبة لسن المبكى عليه ، لا حداد على من مات دون الثالثة من عمره ومن ثلاثة الى عشرة يحد عليه بنسبة شهر عن كل سنة عاشها لا يزاد عليها ولا يتجاوز أطول حداد عشرة شهور وهذه مدة ترمل الزوجات اللاتى فقدن أزواجهن • أما التى تتزوج قبل مضى هذه المدة فيجب عليها أن تضحى بعنزة سمينة حسب شريعة نوما •

وقد أنشأ نوما ــ أيضا ــ عدة طوائف من الكهنة نذكر منها اثنتين لدلالتهما على تقوى الملك وهما طائفة الساليين وطائفة الفاسينو • يؤدى هؤلاء مهمة المحافظة على السلام وقد أخذوا اسمهم من مهمتهم اذ يقومون بتسوية كل خلاف بالطرق الودية ولا يسمحون بحمل السلاح الا متى يئسوا من الصلح ومن عادة اليونانيين الا يدعوا صلحا الا ما تم الاتفاق عليه بالطرق العقلية • أما الصلح بالاكراه فلا يذهب كهنة السلام الرومانيون بأنفسهم مرارا الى الشعوب التى تسئ الى الجمهورية ، ويبذلون الجهد للتفاهم معهم واذا لم يفوزوا باصلاح الخطأ أو الترضية استشهدوا الآلهة ونادوا بالويل والثبور طالبين من الآلهة أن تصب على رءوسهم اذا لم تكن مطالب بلادهم عادلة ثم يعلنون الحرب • اذا اعترض السلميون على الحرب أو أبوا الموافقة عليها حرم على الجنود الرومانيين والملك حمل السلاح • كان يجب أن يسمحوا للأمير بالقتال باعلانهم أن الحرب عادلة فيأخذ الأمير فى تدبير وسائل تنفيذها •

يقال ان غارة الغاليين على روما حدثت بسبب مخالفة هذه العادة المقدسة وذلك أن البربر حاصروا كلوزيوم فأرسل الرومانيون فابيوس لينوستوس اليهم مندوبا لمفاوضتهم فى رفع الحصار فلم يرضه جوابهم ، فاعتقد أن مهمته قد انتهت وأقدم بحدة وعناد الشباب على حمل السلاح

فى جانب الكلوربين فأثار حمية أبسل شعوب البربر الى حرب شعواء طاحنه ، إذ قهر حصمه وقتله وجرده من السلاح • وهناك عرفه الغاليون فارسلوا مناديا الى روما يشـــكون فابيوس لحمله السلاح ضدهم رغم اليمين ومن كل شريعه وبدون اعـلان الحرب • فقرر مجلس الشـيوخ بعد أخذ رأى طائفه السلميين تسليم فابيوس للغاليين ولكنه لجا الى الشعب فأيده ونجا من عقاب الموت فلم يحجم الغاليون عن المسير الى روما فخربوا جميع ما فيها ما عدا الكابيتول وقد شرحت تفاصيل هذه الحادثه فى سيرة كامى •

أما طائفـــة الساليين « الراقصين » فقد انشـــأها نوما للمناسبة الآتيـــة :

حدث فى السنة الثامنة لحكمه ان وباء انتشر فى ايطاليا واجتاح روما فامتلات قلوب الشعب حزنا ، ثم قيل انه فى يوم ما سقطت ورقه نحاسيه من السماء بين يدى نوما فأخذ الملك يروى عنها أحاديث غريبه زعم انها علمها عن الالهة أيجبرى وآلهة الشعر قائلات على زعمه ان هذه الورقة أرسلت لنجاة المدينة،وانه يجب الاحتفاظ بها مع وضع احدى عشرة أخرى تشـــبهها فى صورتها وحجمها وشكلها بحيث لا يميز أحد بين المصنوع والأصل منها ويجب أن يكرس محل سقوطها والمروج المحاطة به لآلهة الشعر لأنها تتردد على هذه المروج ، ثم يجب جعل الينبوع الذى يرويها الاغتسال « العذارى » يأخذن منها الماء كل يوم لسقاية وتطهير الهيكل وقد جاء انقضاء الوباء مصدقا لقوله أخذ نوما الورقة « الترس » وعرض على الصناع عمل مثلها فعجزوا جميعا الا فاتوريوس ماموريوس أمهر الصناع فقد أجاد صناعة الاحدى عشرة الأخرى اجادة تامة بحيث ان نوما ذاته لم يعد يفرق بين الأولى وبينها • فرأى الملك أن ينشىء طائفة الراقصين للعناية بهذه التروس واختار لها هذا الاسم ، لا نسبة الى ساليوس الساموتراس أو ماتينه مخترع الرقص المسلح ، بل نسبة الى ما تقوم به هذه الطـــائفة من ضروب الرقص ، من تلك القفزات التى يحدثون عند طوافهم فى شهر مارس اذ يسيرون فى موكب بهذه التروس المقدسة فى شوارع روما لابسين أردية من الأرجوان وعليهم زرد من النحاس يقرعونها بسيوفهم القصيرة • ينحصر رقصهم فى حركات أقدامهم

فى خطى متوازنة مختلفة ودورات ولفات سريعة متقنة يأتونها فى خفة ونشـــاط ٠

وبعد أن فرغ نوما من نظام الكهنوت أنشأ هيكلا لفستا فى قصر يدعى بيت الملك يسكنه عادة يقـــدم فيه التقدمات ويعلم الكهنة ويجادلهم فى شئون العبادة وكان له مسكن آخر فى جبل كيرينال باق حتى اليوم ٠ وكانت العـــادة فى المواكب العمومية أو تضرعات الكهنة أن يتقدمهم المنادون فى شـــوارع المدينة ينادون بالتزام الصـــمت والانقطاع عن العمـــل ٠

ينكر الفيثاغوريون على الناس أن يعبدوا الله أو يصـــلوا له وهم يجرون ، اذ يجب فى عرفهم أن يخرج الناس من بيوتهم على هذه النية مستعدين لها ٠ لذلك رأى نوما أنه يجب على الوطنيين فيما يختص بعبادة الآلهة ان لا يعملوا شيئا باهمال أو عن طريق العادة بل يجب عليهم ترك جميع شواغلهم وأن يصرفوا بعقولهم الى ذلك العمل وهو أشرف أعمال التقوى ٠ وعليه يجب الامتناع عن الضوضاء والصياح والأنين الذى يلازم الصـــناع ٠

لاتزال بقية هذه العادة قائمة حتى اليوم ٠ متى قصد الفال أو استشارة الوحى أو القيام بتقدمة يصيحون بأعلى الصوت « اعملوا هذا »، ويراد بذلك دعوة الحضور الى استجماع قواهم النفسية والانتباه ٠

ولا تقل شرائع نوما الأخرى شيئا عن تعاليم الفيثاغورسيين : يحرم هؤلاء الجلوس على الأشجار وتحريك النار بخنجر والنظر الى الوراء عند السفر ٠ ويأمر بأن يكون عدد التقدمات للآلهة السماوية فرديا، كذلك كانت تعاليم نوما تنطوى على معان خفية مثل تحريم الغسول للآلهة من خمر كرم لم يقلم أو تقدمة بلا دقيق ، وأمر بالقيام بدورة مستديرة أثناء العبادة والجلوس بعد الفراغ منها والظاهر أن الغرض من الأمرين الأولين الحث على زراعة الأرض لجزء من الدين ٠ وكان الغرض من الدورة حول الآلهة على ما يقال تقليد حركة دوران من كل عمل وبعدنا عن كل شاغل ٠

تمكنت هذه التربية الدينية من روما حتى جعلتها من الطاعة والاعتقاد بقدرة نوما اعتقادا غريبا بحيث لا يصعب عليه أمر مهما يكن متى أراده ، ويقال فى ذلك انه دعا جماعة كبيرة لتناول العشاء وقدم لهم وعاء واحدا عليه طعام تقشف مبتذل جدا • وبينما كان القوم يهمون للجلوس حول المائدة قال لهم « هذه آلهتى آتية لزيارتى » وفى الحال رأوا المنزل مليئا بالأوعية الفاخرة ومدت على الموائد أشهى وألذ الأطعمة فى أعظم أبهة •

أما ما يروى عن محادثته مع جوبيتر ففوق كل خرافة • •

لم يكن جبل افانتين داخلا فى زمام روما ولم يكن مأهولا ويقال ان ينابيعه الغزيرة وأشجاره الكثيفة كانت الكون ، وبما أن الهيكل كان متجها الى الشرق وظهر المصلى للشمس فكان الغرض على ما أظن أن يواجه المصلى الشمس ليكون فى حضرة الآلهة • وبهاتين الحركتين يتم دورة كاملة يفرغ إثناءها من صلاته • وألا يكون فى هذه الدورات اشارة الى العجلات المصرية ؟ ألا تفيد عدم ثبات شىء بشرى وأنه يجب علينا الخضوع لارادة الله حينما يدور ويؤثر فى حياتنا ؟ أما الجلوس بعد الصلاة فهو من باب الفأل الحسن ، بأن الصلاة قبلت ، وأن الخيرات المرجوة ستكون دائمة ويقال فى ذلك أيضا ، ان الراحة تفصل بين أعمالنا فاذا انتهى العمل الأول استراح العاملون أمام الآلهة ، ليبدءوا بعده عملا آخر • وكان غرض المشرع من ذلك على ما قدمنا الا نصلى الى الله ونحن فى شغل آخر كأننا نلهو أو نجرى ، بل تكون الصلاة متى خلونا من عزاز الالهتين (بيكوس وفونوس) اللتين يمكن مقارنتهما « بساتير » و « ربان » ، علما أن تلك كانت تطوف ايطاليا تحدث فيها بفضل بعض الأدوية والتعاويذ السحرية ما ينسبه اليونانيون الى داكتيل • ويقال ان نوما أسر تلكما الالهتين بما أودعه من خمر وعسل فى الينبوع الذى كانتا تستقيان منه عادة ، وأخذت الالهتان تغيران من زيهما وتتراءيان فى اشكال رهيبة ولكنهما رأتا أن قيودهما لا ترخى فظهرتا لنوما وكاشفتاه بأمور مقبلة وعلمتاه التفادى من الصواعق بواسطة البصل والشعور وشخوص •

ويقول البعض ، ليست الالهتان هما اللتين علمتاه هذا التفادى بل أنزلتا بسحرهما جوبيتر • اغتاظ الاله وقال لنوما لابد لعمل الفداء من رؤوس •• فقاطعه نوما بقوله « بصل » فاستمر جوبيتر قائلا ، أناس فأراد نوما اجتناب هذا الأمر القاسى فقال بشعورهم ، فأجاب جوبيتر حية فأسرع نوما بقول شخوص والتى أوصت اليه بهذه الحيل هى العذراء ايجيرى •

عاد الاله جوبيتر راضيا وأطلق على هذا المكان اسم أيللسيوم وصارت أجوبة نوما القاعدة فى اتقاء الصواعق •

تدلنا هذه الخرافات المضحكة على مبلغ ما وصل اليه رجال ذلك العصر من التأثر بالسلطه الدينية والى اى حد من الخضوع بلغ بهم نوما • أما هو فكانت كل آماله مرتكزة على الحماية الالهية ، حتى انه قيل له يوما ان الأعداء دنوا فقال باسما أما أنا فانى أقدم للآلهة •

كان نوما أول من بنى هيكلا « للايمان » وللاله « حد » « ترم » وهو الذى علم الرومانيين أن أعظم قسم هو يمين الأيمان وهو القسم الذى يقسمون به حتى اليوم •

أما الحد الترم فهو الاله الذى تقدم اليه التقدمات العامة على حدود الحقول • يقدمون اليه اليوم ضحايا حية • على أنها كانت تجرى قديما بدون اراقة دماء : لأن نوما أدرك على نور العقل أن اله الحدود حارس السلام وشاهد العدل يجب أن يكون طاهرا من كل دماء ، وأظنه هو الذى وضع حدود أراضى روما • ولم يفعل رومولوس ذلك لأنه لو كان عين ما يملكه لأظهر ما اغتصبه من الآخرين • والحقيقة أن الحدود اذا حفظت كانت عائقا فى سبيل القوة ، واذا أهملت كانت شهادة على الظلم • وكانت حدود روما فى أول عهدها ضيقة جدا ولكنها اتسعت بسلاح رومولوس • قسم نوما الأراضى الجديدة على فقراء الوطنيين ليقضى على البؤس وهو سبب الفساد ولكى يحول الشعب الى الزراعة • والرومانيون بتفليحهم الأرض دمثت اخلاقهم • لأن لا شىء يحمل على الرغبة فى السلام أكثر من الحياة الزراعية • تحفظ على الرجال شجاعتهم الحربية فى الدفاع عن أملاكهم بقوة السلاح ولكنها تنزع منهم شهوة الجشع التى تغريهم باغتصاب أملاك الآخرين • قام نوما رغبة فى حمل الأهالى على حب الزراعة

كخير وسيلة لحملهم على حب السلام والتهذيب من أخلاقهم بأكثر مما تغنيهم ، بتقسيم الاراضى أقساما دعى كل منها « ضيعه » وجعل على كل منها مراقبين ومحكمين • وكان يزورها بنفسه يشهد اثر العمل فى اخلاق الأهالى ، يكرم الممتازين بنشاطهم ويؤنب الكسالى ويصلح اهمالهم •

وخير نظم نوما هو تقسيمه الشعب حسب الصناعات لأن المدينة كانت مؤلفة من أمتين أو حزبين مختلفين لا يرغبان فى ائتلاف ولا ازالة الفوارق التى تجعلهما كشعبين كل غريب عن الاخر لا ينقضى بينهما نزاع ولا خصام • وكما أنه اذا أريد خلط أجسام صلبة غير قابله بطبيعتها للامتزاج لابد من تحطيمها وجعلها قطعا صغيرة فيسهل مزجها كذلك فعل نوما ازالة لأسباب الشجار وكسرا لشرة الخلاف قسم الشعب الى فرق صغيرة تحولت همتها الى مصالح أخرى ، فرقة الموسيقيين وفرقة الصياغ وفرقة النجارين وفرقة الصباغين والدباغين والحدادين وصناع الفخار ••• الخ •

وجعل لكل فرقة جمعياتها وأيام اجتماعاتها وحفلاتها الدينية كل حسب أهليته • فأخذت الفوارق تتلاشى بين السابيين والرومانيين مواطنى تاتيوس ورومولوس بعد شدتها وبدأ التآلف وتم امتزاج الوطنيين فى قالب واحد •

ويمتدحون لنوما أيضا شرعته التى لطف بها القانون الذى كان يخول للآباء بيع أبنائهم ، فاستثنى الأبناء الذين يتزوجون برضى والديهم لأنه رأى أن من القسوة ان امرأة تتزوج رجلا حرا ترى نفسها زوجة عبد •

ثم اشتغل بتنظيم النتيجة التاريخية ولئن جاء اصلاحه غير واف الا أنه لا يدل على جهل • لم يكن متبعا فى عهد رومولوس قاعدة نظامية فمن الأشهر ما كان عشرين يوما وما كان خمسة وثلاثين يوما وأكثر ولم يكن يخطر ببالهم شيء عن الفرق بين دورتى القمر والشمس بل كانت غاية همهم أن السنة ثلاثمائة وستون يوما ، ولكن نوما أدرك أن الفرق بين الدورتين أحد عشر يوما ، لأن القمر يتم دورته فى ثلاثمائة وأربعة وخمسين والشمس فى ثلاثمائة وخمسة وستين يوما،فضاعف الفرق وجعله

شهرا قائما بنفسه مرة اثنين وعشرين يوما يدخله الى النتيجة كل سنتين بعد شهر فبراير · ودعا الرومانيون هذا الشهر مارسيدونوس على أن هذا العلاج كان سببا لاحداث آخر أوفي وأكمل ·

ونوما هو أيضا أول من غير ترتيب شهور السنة ،اذ جعل مارس الذى كان أول شهور السنه الشهر الثالث ، واستبدل به يناير وهو الحادى عشر فى عرف الرومانيين وكان شهر فبراير احر السنه فصار الثانى ومهما يكن فمن المتفق عليه أن نوما هو الذى اضاف شـــهرى يناير وفبراير الى السنة الرومانيه التى لم تكن سوى عشرة شهور فلا نزال سنوات بعض البربر ثلاثه شهور · وكانت السنه عند اليونانيين والاركاديين اربعه شهور · ويقال ان المصريين كانوا لاول عهدهم يعدون السنة شهرا واحدا ثم أربعة ، ومن اجل هذا يتراءى لنا لاول وهله ان هدا الشعب الذى يسكن مدينة جديدة بعيد المدى فى التاريخ ، نرى فى تاريخهم عددا كبيرا من السنين لأنهم كانوا يحسبون الشهر سنة والذى يدلنا على أن سنه الرومانيين كانت عشرة شهور فقط أن اسم الشهر الأخير ديسمبر الذى لايزال جاريا حتى اليوم (العاشر) أما أن شهر مارس كان أول شهور السنة فظاهر من الترتيب الحالى لأن الشهر الخامس ابتدأ من مارس يدعى كانتيليس (الخامس) يتلوه السادس والسابع ·· الخ · فاذا قلنا ان شهرى يناير وفبراير كانا قبل مارس كانت تلك التسمية خطأ · اذ يدعون خامسا ما هو فى الحقيقة سابعا · ومع كل فان أشـــبه رأى بالحقيقة أن مارس الذى كرسه رومولوس لعبادة ذلك الاله يكون فى المقام الأول · ثم شهر أبريل المشتق منه اسم أفروديت وهو الشهر الذى تقدم فيه الرومانيات التقدمات الى هذه الالهة ويغتسلن فيه وعلى رؤوسهن أكاليل من الأرجوان وقد اختلفت الأقوال فى ذلك الا أنه الشهر الذى يفتح فيه الربيع أكمام الزهور كما ينم على ذلك اسمه اللاتينى ابريليس يتلو هذين شهر مايو ويونيو ، الأول نسبته الى الالهة مايا وهو مكرس للاله مارقير والثانى من جونون · ويزعم البعض ان هذين الاسمين متفقان مع كلمتى الصبا والشيخوخة حسبما تدل عليه معانيهما فى اللغة الرومانية · أما بقية الأشهر فقد بقيت على ما هى عليه الخامس ، الســـادس ، السابع ، الثامن ، التاسع ، العاشر · ومن ثم حدث أن الخامس دعى

يوليوس تكريما لقيصر الذى قهر بوبيه والتالى أغسطس لقب الامبراطور الثاني وقد استبدل دوشيان باسمى سبتمبر وأكتوبر لقبين من ألقابه ، ولكن ذلك لم يدم طويلا بعد قتله • فأعيد الى الشهرين اسماهما الأولان ، وبقى الشهران الأخيران على حالهما • أما الشهران اللذان أضافهما نوما أو بدل مواضـــعهما وهما فبراير ومعناه التطهير حسب مدلول الكلمة اللاتينية وفيه تقدم الضحايا للموتى ويقام عند لوبركال وهو يشبه كثيرا عيد التطهير (١) •

أما يناير أول شهور السنة فقد نحت اسمه من جانوس وظنى أن نوما أبى افتتاح السنة بشهر مارس وهو اله الحرب لأنه كان يؤثر الصفات المدنية على الحربية وجانوس هذا سواء كان الها أو ملكا كان معروفا منذ القدم أنه صديق المدنية والسلام وأنه عدل بالناس عن الحياة الهمجية ولذلك يدعونه بوجهين وذلك لتمكنه بأساليبه وسلوكه أن يوفق بين وجهى الحياة •

يوجد فى روما هيكل باسم جانوس له بابان يعرفان ببابى الحرب لأن العادة تقضى بفتحهما ابان الحرب واغلاقهما ابان السلم • ولم يكن أندر من أن تراهما مغلقين • لأن الامبراطورية لسعتها لم تكن تنقطع عن الحرب للدفاع عن نفسها من غارات البربر الذين كانوا يحيطون بها •

أغلق هذا الهيكل بعد انتصار قيصر أغسطس على انطوان وأغلق قبل ذلك فى عهد قنصلية ماركوس اتيليوس وتيتوس مانيليوس ثم أعيد فتحه لتجدد الحرب أما فى عهد نوما فلم يفتح يوما ما وبقى محكم الغلق مدة ثلاث وأربعين سنة اذ خمدت جذوة الحروب لا فى روما فقط بل وفى كل مكان • ولم يكن الشعب الرومانى وحده الذى عملت به رقة وعدالة وشفقة الملك بل تأثرت بهذه الفضائل جميع المدن المجاورة كأن ريحا طيبة حملت نسمات السلام من روما الى جميع الشعوب فأخذ كل فى اصلاح شأنه وتهذيب خلقه وطاب الجميع أنفسهم للاستمتاع بالرفاهية فى ظل الشرائع الحكيمة والســلام يعمل لزراعة أرضـه وتربية بيته وتكريم

---

(١) انظر سيرة رومولوس •

الآلهة • فلم يكن الانسان يرى فى جميع أنحاء ايطاليا سوى الأعياد والمراقص والولائم والتزاور بلا خوف ، والضيافة ، كأن حكمة نوما ينبوع غزير يفيض العدل والفضيلة على جميع العالم وكأن الهدوء نشر من نفسه الوادعة فعم جميع القلوب لذلك يقال ان الشعراء رغم مبالغاتهم لم يفوا وصف سعادة ذلك الزمن « لقد نسجت العنكبوت السمراء خيوطها على الخلق والزرد وأكل الصدأ الرماح بأسنتها الحادة والسيوف ذات الحدين ، ولم يسمع صوت النفير يزعج النوم الهادىء من بين الجفون (١) •

ولم تحدث فى عهد نوما حرب ولا فتنة ولا رغبة فى تغيير نظام الحكم • لم يجلب على نفسه بغض أو حسد أى انسان فلم يجسر أحد على المؤامرة ضده أو احداث أى شغب وقد يكون ذلك خوفا من الآلهة التى منحت رضاها بأكثر من دليل • أو احتراما لفضائله أو هو الحظ الموفق الذى عصم الناس مدة حكمه من الدنس والفساد فكان حكمه مثلا ساطعا وبرهانا قاطعا على صدق تلك الحقيقة السياسية التى اجترأ أفلاطون بعده بقرون على اعلانها،وهى أنه ليس خيرا للناس ولا أنجع لشفاء أمراضهم وآلامهم من أن تجمع الآلهة فى يد رجل بين السلطة والفلسفة فتعيد الى الفضائل قوتها وتنصرها على الرذيلة وما أسعد حظ الرجل الفاضل أو ما أسعد حظ من يسمع ويعى الكلمات التى تخرج من فم الحكيم ! بها لا يكون الشعب فى حالة اكراه أو تهديد • ان الشعب الذى يرى فى رئيسه أجمل ما يقتدى به فى الفضيلة يحول وجهه راضيا نحو الحكمه نجمعه المحبه والوفاق فيمارس العدل والقناعه ليعيش تلك العيشة النقية السعيدة التى هى آكمل غاية ترمى اليها جهودنا فأولى الناس بالحكم هو الذى يعرف كيف يغرس فى نفوس شعبه هذه العواطف ويحملهم على سلوك هذه الجادة • هذا ما أفلح فيه نوما أكثر من أى ملك •

(١) قطعة من قصائد باخيلين الموجودة فى مجموعة سنوية وهى غير كاملة هنا لان ملوكارخيوس استملاها ذاكرته بدل ان ينقلها غير مدع الامانة فى النقل •

وقد اختلفت أقوال المؤرخين في عدد زوجات وأبناء نوما فمن قائل انه لم يتزوج غير « تاتيا » التي رزق منها ابنته الوحيدة بوبليا ومن قائل انه تزوج من سواها ورزق أربعة أبناء كانوا رؤساء لأكبر العائلات الكريمه في روما وهم : بونبونيوس ، بينوس ، كالبوس ، مامير كــوس ولكنهم يتهمون القائلين انهم أرادوا الزلفى لدى هذه العائلات بنسبتها الى نوما . كما يقولون ان بوبليا ليست ابنته من تاتيا . بل من امرأة أخرى تدعى لوكريس تزوجها عند اعتلائه العرش . ومن قائل غير ذلك ولكنهم مجمعون على أن بوبليا تزوجت من مارسيوس وهو ابن ماسيوس الذى أقنع نوما بقبول الملك وجاء معه ونال درجة السناتور (عضو فى مجلس الشيوخ) وهو الذى نازع بعد موت نوما ، تالوس هوستليوس ، الملك فقهر وانتحر أما ابنه فأقام فى روما ورزق ابنا دعاه أنكوس مارسيوس الذى تولى الملك بعد تالوس هوستليوس ولم يكن عمره عند وفاة نوما أكثر من خمس سنوات . لم تحدث وفاة نـوما فجـأة بـل أصيب بداء الهزال وأطفأت الشيخوخة مصباح حياته شيئا فشيئا وكان قد نيف على الثمانين .

وقد زادت التكريمات التى حفت بها جنازته جلال حياته اذ اجتمعت الشعوب الموالية في روما يحملون الهدايا والأكاليل وحمل الشيوخ النعش على أكتافهم وسار الكهنة فى جنازته ومعهـــم النساء والأطفال فصارت كأنها ليست جنازة مليك مات كبير الســـن . بل جنازة صديق عزيز اقتطفته يد المنون في ربيع حياته . يذرف الجميع الدمع ويرسلون نفثات الألم والأنين . لم تحرق جثته لأنه حرم ذلك على ما يقـــال بل صنعوا له نعشين من الحجارة دفنا تحت الجانوكول وضعوا فى أحدهما الجثة وفى الآخر الكتب المقدسة التى خطها بيده كما كان يفعل المشرعون اليونانيون اذ يكتبون شرائعهم وكان فى حياته قد علم الكهنة ما انطوت عليه هذه الكتب وشرحها لهم وأمرهم أن يدفنوها معه لأنه لم ير من اللائق أن تصون هذه الأحرف الميتة تلك الأسرار . يقال من أجل هذا السبب يأبى الفيثاغورسيون كتابة مبادئهـم بل يكتفون بتلقينها لمن يجدون فيه جدارة واستحقاقا .

وقد حـدث أنهم ألقوا مرة الى رجل غير خليق بالعـلم نظريات وشروحات هندسية لم تكن معروفة فغضبت الآلهة وهددتهم بعقاب صارم تنزله على الشعب لما اجترأوه عليه من تدنيس وكفر •

فلا يجب علينا بعد هذا التشابه أن نشدد النكير على القائلين ان نوما وفيثاغورس كانا متعاصرين • يزعم أنتياس أنهم أودعوا النعش الثاني اثنى عشر كتابا لاتينيا في الدين واثنى عشر كتابا يونانيا في الفلسفة ويقال ــ أيضا ــ انه حدث بعد أربعمائة سنة أن هطلت الأمطار مدرارا ، وكان ذلك في عهد قنصـلية بوبليوس كورنوليوس وماريوس بابيوس فكشف المطر عن النعشين فوجد الأول فارغا لا أثر فيه للجثة أما الكتب فبقيت محفوظة في الثاني وقد تناولها « باتليوس » وكان اذ ذاك يطالعها ثم أقسم أمام الشيوخ أنه ليس من الدين ولا من العدل نشرها بين الشعب فأحرقت •

من مميزات رجال العدل والفضيلة أن يزداد مجدهم بعد موتهم اذ لا يدوم الحسد بعدهم طويلا وقد يموت قبلهم ولكن النكبات التي توالت على خلفاء نوما زادت مجده بهاء وجلالا • أعقبه خمسة ملوك أنزل خامسهم عن عرشه وقضى شيخوخته في النفي • ومات من الأربعة الآخرين ثلاثة غدرا ، أما تولوس هوستيليوس الذي تولى الحكم بعد نوما مباشرا فكان دأبه السخرية من سلفه ومن تقواه الدينية متهمه بتعويد الرجال النذالة وتخنثهم فحول أنظار الرومانيين الى الحرب ، ولكن هذا الخئون لم يطل وانقلب الى نقيضه لما أصابه من مرض عضال فهوى حتى الأخذ بخرافات وترهات لا تتفق في شيء مع تقوى نوما فأنكره الشعب ولما انقضت الصاعقة على الملك فمات محروقا ازدادت في نفوس الناس المخاوف •

الموازنة

بين ليكورجوس ونوما

أما وقد فرغنا من سرد سيرتى ليكورجوس ونوما فلنقارن بين الرجلين بلا تردد ولنظهر ما بينهما من خلاف .

فى أعمالهما ما يكفى للدلالة على الفضائل المشتركة بينهما الحكمة مثلا والرحمة وعلم صناعة الحكم والكفاية ، فى تقدم الشعوب وما ابتكره كل منهما فى اسناد عمله الى الآلهة ذاتها ، أما اذا نظرنا اليهما من حيث أعمالهما الشخصية العظيمة فظهر الفرق بينهما . نوما يقبل الحكم وليكورجوس يتنازل عنه راضيا ، أحدهما يناله بلا طلب والآخر يرده وهو بين يديه . أحدهما اختاره شعب غريب ليكون ملكا عليه والآخر ملك يرد نفسه الى مقام العامة . جميل جدا ولا شك أن يحصل الانسان على الملكية جزاء فضله وأجمل من هذا أن يؤثر الانسان الفضل على الملك . أذاع الفضل صيت نوما حتى جعله أهلا للملك ولكنه جعل ليكورجوس عظيما يحتقر الملك .

واليك فارقا آخر بين الرجلين : لقد غنى كل منهما ، لو جاز لنا هذا التعبير ، صوتا يخالف الآخر ، أحدهما فى سبارطة شد أوتار الحكومة التى أرخاها الترف والخلاعة ، فأما الآخر فقد أرخى ما توتر وتصلب فى روما . وكانت الصعاب القائمة فى وجه ليكورجوس من أشد ما يلقى الانسان لم يرد مواطنيه على التجرد من دروعهم وسيوفهم بل أرادهم على التجرد من ذهبهم وفضتهم . واجتناب أسرتهم الوثيرة ومآدبهم الفاخرة . لم يجعل لهم من الأعياد والتقدمات عوضا عن الحرب بل حملهم على ترك

الملاذ وأتعبهم السلاح والرياضة البدنية · أفلح أحدهما فى تحقيق غايته بفضل الاحترام والعقل ، أما الآخر فقد اقتحم المخاطر وجرح غير مرة ولم يفلح الا بعد جهاد طويل · أما الصوت الذى غناه نوما فكان منطويا على الرقة والدعة ، فأفلح فى تهذيب أخلاق الرومانيين ولطف من مزاجهم الثائر وحبب اليهم العدل والســـلام · واذا لم تكن لنا مندوحة عن نسبة قانون الرقيق « الهيلوزين » الى ليكورجوس وهو عمل غاية فى القسوة والظلم ، فلابد لنا من الاعتراف بأن نوما كان فى تشريعه أسمى وأرقى ، فقد سن للعبيد والذين ولدوا فى العبودية أن يتذوقوا معانى الحرية · شرع لهم الجلوس أيام (ساتورنال) الحصـــاد الى موائد سادتهم يقاسمونهم ملاذها · واليه يرجع ذلك القول المأثور يجب ان يكون للزارع نصيبه من محصول زراعته ويرى البعض فى هذه الشرعه رمزا يراد به الإشارة لتلك المساواة التى كانت قائمة فى أيام ساتورن حيث لم يكن سيد ولا مســـود وكان جميع الناس ينظرون الى بعض نظر المساواة والاخـــاء ·

وجملة القول ان المشرعين قصـــدا الى حمل شعبيهما على القناعة والكفاف · آثر ليكورجوس فضيلة الشـجاعة ونوما فضـــيلة العدل · ولعل اختلاف الشعبين أوجب اختلاف الطرق · لم يحمل نوما الرومانيين على اجتناب الحرب جبنا بل أراد منعهم الاضرار بغيرهم ولم يقصـــد ليكورجوس أن يخلق من السبارطيين رجال اعتداء وبغى اذ جعلهم رجال حرب بل قصد الى حمايتهم من غارات المغيرين ·

اضطر كل منهما الى احداث تغييرات عظيمة ، أحدهما للقضاء على المزيد والآخر لسد النقص · أما سبيلهما فى تقسيم الشعب وتوزيع الأراضى والصناعات فقد ذهب نوما مذهبا ديموقراطيا حقيقيا يرضى الشعب فجعل من الصياغ والموسيقيين وصناع الأحذية خليطا جامعا بين ألوانه ، وذهب ليكورجوس مذهبا أرستوقراطيا جعـل الصناعات الآلية بين أيدى العبيد والأجانب وخص الوطنيين بالدرع والرمح · فكانوا رجال حرب وأنصار (مارس) (اله الحرب) لا يعرفون ولا يتعلمون سوى الطاعة لرؤسائهم والانتصار على الأعداء · حرم ليكورجوس على الأحرار الاشتغال بكل

عمل تكون غايته الربح حتى اذا ما تحرروا عاشوا أحرارا أبدا وخص العبيد ولهيلوزيين بالعمل ، لكسب الربح واعداد الولائم • أما نوما فلم يعمد الى شيء من هذه التفرقة ، اكتفاء بملاشاة جشع الجندى لم يحرم على أى الاشتغال بما يشاء قصد الاثراء ولم يعبأ بتذليل مشكلة التفاوت بين الناس وعدم مساواتهم • ترك الوطنى حرا يجمع من المال ما استطاع غير مبال بما يحدث عن ذلك من الفقر والحاجة ، اللذين كانا منتشرين فى المدينة كان عليه أن يقاوم من أول الأمر البخل حين كان التفاوت غير ملحوظ ، وكانت الثروات تتراوح بين الناس وفى الامكان تسويتها لو فعل ذلك لاتقى ما اتقاه ليكورجوس من مضار هذه الشهوة التى اشتد خطرها فى روما وكانت جرثومة الشقاء الذى حدث فيما بعد •

أما تقسيم الأرض فلا لوم على ليكورجوس لاجرائه ولا لوم على نوما لعدم اجرائه • جعل أحدهما هذا التقسيم قاعدة وأساسا لجمهوريته • ووجد الآخر الأراضى حديثة العهد بالتقسيم فلا داعى لاعادته وتعديل السابق منه اذا كان لايزال جاريا فى البلاد • ذهب كل منهما الى اشتراكية النساء والأولاد فنفيا بذلك المسلك الحكيم الغيرة من قلوب الأزواج ولكن ذهب كل منهما فى ذلك مذهبا خاصا • كان للرومانى الذى تكثر أبناؤه ان ينزل عن زوجته لمن يشتهى أن يكون له أبناء مع الاحتفاظ بحرية تركها كل الترك أو استردادها أما فى سبارطة فكان الزوج يبقى على زوجته فى منزله ويبقى التزاوج على مقتضاه ، ثم يقرض آخر زوجته ويمنحه حق الأبوة ، ويحدث غالبا كما قدمنا أن الزوج يدعو الى بيته رجلا يأمل أن ينتج أبناء على كل شيء من الجمال واللطف فيدخله على زوجته • فما الفرق بين العادتين ؟ يؤخذ من عادة السبارطيين أن لا أثر فى قلب الزوج لذلك الداء الذى يزعج أكثر الرجال ويسخطهم على زوجاتهم ويملأ حياتهم غيرة وحزنا ، أما عادة الرومانيين فانها تشعر بالخجل والحياء فالاختفاء تحت ستار التعاقد اقرار بأنهم لا يحتملون هذه المشاركة بلا ألم •

جعل نوما البنات تحت رقابة قاسية وحتم عليهن عيشة معتدلة لائقة بجنسهن • أما ليكورجوس فقد أطلق لهن حرية لا ضرر معها كأنهن صبيان ، وكان غرضه السخرية بالشعراء الذين أطلقوا على بنات سبارطة

« عاريات السيقان » ، ومن ذلك قول أوربيد فى ايبكيوس وأندرومان :

يغادرن منازلهن جريا وراء الفتيان ٠

آفخاذهن عارية و ٠٠ فى الهواء (تذوب شوقا للرجال) حقيقة ان شقات ثوب الفتاة لم تكن مخيطة من أسفل فتفتح ، بحيث انها لا تخطو خطوة دون أن يظهر ساقها كما يؤخذ من قول سوفوكل فى الأبيات الآتيـــة :

والتى تبدأ تحس الشـــهوة   وثوبها مفتوح من الجانبين

« ينســـدل على الســاق التى تدعها بارزة ، تلك هرميون تظهر أفخاذها للمارين » ٠

ويقال ــ أيضا ــ انهن كن على جانب كبير من الجرأة لا ســـيما على أزواجهن لهن السيادة التامة فى منازلهن ، وفى المجالس تعطى رأيها بحرية فى أهم المعضلات ٠

تمكن نوما من أن يحفظ للرومانيات ما كن يتمتعن به فى زمن رومولوس حين كان الأزواج يحتالون كل حيلة لينسوهن خادثة الاختطاف فأحاطهن بسياج من الحياء منعهن كل سبيل للتطلع وعليهن الاحتشام والصمت ، وحرم عليهن الخمر بلا استثناء ولم يجز لهن الكلام حتى فى أشد الأحوال لزوما الا بحضور أزواجهن ٠ ويقال انه حدث مرة أن امرأة دافعت بنفسها عن قضية لها فى المحكمة فأرسل مجلس الشيوخ يستخبر أبولون فيما يتوقع للمدينة من هذا الحادث ٠ ومن الأدلة على لطفهن ودماثة أخلاقهن ، عناية الرومانيين بتدوين أسماء الناشزات كما يدونون أسماء المثيرين للفتن والحروب الأهلية والســفاكين الذين يقتلون والدا أو أخا فيؤخذ مما دونوه أن أول من طلق امرأته هو سبوريوس كارفيليوس وكانت هذه الحادثة فريدة فى بابها لم يقع لها شبيه مدة مائتين وثلاثين سنة منذ تأسيس روما ٠ ومنذ شجر الخلاف بين تاليا زوجة بناريوس وحماتها جيجانيا ٠ ولم يكن الرومانيون لينعموا بهذه الســعادة العائلية لولا عناية المشرع واحكام نظام الأسرة وقوانين الزواج ٠

أما السن التى يباح فيه للفتاة الزواج فهو واحد عندهما • ومن حيث التربية يأبى ليكورجوس أن يسلم الفتاة للزوج قبل ان تدرك سن البلوغ وتشعر الشهوة • أراد بذلك أن يكون زواجها الملائم لسنة الطبيعة من دواعى السعادة والحب لا من دواعى البغض والخوف كما يحدث فى حالة الاكراه على سنن الطبيعة فيتريث فى ذلك حتى تبلغ الأجسام أشدها ، فتقوى على احتمال الحمل وآلام الوضع لأن الغرض الوحيد من الزواج فى عرفه هو اقامة النسل ، وكان أكثر الرومانيين يزوجون الفتاة فى الثانية عشرة وما دون ذلك واهمين أن المرأة فى هذه السن تكون أطهر جسما وأعف نفسا وأسلس قيادا لزوجها • ومن هذا ترى أن شريعة ليكورجوس أوفى الى نواميس الطبيعة يقصد بها اقامة النسل • أما شريعة نوما فأوفى الى سنن الآداب يقصد بها الحرص على التوفيق بين الزوجين •

أما نظام تربية الأطفال واشتراكهم فى تلقى العلوم على معلمين معينين ورياضاتهم وألعابهم ومآدبهم وفى كل ما يعين على تكوينهم وتهذيبهم فقد ارتكب نوما فى ذلك كله أخطاء المشرعين العاديين وتفوق ليكورجوس عليه فى ذلك ظاهر جد الظهور •

ترك نوما للوالدين حرية تربية أبنائهما على ما تشاء أهواؤهما ووفق حاجاتهما فيجعلونهما مزارعين ونجارين وحدادين ومطربين كانه لا يحبب توجيه الأولاد منذ نعومة أظفارهم الى غاية واحدة وافراغهم من الأخلاق فى قالب واحد : أو كأنهم مسافرون (سفر) فى مركب لا يفكر الواحد منهم الا فى حاجاته وأغراضه الشخصية ، لا يشتركون فى مصلحة عامة الا أمام الخطر حين يخاف كل على نفسه وفيما عدا ذلك لا تهمه سوى مصلحته الشخصية •

قد يغتفر للعامى من المشرعين خطأه عن جهل أو ضعف ولكن ، الم يكن الأجدر برجل رفعته الحكمة الى تولى شئون شعب حديث النشأة لا تقوم فى وجهه معارضة ، أن يعمل الفكر فى تنظيم تربية الأطفال ورياضة الشباب حتى يمحو من بنيها الفوارق الخلقية ويهذب مبادئها ويوفق بين ميول رجال صبوا منذ حداثتهم فى قالب واحد من الفضيلة

وصاروا على شاكلة واحدة ؟ تلك التربية المشتركة عدا ما فيها من الفوائد هى التى حفظت شرائع ليكورجوس ٠

لم يكن ايمان السبارطيين سوى وثائق واهية ، اذا لم تكن هذه التربية وهذا النظام قد طبعا شرائعه فى أخلاقهم ٠

اذا لم يرضعوا مع اللبن حسب هذا النظام لما بقيت شريعة ليكورجوس مع كل ما تضمنته من الشئون المهمة أكثر من خمسمائة سنة ، كالصبغة القوية اللون التى تخلل جميع أجزاء القماش ٠ أو العكس بالعكس فقد اختفت شريعة نوما باختفاء صاحبها ٠ اختفى ذلك السلام وذلك الوئام اللذان أقامهما فى روما ، فلم يكد يوارى التراب حتى فتحت أبواب الهيكل التى أغلقها واعتقل بها شياطين الحرب وسالت جوانب ايطاليا بالدماء والمذابح ٠ لم تستطع هذه الحكومة ، رغم جمالها وعدلها البقاء طويلا لأنها لم توثق برباط تربية الناشئة ٠

ولرب معترض يقول كيف ألم تزد الحروب روما ؟ سؤال يحتاج الى جواب طويل لو أردت اقناع أولئك الذين يرون مجد الأمة فى الثروة والترف والسيادة ٠ لا فى الطمأنينة والدعة والاعتدال والعدل ٠ ولكن الذى يؤيد صلاحية مذهب ليكورجوس أن الرومانيين لم يبلغوا ما وصلوا اليه من سؤدد الا بابتعادهم عن شرائع نوما ؛ فى حين أن السبارطيين ما كادوا يتراخون في الحرص على شرائع صاحبهم حتى دالت دولتهم وانحط شأنهم وبعد أن خسروا مملكة اليونان تعرضوا للخراب التام ٠

على أنه لابد لنا من القول اعترافا بمجد نوما أنه لمن أعجب وأسمى الأمور أن يدعى أجنبى الى حكومة شعب فيتمكن من تبديل نظام بغير شىء سوى الاقناع دون أن يلجأ الى سلاح أو اكراه كما فعل ليكورجوس فى استخدام الأشراف ضد الشعب ، وتمكن من حكم مدينة تمزقها الفتن المتضاربة ٠ وجعل الحكمة والعدل سبيله لتوحيد كلمة الشعب والتاليف بين عناصره بشد أواصر الصداقة !

صـــــولون

من آخر سنى القرن السابع ق٠م٠
الى وسط القرن السادس

جاء ويديم النحوى (١) فيما كتبه عن قوانين صولون ، ردا على أسكبياد (٢) بعبارة لرجل يدعى فيلوكلس (٣) خالف فيها جميع من كتبوا عن صولون ، زاعما أن والده يدعى أيفوريون ٠ والحقيقة المجمع عليها هى أنه ابن أجزستيد ، رجل متوسط الحال والثروة فى المدينة ولكنه من أعرق بيوتات أثينا وأجزستيد من سلالة كوردوس ٠ أما والدته فهى على ما قال هيراقليد اليونتى (٤) ابنة عم والدة بيزستراتس ٠ وكان الود متصـــلا بين هذا وصولون لا لما بينهما من قربى ، بل لما كان عليه بيزستراتس من خلق طيب وجمال ، حببا فيه صولون ٠ وكان هذا الود سببا لعدم انقلاب الخلف السياسى الذى شجر بينهما الى بغض ، ولقد بقيت فى نفوسهما حقوق الرابطة القديمة كما يبقى بعد النار شرر يأتلق ٠

لم يقو صولون على مقاومة الجمال ٠ كان جبارا ٠ ولكنه ضعيف الحيلة أمام الحب وشعره ناطق بضعفه وكذلك شرائعه التى حرم فيها على

---

(١) ناقد من مدرسة أوبستارك ، ولد فى الاسـكندرية وعاش فى عهد الامبراطـور اغسطس ٠

(٢) نحوى من مدرسة أبوللونيوس من ميرفى فى بيتينيا وبلغ قمة شهرته فى عهد يوليوس قيصر ٠

(٣) لا ندرى عن اى فيلوكلس يتكلم فلوطرخوس ، فقد وجد شاعران جديان وشاعر مجونى بهذا الاسم ٠ وعاش الثلاثة فى عصر بركليس ٠ وكان فيلوكلس فيلوبابتيس ابن اخى اشيل ٠

(٤) فيلسوف يونانى فى القرن الرابع ق٠م ولد فى هيراكلة فى اليونت وتتلمذ لافلاطون وسبيزيب وارسطو ٠ له مؤلف عن هوتيروس ويظهر أنه غير ثابت له ٠ وقطع من مؤلف عن انظمة الدول ٠

العبيد أن يدلكوا أجسادهم وأن يغتسلوا ويتحببوا للشبان • رفع بذلك هذه الرابطة الى مقـام العـواطف الشريفة الممدوحة وحرمهـا على من لا يستحقونها وكأنه دعا اليها اللائقين بها • ويقال أيضا ان بيزستراتس كان عشيق خالمرموس وأنه دشن تمثال الحب المقام فى الأكاديمية بالقرب من المكان الذى يوقد فيه المشعل المقدس فى السباق العمومى •

قال هرميبوس ان صولون ورث ثروة ذهب احسان والده وكرمه بكثير منها • ولم يكن بلا أصدقاء على استعداد تام أن يقدموا اليه المال ولكنه كان من أسرة اعتادت أن تعطى لا أن تأخذ ، لذلك كان يخجل أن يتقبل شـيئا • واذ كان شـابا أقدم على التجارة • ويقول البعض ان صولون لم يتنقل بين أنحاء العالم للكسب والاثراء بل للمعرفة والعلم • والواقع أنه كان يحترف صـناعة المولعين بالعـلوم وكان يكرر عند شيخوخته « انى ازداد كل يوم علما كلما تقدمت فى السن » • لم يكن ممن تبهرهم الثروات فمن قوله انه لا فرق عنده بين ••• صاحب الفضة والذهب والحقول وافرة الحصاد والخيول والبغال وبين رجل لا يملك سـوى معدة سليمة وعضـلات قوية وأقدام خفيفة • يضـاف اليها أبناء وزوجـة •

بين الشـباب وفى ربيع الحيـاة هذا هو الحظ الموفق وقال فى مكان آخر :

نعم ، انى أريد الثروة ولكننى لا أريدها من الظلم •

لا بأس على الرجل الطيب والوطنى الصـادق أن يحتفظ بمقام وسط • لا يتعلق بالكماليات ولا يحتقر الضرورى وما يسد الحاجة •

لم يكن فى ذلك الوقت ـ كما قال هزيود (١) ـ عمل يخجل ، ولا تفرق الصناعات بين أقدار الرجال وكانت التجارة محترمة تفيض على الأجانب خيراتها وتكسبهم صداقة الملوك وتعود عليهم بالخبرة الواسعة •

---

(١) كتابه الاعمال والايام •

وقد عرفنا كثيرا من التجار أنشأوا مدنا كبيرة · فقد أنشـــأ برووس مارسليا ، بعد أن استوثق من صــداقة الغاليين الذين يسكنون شواطىء الرون · ويقال ، ان تالس وهيبوقراط الرياضى (١) اشتغلا بالتجارة · وكان أفلاطون يبيع الزيت فى مصر ليسد نفقات رحلته · ونعتقد أن اسراف صولون وحياته الناعمة الشهوانية واستهتاره فى شعره واباحيته فى كلامه عن الشـــهوات بطريقة لا تليق بحكيم لم تكن سوى نتائج اشتغاله بالتجارة · فهى مهنة تعرض صاحبها لأخطار جسيمة ولكنها تعود عليه بما تعطيه من الملاذ والملاهى واليك عبارة من كلامه وضع فيها نفسه فى جانب الفقراء لا الأغنياء :

ما أكثر الأشرار الأغنياء والصالحين الفقراء !

أما أنا فلا أقبل أن أبادل أولئك فضيلتى بثروتهم · ان الفضيلة تلازمنا أبدا ·

أما الثروة فلا تنقطع عن التنقل من يد لأخرى ·

بدأ صولون صناعة الشعر قصد التلهى والتسلية فى أوقات فراغه ، لذلك لم يعن بالموضوعات الجدية من ثم أخذ ينظم المبادىء الفلسفية وأدخل فى شعره أكثر من لمحة من ارادته السياسية لا للتاريخ ولا للذكرى بل ليعتذر بها عن سلوكه · ولكى يحث الأثينيين وينصح لهم وينقد أعمالهم · وقيل أيضا انه نظم شرائعه شعرا بدأها بما يأتى :

أبدأ بالتوسل الى الملك جوبيتر بن ساتورن

أن يمنح هذه الشرائع التوفيق والمجد ·

جرى على عادة حكماء ذلك العصر بالعناية بذلك الجانب من الفلسفة الأدبية الخاص بالسياسة · أما الفلسفة الطبيعية فلم يعد فيها المبادىء الأولية لا أكثر ، واليك ما يؤيد ذلك :

« يأتى الثلج والبرد من القمر

---

(١) لا يعلم عنه شىء ·

والصاعقة من البرق المتطاير شررا
والرياح تثير عباب البحر الذى لا تهيجه نفخة
وهو أهدأ العناصر » ٠

والواقع انه لم يكن فى ذلك العصر من يشتغل بالعلوم الطبيعية سوى تالس فتفوق على جميع معاصريه أما الآخرون فلم يكتسبوا شهرتهم الا من وراء علومهم السياسية ٠

ويقال ان الحكماء السبعة اجتمعوا مرة فى دلفى وأخرى فى كورنثوس، حيث دعاهم باريان وأدب لهم وليمة ٠ ولم تذع شهرتهم ومجدهم أكثر من ارســـال كل منهم المقعد الذهبى الثلاثى القوائم الى زميله بالتعاقب ٠ وحكاية ذلك أن جماعة من قوس طرحوا شـــبكتهم فى البحر فاشترى جماعة غرباء من أهالى ميلا ما فيها قبل أن يرى الصيادون ما احتوت عليه ٠ واذا بالشبكة مقعد ثلاثى القوائم من الذهب يقال ان هيلانة ألقته فى البحر تنفيذا لأمر الوحى عند عودتهـا من طروادة شجر بسببه نزاع بين الصيادين الأجانب ثم امتد الى أهالى المدينة فجرد كل سلاحه فى وجه الآخر حتى كادت الحرب نقع بين الفريقين ٠ ولكن الكاهنة التى اتفق الفريقان على استشارتها قالت باعطاء ذلك المقعد الى أوفر الحكماء حكمة ، فأرسلوه أولا الى ميلا برسم تالس ٠ فقبل أهالى قوس اعطاء ما كادوا ينازعون الميلازيين جميعا عليه بالسلاح الى رجل واحد معين ٠ ولكن تالس قال ان بياس أوفر منه حكمة وأرسله اليه ٠ ورأى لياس ما رآه فأرسله الى آخر وهكذا السبعة ٠ وبعد أن تداول الجميع ذلك المقعد عاد ثانية الى تالس ٠ ثم نقل من ميلا الى طيبة وكرس لابولون الأســـمانى ٠ ولكن ثيوفراست يزعم أنه أرسل أولا الى بياس وبعد أن طاف جميع الحكماء عاد اليه ، ثم نقل الى دلفى ٠ هذه هى الرواية المشهورة ، ولكن البعض يزعم أنه لم يكن مقعدا بل كان اناء أرسله كراسوس ويزعم غيرهم أنه كان من ميراث باتكلس ٠

تعرف صولون الى كل من أناخرسيس وتالس وله معهما أحاديث تروى عنهم جاء أناخرسيس الى أثينـا وذهب الى بيت صولون وقرع بابه قائلا

انه أجنبي يخطب صداقته وضيافته ، فأجابه صولون : « أولى بك أن يكون لك أصدقاء في وطنك لا في الخارج » فقال أناخرسيس « بما اني في بيتك اجعلني صديقك وضيفك » أعجب صولون بسرعة خاطره ثم أكرم وفادته واستضافه زمنا وكان حينذاك مشتغلا بالأعمال العمومية بعد شرائعه وأطلع ضيفه على ما يعمل فسخر من المشروع ومما يحسبه صولون من كفاية القوانين المكتوبة لردع مواطنيه عن الظلم والفساد لاعتقاده ان أمثال هذه الشرائع أشبه شيء بنسيج العنكبوت تأخذ الضعفاء الصغار فيقفون عند حدها أما الأقوياء والأغنياء فأنهم يمزقونها ويتجاوزونها فقال صولون « ان الناس يحرصون على ما يتفقون عليه اذا لم تكن هناك مصلحة لأحد في الاخلال به . وستكون شرائعي ملائمة لمصالح جميع الوطنيين بحيث لا يجد أحد لنفسه خيرا في الاخلال بها أكثر من الطاعة لسننها » . ولكن الحوادث اثبتت صحة نظر اناخرسيس وباء صولون بالخيبة . وقال أناخرسيس بعد حضوره جلسة عمومية « يدهشني من الاثينيين ان الحكماء يتفضحون والمجانين يقررون » .

وذهب صولون الى ميلا لزيارة تالس وأبدى له دهشته من امتناعه عن الزواج وحرمان نفسه من الأولاد . لم يجبه تالس لفوره ولكنه بعد أيام قدم اليه أجنبيا قال له انه آت من أثينا وأنه لم يبرحها الا منذ عشرة أيام . سأله صولون اذا كان لم ير شيئا جديدا في اثينا فأجابه الرجل وكان تالس قد لقنه ما يأتي : لا شيء جديدا الا وفاة شاب مشت المدينة كلها في جنازته ، قيل انه ابن رجل عظيم معروف بحكمته وعدله وأن والده ليس في أثينا بل في رحلة من زمن بعيد . فقال صولون ما أتعس ذلك الوالد ! ثم سأل الأجنبي وما اسمه ؟ ـ سمعت باسمه ولكني نسيته وأذكر فقط أنهم كانوا يلهجون بذكر عدله وحكمته وفضله . أخذت هذه الأجوبة تزعج صولون حتى لم يتمالك أن سأل الأجنبي ألم يكن الميت ابن صولون ؟ فأجاب الأجنبي : بلى . لطم صولون عند سماعه هذه الكلمات رأسه وأخذ ينتحب انتحاب من نزلت به شر الويلات . حينئذ أخذ تالس بيده وقال له ضاحكا هذا يا صولون ما أبعدني عن الزواج والأولاد . خشيت الضربة التي أوجعتك وأنت أثبت الرجال . اطمئن

ليس فيما سمعت شيء من الصـــدق ، هذا ما رواه هرميبـــوس عن باتيكوس (١) الذى يدعى أنه ورث زوج أيزوب على أن الامتناع عن اجتياز الضرورى خشية ضياعه خطأ ضد العقل والقلب • ولو صح هذا لكان من الواجب أن لا نحب شـيئا من الثروة أو المجد أو الحكمـة • ان الفضـــيلة ذاتها وهى أثمن وأسمى الخيرات ، قد ينتزعها منا المرض والشراب • وتالس ذاته بامتناعه عن الزواج لم يكن فى مأمن من المخاوف الا اذا كان مقطوع الصلة بينه وبين أهله وأصدقائه ووطنه • ولكنه لم يكن على شيء من ذلك اذ تبنى ابن أخته سيبسنوس لأن فى الانسان نفســـه غريزة العطف يتنازعها الحب والاحســـاس والفكر والذكرى تستعيض أغراضها الطبيعية التى تعوزها بروابط خارجية تسعى لها وتكون أشبه شيء بمنزل أو أرض ليس لها وريث شرعى فترحب بالأجانب وأولاد الزنا يتدخلون فيها بالحيـلة والتحبب ويســتولون عليها ومتى استقرت بهم الحال ادخلوا الى النفوس بعلاقاتهم هذه الرغبة فى الحرص عليهم والخوف من ضياعهم وما أكثر من نراهم اليوم يســـخرون من الزواج والأولاد ثم نراهم اذا فجعوا بأبنائهم من خادماتهم أو محظياتهم أو رأوهم مرضى ، انخرطوا فى الحزن والألم على ما لا يليق بالقـلوب الشريفة • ومنهم من اذا أصيب فى كلب أو حصان حزن له حزنا مخجلا مميتا • بينا نرى غيرهم اذا احتسبوا فى أبناء فضلاء يتأسون ويقضون بقية حياتهم فى اعتدال لا بأس به • من الضعف لا الحب ، أن يسترسل الانسان فى الحزن والخوف الشديد وليس لنا من العقل عدة ضد الحظ • انا لا نعرف كيف نستمتع بالحاضر ، والمستقبل يروعنا بالآلام والمضايقات لمجرد التفكير فى ضياعه يوما ما • فلا نسرع الى الفقر أو عدم المبالاة أو العزوبة خشية ضياع ثروتنا أو أصدقائنا أو أولادنا • يجب أن نستمد قوانا من العقل • وكفى بهذا مناقشة فى هذا الموضوع •

مل الأثينيون حروبهم الفنيمة ضـــد المجاريين لاسترداد جزيرة سلامين فأصدروا مرسوما يقضى بالموت على من يقترح شفويا أو كتابة المطالبة بها • ساء صولون هذا الجبن ورأى الشبان أو أغلبهم لا يطالبون

(١) لعله فيثاغورس لا نعرف عنه شيئا •

سوى صحبة يتذرعون بها لمعاودة القتال • غير أنهم لم يجرءوا على التقدم خوفا من ذلك القانون • فادعى الجنون وأذاع بواسطة أهل بيته أنه فقد صوابه • وأعد فى الخفاء قصيدة استظهرها على لوح قلبه وخرج فجأة من منزله وعلى رأسه قبعة (١) وجرى الى الساحة العمومية وتبعه الشعب جماعات وهناك اعتلى صخر الخطابة وأنشد قصيدته التى مطلعها :

أتيت مناديا من سلامين الجميلة

وقد ألفت لكم هذه الأشعار بدلا من خطبته •

ولقد أطلق على هذه القصيدة اسم سلامين وهى مؤلفة من مائة بيت غاية فى الجمال •

ولما انتهى صولون من انشادها صفق له أصحابه ، وبلغ من تشجيع بيزستراتس للأثينيين على الأخذ برأيه أن ألغى المرسوم وأعلنت الحرب ، وعين صولون قائدا للجيش •

أما الرواية الشائعة عن ذلك فهى أن صولون أبحر مع بيزستراتس الى كولياد حيث كانت الأثينيات يحتفلن بعيد الألهة سيريس • ومن هناك أرسل رجلا ممن يثق بهم الى سلامين مدعيا أنه هارب واقترح على الميجاريين انهم اذا شاءوا ان يستولوا على خير نساء أثينا فليسافروا معه الى كولياد • صدقه الميجاريون وأسرعوا من فورهم الى سفينة ملأوها جنودا • واذ رأى صولون أن سفينتهم غادرت سلامين سحب النساء وألبس المرد من الشباب ثيابهن وعصاباتهن وأحذيتهن فأخفى المرد خناجرهم تحت الثياب وذهبوا بناء على أمره يلعبون ويرقصون عند الشاطىء الى أن نزل الجنود ولم يبق للسفينة سبيل للنجاة من أيديهم • خدع الميجاريون بهذا المشهد وتسابقوا لاختطاف أولئك النساء المزعومات ولكنهم قتلوا عن آخرهم ، ثم أبحر الأثينيون الى الجزيرة واستولوا عليها • ويزعم البعض أن صولون سلك فى ذلك طريقا آخر •

---

(١) هى غطاء راس المرضى • والقبعة من الوقايات الطبية التى اوصى بها افلاطون فى الجزء الثالث من كتابه الجمهورية •

أوحى اليه دلف ، أن استمل اليك بالهدايا الأبطال من الأهالى وسادات البـــلاد •

ممن يضمهم أزويوس فى حضنه

ومن يجعلون قبورهم نحو الغرب •

فذهب صولون الى سلامين ليلا وذبح الضحايا للبطلين برايفاموس وسيشرة ، ثم قدم اليه الأثينيون ثلاثمائة متطوع ضمن لهم حكومة الجزيرة برســـوم اذا اســتولوا عليها أنزلهم صولون فى قوارب صيد تحرسهم سفينة بثلاثين مقذافا • وألقى المرسى تجاه أوروبا • لم يعلم الميجاريون المقيمون هناك عن حملته سوى اشاعات مضطربة ففزعوا الى سلاحهم فى غير نظام وبعثوا بســـفينة تستكشف الخبر • دنت السفينة من عمارة الأثينيين فأسرت • قتل صولون من كان بها من الميجاريين وأحل محلهم جماعة من أشجع جنوده وأرسلهم الى سلامين وأوصاهم أن يتنكروا جهد المستطاع وسار ببقية جنده برا لمحاربة الميجاريين • وبينما هو مشتبك معهم فى القتال فاجأ رجال السفينة سلامين وأخذوها عنوة • تؤيد العادات المتبعة هذه الرواية • ففى كل سنة تذهب سفينة متنكرة من أثينا الى سلامين ويسرع أهالى الجزيرة فى هرج واضطراب لملاقاتها وحينئذ يقفز أثينى الى البر شاهرا سيفه ويصيح صيحات عالية فى وجه القادمين • يحدث ذلك عند قمة سيراديوم • ويشاهد على مقربة من ذلك المكان هيكل مارس الذى أقامه صولون بعد انتصاره على الميجاريين •

أما الذين نجوا من الموت فبقوا أحرارا بفضـــل معاهدة ولـــكن الميجاريين أصروا على استرداد سلامين • وبقى الشعبان ينزل كل منهما بالآخر ما فى وسعه من شر • ولكنهم قبلوا أخيرا أن يحكموا الاسبارطيين فى الأمر وارتضوا حكمهم ويقال ان صولون استشهد فى خصـــومته بهوميروس ودس عليه أشعارا فى بيان السفن وروى أمام القضاة •

قاد أجاكس من سلامين اثنتى عشرة سفينة وجعلها فى مصاف جنود الأثينيين •

ولكن الأثينيين يهزءون بهذه الرواية ويؤكدون أن صولون أثبت للقضاة أن فيلاوس وأديزاسيمس ابنى أجاكس لما نالا حقوق مدينة أثينة

نزلا عن الجزيرة للأثينيين وأقاما فى أتيكا • فاقام أحدهم فى برورون والآخر فى ماليتا وأن فيلاوس أعطى اسمه لقرية الفيلاين التى منها بيزستراتس •

ولكى يجهز صولون على كل حجة للميجاريين استشهد بطريقة دفن الميجاريين لموتاهم وهم فى ذلك يشبهون الأثينيين ويختلفون عن الميجاريين • يوجه الميجاريون موتاهم نحو الشرق ، أما الأثينيون فانهم يوجهونهم نحو الغرب • حقيقة ان هراياس قرر أنهم فى ميجاريا يحولون وجوه الموتى الى الغرب وزاد على ذلك برهانا مقنعا وهو أنهم فى أثينا يخصبون كل ميت بنعش أما فى ميجاريا فانهم يضعون فى النعش الواحد أربعة أو خمسة • ولكنهم يزعمون أن صولون أيد مطلبه بوحى الكاهنة التى دعت سلامين « يونيين » وكان الحكم فى هذه القضية خمسة من الاسبارطيين :

وهم : كريتــو لايداس • امونفارثيــوس • هبسشــيداس • اناجزيلاسى • كليومين •

عاد صــولون من هذه الحملة متوجا بأكاليل المجد • وقد زادت سمعته شهرة ولهج الناس باسمه والاعجاب به بعد هذا الخطاب الذى ألقاه عن هيكل دلفى ، قائلا : « يجب أن ندافع عنه ولا نحتمل ما يفعله السيرهيون من تدنيس الوحى • واحتراما للاله يجب اسعاف دلفى » قبل المجلس الأعلى والانفكتيون هذه الدعوة وأعلنا الحرب على السير هيون • هذه حال يشهد بها كثير من الكتاب بينهم أرسطو فى مؤلفه بثيونيك ـ وقد ضاع هذا المؤلف ـ حيث يعزو هذا القرار الى صولون • على أن صولون لم يعين قائدا فى هذه الحرب رغم ما زعمه ايفانت الســاموسى (وهو كاتب غير معروف) الذى استشهد به هرميباس • ولم يقل اشين الخطيب شيئا عن ذلك • ويؤخذ من سجلات دلفى أن الكيميون ، لا صولون ، هو الذى كون قيادة الأثينيين فى هذه الحرب •

كان الرجس السيلونى يحدث فى أثينا كثيرا من الاضطرابات وكان شركاء سيلون قد لجئوا الى هيكل منرفا فتمكن ميجــالس الحاكم من اقناعهم بأن يتقدموا للمحاكمة ، فربطوا خيطا بتمثال الالهة وأمسكوا به

ونزلوا ، واذ صاروا على مقربة من هيكل الآلهة المحترمة (١) انقطع الخيط من تلقاء نفسه . فقبض عليهم ميجالس ورفاقه بحجة أن الالهة أبت أن تحميهم فأنزلوا العقاب بمن كان خارج الهيكل أما الذين فروا فقد ذبحوا أمام « المذبح » ولم ينج منهم الا الذين زموا بأنفسهم تحت أقدام نساء الحكام . ومن ذلك الحين دعى الحكام أرجاسا وصاروا موضع بغض الجمهور . عادت الثقة بعد ذلك الى من بقى من أنصار سيلون واستمروا فى عدائهم لخلفاء ميجالس . بلغت الفتنة أشدها وانقسم الشعب بين الحزبين فتدخل صولون ، الذى كانت شهرته قد عظمت بين الجميع فى المسألة وتمكن بمساعدة كبار الأثينيين بالتوسلات تارة واللوم أخرى من حمل المدعوين أرجاسا الى قبول تحكيم ثلاثمائة من أفاضل الوطنيين . فحكم على الأرجاس بناء على اتهام ميرون وفيلى . وحكم على الأحياء منهم بالنفى . فنبشوا قبور الموتى وألقوا رفاتهم بعيدا عن أراضى أتيكا .

انتهز الميجاريون فرصة هذا الاضطراب وهاجموا الأثينيين وطردوهم من « فيزة » (٢) واستردوا سلامين ، واجتمع مع هذه الويلات ما كان يملأ القلوب من مخاوف وهمية ، ذلك أن أثينا امتلأت أرواحا طائفة . وقال العرافون بعد فحص الضحايا بوجود رجس ودنس يجب التطهر منهما فأحضر أبيميند الغستى من كريت ، وهو سابع الحكماء فى نظر من لا يعد منهم بيرياندد . وكان معروفا « عزيز الآلهة » . وكان ضليعا فى علوم الوحى والأسرار . وكان يدعى فى حياته ابن العذراء « باليته » وكوريت الحديد ، وقد وصل أثينا فصادق صولون وساعده فى وضع شرائعه . ومهد له السبيل بتعويد الأثينيين التقليل من النفقات فى التقاليد الدينية والاعتدال فى الحدود . ففرض تقدمات للجنازات بدلا من العادات الوحشية التى كانت تقوم بها بعض النساء الى ذلك الحين . والمهم ما اصطنعه من التطهيرات والتقدمات وانشاء المعابد طهر المدينة تطهيرا تاما وأبعد عنها الرجس والظلم وجعل الأهالى أكثر استعدادا وقبولا للاتحاد والسلام .

---

(١) لقب « ايمونيده » وكان لها هيكل فى « كولون » .

(٢) مدينة واقعة على خليج كورنت .

ويروى أيضا أنه لما رأى مونيشى وأنعم فيه النظر طويلا قال لرفاقه « ان الرجل أعمى عن المستقبل لو استطاع الأثينيون ان يدركوا ما يجره هذا المكان على مدينتهم من الويلات لهدموه » ·

ويقال ان تالس أحس أيضا بمثل هذا الشعور وأمر أن يدفن فى مكان صحراوى قاحل من ميلازيا · متنبئا بأن هذا المكان سيصير يوما ما ساحة ميلازيا العمومية ·

أراد الأثينيون اعجـابا بأبيمنيد أن يغمروه بالتكريمـات والهداية ولكنه لم يطلب سوى غصن من شجرة الزيتون المقدسة فقدم اليه وعاد الى كريت ·

انتهت الفتنة السـيلونية بانتقاء الأرجاس ولكن أثينا عادت الى الاختلافات السياسية القديمة · ووجدت فى المدينة أحزاب عداد ما فى أتيكا من أراض مختلفة ·

أراد أهالى الجبل حكومة شعبية · وفضل أهالى السهل حكومة أوليجاركية (حكومة جماعة) وبقى سـكان الساحل ، وهم خليط من الحزبين يحولان بين انتصار أحدهما على الآخر · هذا وكان ما أحدثه تفاوت الثروة بين الفقراء والأغنياء من الشقاق على أشده وكان المدينة فى هذا الموقف الحرج لم تجد من سبيل لاعادة الطمأنينة والنجاة من الخراب سوى الاستسلام لحاكم مسـتبد · كان الشـعب رازحا تحت عبء ما كان عليه من الديون للأغنياء وكان المدين يشتغل لدائنه ويعطيه سدس المحصول · وكان يدعى هؤلاء « السدسيون » أو المستأجرة ، وكان غير هؤلاء يقترضون برهون على أشخاصهم ويحكم بهم لدائنهم فيبقون عبيدا فى أثينا أو يباعون فى الخارج وكان الكثيرون يضـطرون لبيع أبنائهم لا يحميهم قانون ، أو يهربون من المدينة نجاة من قسوة المرابين · اجتمع منهم عدد كبير من أولى العزيمة الصادقة واحتجوا على هذه الاهانة واعتزموا أن يعينوا على أنفسهم رئيسا حقيقا بثقتهم وأن يذهبوا تحت قيادته لانقاذ المدينين الذين لم يستطيعوا الوفاء وأن يعيدوا تقسـيم الأراضى ويغيروا هيئة الحكومة ·

حول العقلاء من الأثينيين فى هذه الأزمة أنظارهم الى صولون لأنه الرجل الوحيد الذى لم تقع عليه شبهة · لم يشترك فى مظالم الأغنياء ولم يختر شخصيا حالة الفقراء · رجوا اليه أن يتولى الأمر وأن يضع حدا لهذا الخلاف · قال فانياس دى لسيوس (١) ان صولون انقاذا للمدينة خدع الحزبين معا · وعد الفقراء خفية بتوزيع الأراضى والأغنياء بتثبيت ديونهم · مع أنه يقول ان صولون تردد كثيرا فى قبول هذه المهمة خشية بخل هؤلاء وقحة أولئك ·

مهما يكن من الأمر فقد انتخب صولون حاكما بعد فيلومبروتوس وصار حكما فى الاتفاق ومصلحا للشرائع وصادف هذا الانتخاب قبولا من جميع أحزاب الأغنياء لأن صولون كان غنيا والفقراء لأنهم يعرفونه رجل خير · وقد ذاع عنه قوله ان المساواة لا تحدث الحرب · كلمة طابت لها نفوس الأغنياء والفقراء · رأى فيها الأغنياء أن المساواة أساسها الجدارة والفضيلة · ورأى فيها الفقراء تسوية عادلة حسب الأنفس · رأى الحزبان موضعا لآمال كبيرة · عرض الرؤساء على صولون الحكم المطلق وألحوا عليه فى ادارة حكومة مدينة يسيطر عليها · حتى ان الذين لم يعنهم أمر هذا الحزب أو ذاك ، أولئك الذين لم يكونوا يتوقعون من الحكومة أو التشريع تغيرا صالحا يحدث بلا خطر ، لم يحجموا عن تقديم السلطة التامة الى أعدل وأحكم رجل · ويقال ان صولون تلقى من بيتو الوحى الآتى :

اجلس ، أيها البحار ، وسط المركب

ودبر سيره · سيخلص لك أكثر من واحد فى أثينا ·

وقد عاب عليه كثير من أصدقائه خوفه من كلمة (مملكة) كأن الحكومة المطلقة التى تكتسب بالفضيلة لا تصير ملكية مشروعة · ألم نر لذلك مثلا فى أوروبا فى شخص تيونونداس ؟ ألم تقلد ميتيلين ، بتاكوس الحكم المطلق ؟ ولكن كل هذه الأقوال · لم تنل من صولون · فكان

(١) من تلاميذ أرسطو وتذكر له مؤلفات فى التاريخ والطبيعة ·

يجيب أصحابه بقوله ، ان الحكومة المطلقة بلد جميلة ولكن لا منفذ لها ٠
وقال في أشعاره مخاطبا فوكوس :

... اذا كنت قد أنقذت وطني
(لأن قسوة الاستبداد لم تدنس يدي)
اذا كنت لم أسد (أو أظلم) ولم أشن مدى ٠
فاني لا أندم على ذلك ٠ لأنه يلوح لي أني بهذا تغلبت على جميع الرجال ...

ويرى من هذا انه كان حتى قبل نشر شرائعه ممتصا بالاحترام والاجلال ٠

على أنه يذكر في أشعاره الأقوال التي كانوا يسخرون بها منه لرفض الحكومة المطلقة ٠

لم يكن صولون حكيما ولا عاقلا
رفض ما قدمته اليه الآلهة من خيرات ٠
ولما أخذت السمكة نظر اليها مبهوتا ولم يسحب الشبكة ٠

لقد ضاع صوابه وحار في أمره ٠
على أنه كان يريد لامتلاك هذه الكنوز ،
والحكم ولو يوما واحدا على أثينا
أن يسلخ جلده حيا وأن يهلك جميع أبناء جنسه ٠
بمثل هذا كان يعبر عما يقول فيه الغوغاء والأشرار ٠

لم يكن رفض الحكم المطلق ليدفعه الى اللين والهوادة : لم ينزل عن شيء للأقوياء ولم يملق في قوانينه الذين انتخبوه ٠ لم يضع الدواء على الأعضاء السليمة ولم يرد أن يقطع من لحم الحي ، خشية أنه اذا قلب المدينة رأسا على عقب لا يجد من القوة ما يكفي لاعادة تنظيمها واصلاحها ٠ لم يضع من القوانين الا ما رأى في وسعه أن يجعله مقبولا بالاقناع أو الثقة جامعا بين القوة والعدل كما كان يقول ٠ وقد سئل مرة هل سن للأثينيين خير الشرائع فقال « نعم خير ما يسن لهم » ٠

كان الأثينيون على ما هو ملحوظ يلطفون من فظاعة الأشياء باعطائها أسماء شريفة طاهرة • مثال ذلك انهم كانوا يدعون المومسات صديقات ، والضرائب اعانات ، وجنود الحامية حراسا ، والسجن بيتا • ويكاد يكون من المؤكد أن هذه من اختراعات صولون • وكان يدعو الغاء الديون تسديدا • وهذا أول اصلاح أحدثه في الدولة • فالمرسوم يقضي بالغاء الديون السابقة وتحرير رقبة المدينين من التعهدات ومن كل اكراه بدني • على أن البعض وبينهم آن روسيون (١) يقول ان صولون لم يلغ الديون بل أنقص فوائدها وان الفقراء الذين خفت عليهم وطأتها هم الذين دعوها تسديدا • ويقول ذلك البعض ان الذي أتم مفعول القانون هو اعلاء قيمة النقود : كان « المين » يساوي ثلاثة وستين دراخمة فجعله مائة • بحيث ان المدينين يسددون القيمة الاسمية ولكنها أقل قدرا وبذلك ربحوا كثيرا ولم يخسر الدائنون شيئا •

على أن المتفق عليه عموما هو أن التسديد كان الغاء حقيقيا لجميع الديون • مما يؤكد ذلك قول صولون ذاته في قصائده مفاخرا بأنه ألغى من أتيكا قوائم الرهونات العقارية فالأراضي التي كانت مرهونة أصبحت خالية وقد أعيدت للوطنيين الذين حكم بهم شخصيا لدائنيهم من البلاد الأجنبية حيث لم يكن لهم مأوى ولم يتكلموا لغة أتيكا • وقد حررت رقبة الباقين الذين كانوا يعيشون في وطنهم أرقاء أذلاء (٢) •

لقي صولون من عمله هذا شر ما يبتلى به من الكدر • بينما كان يشتغل بالغاء الديون ويبحث عن عبارات ملائمة يصوغ بها مرسومه ويضع لها مقدمة مناسبة أطلع ثلاثة من أصدقائه على مشروعه وهم « كونون » و « كلينياس » و « هيبونيكوس » موضع ثقته ، قائلا لهم انه لا يمس الأراضي وأنه سيلغي الديون • اغتنم هؤلاء الثلاثة الفرصة وسبقوا صدور المرسوم فاقترضوا من الأغنياء مبالغ طائلة واشتروا أراضي • فلما صدر القانون احتفظوا بأملاكهم ولم يسددوا شيئا من ديونهم

---

(١) له مذكرات عن اتيكا • وقد ذكره بوزانياس • ولم يعرف زمن وجوده •
(٢) هذه الاشعار التي لخصها فلوطارخوس محفوظة في خطاب أرشيد بارالفتيهات •

فأثار هذا الخبث شكوى مرة ضد صولون واتهموه بأن أصحابه لم يخدعوه فحسب بل بأنه شريك لهم فى سوء فعلهم · زالت هذه التهمة الغريبة عن صولون اذ كان أول من عمل بقانونه فنزل عن خمسة طالانات مستحقة له · ويقول البعض ومنهم بوليزالوس الروديسى (١) انه نزل عن خمسة عشر لا خمسة فقط · على أن هذا لم يعف أصحابه من أن يطلق القوم عليهم لقب « حاذفى الديون » ·

قد أساء أمر صولون الحزبين معا : أساء الأغنياء الذين ضاعت عليهم حقوقهم ، وأساء الفقراء الذين حرموا مما كانوا يطمحون اليه من تقسيم الأراضى بين الجميع سواء بسواء كما فعل ليكورجوس · ولكن ليكورجوس كان الحادى عشر من ســـلالة هرقل · واستمر ملكه على اسبارطة عدة سنوات وكان ينعم بشهرة وثقة واسعتين وكان له كثير من الأصدقاء ونفوذ عظيم وهذه امتيازات جليلة ســـاعدته على اجراء اصلاحه السياسى · ومع ذلك اضطر الى استخدام القوة أكثر من الاقناع وقد كلفه خير نظمه ضياع عينه ، مع أن خير ما سنه لسعادة مدينته ورفاهيتها ، وهو الغاء الفقر والغنى ، ولم يكن فى وسع صولون أن يطمح الى هذا المقام · ولد من طبقة العامة وفى حالة وسط · على أنه لم يقصر عما كان فى طاقته من حكمة وثقة · ولقد شهد هو نفســـه أن شريعته أغضبت أغلب الأثينيين الذين كانوا ينتظرون شيئا آخر ·

« لقد كانوا يعجبون بى والآن كلهم ناقم على

كلهم ينظرون الى بعين العدو

ومع كل ، فلم يكن فى وسع أى انسان غيرى صار له ما لى من السلطة ، أن يضع قانونا أو غاية لا يدفع هذا الشعب الى الفوضى وامتصاص آخر مصة من لبانه » ·

---

(١) لم يعرف عنه سوى انه كتب ذكريات عن جزيرة رودس ·

لم يلبث الأثينيون أن عرفوا فائدة قانونه فعدلوا عن تذمرهم وقدموا قربانا دعوه « قربان الاعفاء » وعهد الى صولون فى مهمتى الاصـــلاح السـياسى والتشريع وخولوه فى ذلك سلطة مطاقة فسيطر بذلك على القضاء ، الجمعيات والمباحثات والأحكام . وكان ينظم مرتبات الضباط وعددهم ومدة خدمتهم يلغى ويثبت ما شاء من العادات والأنظمة فبدأ بالغاء جميع شرائع « دراكون » لصرامتها وعدم تناسب العقاب ولم يستثن سوى عقوبة القتل .

لم يكن فى شرائع « دراكون » سوى عقاب واحد لجميع الأخطاء وهو الموت : فمن يثبت عليه البطالة كان جزاؤه الموت . ومن سرق بقلا أو فاكهة كان جزاؤه جزاء من ارتكب رجسا أو قتل انسانا . ولقد أصاب وأجاد فى قوله ان « دراكون » كتب شرائعه بالدماء لا بالمداد . قيل « لدراكون » لماذا جعلت الموت عقاب كل خطأ فقال « لأنى وجدت أقل خطأ يستحق الموت ولم أجد غيره للجرائم الكبرى » .

أراد صولون بقاء الحكم فى أيدى الأغنياء وأن يشرك الفقراء فى ادارة لحكومة التى كانوا مبعدين عنها . فأحصى الثروات وجعل الطبقة الأولى من الوطنيين الذين يبلغ ايرادهم خمسمائة مديم غلالا أو سوائل ودعاها « بنتاكوزيو مديم » وجعل الطبقة الثانية ممن يملكون قوت حصان أو ثلاثمائة مديم ودعا أصحابها الفوارس « شفاليه » ، وألف الطبقة الثالثة ممن يملكون مائتى مديم ودعا أصحابها « زوجيت » ودعا الذين يملكون أقل من مائتى مديم « ثات » .

حرم صولون على الطبقة الأخيرة الاشتغال بالقضـــاء ولم يجعل نصيبهم فى الحكم الا حق التصويت فى الجلسات والأحكام . لم يبد هذا الحق على شيء من الخطورة الا أنه صار فيما بعد عظيم الخطر . لأن غالبية القضايا كانت تنتهى الى حكم الشعب . ولئن كان الحكام أول من يبدأ بمعرفتها كان من الممكن عرض أحكام القضاة على الشعب . ويقال

ان غرض شرائع صولون وما تنطوى عليه معانيها من التناقض كانا سببا لزيادة سلطة المحاكم • ولأنه لم يكن من السهل الفصل في الخلاف، لم تكن للشعب مندوحة عن الرجوع الى قضاة فى تقرير القضايا وبذلك صار القضاة المتحكمين في القوانين • وقد ذكر صولون في قصائده هذا التوازن الذى أقامه بين الأغنياء والفقراء :

أعطيت الشعب سلطة كافية
لم أنقص من شرفه ولم أزد عليه (ما لا فائدة منه)
أما الأغنياء المعجبون بثرواتهم
فلم أسمح لهم بارتكاب المظالم
لقد قلدت كل حزب دروعا حصينة
فلا سبيل لهؤلاء ولا لأولئك الى العدوان •

وقد أباح وقاية الشعب ، لكل انسان أن يتقدم للدفاع عن أى وطنى أهين • فاذا جرح أحد أو ضرب أو أهين كان لكل انسان الحق لو اجترأ أو أراد أن يقاضى المعتدى أمام القضاء • وهذه حكمة أراد بها المشرع تعويد الوطنيين، أن يروا أنفسهم أعضاء هيئة واحدة (جسم واحد) فيشعر ويشاطر كل منهم ويلات الآخرين • ويذكرون لصولون كلمة في بيان هذا القانون • سئل يوما : ما أفضل مدينة يسودها النظام ؟ فقال « تلك التى يعنى فيها الوطنيون برد أى أذى كأنه أصاب كل فرد منهم » •

فصولون هو الذى أنشأ مجلس شيوخ الحكام « الأريوباج » الفه من الذين تولوا منصب حاكم واذ كان هو حاكما كان عضوا فى مجلس الشيوخ • ولكنه لاحظ أن الغاء الديون أوجد فى الشعب روح الادعاء والكبرياء • فأنشأ مجلسا ثانيا مؤلفا من أربعمائة عضو ، مائة من كل القبائل الأربع • ينظر فى المسائل قبل عرضها على الشعب • وحرم الجمعية العمومية النظر فى مسألة لم يفحصها هذا المجلس • أما المجلس الأعلى فقد خصه صولون بالاشراف العام وصيانة القوانين كما أن السفينة لو ثبتت بمرسيين صارت أقل عرضة للاضطراب • ينسبون كما قامت

الأريوباج (مجلس الحكام) الى صولون (١) يؤيد ذلك أن دراكون لم يتكلم على أولئك الحكام (الأريوباجيين) وأنه فى قضايا الاجرام الكبرى كان يوجه الكلام الى النواب ولكن القانون الثامن من اللوحة الثالثة عشرة من تشريع صولون يجرى بما يأتى :

« جميع المتهمين من الوطنيين الذين ثبتت ادانتهم قبل حكومة صولون تعاد اليهم براءتهم الا الذين حكم عليهم مجلس الشيوخ ومجلس النواب أو الملوك فى بريتانة فى جرائم القتل أو السلب أو الطموح الى الاستبداد والاستعباد • أو الذين امتنعوا عن الحضور عند نشر هذا القانون » • وهذا دليل على أن مجلس الشيوخ كان موجودا قبل حكومة صولون ونشر قوانينه •

هل يعقل أن يصدر مجلس الشيوخ حكما اذا كان صولون هو أول من منحه حق الحكم ؟ وربما كان فى هذا النص غموض أو نقص ، هل يفهم أن الذين حكم عليهم قبل نشر هذا القانون مجلس الشيوخ أو النواب أو الملوك البريتانيين يبقون فى حكم المدانين ، وأن تبرأ ساحة الباقين ؟ هذا ما أراده المشرع •

وبين قوانين صولون قانون لم يسبق اليه وهو غريب فى بابه • ذلك أنه يعد مهانا كل من يلزم الحيدة ابان الاضطراب لا ينتمى الى حزب من الأحزاب وكأنه أراد بذلك ألا يستخف أحد أو لا يتأثر بما يحل بالبلد من الويلات العامة مكتفيا بسلامة شخصه وأمواله ثم المفاخرة بأنه لم يفقد شيئا ولم يصبه شئ من نكبات الوطن • أراد أن يتقدم كل انسان منذ بدء الفتنة فينضم الى أوفر الجانبين نصيبا من الحق • وبدل أن ينظر لمن يكون النصر يعضد الفضلاء ويشاطرهم الخطر •

ومن شرائع صولون قانون أراه سخيفا مزريا ذلك الذى يبيح للزوجة ، اذا كانت غنية ، أن تسلم نفسها لمن تشاء من أقرباء زوجها متى

---

(١) ترجع الانباء المتواترة هذا النظام الى زمن البطولة ، ويقال ان أول قضية نظرها هذا المجلس هى قضية فوزى ضد أورست قاتل أبيه • أمينيد تاليف أشيل •

كان عاجزا مع أنه مالكها الشرعى · ويقول البعض ان ذلك عقاب للعجزة فى المسـائل الزوجية ، الذين يدفعهم الجشع الى زواج غنية متخذين مايبيحه القانون للاعتداء على الناموس الطبيعى · اذ يعلمون أن لنسائهم الحق فى الاستسلام الى من يرون أو أن يفسخن الزواج أو لا يتزوجن منهم الا لالباسهم العار · فيكون ذلك جزاء وفاقا لهم على جشـعهم وجريمتهم · لم يحدد القانون اختيار الزوجة عبثا من حيث حصره فى أقرباء الزوج · أراد المشرع بذلك أن يكون أبنـاؤها من دم الزوج وجنسه : لهذا السبب أمر أن يحبس العروسان معا وأن « يعضا سفرجلة واحدة » وأن يفى الزوج لزوجته بواجبه الزوجى ثلاث مرات على الأقل فى الشهر : ولئن كان لا يولدها فهو تشريف لفضيلة الزوجة · وان فى هذا العطف ما يبدد أسـباب الاستياء الذى يحدث غالبـا بين الزوجين ويتحول الى شجار علنى ·

وفيما عدا ذلك ألغى صولون البائنة (الدوطة) وكلف المرأة أن تحضر ثلاثة أثواب وبعض أثاثات قليلة الثمن · أراد بذلك ألا يكون الزواج تجارة وترفا · بل يكون ائتلافا بين الزوجين استعدادا لاقامة النسل · وأن يكون رباط دعة وحب · طلبت والدة دانيس من ابنها أن يزوجها من شاب سيراقوزى فأجابها « كان فى وسعى أن اخترق قوانين المدينة وأتولى الحكم المطلق فيها ولكن ليس فى وسعى أن أمتهن قوانين الطبيعة بعقد زواج بعيد عن السن المناسبة » ولذلك لا يجوز أن يسمح بمثل هـذا الخلل فى دولته ، أو اباحـة زواج فى غـير تناسب لا ينطوى على شىء من الهناء ولا يؤدى عمل الزواج ولا الغاية منه · قال أحد عقلاء الحكام لعجوز تزوج فتاة حديثة السن ما قيل لفيلوكتيت :

تتزوج أيها التعس ؟ ان حالك ناطقة !

واذا وجد شابا فى غرفة عجوز غنية يسمن كما يسمن الحجل لدى أنثاه ، انتزعه منها وألقى به بين يدى عذراء فتية محتاجة الى زوج · ان فى هذا كفاية ·

ومما يثنى عليه من شرائع صولون نهيه عن اساءة سمعة الموتى · والحقيقة أنه من مقتضى الصلاح اعتبار الموتى مقدسين · ومن العدل احترام

ذكرى من فارقوا العالم • ومن السياسة ألا تكون البغضاء لا نهاية لها • وقد نهى صولون عن ايذاء أى شخص فى الهياكل والمحاكم والمجتمعات والملاعب • وجعل على من يقترف ذلك غرامة قدرها خمس دراخمات • يدفع منها ثلاث للمعتدى عليه واثنتان للخزانة العمومية • من علامات سوء التربية وفساد الخلق أن يتهدد الانسان فى كل وقت كما أنه من الصعب أن يمتلك الانسان نفسه وقد يكون ذلك محالا على البعض فواجب القانون أن يحرم الشاسع من الأخطاء اذا أراد أن يجعل بين عقاب البعض مثلا صالحا للغير لا أن يكثر العقاب على غير جدوى •

مما يثنى عليه أيضا قانونه فى الوصية • لم يكن حق الوصيه معروفا قبل صولون • كانت جميع اموال الميت تبقى فى عائلته • ولكن صولون أباح لمن لم يرزقوا أولادا ان يتصرفوا على ما يشاءون مفضلا الصداقة على القربى وحرية الاختيار على الاكراه • وأراد بذلك أن يكون الانسان حرا حقيقة فى أملاكه ولكنه جعل لذلك حدا • لم يبح الهبات على الاطلاق بل أباح ما يوصى به منها فى حرية تامة لا تحت تأثير الأمراض ولا المشروبات ولا سوء القصد ولا الاكراه ، ولا تحت تأثير اغراء امرأة • وكان رأيه ــ وله الحق ــ ألا يفرق بين مخالفة القانون العنيفة وبين التغرير من مسو بين الاحتيال والاغتصاب • وبين الألم والشهوة باعتبارها أسبابا تدفع الانسان عن جادة الصواب •

وسن للنساء شرائع فى رحلاتهن وحدادهن وما يقدمن من القرابين ، وعاب عليهن تبرجهن وفوضاهن وحرم عليهن الخروج من المدينة بأكثر من ثلاثة أثواب وألا يحملن مؤونة بأكثر من « فلس » (١) وألا يكون لهن سلة أطول من ذراع وألا يسرن ليلا الا فى عربات تتقدمها المشاعل • والا يشوهن وجوههن • وألا ينشدن أشعارا فى الندب أو يصرخن وراء جنازة اذا لم يكن الميت من ذوى قرباهن • وألا يضحين ثورا على القبر • والا يدفن مع الميت أكثر من ثلاث بذلات • وألا يذهبن الى مدافن عائلات أخرى الا يوم الدفن • ونهاهن عن كل ما لا يزال منهيا عنه فى

(١) الفلس سدس الدراخمة ، وهو يساوى ١٥ سنتيما •

شرائعنا • ويقال ــ أيضا ــ ان اللاتى يخالفن هذه القوانين يحكم عليهن الحكام المخصصون لمراقبة النساء باعتبارهم رجالا مخنثين يستسلمون فى أحزانهم لكل ما فى المرأة من ضعف •

كانت أثينا تزداد بالسكان يوما بعد يوم ، ممن ينحدرون اليها من الخارج منجذبين بما كانت تتمتع به اتيكا من الحرية • لكن قسما كبيرا من الأراضى كان قاحلا وعقيما • وتجار الواردات البحرية لا يقدمون عادة شيئا لمن لا يعوضهم منها • فوجه صولون صناعة الوطنيين الى الفنون وأصدر قانونا يعفى الابن من اقاتة والده اذا لم يكن قد علمه صناعة • ان ليكورجوس الذى كان يسكن مدينة غير مزدحمة بالأجانب وكان تحت تصرفه مساحات كبيرة من الأراضى لا تكفى لتموين شعب كبير فقط بل تكفى لتموين ضعف عدده • كما قال أوديبيد : ليكورجوس الذى كان يحيط به جماعات من الهيلوت (الهيلوزيين الرقيق) لم يسمح لهم بالبطالة بل كان يكرههم على العمل المستمر • كان على حق فى تحريمه على الوطنيين تناول جميع الصناعات الحقيرة أو المستأجرة • وأن يبقيهم على الدوام تحت السلاح وألا يدربهم الا على صناعة الحرب • ولكن صولون الذى كان يطبق القانون على الحال لا الحال على القانون كان يرى أن البلاد فقيرة بطبيعتها وأنها لا تكاد تكفى لتغذية المزارعين ولم يكن فى وسعه تغذية مدينة عاطلة لذلك عمد الى اعلاء قدر الصناعات وعهد الى مجلس الحكام فى البحث عن موارد كل وطنى ومعاقبة العاطلين •

وهناك شريعة أبلغ فى الشدة وهى على ما قال هيراكليد البنطى اعفاء أولاد المحظية من واجب اعالة والدهم • والحقيقة ، أن الذين لا يراعون واجب الزواج ويميلون الى غير زوجاتهم لا يقصدون ايجاد نسل بل يندفعون الى ذلك بعامل الشهوة فقط • فهم بذلك الحرمان يلاقون جزاءهم • وهم يحرمون كل حق فى السلطة على أولاد من العار وجودهم •

ويمكن القول بوجه عام ، ان ما شرعه صولون عن البقاء جاء متضاربا • مثل ذلك أنه أباح قتل من يؤخذ متلبسا بجريمة الزنا أما الذى يختطف امرأة حرة ويغتصبها فلا يحكم عليه الا بغرامة مائة دراخمة واذا

ابتذلها الخاطف لا يدفع سوى عشرين دراخمة • هذا اذا لم تكن من اللاتى بعن عرضهن علانية ، أى محظيات (مومسات) وتسلمن أنفسهن بلا حياء الى أول من ينقدهن • ونهى صولون عن بيع الابنة والأخت اذا لم تؤخذ بجريرة قبل الزواج • فمن التعسف أن تعاقب الجريمة الواحدة تارة بأشد عقاب وأخرى بتساهل كبير أو جعلته لعبة لا عقاب عليها سوى غرامة طفيفة •

ومع كل فان قنة الأموال النقدية فى أثينا وصعوبة الحصول عليها تجعل الغرامات المالية باهظة • فقد جعل صـــولون فى تقديره نفقات الضحايا سعر الخروف والدراخمة والمديمين من القمح واحدا • فنال الفائز فى الألعـــاب البرزخية حسب شريعته مائة دراخمة والفائز فى الألعاب الأولمبية خمسمائة ويمنح من يحضر ذئبا خمس دراخمات • واذا كانت ذئبة دراخمة واحدة • ويقول ديمتريوس الفليرى ، ان ثمن الخروف خمس دراخمات • وقدرت الضـــحايا الفضـــلى على اللوحة السادســة عشرة من قوانين صولون تقديراً غاليا ولكنها لا تذكر فى جانب أثمانها اليـــوم •

والأثينيون من قديم الزمن يطاردون الذئاب لأن بلاد أتيكا صالحة لتربية القطعان أكثر منها لزراعة القمح • ويقول البعض ان قبائل أثينا لم تتخذ لنفسها أسماء من أبناء « ايون » بل اتخذتها من ضروب الحياة التى قسمت الأهالى الى طبقات • دعى رجال الحرب « هوربليت » ورجال الصناعة « أرجاد » ثم طبقتنا الفلاحين « جيويونت » والرعاة « أجيكور » وليس فى أتيكا أنهار لا تنضب بل قليل من البحيرات والينابيع ولا توجد المياه الا فى الآبار التى تحفر بالأيدى فشرع صولون قانونا يبيح لمن لا يبعدون عن بئر عمومية سوى مسافة شوط جواد أى أربعة أستاد أن يأخذوا منها ماءهم أما اذا كانوا بعيدين عنها بمسافة أطول فأوجب عليهم أن يجدوا الماء فى أراضيهم • واذا احتفروا الى عمق عشرة براس (١) ولم يجدوا ماء حق لهم أن يأخذوا ماءهم من البئر الأقرب اليهم يملئون

---

(١) مقياس طول قدره ١ر٦٢ متر •

منها كل يوم مرتين جرة تسع كونجات (١) رأى صولون من العدل أن يسد الحاجة دون أن يعين على الكسل ٠

ثم حدد تحديد خبير المسافات التى تجب مراعاتها فى الزرع فجعل غرس الأشجار العادية على مسافة خمس أقدام من الحقل المجاور ٠ أما أشجار التين والزيتون فيجب ابعادها الى تسع أقدام لأنها تنمو على مسافات بعيدة من جذوعها ولا يلائم جوارها كل غرس ٠ فمنها ما تمتص غذاءها ومنها ما يضر بها ٠ واذا أريد حفر حفرة أو حفيرة وجب حسب شريعته أن تكون المسافة بينها وبين الجار مساوية لعمق الحفر ٠ ولا يجوز وضع خلايا نحل الا على مدى ثلاثمائة قدم من المكان الذى أودعت فيه سواها ٠

ولم يبح صولون بيع شىء من الحاصلات الأهلية للأجانب سوى الزيت وحرم بيع ما عداه وكلف الحاكم أن يعلن الخدم ضد كل من يخالف هذا القانون والا جوزى هو ذاته بدفع غرامة قدرها مائة دزاخمة للخزانة العامة ٠ ورد هذا القانون فى أول لوحات قوانينه ٠ وعليه لا يكون بعيدا عن الصدق قولهم ان تصدير التين كان محرما وأنه كان يطلق على من يستبيحون ذلك لقب « سيكوفانتى » واش بالتين (٢) ٠

وقد عنى بتحديد تعويض الخسائر والأضرار التى تحدثها الحيوانات فكل كلب عض آخر وجب على صاحبه أن يسلمه الى المعضوض وفى عنقه عصا طولها أربع أذرع ، وهذا احتياط حسن لمنع الاعتداء ٠

ولم أتبين حقيقة المعنى المراد بقانونه الخاص بحقوق المدينة ٠ ان الذين يستطيعون أن يعدوا وطنيين هم المنفيون نفيا مؤبدا من بلادهم ، أو الباقون للسكنى فى أثينا مع عائلاتهم يشتغلون بصناعة ٠ واليك ما يقولونه فى تأويل هذا القانون ٠

---

(١) الكونج وعاء باللتر ٣٫٢٨٧ ٠

(٢) « سيكوفانت » واش بالتين وقد تحولت هذه الكلمة فصارت مرادفة لقولهم واش ونمام ٠

ان صولون لم يرد ابعاد الأجانب بل بالعكس أراد اجتذابهم الى أثينا باقناعهم اقناعا أكيدا أنهم يصيرون وطنيين • فالذين دعاهم أولى الناس بالثقة البعض لأنه أكره على ترك وطنه بلا أمل فى العودة اليه • والبعض لأنه ترك وطنه مختارا ومما اختص به صولون فى تشريعه انشاء ولائم على نفقة الجمهور ونهى أن يحضرها الشخص مرارا ووضع غرامة على من يمتنع عن حضورها بدوره لأن فى عمل الأول شراهة وفى عمل الثانى مخالفة للعادات العامة •

وقد حدد صولون لبقاء شرائعه نافذة مائة سنة ، وقد كتبت على أضابير (ملفات) من الخشب فى شكل محاور تدور فى براويز علقت بها ولا يزال بعضها محفوظا فى « البريتانة » •

وقد أقسم المجلس يمينا مشتركة على المحافظة على قوانين صولون وأقسم كل حاكم بالقرب من صخرة الخطابة متعهدا أنه اذا خالف أحد نصوصها يقدم الى هيكل دلفى تمثالا من الذهب يزن ثقله •

وقد لاحظ صولون عدم تساوى الشهور ، وأن حركة القمر لا تتفق مع شروق الشمس ولا مع غروبها • وأنه غالبا يبلغ وتتقدم الشمس فى يوم واحد وأطلق على هذا اليوم « عشية القمر الجديد » وأضاف الى الشهر المنتهى ، جزء اليوم الذى ينتهى قبل الالتحاق ودعا الجزء الذى يلى الشهر المبتدىء • فصولون فى عرفى هو أول من أدرك قول هوميروس عندما ينتهى الشهر ، عندما يبتدىء الشهر •

« الاوديســـة »

دعا اليوم الثانى « نيومانى » القمر الجديد • ولكنه كان يحسب الأيام ابتداء من عشرين لا بالاضافة بل بالطرح متتبعا تطور القمر الى اليوم الثلاثين من الشهر واذ تم نشر هذه الشرائع ازدحم الناس على صولون يثنون عليه وينتقدونه ويطلبون زيادة أو حذفا على ما يشتهون وكثر عدد من يستفسرونه معانيها وكيف يفهمونها وكان من الغباوة أن يرفض طلبهم كما أنه رأى فى الاجابة عليها استثارة للحسد ، فاجتنابا

لهذه الصعاب أراد أن ينجو بنفسه من هذه المشاق وهذه الشكوى لأنه كما قال :

« من الصعب فى الأعمال العمومية ارضاء جميع الناس » .

فطلب من الأثينيين اجازة عشر ســـنوات وأبحر بحجة الرغبة فى الاتجار بحرا ، أملا أن يكون هدا الوقت كافيا لاعتياد الناس شرائعه .

ذهب أولا الى مصر حيث أقام ، كما قال زمنا طويلا على ناحية من النيل بالقرب من شواطىء « كانوب » وكان يكثر من المحادثات الفلسفية مع « تسانوفيس » (من عين شمس) و « سونيسن » (الصــاوى) أكبر علماء الكهنة . ومنهم على ما قال أفلاطون سمع حكاية « اتلانتيد » (١) التى أراد أن ينظمها شعرا ليطلع عليها اليونانيون .

ومن هناك ذهب الى قبرص حيث صار صديق « فيلوسيبروس » أحد ملوك الجزيرة وكان يسكن مدينة أنشأها « داموفون » بن «نيزيوس» على مقربة من نهر كلاريوس . وكان المكان حصينا الا أنه واقع فوق أرض قاحلة عقيم فأقنع صولون الملك أن ينقل المدينة الى سهل خصب وأن يكبر من شأنها بتوفير أسباب الراحة فيها . وقد ساعد فى بنائها وتجهيزها بكل ما يلزم لزيادة خصبها وطمأنينتها فزاد عدد سكان المدينة حتى حسده الملوك المجاورون له . واعترافا بفضل صولون دعا المدينة « صولى » بعد ان كان يدعوها « أبيا » . ذكر صولون هذا فى قصــائده فقال مخاطبا فيلوسيبروس :

بقى حكمك أنت وخلفــاؤك فى صـــولى ســنوات عديدة مطمئنين ســـالمين

أما أنا الذى سيبعد بى مركبى السريع عن هذه الجزيرة السعيدة ففى حمى سيريس ذات التاج البنفسجى

---

(١) الاتلانتيد ، جزيرة أو قارة ابتلعتها المياه ولعلها غرقت فى البحر الاطلانطيقى رواية مشهورة فى العصور القديمة . هل هى أمريكا أو جزائر فورفيق .

لتجزنى الآلهة على بناء هذه « المدينة » شكرا ومجدا
وشهرة أعود بها الى وطنى .

يرى البعض تناقضا فيما روى عند مقابلته مع كرازيوس،ويزعمون انه خطأ ضد التاريخ أما رأيى أنا فان حادثته شهيرة تؤيدها شهادات الكثيرين وهى أشبه بأخلاق صولون حقيقة بما طبع عليه من عظمة نفسيه وحكمة مما لا يجوز رفضه بحجة عدم اتفاقها مع هذا الجدول التاريخى أو ذاك . متى عرفنا أن آلافا من العلماء بدلوا ولا يزالون يبدلون حتى اليوم هذه الجداول التاريخية ولم يصلوا بعد الى التوفيق بين متناقضاتها . أما الحادثة فهى : ذهب صولون الى « سارد » بناء على دعوة كرازيوس فكان هناك أشـــبه بالرجل الذى رأى البحر لأول مرة ، يحسب كل ما صادفه من الأنهار بحرا ، كذلك صولون عندما دخل أقسام القصر ورأى حاشية الملك أكل فى ثياب فخمة يحيط به الخدم والحرس فظن كل منهم كرازيوس وأخيرا وصل الى الملك ، وكان هذا قد تحلى فى ذلك اليوم بأغلى وأفخر جواهره وأثمن وأبهى ثيابه متقلدا حلاه الذهبية متقنة الصنع ليظهر أمام صولون فى أحلى وأبهى هندام . ولكن صولون رغم ما كان يتوقعه الملك لم يبد عليه شىء من الدهشة ولا الاعجاب . وقد أدرك عليه أصحاب النظر احتقاره هذه الفخفخة والصغار وحينئذ أمر كرازيوس أن يطلعه على خزائنه وأن يبسط أمامه جلال وفخامة رياشه ولكن صولون لم يكن فى حاجة لذلك ليحكم على كرازيوس . كفى أنه رآه . أعيد صولون الى حضرة كرازيوس بعد أن شاهد كل شىء فسأله الملك هل يعرف أحدا أسعد منه حالا ؟ فأجابه صولون « نعم ذلك تللوس الأثينى تللوس الذى عاش رجل خير وترك أبناء محترمين من الجميع وبعد أن قضى حياته لا يعوزه شىء مات مجيدا وهو يدافع عن وطنه » . فلم ير كرازيوس فيمن لا يقيس السعادة بالذهب والفضة ويفضل حياة وموت رجل عامى على هذا الملك العظيم ، سوى رجل بليد جاف الطبع . على أنه سأله ثانية هل تعرف رجلا بعد تللوس أوفر حظا منه فأجابه صولون « عرفت كليوبيس وبيتون وهما أخوان شديدا الحب لبعضهما ولا يقل حبهما لوالدتهما عن حبهما لأنفسهما . وحدث ذات يوم أن تأخرت الثيران

فعلق الولدان النير فى عنقهما وجرا عربة والدتهما الى هيكل جينون فانشرح صدر الوالدة وأقبل الناس يهنئونها بأن لها أولادا كهؤلاء ولكن الأخوين بعد التقدمة والوليمة ذهبا ليناما فناما ولكنهما لم يستيقظا فى الغد اذ ماتا ميتة هادئة لا ألم فيها » ·

فرغ صبر كرازيوس وصاح ماذا ؟! ألا تحسبنى بين السعداء ؟! فأجابه ولم يرد أن يملقه ولا أن يزيده غضبا « يا ملك الليديين ! لقد رزقتنا الآلهة نحن الاغريق من كل شيء مقدارا وسطا لا سيما حكمتنا فانها ثابتة ساذجة أى عامية ليس فيها شيء ملكي وجليل ، وميزتها هى هذه الحالة الوسط وهذه الحكمة التى ترينا حياة الانسان عرضة دائما للقلق والاضطراب لا تسمح لنا أن نزهي بما نملك من عقار ولا أن نعجب فى سوانا برفاهية يزيلها الدهر ، فما من رجل لا يرميه المستقبل بألوف من الحوادث لم تخطر له على بال · فمن جعلت الآلهة حياته كلها حتى النهاية متاع سعادة فهو حقيق فى نظرنا بأن يعد سعيدا · أما الانسان الذى لا يزال على قيد الحياة عرضة لجميع مخاطرها فلا يمكن أن نضمن له سعادته لبعدها عن مقدوره اكليل النصر عمن لايزال فى حلبة السباق » ·

أحزنت هذه الكلمات كرازيوس ولكنها لم تصلح شيئا من خلقه وانسحب صولون ·

كان « ايزوب » مؤلف القصص الخرافية حينذاك فى سارد ، حيث استقدمه كرازيوس وأكرمه · ساءه ما لقى صولون من عدم الرعاية ، فقال له ناصحا « يا صولون اما أن لا تقترب من الملوك أو أن لا تقول لهم غير ما يرضى » فقال « الأولى أن تقول لا تقربهم أو لا تقل لهم غير ما يفيد » ·

أما كرازيوس فانطوى على احتقار بغيض لصولون ولكنه عندما قهره « سيروس » واستولى على سارد وأمر بحرقه حيا وجيء به موثق اليدين امام النار فى حضرة « سيروس » ورجال الفرس · رفع كرازيوس صوته وصاح بكل قواه ثلاثا « صولون ! » دهش سيروس وأرسل يستعلم عن ذلك الانسان أو الاله المدعو صولون الذى استغاث به فى أشد محنة · لم يخف كرازيوس الحقيقة ، فقال : « انه أحد حكماء اليونان استقدمته

لا لأستمع اليه ولا لأتعلم منه ما كنت فى حاجة الى تعلمه بل ليشهد عظمتى ويشيد بسعادتى فى جميع أنحاء اليونان ، تلك السعادة التى اجتلب على ضياعها من الألم ما لم يستطع وجودها أن يذيقنى من السرور . ولم أكن أتذوق حينذاك سوى سعادة وهمية ، ولكن انقلاب القدر ألقى بى فى مصائب محسوسة حقيقية لا شفاء منها . تنبأ بذلك لما رآنى عليه ، مما أتالم منه الآن . وأنذرنى بوجوب الاهتمام لنهاية عمرى وألا أسترسل مع هوى الكبرياء وألا أثق بهذه السعادة المزعزعة » .

ولما نقل هذا الجواب الى سيروس كان أوفر حكمة من كرازيوس ورأى بعينه كلمات صولون محققة فلم يكتف باطلاق سراح كرازيوس ، بل أحسن معاملته طول حياته فكان من فخر صولون أن أنقذ حياة ملك ونصح آخر نصيحة حكيمة بعبارة واحدة .

على أن غياب صولون أعاد أثينا الى ما كانت عليه من الفتن . اجتمع سكان السهل تحت قيادة ليكورجوس ، وسكان الساحل تحت قيادة ماجكاسن ابن الكيميون وسكان الجبل تحت قيادة بيزستراتس وانضم الى هؤلاء أخلاط المرتزقة أعداء الأغنياء . حقيقة ان المدينة كانت لاتزال سائرة على شرائع صولون ولكن الجميع كانوا يتوقعون ثروة ويتوقون الى حكومة جديدة ، وليس ذلك لأن حزبا من هذه الأحزاب يريد اقامة العدل بل لأن كلا منها كان يأمل الاستفادة من التغيير والتمكن من السيادة وحده على الآخرين . هذه حالة أثينا عند عودة صولون اليها . استقبله الجميع باحترام واكرام . واذا كانت سنه لم تعد تسمح له بالعمل والخطابة بين الجمهور فكان يجتمع بالزعماء ويوفق ما بينهم ويصلح ذات بينهم جهد المستطاع . وكان بيزستراتس أدنى الى رضا صولون ، لما كان فى كلامه مما يغرى ويعطف ، وكان عونا للفقراء لطيفا ومعتدلا نحو أعدائه وكان يجيد تقليد ما حرمته الطبيعة من الخلال ، بحيث يظنها الناس أعلق بقلبه ممن فطروا عليها لذلك اشتهر بالحشمة والرزانة والغيرة على العدل والمساواة ، عدو لكل من يريد تعديلا أو تصبو نفسه فى ثروة . وكان هذا المظهر المتكلف يكبر شأنه بين الشعب ولكن صولون عرف حقيقته وتبين أغراضه فلم يقطع صلته معه بل حاول دمث أخلاقه ورده بنصائحه وكان يقول له وللآخرين : « لو أمكن أن تنتزع من نفسه هذه

المطامع الكبيرة وشفاؤه من شهوة الحكم المطلق ، لما كان فى أثينا رجل أليق منه بالفضيلة ولا أوفى منه وطنية » .

وفى ذلك الوقت « كان تيسبيس » قد غير نظام المآسى (الروايات) وكانت جدة المشهد تجتذب الناس ، ولم تكن مسابقة الشعراء لاكتساب الجوائز قد نظمت بعد . كان صـــولون بطبيعته طلعة وقد مال فى شيخوخته الى التلهى والاعب والولائم الرسمية والموسـيقى فذهب لسماع « تيسبيس » الذى كان يمثل كشعراء ذلك الزمن رواياته بنفسه فدعاه بعد نهاية الرواية وسأله ألا يخجل من حكاية أكاذيب جسيمة كهذه أمام الجمهور ، فقال تيسبيس لا بأس ولا ضرر من كلامه وعمله ، بما أنها (الروايات) لعب . فقال صولون وهو يضرب الارض بعصاه « نعم ولكن اذا كنا نتألم ونتحمل اللعب أو نستصوبه ، فانا نجد الحقيقة فى أعمالنا الجدية » .

حدث بعد ذلك أن جرح بيزستراتس نفسه وأمر فحمل الى الساحة العمومية حيث أثار الجمهور بابلاغه ان أعداءه هم الذين غدروا به عقابا له عما أداه من الخدم للجمهورية . وبينما الشعب كان يعلن استياءه بصرخات متوالية ، دنا صولون من بيزستراتس وقـــال له : « يابن هيبوكرات ! أنت لا تحسن تمثيل عولس (فى قصائد هوميروس) جرح نفسه ليخدع أعداءه ، وأنت تجرح نفسك لتخدع مواطنيك » .

وقد استعد الشعب للقتال تعضيدا لبيزيستراتس فعقد جلسـة عمومية اقترح فيها « أريستون » أن يعطى بيزيستراتس خمسين رجلا لحماية شخصية ولكن صولون عارض هذا الاقتراح بكل شدة ولايزال شىء من خطبته هذه فى قصائده .

« انكم لا ترون سوى لسان وكلمات رجل محتال
يمشى كل منكم فى مصالحه مشية الثعلب :
ولكنكم متى اجتمعتم صرتم قطيعا غبيا .

واذ رأى الفقراء ينضمون الى بيزيستراتس فى ثورة وهياج ورأى الأغنياء يهربون وجلا انسحب هو ـ أيضا ـ وهو يقول « انى أعقل من الفقراء الذين لم يروا خديعة بيزيستراتس ، وأجرأ من الأغنياء الذين رأوا الخديعة ولكنهم لم يجسروا على مقاومة الظلم » ٠

ولما وافق الشعب على ذلك القرار لم يعن صولون بمضايقة بيزستراتس فى عدد رجال الحرس الذين يعطون له وتركه يأخذ منهم من شاء على أن يدفع أجرهم ، وانتهى الأمر ببيزيستراتس أن استولى على القلعة ٠

انتهز ميجاكلس فرصة الاضطراب الذى أحدثه هذا المشروع ، فأسرع بالهرب هو والالكيمونيديون ٠ أما صولون فرغم شيخوخته ورغم عزلته فقد تقدم الى الساحة العمومية ووبخ الأثينيين على سوء تصرفهم ونذالتهم وحثهم على أن لا يخونوا الحرية ٠ وفى هذا الموقف قال كلمته المشهورة « كان من السهل قتل الاستبداد فى مهده أما وقد استفحل أمره ثمن العظمة والمجد أن يقضى عليه » ٠

ولما رأى أن الخوف استولى على الجميع وانه ليس من أحد يصغى اليه رجع الى بيته وأخذ أسلحته ووضعها فى الطريق أمام بابه وهو يقول « لقد دافعت جهدى عن الوطن وشرائعه » وعاش من ذاك الحين مطمئنا ٠ وقد نصح له أصدقاؤه أن يهرب فلم يصغ لنصائحهم ٠ ثم أخذ ينظم القصائد يعدد بها أخطاء الآثينيين :

لئن عاينتم الشقاء لنذالتكم
فلا تلوموا الآلهة فى مصائبكم
أنتم الذين اكبرتم شان اولئك الرجال بما قدمتم لهم من عضد
وهذا سبب ما بالقانون من استعباد مخجل ٠

على أن الناس لم يكفوا عن تحذيره من أن الطاغية قد تقتله ٠ وسئل يوما علام يعتمد فى جرأته ؟ فأجابهم « على شيخوختى » ٠ فكانوا

مخطئين ذلك أنه منذ صار بيزيستراتس السيد المطلق فى أثينا لم يقصر فى احترام ورعاية صولون وكثيرا ما كان يستدعيه اليه حتى صار مستشاره وكثيرا ما كان يستصوب بعض أعماله • والواقع أن بيزيستراتس كان يقيم جميع شرائع صولون يبدأ بتطبيقها على نفسه ويخضع لها وأصحابه طائعين أو غير طائعين • اتهم مرة بالقتل فمثل أمام مجلس القضاة وتقدم فى تواضع مع أنه الحاكم المطلق لتبرئة نفسه • ولكن المدعى استرد شكواه • وقد وضع من عندياته بعض الشرائع منها القانون الخاص بتغذية مقعدى الحرب على حساب الدولة • ولكن هيراكليد يقول ان صولون أصدر مرسوما كهذا بشأن تيرسيد عندما جرح ولم يكن بيزيستراتس سوى مقلد له فى ذلك • ويعزو ثيوفراست « القانون ضد العاطلين » الى بيزيستراتس لا الى صولون • ذلك القانون الذى أعان على الاشتغال بالزراعة واسعاد حال أثينا •

ثم شرع صولون فى نظم قصة الأطلانطيد التى رواها له حكماء سائس (صان الحجر) وكان الاغريق يهتمون بها ولكنه عدل عن ذلك لا كما قال افلاطون للاشتغال بغيرها بل لكبر سنه لأنه كان يميل للراحة كما قال عن نفسه « كبرت وأنا أستزيد من العلم » ثم قوله « ان ما أحبه الآن هو عطايا سيبريس وباخوس والهة الشعر •

هذه هى العطايا التى تجعل الانسان سعيدا » •

وضع افلاطون يده على موضوع الاطلانطيد كأنه أرض جيدة مهجورة آلت اليه بحق الارث (١) • ورأى من الشرف أن يتمه وأن يجمله • فمهد له بمقدمة فخمة ، وأحاطه بسياج فسيح لم يسبق أن عرف مثله فى حكاية أو قصيدة • ولكن الموت عاجله فمات ولم ينجزها فعلى قدر ما يسر الانسان بمطالعة ما كتب منها يكون حزنه على ما لم يكتب • لم يبق غير كامل فى أثينا سوى هيكل جوبيتر الأولمبى ، كذلك لم يبق دون الكمال من مؤلفات افلاطون سوى قصة الاطلانطيد •

---

(١) افلاطون من سلالة صولون •

صولون

قال هيراكليد ان صولون عاش طويلا بعد اغتصاب بيزيستراتس الحكم ولكن فانياس الايريزى يقول انه لم تمض عليه سنتان ، لأن اعتداء بيزيستراتس على الحكم وقع فى عهد الحاكم كومياس وقد توفى صولون حسب أقوال فانياس فى عهد الحاكم هيجسسترات خلف كوميـاس • أما القول ان رماد جثة صولون ذرى في مهب رياح جزيرة سالامين فمن أسخف وأكذب الأقوال ولو أنه ورد فى مؤلفات بعض من يوثق بهم حتى الفيلسوف أرسطو •

بوبليكولا

بلغ أوج مجده سنة ٥٠٩ ق٠م٠

لقد عرفت صولون وسنقابل بينه وبين بوبليكولا (١) وقد منحه الشعب الرومانى هذا اللقب الشريف وكان اسمه قبلا بوبليوس فالاريوس والمعروف انه من سلالة فالاريوس الذى أصلح فيما مضى ذات البين بين الرومانيين والسابيين وجعلهما شعبا واحدا ٠ لأنه هو الذى حمل الملكين على الاجتماع وعقد الصلح ٠ هذه أسرة فالاريوس على ما رواه الرواة ، وقد امتاز فى الزمن الذى كانت فيه روما تحت حكم الملوك بفصاحته وثروته واستخدام الخلة الأولى بحق وصراحة للدفاع عن العدالة واستخدام الثانية بسخاء وعطف لمساعدة المحتاجين لذلك رأى الناس من أول عهده أنه اذا كانت الحكومة قد صارت شعبية ، فلفالاريوس الفضل الأول فى ذلك ٠

لم يصل تاركان (لاسويرب) (الفخم) الى الملكية بطريق شريف بل داس الشرائع السماوية والانسانية ولم يستعمل سلطته الملكية بما يليق بالملوك من الاعتدال بل استعمل العنف والاستبداد فاستفظعه الشعب ولم يبق له صبر على احتماله ثم جاءت حادثة موت لوكريس فكانت سببا لثورة عامة ٠ ذلك أن لوكريس لما رأت أن شرفها قد امتهن ، قتلت نفسها بيدها ٠ رأى لوسيوس بروتوس ان يغير شكل الحكومة وأفضى بذلك الى فالاريوس فوجد فيه عضدا قويا ٠ وقد تمكن باتحاده معه من طرد الملوك ٠ لزم فالاربوس الحيدة عندما كان المظنون أن الرومانيين

---

(١) الذى يعلى قدر الشعب ٠

سيعينون بدلا من الملك ، قائدا وحيدا ، اعتقادا منه أن الحكم يرجع بمقتضى العدل الى بروتوس بصفته أول من أوجد الحرية ولكن الشعب كان قد كره كلمة « ملك » ومال الى الرغبة فى تقسيم الحكم وطلب تعيين اثنين فوهم فالاريوس انه سيكون شريك بروتوس ولكنه خدع فى وهمه . لأن بروتوس رغـم ارادته اضـطر لقبـول تاركن كوبلاتان زوج لوكريس بدلا من فالاريوس ، لا لأن ذلك أكثر جدارة من هذا بل لأن رؤساء المدينة خشوا حيل الملوك وما يدبرون من وسائل لاستمالة الشعب فأرادوا رئيسا يكون من ألد أعداء الملوك لا يثنيه شيء .

استاء فالاريوس لأن الشعب لم يعتقد أنه قادر على أن يعمل كل شيء لمصلحة وطنه لأنه لم يصب شخصا بأذى من الملوك ، فامتنع من الذهاب الى مجلس الشيوخ وعدل عن مهنة المحاماة وانسحب كلية من أعمال الحكومة . قلق الشعب وخشى أن يحمله استياؤه الى المؤامرة مع الملوك فيطلب الجمهورية التى لم تثبت دعائمها بعد . ولكن عندما اقترح بروتوس الذى كان يخشى أناسـا غير فالاريوس على المجلس حلف اليمين على الضحايا وعين يوما للحلف . نزل فالاريوس الى الساحة العمومية بنفس راضية وكان أول من أقسم أنه لن يصفح ولن يسلم الى تاركان بل انه بالعكس من ذلك يضاربه بكل ما فى وسعه دفاعا عن الحرية . بذلك سر المجلس وشجع القناصل ثم جاءت أعماله بعد ذلك مؤيدة لذلك القسم . أرسل تاركان الى روما رسلا تحمل رسائل كلها تملق ومداهنة للشعب تعرض مطالب متواضعة جدا مفرغة فى أسلوب يجتذب الجماهير ـ قائلا ان الملك قد تجرد من كبريائه ولا يطلب سوى مطالب معتدلة وقد قبل القناصل أن يخاطب أولئك الرسل الشعب . ولكن فالاريوس عارض ذلك قائلا : لا يجب أن تعطى لأناس فقراء يخشون الحرب أكثر مما يخشون الظلم فرصة وأسبابا للانتقاض .

حدث بعد ذلك بقليل أن صرح رسل جدد من قبل تاركان بأنه عدل عن الرغبة فى الملكية وانقطع عن محاربة الرومانيين وانه لا يريد سوى ان ترد اليه أمواله وأملاكه له ولأهله وصحبه ليتمكنوا من العيش فى منفاهم . وكان أغلب أعضاء مجلس الشيوخ ميالين الى منحه ما أراد .

وقد عضد كولاتن طلبه بنوع خاص • ولكن بروتوس وهو رجل صلب العود لا يبقى غضبه على شيء أسرع الى الساحة العمومية ودعا زميله خائنا يريد أن يقدم لآل تاركان الوسائل التى تمكنهم من موالاة الحرب واقامة الظلم والاستبداد • أولئك الذين لا يستحقون أن يعطوا ما يحتاجون اليه للعيش فى منفاهم • اجتمع الوطنيون ونهض من بينهم كايوس ميتيسيوس وحث بروتوس والرومانيين على عمل ما من شأنه استخدام هذه الأموال لمحاربة المستبدين لا أن يستخدمها المستبدون لمحاربتهم هم (الرومانيين) ولكن الرومانيين قرروا مع ذلك ما يأتى : بما أنهم ينعمون بالحرية التى شرعوا السيوف من أجلها فلا يجب أن نجعل الأموال عقبة فى سبيل السلام ، بل ابعادها خارج روما هى والمستبدين • على أن الأموال لم تكن غرض تاركان،ولم يقصد بطلبه سوى سبر غور الشعب وتدبير مؤامرة ، والحقيقة ، أن المؤامرة هى الغاية التى كان يعمل لها رسله وما كانت أموال الملك سوى وسيلة يتذرعون بها لاطالة مدة اقامتهم فى روما • يعملون متمهلين تارة فى بيع هذا وأخرى فى صيانة ذاك وترحيل غيره وبالايجاز كان لهم من الوقت ما مكنهم من اغواء اثنتين من أسر روما الكبرى ذات المقام الأول • الأولى أسرة أكيليوس ومنها ثلاثة شيوخ والثانية أسرة فيتاليوس ولها فى مجلس الشيوخ شيخان وكان لهؤلاء صلة قرابة مع بروتوس لأنه زوج أختهم وله منها أولاد عدة •

كان لبروتوس ، ولدان فى ريعان الصبا تمكن آل فيناليوس وهم أقرباؤه وأصدقاؤه من استهوائهما ، فانضما الى المؤامرة منجذبين اليها بأن يكون لهما عهد مع آل تاركان ، وهى أسرة كبيرة يجددون معها ما يرضى رغباتهم ارضاء ملكيا ويتخلصون من سيطرة والد قاس بليد • وكانوا يدعون شدته على الأشرار قسوة وكانوا يدعون ما كان يتظاهر به من الاستكانة حرصا على الطمأنينة واتقاء شر المستبدين فى بلاده ، على أنه لم يأب أن يطلق على نفسه هذا اللقب (لأن كلمة بروتوس معناها فى الحقيقة جامد بليد) ولما انضم هذان الشابان الى المتآمرين اتفقا مع آل أكيليوس • تعاهد المتآمرون فيما بينهم بقسم خطير • فقد شربوا دماء رجل ذبحوه واضعين أيديهم على الأحشاء وكان اجتماعهم فى منزل

أكيليوس وكان المنزل الذى جرت فيه هذه المأساة يليق بها لابتعاده ، ولما كان يخيم عليه من ظلام ولم يلحظوا أن عبدا يدعى فاندسيوس كان مختبئا هناك • ولم يكن اختباؤه عن رغبة فى المراقبة ولا أنه كان يتوقع حدوث شىء مما قصدوا له ، ولكنه كان فى البيت صدفة ورأى المتآمرين يدخلون اليه دفعة واحدة فلم يجسر على الظهور فاختفى خلف خزانة كبيرة فشهد كل ما عملوا وسمع كل ما قالوا فتقرر فى الجلسة قتل القنصلين وكتبوا الى تاركان رسائل تعلمه بجميع خططهم وسلموها الى الرسل لأن ذلك المنزل كان مسكنهم لأنهم كانوا ضيوف أكيليوس وقد حضروا الاجتماع •

لما انتهى الأمر وانصرف المتآمرون خرج « فاندسيوس » من المنزل خفية لا يدرى ما يعمل بما هدته الصدفة الى اكتشافه • ساورته الأفكار واختلط عليه الأمر • رأى فى الافضاء الى بروتوس بخيانة أبينه والى كولاتان بخيانة أقربائه خطرا وأى خطر • ثم انه لم ير فى روما رجلا يمكن أن يعهد اليه هذا السر على أنه لم يستطع كتمان هذا الحادث • وأخيرا اشتد عليه وخز ضميره فأسرع الى فالاريوس حمله على ذلك ما يعرفه عنه من الدعة والانسانية وسهولة استقباله كل انسان حتى الوضعاء اذ كان بيته مفتوحا على الدوام لا يترفع عن الاهتمام بشئون الآخرين والعناية بحاجاتهم قابله فاندسيوس وروى له أمام زوجته وأخيه ماركوس فالاريوس كل ما شاهده وسمعه • استولت الدهشة والرعب على فالاريوس فاعتقل العبد وحبسه فى غرفة وترك حراسة باب البيت الى زوجته ، وعهد الى أخيه أن يحاصر قصر الملك بحيث يضبط الرسائل وأن تبقى الخدم تحت حراسة شديدة • أما هو فذهب فى جماعة من عملائه وأصحابه الذين لم يكونوا يفارقونه وأخذ معه خدمه العديدين ، وقصد الجميع منزل آل أكيليوس فلم يجدهم هناك واذ لم يكن أحد فى انتظاره دخل المنزل بلا عائق ووجد الرسائل فى مسكن رسل الملك ، ولكن آل أكيليوس أسرعوا اليه وهو لايزال فى المنزل ووقع بينهم شجار عند الباب حاولوا فيه استرداد الرسائل ولكن فالاريوس ورجاله قاوموهم مقاومة عنيفة ولفوا ثيابهم حول أعناقهم واجتازوا بهم الطرق دافعين مدافعين الى أن وصلوا بمشقة الى الساحة العمومية ولم يكن ماركوس فالاريوس أقل توفيقا فى قصر الملك ، فقد استولى على رسائل أخرى مرسلة مع أشياء أخرى

وساق الى الساحة العمومية ـ أيضا ـ جميع رجال الملك الذين استطاعوا القبض عليهم •

ولما تمكن القناصل من تهدئة الحال استدعى فالاريوس من منزله فندسيوس وأخذ في التحقيق • تليت رسائل المتآمرين فلم يجرؤ أحدهم على البت بكلمة وكان الجميع خافض الأبصار في صمت عميق وقد ارتأى البعض مجاملة لبروتوس أن يكتفى بالنفى ، وكانت دموع كولاتان وصمت فالاريوس قد بعثا الى نفوس المتآمرين شيئا من الأمل، ولكن بروتوس نادى أبناءه كل باسمه أنت يا ثيتوس وأنت يا فالاريوس لماذا لا تجيبان على هذا الاتهام ؟ ناداهما ثلاثا وهما صامتان • وحينئذ التفت بروتوس الى الجلاد : الآن عليك أن تنفذ ما بقى • أخذ الجلاد الشابين ونزع عنهما ثيابهما وشد وثاق أيديهما الى ظهرهما ومزق جلدهما بالسياط فلم يستطع أحد أن يتجلد أمام هذا المشهد الصارم • بروتوس وحده بقيت له شجاعته • ويقال انه لم يحول نظره دقيقة ولم يكن للشفقة أى أثر على الغضب والصرامة اللتين كانتا مرتسمتين على وجهه • شاهد بروتوس التنكيل بابنيه بعين وحشية ، الى أن ألقى جسداهما على الأرض وسقطت رأساهما تحت ضربات المضربة وحينئذ ترك لزميله معـــاقبة الآخرين ونهض من كرســـيه وانسحب •

ان عمــل بروتوس على ما هو لا يكفى فيــه الاطراء ولا تكفى فيه المؤاخذة فهو اما عن فضيلة سامية ترفعه عن المؤثرات الانسانية أو عن شهوة متطرفة نزلت به الى عــدم الشعور فكلاهما غريب جدا ليس من طبيعة الانسان الأول من طباع الآلهة والآخر من طباع الضوارى على أن العدل يقتضى أن نعتدل فى حكمنا على مجد بروتوس لا أن نشـــك فى فضيلته لما فينا من ضعف • ان الرومانيين يعتقدون اعتقادا أكيــدا أن رومولوس لم يلق فى تأسيس روما من العناء ما لقيه بروتوس فى نصرة الحرية وتوطيد دعائمها •

ولما انسحبا ألجم الرعب والدهشة ألسنة الجماعة وكان الصمت رهيبا كئيبا ولكن تراخى كولاتان شجع آل آكيليوس فطلبوا أن يفسح لهم فى الوقت للدفاع عن أنفسهم ، وأن يسلم اليهم فندسيوس عبدهم

ولا يبقى بين أيدى المتهمين (المدعين) مال كولاتان الى اجابة طلبهم وأراد فض الجمعية ، ولكن فالاريوس أعلن أنه لا يسلم فندسيوس الذى اختلط بين أتباعه وأنه لا يحتمل أن ينصرف الشعب فينجو الخائنون • ثم وضع هو بنفسه يده عليهم ، ودعا برونوس لمعاونته وندد بسوء تصرف كولاتان فى الوقت الذى أوجب فيه بروتوس على نفسه قتل أبنائه ، مال كولاتان ارضاء للنساء لافلات الخائنين وأعداء الوطن من يد العقاب ـ مل القنصل هذه المقاومة فأمر الجلادين بالقبض على فندسيوس ففرقوا الجمهور وقبضوا عليه وضربوا الذين حاولوا انتزاعه من أيديهم ولكن أصحاب فالاريوس قاموا بالدفاع عن العبد وصاح الشعب طالبا بروتوس ، عاد بروتوس الى الساحة فاستولى على الجميع عند ظهوره سكون شامل فقال : لقد كنت بنفسى كافيا لمحاكمة أبنائى وتركت المتهمين الآخرين لحكم الشعب فعليه أن يبدى رأيه فليتكلم كل انسان ويقترح ما يشاء • فعلت هذه الكلمات فعلها وأخذت الأصوات وكان الحكم بالاجماع قطع رؤوس المتهمين •

أصبح كولاتان موضع شبهة لقرابته لأسرة الملوك وأصبح اسـمه بغيضا لما أحدثه تاركان من الاستياء العام واذ رأى ما حدث وأن الشعب يضمر البغضاء استقال من القنصلية وابتعد عن روما ـ جرى الانتخاب العام وكان فالاريوس باجماع قنصلا جزاء حق لغيرته ونخوته فرأى من العدل أن يشرك معه فى الخير فندسيوس فأعتقه ومنحه بقرار من الشعب صفة الوطنى مع حق الانتخاب فى القبيلة التى يريدها فكان أول معتوق تمتع بهذه المنحة وحدث بعد ذلك بزمن طويل أن أبيوس استجلابا لرضاء الجمهور منح جميع المعتقلين حق الانتخاب ولا يزال التحرير التام يدعى حتى اليوم « فندكتا » كلمة مشتقة من فندسيوس •

نهبت وسلبت أموال وأملاك الملوك وهدم قصرهم وكان لآل تاركان أحسن جانب من جوانب حقل مارس • خصص لذلك الاله • كان المحصول محصودا والحزم ملقاة فى الساحة وكان المعتقد أنه لا يجوز طحن تلك الغلال ولا الاستفادة منها فاخذ الجمهور يلقى بها وبالأشجار التى اقتلعها الى نهر التيتر ليترك للآلهة الأرض عارية لا زرع فيها • قذف التيار هذه المواد وكدسها على بعضها ولم يبعد بها بعيدا • رست القذيفة الأولى واحتجزت التالية فتماسكت وتصلبت بحيث صارت قطعة صلبة ثابتة •

اتسعت هذه الرقعة وازدادت متانة بما كان يحمله التيار من الطمى ولم تكن الأمواج لتفرق بين أجزائهـا بل كانت بالعكس من ذلك تزيدهـا تماسكا واحكاما ورسوا يوما بعد يوم ـ أخذت هذه البقعة فى الاتساع والمتانة بما كانت تجترنه أمواج نهر التيتر من الأجسام الغريبة ، وتعرف اليوم فى روما بالجزيرة المقدسة • أنشئت عليهـا المعابد والمنتزهات وأطلق عليها اسم بين الجسرين • وجاء فى رواية أخرى أن هذه الجزيرة لم تنشأ حين نكريس حقل تاركان بل نشأت بعد ذلك بزمن بعيد عندما كرست تاركينا للاله مارس حقلا ملاصقا لحقل فاركان • وتاركينا هذه كانت كاهنـة (فستال) أكسبها كرمها امتيازات مشرفة منها قبول شهادتها فى القضاء وهو حق لم تنله غيرها من النساء وأبيح لها الزواج ولكنها لم تستخدم هذا الحق • هذا ما يقال فى الرواية الأخيرة •

يئس تاركان من أسترداد الملك بالدسيسـة والمؤامرة فلجـأ الى الأترسكيين ، فتحمسوا له واهتموا بشأنه وساروا به الى روما فى جيش عرمرم فزع القنصـلان لملاقاته على رأس الرومانيين واصطف الجيشـان للقتال فى مكانين مقدسين • يعرف أحدهما باسم « بوكيج » مأوى أرسيا والآخر مرج أزوفيان ، وما كاد يبدأ القتال حتى تلاقى أرونس بن تاركان والقنصل الرومانى بروتوس ولم يكن تلاقيهما صدفة بل كانا مدفوعين بعوامل الحقد والبغض ـ أحدهما يطلب المستبد عدو الوطن والآخر يريد الانتقام لنفسه من النفى • دفع كل منهما جواده نحو الآخر فى سورة غضب لا حذر معها ولم يفكر أحد منهما فى وقاية نفسه ولذلك سقط كلاهما فى حومة الوغى • ولم تكن المعركة التى تلت هذه الفاتحة أقل فظاعة اذ كان الفتك فى الجانبين ذريعا ولم يفرق بين الجيشين الا عاصفة هوجاء ،فاضطرب الأمر على فالاريوس ولم يدر لمن كان النصر • رأى جنده قد فتت الخسائر فى عضدهم من جهة ولكنهم من جهة أخرى مطمئنين لما أنزلوا بالعدو من الخسـائر • وذلك لكثرة عدد القتلى وتساوى الخسـائر فى الجانبين وكان كل من الفريقين على يقين من خسـائره ولا يعرف خسـائر عدوه الا تخمينا كان أدنى الى الاعتقاد بأنه المغلوب على أمره من الاعتقاد أنه الغالب ـ أرخى الليل سدوله لا يصعب على أحد أن يتصور كيف قضوا ليلتهم بعد تلك المعركة المخيفة مال الجيشان الى الراحة ويقال انه حدثت

هزة فى الغابة المقدسة ، وخرج عنها صوت هائل يعلن أن قتلى الأترسكيين يزيدون واحدا عن قتلى الرومانيين وكان هذا صــوت اله ولا شك لأن الرومانيين استعادوا شجاعتهم فجأة وملأوا المعسكر بصيحات الفرح ، أما الاترسكيون فقد استولى عليهم الفزع والاضطراب فتركوا ساحة القتال وتفرقوا هنا وهناك ولم يبق منهم ســوى خمسة آلاف تقريبا يقاومون هجمات الرومانيين فأسروا جميعا وسلب معسكرهم وأحصى الرومانيون القتلى فكانت خسائر الأترسكيين ١١٣٠٠ ، وقتلى الرومانيين أقل من هذا العدد واحدا ٠

يقال ان هذه الموقعة حدثت عشية أول شهر مارس ، وكان النصر لفالاريوس أول قنصــل دخل روما على عربة تجرهــا أربعة من الجياد وكانت النظارة تشهد هذه الأبهة وهذا الجلال بلا حســد ولا استياء ، رغم قول بعض الكتاب من أن هذا النصر لم يكن مدعاة للتنافس أو مثلا يحتذى وأن السعادة لم تجر بذلك عدة سنوات ٠

ولقد سر الناس مما قام به فالاريوس من تكريم زميله أثناء وبعد الجنازة التى ألقاها والتى سر بهــا الشعب غاية السرور وكانت ابتكارا جرى الناس عليه فكان اذا مات عظيم قام أحد رجال الخير برثائه وتقدير حســـناته ٠ ويقال ان هذه المرثية سابقة لكل ما جرى من نوعها عند اليونانيين ولكن الفضل فى هذه العادة يرجع الى صولون الذى كان يقوم بتكريم الموتى على رواية الخطيب أنا كزيمن ٠

حدث بعــد ذلك أن فالاريوس أصبح موضع استياء وريبة ٠ ان بروتوس الذى يعتبره الشعب « أبا للحرية » اشترك معه قنصلان مرتين « أما فالاريوس فانه استأثر بالسلطة ، انه ليس وريث قنصلية بروتوس وأن ذلك ليس أشــبه به انما هذا أشــبه بتاركان ماذا يهمنا انه يطرى بروتوس كلاما يقتدى بتاركان عمليا ؟؟ الا أنه يمشى وحده يحيط به حملة المشاعل والمطارق اذا خرج من بيته وهو أكثر فخامة من قصر الملك الذى هدمه بيده ؟ » والحقيقة أنه كان يسكن قصرا فخما جدا قائما على جبل يدعى « فاليا » يدل على الفوروم « الساحة العمومية » ولا شىء يحجب النظر فى ذلك الارتفاع الشاهق ٠ على أن الصعود اليه كان صعب المرتقى وكان

فالاريوس اذا نزل من قصره فى حاشيته ، مشى مشية جليلة تشعر بفخامة الملوك وكان يظهر أنه من حسن حظ الرجال الذين يتولون الشئون العامة أن يفتحوا آذانهم للغة الصراحة والحقيقة أكثر من خطب الملقين • علم من أصحابه استياء الشعب فبدل أن يجادل فى الأمر أو يغضب دعا جماعة من العمال قبيل الصباح وهدم قصره حتى أساسه ، فلما طلع النهار ورأى الرومانيون هذا المشهد أعجبوا لعظمة فالاريوس لنفسه ولكنهم حزنوا لضياع القصر ، حزنوا لأن الحسد أباد عظمة وجلالا • حزنوا لذلك حزنهم على انسان نفذ فيه حكم الاعدام ظلما • وقد خجلوا اذ رأوا القنصل يسكن كرجل بلا مدفأ ولا مسكن فى منزل مستعار • ذلك أن أصحاب فالاريوس آووه الى منازلهم حتى صرح له الشعب بقطعة أرض بنى عليها منزلا أقل أبهة من الأول • وهو فى المكان الذى يعرف الآن باسم « فيكابوتا » (١) •

لم يقصد فالاريوس أن يحبب الى الناس شخصه فقط ، بل قصد أن يحبب اليهم سلطة القنصلية التى كانت موضع ريب فى نظر الجميع فمنع من الشارات الفؤوس وكان كلما ذهب الى الجمعية العمومية خفض الشارات ذاتها وأحناها أمام الشعب وبذلك كان يعلن اعترافه واحترامه لسـيادة الشعب ولا تزال هـذه العادة جارية حتى اليوم • ولم ير الجمهور ان فالاريوس يضع بهذا الاعتدال من قدر نفسه بل اعتقد أنه أصبح بمنأى عن الحسد وأنه يزيد من سـلطته الشخصية بما يفقد فى الظـاهر من امتيازات الحكم والواقع أن الشعب كان يخضع له راضيا مسرورا • ويقدم له الطاعة عن طيب خاطر فدعا الشعب « بوبليكولا » أى محترم الشعب وصار هذا له لقبا اشتهر به عن اسمه القديم وبهذا الاسم سندعوه فيما يلى من سيرة حياته • وأباح لكل انسان أن يتقدم لمقام القنصلية الخالى ولكن قبل انتخاب زميله الذى لا يدرى من هو وقد يكون عن غيرة أو جهل حجر عثرة فى سبيل مشروعاته عمد الى استخدام السلطة المطلقة التى كان يتمتع بها الى انجاز أجمل وأفيد أغراضه، فبدأ بتكملة مجلس الشيوخ الذى لم يبق من أعضائه الا قليل • فقد ذهب الكثيرون ضحايا تاركان من قبل وسقط البعض فى حومة القتال • ويقال انه زاد على الموجود منهم مائة

---

(١) اسم النصر المؤله ، مؤلف من كلمتين معناهما النصر والسيادة •

وأربعة وستون عضوا • ثم وضع جملة قوانين زادت فى سلطة الشعب : منها القانون الذى يقضى بأن ترفع الى الشعب الأحكام التى يصدرهـا القنصلان ثم قانون يقضى بالموت على من يتولى شأنا من الشئون العامة دون أن يعينه الشعب وجاء القانون الثالث خير عون للفقراء وهو الذى يعفى الوطنيين من كل ضريبة ، فنشط ميل كل انسان الى الفنون والصنائع ولم يكن ما سنه ضد الذين لايطيعون المناصل أقل شهرة ولا مجلبة للرضا فانه جاء فى مصلحة الفقراء أكثر منه لمصلحة الأغنياء • يغرم المخالف بخمسة ثيران وخروفين وثمن الخروف عشرة أفلاس (جمع فلس) وثمن الثور مائة فلس • لأن النقود لم تكن كثيرة لدى الرومانيين فى ذلك الوقت وكانت ثرواتهم قطعان الماشية كبيرها وصغيرها ولهذا أطلق على الثروة اسم بكيوليوم (الأموال بمعنى الماشية) أى النعاج • وان نقودهم مرسوم عليها الثور والنعجة أو الخنزير وأنهم يسمون أبناءهم بهذه الأسماء •

كانت هذه القوانين مقبولة بالرضا وملأى بالاعتدال ولكنه تشدد فى عقاب الجريمة شدة قاسية فقد سن قانونا يبيح قتل كل انسان يأتمر للظلم والاستبداد بدون اجراءات قانونية ويكفل عدم غياب المتهم بشرط أنه يقدم البراهين على الخيانة لأنه كان يعتقد أن من المحال على من يدير أمرا كهذا أن يخفى غرضه عن جمع الناس • وقد يحدث رغم اكتشاف أمـره أنه يتمكن من اغتيـال الحـــكم قبل محاكمتـه لذلك منح كل وطنى يحول دون ذلك بقتل المجرم حكما لا يمكن اجراؤه اذا تمت للمجرم جريمته •

وقد لقى قانونه عن محصلى الأموال قبـولا طيبا • كان الوطنيون مكلفين أن يدفعوا من أموالهم اعانات للحرب فلم يرد أن يمس هو هذه الأموال أو يعهد بها الى أصحابه ولم يرد أن يضع أموال الدولة فى بيت خاص فجعل الخزانة فى هيكل ساتورن ولا يزال يستعمل بهذا الغرض وفوض الى الشعب اختيار محصلين من بين الشبان ، فاختار يوليوس فانوريوس وفاركوس مينوسوس فحصل أموالا طائلة وبلغ التعداد حينئذ مائة وثلاثين ألف وطنى عدا اليتامى والأرامل المعفين من الضرائب،وبعد أن

استوفى هذه الاجراءات اتخذ زميلا له فى القنصـــلية ، لوكريتيوس والد لوكريس • ونزل له عن المقام الأول رعاية لسنه وترك له الشارات احتراما لا يزالون يقدمونه للشيخوخة • مات لوكريتيوس فانتخب الشعب ماركوس هوراسيوس بدلا منه واستمر زميلا لبوبليكولا بقية السنة •

وبينما كان تاركان يعد فى أترووريا حربا ثانية ضـــد الرومانيين حدثت على ما يقال معجزة غريبة: كان تاركان أثناء حكمه بنى هيكلا لجوبيتر فى الكابتول ولما قارب الهيكل اتمامه رأى طاعة لوحى أو لمحض ارادته أن يضع على القمة عربة من الطوب وعهد فى صنعها الى فنانين أتروسكيين من فايين • حدث بعد ذلك أن انقلبت الملكية ولما فرغ الأترسكيون من صـــب القوالب وضـــعوا الطوب فى الفرن وبدل أن يجف ويتجمع بما يتبخر عنه من البلولة • كما يحدث عادة تحت تأثير النار انكمشت وصارت كتلة هائلة وبلغ من شدتها وصـــلابتها أن رفعت سقف الفرن وهدمت جدرانه ولم يتمكن الصناع من اخراجها الا بمشقة فظيعة ، وقال العرافون انه فأل حسن وأنه اشارة الى بقاء السيادة للشعب الذى بقيت له مهنة الطحن وأبى الفاييون أن يسلموا الى الرومانيين بناء على طلبهم بأيام أنه جرى سباق عربات فى فايين بما فيها من فخفخة وأبهة وبينما كان الفائز المتوج يسير بمركبته متمهلا يخرج من المضمار ، ذعرت الخيل بغير سبب منظور وبقوة خفية (الهية) أو هى صدفة محضة وجهت تخطو سريعة نحو روما تجر سائقها وعبثا حاول توقيفها بيده وسوطه فلم يسعه سوى تركها لاندفاعها فاحتملته الى أسفل الكابتول فألقت به الخيل عند الباب الذى يدعوه الرومانيون اليوم (راتومين)• ذعر الفاييون لهذا الحادث واستولى عليهم الرعب فسمحوا للصناع أن يسلموا عربة الطوب •

نذر تاركان القديم ابن دامارات فى حرب السابيين بنـــاء هيكل لجوبيتر الكابتولى ووفى تاركان الفخم ابنه أو حفيده ذلك النذر ولكنه لم يستطع القيام بحفلة تكريس أو اهداء الهيكل لأنه طرد قبل تمامه ولما تم البناء وهيىء بدواعى الجـــلال أظهـــر بوبليكولا غيرة شديدة للقيام بتكريســـه فقام كثيرون من أعيان روما ينـــازعونه هذا الامتيـــاز لقد احتملوا بلا حزن كبير ما أصاب بحق من المجد لقوانينه وانتصاراته ولم

يروا له حقا فى نيل هذا الشرف الجديد فأغروا هوراسيوس أن يطالب بذلك •

وقعت حرب اضطرت بوبليكولا الى الخروج من روما فعهد حساده الى هوراسيوس فى القيـــام باهداء الهيكل وأخـذوه الى الكابتول لأنهم يئسوا من حمله على ذلك بحضور بوبليكولا ويقال ان القنصلين اقترعا فيما بينهما فأصاب بوبليكولا قيادة الجيش وأصاب هوراسيوس تدشين الهيكل ويمكن معرفة الحقيقة مما جرى أثناء الحفلة • اجتمع الشعب فى الكابتول فى أعياد سبتمبر التى تقع عند استدارة قمر ماتاجيتنيون وكان الجمع فى صمت عميق وبعد أن أدى هوراسيوس الرسوم الأولية أمسك كالمعتاد بأجد أبواب الهيكل وشرع يتلو الصلاة العلانية للتدشين وكان ماركوس شقيق بوبليكولا واقفا من زمن عند باب الهيكل ينتظر الوقت المناسب فقال : أيها القنصل ، ان ابنك مات مريضا فى المعسكر • فحزن الجميع لهذا النبأ ولكن هوراسيوس لم ينزعج له واكتفى بقوله « ارموا الجثة حيث شئتم أما أنا فلا ألبس الحداد » واستمر فى صلاة التدشين وكان الخبر كذبا ابتدعه ماركوس ليبعد هوراسيوس ولكن هوراسيوس أظهر ثباتا عجيبا قد يكون لمعرفته خدعة ماركوس فالاريوس أو انه اعتقد الخبر صحيحا ولكنه لم يعبأ به •

وقد وقع هذا الحادث ذاته عند اهداء الهيكل الثانى ، بنى الهيكل الأول تاركان كما تقدم القول وقام بتدشينه هوراسيوس ولكنه أحرق أثناء الحرب الأهلية ــ أعاد سيللا بناءه ولكن كاتولوس هو الذى قام بتدشينه لأن الموت حال دون سيللا وهذا الشرف • هدم هذا الهيكل أثناء الفتنة التى وقعت فى عهد فيتاليوس ، وأعاد فيسباسيوس بناءه ولم يخنه حظه ــ أيضا ــ فى هذا العمل • فقد أتمه ولم يشهد تخريبه فكان حظه أسعد من حظ سيللا الذى مات ولم يستطع أن يدشن الهيكل الذى بناه ــ مات فيسباسيوس ولم ير احتراق هيكله فى الحريق الذى التهم الكابتول كله بعد موته بقليل ، أما الهيكل القائم الآن فقد شـــيده دومتيان ودشنه بنفسـه •

يقال إن تاركان أنفق على تأسيس هيكله فقط أربعين ألف رطل من الفضة أما الهيكل الحالى فجميع ثروة أغنى رجل فى روما لا تفى نفقات

حليته فقط فقد بلغت اثنى عشر ألف ثالان وقد نحتت أعمدته فى محاجر بنتال وكانت عندما رأيته فى أثينا أعمدة أقطار دائرتها على تناسق تام ، ولكنى عندما شاهدتها فى روما وجدتهم قد أعادوا نحت الأعمدة وصقلها وبذلك أضاعوا من روعتها وتناسبها • وأضاعوا من جمالها بمـا أحدثوا فيها من ترقيق ، وما على من أراد أن يعجب بعظمة الكابتول سوى أن يرى أحد أروقة أو غرف قصر دومتيان وحدها ان حماماته أو مساكن محظياته تذكرنا كلمة لبيشارم لذلك المسرف :

لست محسنا بل أنت مريض والعطاء سرورك ، ويصح ـ أيضا ـ أن نقول لدومتيان : « لست صالحا ولا عظيما • أنت مصاب بمرض وهو حب البناء ـ تريد مثل ميداس الشهير أن كل شىء يتحول بين يديك الى ذهب ورخام » وكفى بهذا افاضة فى هذا الموضوع •

أما تاركان فانه بعد الموقعة الكبرى التى هلك فيها ابنه أرونس فى قتاله مع بروتوس فقد لجأ الى كلوزيوم لدى لارس بورسينا أعظم ملوك ايطاليا والمشهور بصلاحه وكرمه فوعده المساعدة ، وطلب الى الرومانيين قتل تاركان واذ رفضوا طلبه أعلن عليهم الحرب وعين اليوم الذى يهاجمهم فيه والأماكن التى سيهاجمها وسار اليهم فى جيش عرمرم •

عين بوبليكولا قنصـــلا للمرة الثانية مع انه كان غائبا وعين معه تيتـوس لوكريسيوس • واستخفا بجرأة لررمسينا تركه يقـــدم اليه واشتغل ببناء سيليوريا وأنفق عليها كثيرا وحصنها تحصينا منيعا وأنزل فيها جالية من الرومانيين تبلغ سبعمائة رجل • أراد بذلك أن يظهر لبورسينا أنه لا يبالى بحربه وانه يسخر منها • هاجم بورسينا أسوار روما وحمل على طليعة الجيش حتى ألجأها الى الفرار •

اندفع الأعداء على المدينة واختلطوا بالهاربين ولكن بوبليكولا تقدم الى الأبواب ودافع الأعداء الذين يفوقون قواته عددا وتثبت المعركة بالقرب من نهر التيبر واستبسل فى القتال حتى سقط من جراحه الشريفة الباسلة فحملوه خارجا عن ساحة القتال • وقد جرح زميله لوكريسيوس مثله فخارت شجاعة الرومانيين ونجوا بأنفسهم مشتتين بين أنحاء المدينة ،

تعقبهم الأعداء الى كوبرى (جسر) الخشب متأهبين لاكتساح المدينة،ولو لم يقف لهم هوراسيوس كوكلس واثنان من أشراف المدينة،وهما هرماتيوس ولارتيوس فأوقفوهم عند رأس الجسر • دعي هوراسيوس ، وكوكلس لأنه فقد احدى عينيه في الحرب أو لأنه كان أفطس الأنف بحيث لم يكن فارق بين عينيه وكان حاجباه متصلين مختلطين ببعضهما • أراد الشعب أن يدعوه سيكلوب ولكن صعب عليه اللفظ فدعاه كوكلس وعرف بهذا اللقب • وقف كوكلس هذا للأعداء على رأس الجسر ودافعهم دفاع الأبطال فأعاق تقدمهم حتى تمكن رفاقه من هدم الجسر من خلفهم. ثم ألقى بنفسه في نهر التبر واجتازه عوما ، مع أنه أصيب بسهم من الأتريسكيين في فخذه ووصل الى الشاطىء الآخر • أعجب بوبليكولا بشهامته فطلب الى الرومانيين أن يتبرع له كل روماني بمبلغ يوازى نفقات قوته في يوم • وأن يقدموا له من الأراضى ما يستطيع تفليحه في يوم في دائرة يخطهـا هو • ولم يكتفوا بهذا بل أقاموا لكوكلس تمثالا من النحاس في هيكل فولكان ، أرادوا بهذا التكريم أن يواسوه على بقائه أعرج بسبب جرحه •

استمر بورسينا على محاصرة المـدينة وبدأ الرومانيون يشعرون بالجوع وفي هذا الوقت كان جيش آخر من الاتريسكيين يغير على الأراضي• عين بوبليكولا قنصلا للمرة الثالثة فاعتزم أن يقف من بورسينا موقف المدافع الحريص على سـلامة المدينة فلا يخاطر بالاقدام على معركة أما الاتريسكيين الذين كانوا يعيشون في القرى فقد انسل اليهم خفية وشتت شملهم وقتل منهم خمسة آلاف رجل •

لقد اختلفت الروايات عن موسيوس وسنروى أقربها الى العقل • كان رجلا جم الفضائل مجربا في الحروب اعتزم قتل بورسينا واتخذ زى أتريسكي ونفذ الى معسكر الأعداء وكان يعرف لغتهم • طاف بمجلس الملك ولكنه لم يكن يعرفه بالذات وخشى أن يفتضح أمره اذا سأل عنه فاستل سيفه وقتل أحد أعوانه ظانا أنه قتل الملك وفي الحال قبض عليه وحقق معه وكان بالقرب من المجلس نار مشتعلة وكان بورسينا ينوى تقديمها • مد موسيوس يده اليمنى الى النـار فكان لحمـه يحترق وهو ينظر الى بورسينا ثابت الجاش ليهدده بنظراته • أعجب بورسينا بهذا الموقف أيما اعجاب فأطلق سراحه ومد اليه سيفه من أعلى مجلسه فقبض عليه موسيوس

بيده اليسرى وكان هذا سبب تلقيبه بالأيسر ، وقال مخاطبا بورسينا آخذا سيفه ، لقد اجترأت على تهديداتك ولكنك قهرتنى بكرمك لذاتك أعترف لك على سبيل مقابلة الفضل بمثله بسر لم تكن لتنتزعه من صدرى . لقد اعتزم ثلاثمائة رومانى ما اعتزمته ، وهم الآن يجوسون خلال معسكرك يتحينون الفرص وقد وقع الاختيار على أن أكون البادىء وليس لى أن آسف لحظى أن أخطأت رجل خير الى حرى به أن يكون صديق الرومانيين لا عدوهم . فلم يشك بورسينا فى صدق هذه الرواية وأظهر استعداده للوفاق ، ورئى أن ذلك كان خوفا منه من الثلاثمائة المتآمرين ضده أكثر من اعجابه واحترامه لشهامة وبسالة الرومانيين . والمعروف أن هذا البطل يدعى موسيوس شيفولا (الأيسر) ولكن أتينودور ، بن ساندون (١) قال فى كتابه عن أوكتافيا أخت أغسطس انه يدعى أيضا (أوسبيجونوس) (٢) .

أيقن بوبليكولا أن لا خوف على روما من عداء بورسينا بمقدار من يستفيد من صداقته ومعاهدته لذلك لم يأب تحكيمه بين تاركان والرومانيين ولقد بسم له هذا الرأى أنه رأى فيه خيرا فدعا تاركان غير مرة للدفاع عن قضيته أمام بورسينا معلنا استعداده لاقناعه أنه شر الرجال وأنه حقيق أن يجرده من الملكية وأجاب تاركان بكبرياء أنه لا يقبل تحكيم أحد وعلى الأخص بورسينا ولو تخلى هذا عنه وحنث بعهده ـ أغضب هذا الرد بورسينا على تاركان وكان ابنه أرونس مخلصا للرومانيين قد ألح عليه فى الرجاء فعرض الصلح على الرومانيين بشرط أن يعيدوا اليه الأسرى والأراضى التى أخذوها من أتروريا مقابل رد الهاربين من الرومانيين . قبل هؤلاء الشرط وقدموا عشرة من أبناء العائلات الكبرى وعشر فتيات ، بينهن فاليريا ابنة بوبليكولا .

---

(١) أحد معلمى اغسطس ثم تيبر وهو من طائفة الرواقيين وأنه أقل منه شهرة .

(٢) هذه ترجمة الكلمة اللاتينية ، يوستيمرس ، الى اليونانية وكان الواجب أن يشير طارقوس الى ذلك لا أن يوهم القارىء أن الرومانيين كانوا فى تلك العصور القديمة يدعون أبناءهم بأسماء يونانية .

عقد الاتفاق وسرح بورسينا معظم جيشه ثقة بالمعاهدة وحدث أن الروميات نزلن الى النهر للاستحمام فى مكان التثنى فيه الشاطىء على شكل هلال حيث لا تيار ولا هواء يثير الأمواج ، واذ رأت الفتيات أنهن بلا حراس ولا أحد يمر بالشاطىء ولا مراكب فى النهر اعتزمن عبوره سباحة رغم عمقه وسرعة تياره ويقال ان واحدة منهن تدعى كلالى امتطت جوادا أثناء العبور وكانت تستنهض همم زميلاتها •

وصلن الى الشاطىء الآخر سليمات وذهبن لملاقاة بوبليكولا وبدلا من أن يعجب بهن أو يبدى موافقة على عملهن ، أظهر استياءه وخشى أن يتهم بأنه أقل أمانة فى الحرص على عهوده من بورسينا وأن تعتبر جرأة هؤلاء الفتيات خيانة من الرومانيين فجمعهن وأعادهن الى بورسينا •

علم تاركان بعودتهن ، فكمن لهن بجيش كبير العدد وكن يجتزن النهر هاجم الحراس ، استبسل الرومانيون فى الدفاع عن أنفسهم ولكن فاليريا ابنة بوبليكولا دفعت جوادها بين المتقاتلين وتبعها ثلاثة من الخدم ، ساروا فى رفقتها حتى معسكر بورسينا وبقى الآخرون ثابتين للقتال حتى كادوا يتقهقرون ولكن أرونس علم بما هم فيه من خطر فطار اليهم وهزم الأعداء وأنقذ الرومانيين •

ولما مثلت الفتيات أمام بورسينا استعلم عن التى بدأت وحرضت زميلاتها فذكرن له كلالى فنظر اليها باسما وأحضر أحد جياده الملكية مطهما بأفخر ما تتطهم به الجياد وأهداه اليها • هذا ما يزعمه الذين يدعون ان كلالى وحدها التى اجتازت النهر على جواد ويقول البعض ان ملك أتروريا أراد بذلك تكريم شجاعة كلالى ليس غير • وهناك تمثال لكلالى فى الشارع المقدس المؤدى الى جبل بالاتان ولكنه فى نظر البعض تمثال فاليريا لا تمثال كلالى •

ولما عقد الصلح أبدى بورسينا للرومانيين أدلة ساطعة على كرمه وعظمة نفسه • ذهب الى حد تحريمه على ضده أن لا يحملوا شيئا سوى أسلحتهم وأن يتركوا للرومانيين جمع المؤنة والأموال التى كانت فى

معسكره لذلك لا تزال العادة حتى اليوم عندما تبيع الحكومة شيئا يبدأ المنادى بقوله (أموال بورسينا) وهذا شرف مقدس واعتراف خالد بكرم هذا الملك ، ولقد أقيم له غير بعيد عن مجلس الشيوخ تمثال من النحاس وهو غير متقن الصنع ومن طراز قديم حدث بعد ذلك أن السابيين أغاروا على أراضى روما وكان القنصـــلان ماركوس فالاريوس شقيق بوبليكولا وبوتوميوس توبيرتوس واذ لم يكن يحدث شيء خطير هناك بدون رقابة ومشورة بوبليكولا •

أحرز ماركوس انتصارين باهرين لم يفقد فى الثانى أحدا من رجاله وقتل ثلاثة عشر ألفا من الأعداء • فلم يكتفوا فى جزائه بمنحه شرف الانتصار بل بنوا له على حساب الخزانة منزلا فوق جبل بالاتان • ومما امتاز به هــذا المنزل أن جعلت أبوابه تفتح الى الطريق لا الى الداخــل كالمعتاد •

أراد الشعب بهذا التميز الدلالة على رغبته فى جعل المنزل أكثر سعة • ويقال ان جميع المنازل فى اليونان كانت أبوابها على هذا النحو يستنتجون ذلك مما يحدث عند تمثيل الروايات حيث كان يتعين على من يريد الخروج من منزله أن يقرع الباب من الداخل وأن يفتح حتى ينبه من كان خارجا فيسحب قبل أن يدفع الباب الى الطريق •

عين بوبليكولا فى السنة الثانية فنصـــــلا للمرة الرابعة ، واتحد السابيون واللاتينيون وتوقعت روما حربا جديدة وكان قد استولى على المدينة فزع وهمى أزعج الجميع ذلك أن النساء لم تكن تلد سوى أطفال مشوهين وقليل منهن من كانت تستوفى موعدها الطبيعى • راجع بوبليكولا كتب الصوافين وقدم الضحايا تهدئة لغضب بلوتون وأقام ملاعب قديمة كان قد أمر بها أبولون فأعاد السرور الى روما باعادة الثقة بحماية الآلهة ثم فرغ الى درء الخطر الذى يمهده الناس لأن الاتحاد الذى دبر كان مخيفا وكان الأعداء يعدون له معدات جسيمة •

كان بين السابيين وطنى واسع الثروة يدعى أبيوس كلوذوس له قوة خارقة للعادة • وهو أول رجال أمته فصاحة وفضيلة ، لم ينج مما يصاب

به العظماء فصار موضعا للحسد · أراد منع الحرب فاتخذ حساده ذلك ذريعة لاتهامه · وادعوا انه يرسب زيادة قوة الرومانيين ليكون الحاكم المستبد في وطنه ويجعله ذليلا وكان الشعب يصغى الى هذه المفتريات فرأى أبيووس أنه صار موضع بغض أعدام السلام ومحبي الحرب فخشي أن يقدموه للمحاكمة فجمع عددا كبيرا من أهله وأصحابه وأثار فتنة فعطل بذلك الحرب وهدد السابيين · وكان بوبليكولا مطلعا على كل ما يجرى بين الأعداء فكان يزيد لهب الخلاف ويوقع التفرقة بينهم وأرسل الى كلوزيوس من يقول له « ان بوبليكولا يعرفك رجل خير وأعدل من أن تضمر الانتقام من مواطنيك مهما تكن أخطاؤهم نحوك واذا أردت أن تنجو بحياتك وأن تخلص من موقف الأعداء فاجعل مقامك بالقرب منه · ان روما والحكومة وكل وطنى يستقبلك بما يليق بفضلك وبالعظمة الرومانية »· أعمل كلوزيوس الفكر فى هذا الاقتراح،ولم ير وهو فى موقفه الحرج خيرا له منه · كاشف أصحابه بالأمر فعملوا هم ـ أيضا ـ على اكتساب الكثيرين غيرهم وهاجر تحت قيادة كلوزيوس خمسة آلاف من رؤساء العائلات بنسائهم وأولادهم وخدمهم · كل من كان بين السابيين من الوادعين الراغبين فى حياة السلم والعيش الهانىء ولما علم بوبليكولا بمجيئهم أسرع لاستقبالهم بكل حفاوة،ومنحهم جميعا حقوق الوطنيين وخص كل منهم بفرسخين على طول شاطىء نهر الينو ومنح البيوس خمسة وعشرين ، وجعله فى عداد رجال مجلس الشيوخ وكانت هذه أول منزلة سياسية احتلها وأظهر بعد ذلك حكمة فى ادارة الأعمال ، حتى قلد أهم الأعمال واكتسب سلطة واسعة واليه ترجع أسرة كلوزيوس التى لا تقل شيئا عن أية أسرة فى روما · أسكنت هذه الهجرة ما كان بين السابيين من الاضطراب ولكن دعاة التحريض لم يدعوهم هادئين فصاحوا بهم « من العار أن كلوديوس عدوكم الهارب ميال الى ما أبيناه عليه حين كان بيننا ويمنعكم أن تثأروا لأنفسكم من اهانات روما » فسار السابيون فى جيش كبير وعسكروا بالقرب من (فيدن) وكمن منهم ألفان فى أماكن غائرة مكشوفة على مدى أدنى من روما واتنوا أن يرسلوا صباح الغد ، الفوارس الى أبواب روما ومتى خرج اليهم الرومانيون تظاهروا بالتقهقر حتى لا يقع الأعداء فى الكمين· علم بوبليكولا من الهاربين ما أضمروه فاستعد لكل طارىء وقسم جيشه · أرسل بوستوميوس صهره فى ثلاثة آلاف جندى واستولى

مساء على المرتفعات التي تظل الكمين ويتحين هناك الفرصة المناسبة ، وانقض لوكريسيوس وزميلة أبسل وأشجع من في المدينة من الشبان يحمل بهم على الفرســان أما هو فيسير بباقي الجيش ليحيط بجيش السـابيين •

وفي مطلع فجر الغد ، كان الضباب مخيماً فحمى حركات الرومانيين عن الأنظار انصب بوستوميوس في ضجة من أعلى المرتفعات على الجيش الكامن بينما كان لوكريسيوس يطارد الفرسان الراكبين في الخـلاء وبوبليكولا يهاجم معسكر الأعداء • أخذ السابيون من كل جانب فتشتتوا منهزمين • لم يفكر جيش المعسكر في الدفاع عن نفسه ، بل ركن الى الفرار معمل الرماحه في أقضيتهم وما كان أشد خيبة آمال السابيين فيما كانوا يؤملونه من أن الدائرة لم تدر على غير ناحية من نواحيهم اذ لم يفكر جانب منهم في الثبات أو القتال فكان يجرى رجال المعسكر الى رجال الكمين وكان هؤلاء يجرون الى رجال المعسكر فبدل أن يجد كل ملجأ لم يجـد اذ الفارون في حاجة مثلهم الى من يأخذ بيدهم ، كان من المحتم أن يهلك جميع السابيين لولا أن (فيدن) المدينة المجاورة ، آوت البعض منهـم لا سيما رجال المعسكر الذين فروا منهم بعد أن استولى عليه الرومانيون أما الذين لم يبلغوا فيدن فقتلوا أو أسروا •

والرومانيون الذين كان من عادتهم أن ينسبوا مجد النصر الى الآلهة نسبوا هذا النصر الى حكمة الصائد وكانت أول عبارة فاه بها المقاتلون أن بوبليكولا سلم اليهم الأعداء عرجا عميا مغلولى الأيدى والأقدام ولم يكن عليهم سوى ذبحهم ، واستعاض الشعب خسائره من أسلاب الأعداء وبيع الأسرى • نال بوبليكولا أمجاد النصر وما كاد يســلم القنصلين المعينين لتسلم الأعمال بعده ، حتى توفى بعد أن قضى حياة ملأى بما تمتع به حالتنا البشرية من جميع خيرات العالم وأمجاده وكان الشعب لم يقم لبوبليكولا فى حياته بما يجب لفضله فقرر أن تدفن جثته الخزانة العامة واكتتب كل وطنى بربع اس •

وقررت النساء فيما بينهن قرارا شريفا مجيدا هو أن يلبسن الحداد على بوبليكولا سنة كاملة • وقرروا أيضا أن يدفن فى المدينة بالقرب من

تل فاليا وحفظ حق الدفن فى هذ: المكان لأعقابه أبد الدهر ولكنهم اليوم لا يدفنون فى هذا المكان أحدا من أسرته انما يكتفى بأن يحمل اليه الجثة ويقوم أحدهم بمشعل مضاء داخل القبر لحظة ، ثم يخرج فى حفلة تشهد بحق الميت ليدل على هذا الشرف وتحمل الجثة الى جهة أخرى ·

المــــوازنه
بين صولون وبوبليكولا

انه فى الموازنة العامة بين صولون وبوبليكولا اعتبار خاص لم يســبق له نظير فيما كتبت من الموازنات • ذلك أن أحدهما كان مقلدا والآخر مشاهدا لمن أريد موازنته به • وانى ملفتك الى أن معنى السعادة الذى أدلى به صولون أمام كراسيوس ، أليق ببوبليكولا منها بتللوس ، ان تللوس الذى وصفه صولون بأنه أسعد رجل لأنه مات ميتة مجيدة ولأنه كان جم الفضائل ولأنه ترك بعده أبناء محترمين لم يوصف بأنه رجل خير حتى ولا فى قصائد صولون • عاش أبناؤه غير معروفين ولم يتول وهو فى حياته منصبا من مناصب الحكم • أما بوبليكولا فانه بما حاز من فضل وثقة صار أول الرومانيين شهرة ولا تزال فى أيامنا ؟ ستمائة سنة بعد وفاته أكبر أسر روما كآل بوبليكولا وآل مسيلا وآل فاريوس يرجعون اليه بشرف محترم • مات تللوس بيد الأعداء شجاعا ثابت القدم بين جماعة • أما بوبليكولا فقد مات بعد أن قضى على الأعداء شر قضاء ولا شك أن هذا أسعد حالا من السقوط تحت ضرباتهم ، مات بعد أن رأى نفســه قنصــــلا ورأى وطنه منتصرا • مات بعد النصر موفور الكرامة والشرف • مات تلك الميتة التى كان يشتهيها صولون وكان يحسبها أسمى درجات السعادة واليك ما أبداه صولون فى جوابه الى ميمنوم (١) عن مدى الحياة « وأتمنى ألا يكون موتى غير مجر للدموع • أتمنى أن يشيع أصحابى جنازتى بين الألم والنحيب » •

---

(١) شاعر وموسيقى يونانى ولد فى كولوفون وكان معاصرا لصولون •

ان هذا التمنى هو سعادة بوبليكولا . لم يبكه اهله بل بكته المدينة كلها كان البكاء والأسى والحزن العميق شاملا للجميع وكان كل امرأة من النساء الرومانيات قد فقدت ابنا أو أخا أو والدا .

كان صولون يقول :

« أريد الثراء ولكنى لا أريده من الظلم » ...

لأن العقاب لابد آت . لم يغن بوبليكولا عن طريق الظلم بل كان من فضله أن أحسن استخدام أمواله فى مساعدة الفقراء . كان صولون أحكم الرجال وكان بوبليكولا أسعدهم . ان كل ما اشتهاه الأول كأجل وأعظم الخيرات حازه بوبليكولا ونعم به حتى موته .

مجد صولون بوبليكولا كما مجد بوبليكولا صولون بتقديمه كأكمل مثل يقتدى به مؤسس دولة شعبية .

جرد السلطة الملكيـــة من فخفختها القديمة وجعلها محسنة لطيفة للجميع . استعار كثيرا من شرائع صولون منها منح الشعب حق انتخاب الحكام ومنها حق المتهمين فى رفع قضاياهم الى مجلس الشعب ، كما سن صولون شرعة الاســتئناف الى بوبليكولا ولئن كان بوبليكولا لم ينشىء مجلس شيوخ جديدا كصولون ، فانه زاد القديم ما يقرب من نصف عدده وكان من شأن ما سنه لمراقبى الخزانة العمومية أن يفرغ الصـــالح من القناصل للأعمـــال الهامة وأن لا يجد الشرير فى حوزته من التحكم فى الأعمال العامة والأموال العامة ما يعينه على عمل الشر .

ان بغض الظالمين كان أملك لنفس بوبليكولا . حقيقة أن صولون سن قانونا يقضى بمحاكمة من يطمح الى الاستئثار بالحكم ، ولكن بوبليكولا أباح قتله قبل المحاكمة . يفخر صولون بحق فى رفضه حكومة ملكيـــة قدمتها اليه الظروف وحمله اليها مواطنوه راضين . وليس قليلا أن يتمكن بوبليكولا من أن يحبب الى الشـــعب ســـلطة تكاد تكون مســتبدة ، وألا يستخدم لذلك كل ما لديه من قوة ؟ اعتدال عبر عنه صولون بقوله عن الشعب « يطيع رؤساءه بلا تذمر » ــ « اذا كبح جماحه دون أن يسحق

تحت حمله ، ومن مفاخر صولون الخاصة الغاؤه الديون لأنه وطد حرية الوطنيين . من العبث أن تبين شريعة المساواة اذا كانت الديون تحرم الفقراء الاستمتاع بها . ومن العبث أن يكونوا في الظاهر ممتعين بالحرية ماداموا في القضاء والوظائف العمومية وحرية الكلام عبيدا للأغنياء خاضعين لاوامر دائنيهم ولقد فعل صولون أكثر من ذلك . ومن المعلوم أن الغاء الديون يعقبه اضطراب وشقاق ، ولكن صولون استخدم في تطبيق هذا القانون الحكمة التي يقتضيها تناول دواء خطر شديد وتمكن من تهدئه الفتنة التي ثارت في أثينا بما لفضله من الهيبة كما تمكن من تهدئه ما أحدثه القانون من الاعتراضات والتذمرات .

واذا نظرنا الى ارادتيهما في جملتها وجدنا صولون أبهى مطلعا ، وأنه شق طريقه بنفسه ولم يتقدمه أحد وأنجز بمفرده لا يعاونه أحد جميع مشروعاته حتى أكبرها . أما بوبليكولا فكانت خاتمة أعماله أسعد شأنا ، يحسد عليها . شهد صولون انقلاب الحكومة التي أسسها أما ما شاده بوبليكولا فقد أقام النظام في روما الى عهد الحرب الأهلية . ذلك أن صولون غادر أثينا بعد نشر قوانينه فتركها بلا مدافع عنها محفوظة في اللوحات والقوائم أما بوبليكولا فباقامته في روما قابضا على أزمة الحكم ثبت قوانينه وأكد بقاءها . صولون بعد جهد عقيم لزمه لتعطيل دسائس بيزيستراتس التي فضح أمرها ، انتهى الى الرضوخ لحكومة مطلقة أما بوبليكولا فقد تمكن من القضاء على ملكية قوية استمرت عدة قرون لم تكن شجاعته أقل من رغبته ولا اعزازه الفضيلة ولم يخنه الحظ الذى يدعم الجمهور ولا الهمة التي تنجز الأعمال .

أما المعارك الحربية . فاذا صدقنا قول دايماكوس من بلاته (١) فان صولون لم يكن قائد تلك الحملة ضد المجاريين التي رويناها ولكن بوبليكولا أحرز على رأس الجيوش انتصارات باهرة وقد أوذى في شخصه . صولون بصفتة رجل حكومة أشار على الأثينيين أن يستردوا سلامين . لجا في ذلك الى الحيلة فادعى الجنون ، أما بوبليكولا فقد جعل فاتحة أعماله مخاطرة عظيمة ، أعلن عداءه لتاركان وفضح المؤامرة وحال دون نجاة الخائنين من

---

(١) مؤلف تاريخ الهند اشار اليه سترابون كمجموعة قصص خرافية كاذبة عن تلك البلاد وهو كاتب غير معروف ولم يبق من كتاباته شيء .

العقاب ولم يكتف بطرد الظالمين من روما بل قضى على آمالهم ، ولئن كان قد واجه بهذا الحزم تلك الأعمال التي تتطلب الشجاعة والهمة ولم تكن لتستقر بدون قوة السلاح ، أظهر حكمة فائقة فى الشئون التى تقتضى اللوم السلمي والاقناع • فقد اكتسب بورسينا وهو قائد لم يقهر وعدو شديد الخطر وجعل منه صديقا للرومانيين وقد يعترض على هذا بأن صولون افتتح سلامين التى أضاعها الأثينيون بينما بوبليكولا قد سلم أراضى الرومانيين يحتلونها ولكن يجب الحكم على حسب الظروف ، ان السياسى المحنك يعمل أعمالا متباينة فى ظروف متباينة ، ويتناول الأمور من حيث تكون أيسر قبولا • وكثيرا ما يضحى بالجزء لسلامة الكل ويعطى قليلا ليأخذ كثيرا • وعلى ذلك يكون بوبليكولا بتنازله عن أراض أجنبية ضمن فى ذلك اليوم صيانة جميع بلاده حين كانت أكبر سعادة فى نظر الرومانيين أن يروا مدينتهم بعيدة عن الخطر ، وقد اجتلب اليهم ما عدا هذه السعادة جميع الأموال التى كانت فى معسكر الحاصرين وباتخاذه عدوه حكما انتصر على خصمه وحصل مع النصر على كل ما كانت تطيب نفسه لبذله لتتم له الغلبة • لأن بورسينا عقد الصلح وترك للرومانيين جميع ذخائر الحرب بفضل ما أدخله القنصل على نفس بورسينا من الثقة بفضائله وعظمة نفوس الرومانيين جميعا •

تيميستوكل

وقعت اهم حوادث حياة تيميستوكل بين ٤٧٣ ، ٤٦٣ ق٠م٠

كانت عائلة تيميستوكل أقل من أن يكون مدينا لها بمجده كان والده نيوكلس رجلا متوسط الحال آثينيا من مريار قرية قبيلة لنيوتيد ٠ وكان من جهة والدته ابن زنا كما تشهد بذلك الأشعار الآتية :

أنا أبروتونوم امرأة من أمة التراقيين ٠ ولكنى أنا التى ولدت ولى الفخر تيميستوكل العظيم للبلاد اليونانية (١) ولكن فانياس يقول ان والدة تيميستوكل لم تكن تراقية بل كانت كارية ويدعوها أبيتروب لا أبروتونوم ، ويزيد نياتيس على ذلك قوله انها من هادليكارنس من كارية ٠

كان أولاد الزنا يجتمعون للرياضة البدنية فى ملعب سينوزارج الواقع خارج المدينة مكرسا باسم هرقل والحقيقة أن هرقل لم يكن الها بالمعنى الصحيح اذ كانت تعلق به ريبة أبناء الزنا لأنه ابن امرأة ٠ تمكن تيميستوكل من اقناع بعض أبناء الأشراف أن يشتركوا معه فى الألعاب وتمكن بهذه الحيلة الماهرة من الغاء الفارق بين أبناء الزنا والوطنيين الحقيقيين ٠ من المحقق أنه ينتسب الى أسرة ليكوميد لأنه لما هدم هيكل ليكوميد فى « فيلى » بعد أن أضرم البرابرة فيه النار أعاد تيميستوكل بناءه وحلاه بالصور ، هذه رواية سيمونيد ٠

يقول الكتاب انه أظهر منذ طفولته طبيعة حادة وعقلا عادلا وميلا طبيعيا للأعمال العظيمة ٠ واستعداد رجل حكومى (سياسى) لم ير فى

---

(١) هذه من اشعار امفيكرات عن مشاهير الرجال ذكرها اثينه ١٣ ـ صحيفة ٥ ٠

أوقات الراحة والفراغ التى تسمح له بها دروسه الأولى لاعبا ولا عاطلا شأن أمثاله من الأطفال كان يقضيها مفكرا أو منشئا خطبا للاتهام أو الدفاع عن رفاقه • قال له أستاذه غير مرة : لن تكون ، يابنى ، رجلا وسطا ستكون متطرفا اما فى الخير أو فى الشر !!

لم يكن يعنى بالعلوم التى تعرفنا آداب المعاشرة أو الفنون الجميلة أو رياضة الأجسام عناية كبيرة ولكنه كان يبذل جهدا فوق طاقته لتقوية ذوقه الطبيعى واستعداده للأعمال العامة لأنه كان يحسن ما انطوت عليه نفسه • وكان يجيب على سخرية الساخرين به من أولئك المتقدمين عنه فى تلك الشئون التى يدعونها حرة مستوحشين أخلاقه بكلمات ملؤها الأنفة والاباء « حقيقة ، انى لا أحسن الايقاع على المزهر (العود) ولا الألعاب الجمناستيكية ، ولكن أعطونى قرية صغيرة نكرة وأنا أجعل منها مدينة شهيرة عظيمة » •

ويؤكد ستزنبروث (١) أن تيميستوكل تأدب على أناجزاكور وكان تلميذا للعالم الطبيعى ماليسيوس • ولكن هذا خطأ تاريخى لأن ماليسيوس دافع عن ساموس ضد بريكليس وقد جاء هذا بعد ذاك بزمن طويل • وكان أناجزاكور صديقا لبريكليس وعليه يكون الأولى هو الأخذ بقول القائلين كان أشد المتحمسين لمنزيفيل ، ومنزيفيل هذا لم يكن خطيبا ولا فيلسوفا ممن يدعونهم علماء طبيعة (٢) ولكنه كان ممن يعلمون الحكمة وهى فى عرفهم صناعة الحكم وتدبير الأعمال العامة كما كان منزيفيل وريث جماعة فلسفية ترجع الى عهد صولون وتنشر تعاليمه • أضف الى هذه التعاليم فن الجدل ثم عدل الأساتذة فى الأعمال الى الخطب الكلامية وأطلق عليهم اسم السوفسطائيين أما تيميستوكل فكان عند التحاقه بمنزيفيل قد اشترك فى ادارة أعمال الحكومة •

كان لأول عهد شبابه قلقا غير ثابت مستسلما لجماحه الطبيعى لا يرده العقل ولا التربية يلقى بنفسه فى تطرفات متباينة وغالبا يختار

---

(١) ولد تاسوس ومعاصر بريكليس •

(٢) كانوا يطلقون هذا اللقب فى العصور القديمة على فلاسفة المدرسة اليونانية مثل تالس و انا جزيماندو ومالسيوس •

شرها اعترف بذلك فيما بعد بقوله : « لن أشبه مهر جماحه يصير خير جواد متى كبح جماحه وروض » وقد بالغوا في ذلك اذ قالوا ان والده حرمه ميراثه وان والدته لما أعياها الاله من حياة ابنها المخجلة انتحرت . ولكن هذا على ما أرى محض افتراء ،ويؤكد البعض على العكس من ذلك أن والده اراد أن يحوله عن الأعمال العامة فأراه يوما على الشاطيء قوارب هشيمة مهملة ، وقال : « هذا ما يعمله الشعب بالخطباء حتى صاروا عديمي النفع » .

ومهما يكن من الأمر فان تيميستوكل كان قد وضع يده على الأعمال العمومية وعمل فيها بحمية تحدوه رغبة شديدة للمجد متطلعا الى المقام الأول متصديا كبار رجال المدينة وثقاتها وكان أشد عنادا ومقاومة لاريستيد بن ليزيماكوس معارضه الدائم المستمر ويزعمون أن البغضاء نشأت بينهما لأسباب حقيرة ولو صدق الفيلسوف اريهتون (١) كان سبب العداء أن كليهما أحب ستاذيلاوس الجميل (من تاوس) ومن هذه المنافسة بدأ خلافهما السياسي . ولكني أعتقد أن سبب هذا الجفاء يرجع الى ما كان بينهما من تفاوت في الأخلاق والسلوك . كان أريستيد دمث الأخلاق حميد السيرة لم يقصد من أعماله السياسية لا رضى الشعب ولا مجد نفسه بل ما اعتقده الأفضل والأكثر ملاءمة للطمأنينة والعدل لذلك كان يرى نفسه مضطرا لمقاومة تيميستوكل ومعارضته في اعلاء شأن رجل لا يفتأ يحرض الشعب على مشروعات جديدة وبدأ على تغير كل شيء في الحكومة . والحقيقة أنه بلغ من شغف تيميستوكل بالمجد وشهرته الشديدة لكل ما يكسبه الحمد أنه بعد موقعة ماراتون التي انتصر فيها الأثينيون على البربر وسماعه الناس يطرون حملات ملتياد لزم الصمت والتفكير والعزلة ولم يغمض له جفن واجتنب الولائم العمومية العادية . ولما دهش الناس وسألوه عن ذلك ، قال ان أكاليل ملتياد لا تسمح لي أن أنام . كان الأثينيون يحسبون هزيمة البربر في ماراتون خاتمة الحرب ولكنها لم تكن في نظر تيميستوكل سوى فاتحة لمعارك كبرى وأخذ يستعد لهذه المعارك التي رآها عن بعد ، لحماية اليونانيين جميعا وجهز أثينا بكل الوسائل ، وكان أول ما سعى

(١) اريستون خيوس تلميذ زينون الزاهد الرواقي ، ولكنه تلميذ قليل الامانة قضى حياته مستمتعا باللاذ على نقيض خلقه .

له أنه اجترأ أن يقترح وحده على الأثينيين أن يخصصوا موارد مناجم الفضة في لوزلوم التي اعتادوا تقسيمها بينهم لبناء سفن الحرب ايجن . وكانت هذه حينذاك مشكلة يونان الكبرى . وكان الايجيون يملؤون البحر بسفنهم .

هذه هي الحجة التي تذرع بها تيميستوكل لتحقيق غرضه لا الخوف من داريوس والفرس الذى كان بعيدا جدا وغير متوقع . ولقد عرف لاستمالة الأثينيين الى هذا الاستعداد أن يثير فيهم عوامل الغيرة والبغض ضد الأيجيين . فبنوا بأموال المناجم مائة سفينة قاتلت كزرسيس – أيضا – وأخذ من ذلك الوقت يستهوى أثينا للشئون البحرية ويطبعهم على الميل اليها ومن أقواله : « اننا على البر لا نستطيع أن نقاوم جيراننا ولكنا على البحر نستطيع أن نقهر البربر ونسيطر على جميع اليونان » فحول بذلك كما قال أفلاطون جيشا بريا عظيما الى بحارة ونوتية وكان عرضة للوم القائلين لقد انتزع من الأثينيين الرمح والدرع ليقعد بهم الى المقاعد والمجاذيف ، وقال ستازيمروت ان تيميستوكل وصل الى هذه الغاية رغم ملتياد الذى لم يتمكن من تغلب المعارضة .

أأفسد التغيير كمال حكومة أثينا وحلفاءها أم لم يفسدها ؟! هذه فلسفة أكبر من أن تعالج هنا ولكن المؤكد أن اليونان مدينة بسلامها للبحر وأن هذه السفن أعادت بناء أثينا التى تهدمت . والبراهين على ذلك كثيرة منها سلوك كزرسيس . بعد هزيمة عمارته وقبل أن يهزم جيشه اذ ولى الادبار . معلنا أنه لا يقوى على القتال ولئن كان قد ترك ماردنيوس فى اليونان فذلك على ما أعتقد ليمنع اليونانيين اقتفاء أثره لا ليخضعهم .

ومن اليأس أن يمثل تيميستوكل كرجل يطلب المال بجميع الوسائل ليسد نفقاته ، لأنه كان مولعا بتقديم الضحايا وحسن ضيافة الغرباء ، وعليه تكون نفقاته جسيمة .

من الناس من يعكس هذا القول فيتهمونه بالبخل والشح ، حتى انه ليبيع ما يقدم اليه من الهدايا وأنه طلب من فيليدس مروض الخيل مهرا أبان عليه ، فهدده بأن يجعل من بيته حصان خشب جديدا (١) . أراد لذلك أن يثير فى منزل فيليدس الشجار العائلى والقضايا الأهلية .

---

(١) اشارة الى الحصان الخشب الذى كان سببا فى خراب الطرواديين (الالياذة) .

لم يبعد أحد فى مطمعه مثل تيميستوكل ، تمكره وهو فى أوائل حياته مجهولا بفضل الحاجة على أبيكلس الهرميونى العواد (الضارب على المزهر) الذى أغرم به الأثينيون أن يعطى دروسه فى منزله ليكون مقصودا مزدحما • وحدث مرة أنه أراد أن يتفوق فى الألعاب الأولمبية على سيمون بفخامة مائدته وخيامه وفخامة ثيابه وهندام حاشيته،وكان المنتظر أن يسمح بهذا لسيمون وهو شاب من أكبر أسر أثينا ، أما أن يجرؤ تيميستوكل وهو رجل حديث العهد أن يتجاوز قدر نفسه فلا ، وقع ذلك فى نظر اليونانيين موقع التبجح والسخرية • وحدث مرة أنه تعهد عند تمثيل احدى الروايات أن يقوم بنفقات فرقة الملحنين للشاعر المتفوق • وكان ذلك مثار التنافس والأهواء وأثبت تيميستوكل هذا النصر بلوحة أودعها احدى الهياكل مكتوب عليها : « قام تيميستوكل الفرايارى بنفقات فرقة الملحنين وكان فرينيكوس مدير التمثيل واديمانت الحاكم » •

ولنقل ان تيميستوكل كان محبوبا من الجميع سواء كان ذلك لعنايته بتحية كل وطنى باسمه منذ يراه أو كان ذلك لعدله فى الحكم فيما يقدم اليه من القضايا عند توليه القضاء : طلب اليه يوما سيمونيدس السيوسى طلبا غير عادل فقال له : لا تكون شاعرا مجيدا اذا أفسدت أغانيك القياس، ولا أكون حكما عدلا اذا أبحت أمرا ضد القانون » وقال له يوما مازحا : « انك مجنون لذمك الكورنثيين الذين يسكنون مدينة عظيمة ، وأن تصور نفسك وأنت شنيع الوجه » وأخيرا عندما عظمت شوكته ورسخت ثقته من نفوس الشعب أنشأ حزبا ضد أريستيد ونفاه بالاقتراع السرى،وعندما عرف خبر سير الفرس ضد اليونان اجتمع الأثينيون لانتخاب قائد، فامتنع جميع القواد الذين يستحقون القيادة فزعين من هذا الخطر ، ولكن أبيسيد ابن افيميدس وحده وهو خطيب بالبيع الا أنه ضعيف القلب غير طاهر اليد تقدم مزاحما لتيميستوكل • وكان فى وسعه أن يجمع الأصوات على انتخابه غير أن تيميستوكل الذى تبين طباع يونان اذا تولى قيادها رجل كهذا اشترى بالمال تنازل أبيسيد وقد امتدحوا ــ أيضا ــ مسلكه مع مترجم السفراء الذى أرسله الملك ليطلب من اليونانيين الأرض والماء • أمر فقبض عليه واستصدر من الشعب حكما بقتله لجرأته على استخدام اللغة اليونانية فى التعبير عن أوامر بربرى ولم يكن استحسانهم لعمله هذا أكثر من استحسانهم لقسوته على أرثميوس لزيلى • وقد حكم على أرثميوس هذا بالخيانة هو وعائلته وجميع ذريته ، لأنه حمل الى يونان ذهب الفرس

ولكن خير أعمال تيميستوكل هو اطفاء نار الحرب الداخلية في يونان وتوفيقه بين المدن واقناعها بالعدول عن العداوات الخصوصية أمام العدو المشترك وهذا مشروع عاونه عليه خيلاوس الأركادى بجميع قواه ٠

ما تولى تيميستوكل القيادة حتى جهد لحمل الأثينيين على ركوب السفن ومغادرة المدينة الى البحر والسير الى أبعد ما يكون عن البلاد اليونانية لملاقاة البربر ٠ لقى هذا الرأى معارضة من الكثيرين فقاد تيميستوكل مع السبارطيين جيشا عرمرما الى وديان طنبة للدفاع عن تساليا التى لم يكونوا يعرفون بعد أن انحازت الى الفرس الذين غادروا المكان دون أن يقوموا بعمل ، ولما انضم التساليون الى الملك سلمت البلاد معهم للبربر وعندئذ أخذ الأثينيون بنصيحة تيميستوكل وفكر لحملة البحرية ٠ وأرسلوا القائد بأسطول الى أوتميزيوم للدفاع عن البوغاز ٠

أراد اليونانيون الآخرون أن يقلدوا أريبياد والسبارطيين ، وأبى الأثينيون ذلك بحجة أن لهم وحدهم من السفن أكثر مما لجميع اليونانيين كلهم ٠ ولكن تيميستوكل أحس خطورة هذه الدعوى فتنازل من تلقاء نفسه عن القيادة لأريبياد ،ولطف من حدة الأثينيين بوعدهم اذا هم استبسلوا فى هذه الحرب مما جعل اليونانيين كلهم تحت امرتهم بهذا أصبحت اليونان كلها مدينة بسلامتها لتيميستوكل وأصبح الأثينيون أنفسهم مدينين له بمجدهم فى الانتصار لبسالتهم والحلفاء بحسن سيرهم وأعمالهم وعندما ألقت أساطيل البربر مراسيها أمام «أفت» فزع أريبياد لكثرة عددها ولعلمه أنها مائتا سفينة أخرى تطوف حول جزيرة سياتوس أراد الاسراع بالعودة الى داخل البلاد اليونانية وأن يلزم شواطىء بيلوبونيز ، حتى يكون جيش البر قادرا أن يعاون جيش البحر موقنا أنه من المستحيل أن يقاوم قوات الملك البحرية خشى الأويبيون أن تتركهم اليونيون فأرسلوا الى تيميستوكل خفية أحدهم ، بالاجون يحمل اليه مبلغا جسيما من المال ٠ قبله تيميستوكل وأعطاه لاريبياد ، لو صدق قول هيرودوت ٠ ولكن الأثينيين قاوموا تيميستوكل ، لأن أرخيتالس ربان السفينة المقدس لم يكن لديه من المال ما يدفعه للبحارة ٠ أهاج تيمستوكل النوتية ضد أرخيتالس وكانوا مستائين منه فهجموا عليه واختطفوا عشاءه ٠ احفظت الاهانة أرخيتالس وطفق يشكو ، أرسل اليه تيميستوكل خبزا ولحما فى سلة أودعها تالان من الفضة مع أمره أن يتعشى هادئا وأن يسترضى فى الغد

البحارة ، والا اتهم أمام الأثينيين بأنه أخذ من العدو مالا . هذه حكاية فانياس اللسبى .

لم تكن المعارك التى نشبت عند البوغاز حاسمة ولم تعد على اليونانيين بفائدة كبيرة بل كانت مواقع امتحنوا فيها قواهم وتعلموا من القتال ذاته أن عدد السفن وابهتهـا وفخامة زينتها وصيحـات الازدراء والاناشيد البربرية لم تكن لتخيف رجالا أشداء مستبسلين وما عليهم سـوى أن يحتقروا هذه المظاهر وأن يواجهوا العدو وأن يحيطوا به وان يشدوا عليه ليوقعوا به . هذا ما فهمه بندار عند قوله عن موقعة أرتميزيوم :

« ان أبناء أثينا وضعوا أساس الحرية الفخم » والحقيقة أن الجرأة طليعة النصر .

أرتميزيوم لسان من جزيرة أوبة يمتد الى الشمال فوق أسنيلو أمامها اليزون فى البلاد التى كان يحكمها فيلوكتيت . ويوجد على هـذا اللسان هيكل باسم ديانا المشهورة « بالشرفيه » ، محاط بالخشب نزين مدخله بوابة من حجر أبيض اذا دلك باليد تصاعدت منه أبخرة وتكون بلونها . مكتوب على أحد أعمدته الأشعار الآتية :

ألف أمة أتت من ممالك آسيا وأبنـاء أثينـا ، على هذه البحـار

أفنوا عماراتها ولما هلك جيش الفرس أقاموا هذه الأكاليل للعذراء ديانا

ولا يزال هناك مكان ممتزج فيه الرمال برماد أسود كأنه مر بالنار فى دائرة فسيحة ، يعتقدون أنه من بقايا السفن والجثث التى أحرقت هنـاك .

ولما نمت من أرتميزيوم أنباء الترومو بيل وعلم موت ليونيداس وأن كسيرسيس امتلك ناصيه المداخل البرية ، عادوا الى داخلية يونان ، سد الأثينيون السبيل تملأ نفوسـهم كبرياء النصر الذى أحرزوه وأخـذ تيميستوكل يحاذى الشواطىء ، حيث كان يعتقد أن العدو لابد آت بسفنه يستعيد قواه كان يكتب بحروف كبيرة سواء على ما يجده من الأحجار أو ما يقيمه عمدا فى الأماكن المطروقة التى تصلح للايواء والرقابة حوجها

كلماته الى اليونانيين : « تعالوا لو استطعتم انضموا الى أبنائكم الذين يعرضون صدورهم للدفاع عن حريتكم ثم ان تستطيعوا فشدوا على الأقل أثناء القتال على جيوش البربر وألقوا بينها الإضطراب » أراد بذلك أن يجتذب اليونانيين الى مناحرة اليونانيين أو يرهبهم ليجعلهم موضع ريبة فى نظر البربر ٠

على أن كزرسيس نفذ من الدورية العليا الى فوسيد وأخذ يحرق ويخرب مدن القوسيديين دون أن يتقدم لمساعدتهم ٠ رغم المحاح الأثينيين فى الرجاء اليهم أن يقاوموا العدو فى بيوثيا ويحموا الأتيك ، كما فعلوا بحرا فى الأرتيموزيوم بالدفاع المشترك ٠ ولكن لم يسمع اليهم أحد : لم يفكر اليونانيون الآخرون الا فى البلوبونيز ، أرادوا أن يجمعوا فى البرزخ جميع قوى يونان وأن يسدوا البرزخ من بحر لآخر ٠ أغضبت هذه الخيانة الأثينيين وأدخلت الى نفوسهم الحزن والخور ولم يكن فى وسعهم أن يفكروا فى أن يقوموا وحدهم بمحاربة آلاف من الأعداء ولم يبق لهم سوى أن يغادروا أثينا ويركبوا السفن ولكن الشعب لم يقبل ذلك معتقدين أن لا أمل فى النصر ولا سبيل للسلامة اذا تركوا هياكل الآلهة وقيود الآباء ٠ ولكن تيميستوكل يئس من اقنــاع الشعب بالمعقولات عمد الى احداث المعجزات وانطاق الوحى كما يعمدون فى التمثيل (الردائى) الى الآلات ٠ والمعجزات التى افترضها هى اختفاء تنين مينرفا ، الذى لم ير تلك الأيام فى بيت المقدس ٠ ووجد الكهنة التقدمات اليوم سليمة فأذاعوا ، بناء على اشارة من تيميستوكل ، أن الآلهة غادرت المدينة وأرتهم طريق البحر ٠ واستشهد بالوحى قائلا ، ان الجدران الخشب التى تكلم عنها ليست سوى السفن ، لقد منح الآلهة مدينة سلامين لقب الالهية ، لا التعسة ولا المشئومة لأنه سيجعلها احدى مواقع اليونان الجليلة ٠

وأخيرا ، تغلب رأيه فأصدر أمرا أن يدع الأثينيون المدينة تحت حماية مينرفا حاميتهم ، وأن ينزل كل رجل قادر على حمل السلاح الى السفن ، وأن يعد كل انسان ما فى طاقته لحماية امرأته وأولاده وعبيده ، صودق على هذا الأمر ، وأرسل أكثر الأثينيين أهلهم ونساءهم الى ترازين ، حيث استقبلوا بالحفاوة والاكرام وقرر الترازيوم اطعامهم على حساب الخزانة العامة وعينوا لكل فرد فلسين يوميا وأباحوا للأطفال قطف ما شاءوا من الثمار ، وقاموا بنفقات وكان هذا القرار من حســنات نيكاجوراس ٠

كانت خزانة أثينا فارغة ، ويقول أوسطو ان المجلس الأعلى فسرر لكل جندى ثمانى دراخمات وأنه صـــاحب الفضـل فى تمام اعداد السفن وتجهيزها بالسلاح ، ولكن كليدامومس يقول ان حيلة تيميستوكل هى التى أوجدت المال ، ذلك أنه عندما نزل الاثينيون الى بيره وجد ستار تمثال مينرفا ضائعا فأخذ تيميستوكل يفتش كل مكان بحجة البحث عنه فعثر بمقادير وافرة من المال خبأه الأهالى بين أسراب القطعان ، وضعت هذه الأموال تحت تصرف الحكومة فتمكن الجنود من الحصول على المئونة اللازمة، وأخيرا ، طفت المدينة فوق الأمواج • ملك هذا المشهد على الأهالى مشاعرهم وأعجبوا بجرأة أولئك الرجال الذين بعثوا بأهلهم الى مدينة غريبة وساروا الى سلامين لم تأخذهم هزة حزن ، ولا ندت عيونهم لبكاء نسائهم ووداعهن • ولكن الذى يثير عواطف الحنان أكثر من هذا هو منظر أولئك الشيوخ الذين لم تسمح لهم شيخوختهم بالسفر ، يضاف الى هذا الشعور المؤلم ، حنين الحيوانات الداجنة التى كانت تجرى على الشاطىء هنا وهناك وهى تعوى عواء محزنا تستصرخ أصحابها • ومما يروى أن كلب كسانتيب والد بريكليس أبى مفارقة سيده ، رمى بنفسه فى البحر ، وسبح بالقرب من مركبه حتى سلامين حيث نفق من التعب ولا يزال حتى الآن هناك « قبر الكلب » الذى يقال انه دفن فيه •

هذه أعمال تيميستوكل المجيد لم يقف بها عند هذا الحد ، لحظ أن الوطنيين آسفون لابعـاد أريســـتيد ، وأنهم يخشون أن يدفعه الحقد للانضـــمام الى البربر ويفســد على اليونانيين أعمـــالهم • وكان حـــزب تيميستوكل قد نفاه بالاقتراع السرى قبل الحرب ، فقدم مشروعا يبيح للمنفيين العودة والاشتراك قولا وعملا مع الوطنيين فيما يعود على البلاد بالفائدة والسلام •

كانت سبارطة لتفوقها على جميع مدن يونان ، قد عينت أريبياد رئيسا أعظم للأسطول ولكنه كان رجلا جبان القلب أمام الخطر • أراد أن يقلع ويسير بأســطوله الى البرزخ حيث اجتمع جيش بوكينز البرى • عارضه تيميستوكل ، ولهذه المناســبة بقيت أجـوبته محفوظة • قال أريبياد :(ياتيميستوكل، لأنهم يصنعون فى الألعاب الأولمبية ، من يرحلون قبل اعطاء الاشارة) • فأجاب تيميستوكل : (حقيقة ، ولكنهم يتوجون) • رفع أريبياد عصاه كمن يريد أن يضرب • فقال تيميستوكل : « اضرب

ولـــكن اسمع » أخذ أريبياد بهذا التواضـــع ، فدعاه للكلام . أحد تيميستوكل يجتذبه الى رأيه . ولكن أحدهم اعترضه بقوله : « لا يحق لرجل لا مدينة له أن ينصح لأصـــحاب المدن أن يتركوها وان يخونوا وطنهم » . فعاجله تيميستوكل بقوله : « أيها الشقى ، لئن كنا قد تركنا منازلنا وجدرانها فلأننا لم نرد أن نكون أرقاء حبا فى أشياء لا حياة لها ، على أنا لا تزال لنا أكبر مدن يونان وهى هذه مائتا سفينة ، المعدة اذا شئتم ، لمساعدتكم على النجاة . أما اذا سافرتم وخنتم عهدنا للمرة الثانية فسوف تسمعون يونان قائلة : ان الأثينيين يملكون مدينة حرة . يملكون بلدا لا تقل جمالا عن التى فقدوها » . فزع أريبياد من العزلة التى يتركه فيها انسحاب الأثينيين . أراد أحد الأتروريين الكلام ضد تيميستوكل ، فعاجله هذا بقوله : « ماذا أتتكلمون أنتم الآخرون عن الحرب وأنتم مثل « التينيد » (١) . سيف ولا قلب » .

بينما كان تيميستوكل يلقى عباراته هذه وهو واقف فوق مقـدمة سفينة ظهرت « بومة » وطارت الى يمين العمارة ووقفت على أعلى الصارى. أجمع هذا الفأل اليونانيين على رأى تيميستوكل وقرروا الحرب بحرا . ولكن عندما ظهرت أســاطيل العدو على ســـواحل أتيكا بالقرب من ميناء فالبر . وملأت الشواطىء المجاورة ، ونزل الملك شخصياً الى البحر ، ونشر جيشه على مرأى من الجماعة ، حينئذ محيت أقوال تيميستوكل من عقول اليونانيين وحول السبارطيون أنظارهم ثانية نحو البرزخ . ولم يقبلوا سماع حديث فى غير هذا الموضوع . وتقرر الرحيل تلك الليلة وأعطيت أوامر السفر للنوتية .

رأى تيميستوكل مع الألم الشديد أن اليونانيين بتفرقهم كل الى مدينته يضيعون الفائدة العظمى التى تمنحهم اياها طبيعة المكان وهذا الممر الضـــيق . لجأ الى الحيلة وكان ســـيسينوس عدته فى ذلك . سيسينوس هذا أسير حرب فارسى الأصل ، وصديق تيميستوكل ومربى أطفاله . أوفده سرا الى ملك الفرس وأمره أن يخبر الملك أن تيميستوكل قائد الأثينيين مخلص لمصالح الملك ، وهو يخبره أن اليونانيين اعتزموا

---

(١) التينيد : نوع من السمك من فصيلة الموليسك . ولكن ما يقال عن تركيبه خطا اذ له جميع أعضاء السمك . مع ذوارق تجعل له طبائع خاصة .

الفرار • وأنه ينصحك ألا تدعهم يفلتون ، فينتهز فرصة الاضطراب الذي أوقعهم فيه غياب جيوشهم البرية لمهاجمتهم والقضاء على قواتهم البحرية ، طار كزرسيس فرحا بهذا الخبر ولم ير فيه سوى دليل على اخلاص تيميستوكل باصدار أمره الى ضباط السفن الكبرى بالإقلاع والمهاجمة بينما تعبأ السفن الباقية على مهل • وأن تقوم مائتا سفينة في الحال للاستيلاء على الممرات ، ومحاصرة الجزر حتى لا يفلت أحد من الأعداء •

كان أريستيد بن ليزيماكوس أول من لمح هذه الحركة فأسرع الى خيمة تيميستوكل ، لم يكن صديقه بل هو الذى نفاه كما تقدم القول • وخرج تيميستوكل للقائه فقال له : لقد حوصرنا • كان تيميستوكل يعرف أمانته وقد سر بعودته ، فأفضى اليه بما فعله بواسطة سيسينوس ، ورجا اليه أن يستبقي اليونانيين وأن يعمل بما له من المنزلة لديهم لحملهم على القتال في المضيق • أثنى أريستيد على تيميستوكل ثم قابل القواد ورجال السفن وحثهم على القتال واذ كانوا في ضيق من وجود منفذ ، انضمت مركب من تانادوس بقيادة باتاتيوس الى اليونانيين وأكد لهم الخبر ، اضطرتهم سورة الغضب والضرورة الى خوض غمار القتال •

كان كزرسيس في صباح الغد عند فجر النهار جالسا على مرتفع يرقب حركات المعركة يقول فانوديم (١) ان ذلك المرتفع هو قمة هيكل هرقل ، بالقرب من أضيق مكان في القناة يفصل جزيرة سلامين من أتيكا • ولكن اسيستوتور (٢) يزعم أنه كان على حدود ميجاريد ، على المرتفعات التي تعرف بالقرون ، كان كزرسيس جالسا على عرش ذهبي والى جانبه جماعة من الكتاب يثبتون حوادث القتال •

بينما كان تيميستوكل يقدم الضحية على سفينة القيادة جيء اليه بثلاثة فتيان كأجمل ما يكون في بزة فخمة تزينهم حلى ذهبية ، قيل انهم أبناء أوتارلتوس وساندوسه أخت الملك ، فما ان رآهم العراف أوفرنتيد حتى سطع من الضحايا لهب متلألىء ورن صوت عطسة من جهة اليمين •

---

(١) كان معاصرا لتيميستوكل ، مؤلف كتاب تاريخ أتيكا وهو غير معروف كثيرا •

(٢) لم يعرف عنه سوى انه مؤلف « مبرت في الشئون الخرافية للمدن » •

أخذ العراف بيد تيميستوكل وطلب إليه أن يقدم الفتيان ضحية لباخوس أومستيس ، يقدمهم ذبائح له زاعما أن هذه هي الوسيلة الوحيدة لسلامة اليونانيين وانتصارهم · جمد الدم في عروق تيميستوكل لطلب العراف لما فيه من قسوة ووحشية · ولكن الجمهور جرى على عادته عند المخاطر يعتمد في سلامة على غرائب الأوهام أكثر من حقائق العقل · أخذ الجمهور يضرع للاله وقاد الأسرى الى المذبح ملحا في وجوب اجراء الضحية على ما أمر العرف · هذا ما رواه فانياس اللسبوسي ، فيلسوف وعالم من علماء التاريخ القديم · أما عدد سفن البربر فقد قال عنها الشاعر آخيل (١) في رواية الفرس « بصفته شاهد عيان » ، معتمدا على معلومات وثيقة :

أنا الضامن أن جملة ما كان لأكزرسيس ألف سفينة · عدا مراكبه الصغيرة التي تبلغ مائتين وسبع مراكب · هذه هي الحقيقة · وكان للأثينيين مائة وثمانون سفينة على كل منها ثمانية عشر جنديا يقاتلون من أعلى جسرها · منهم أربعة رماة نشاب والآخرون من المشاة المدججين بالسلاح · ولم يكن تيميستوكل أقل مهارة في اختيار ساعة القتال منه في اختيار المكان · أبى أن يبدأ القتال الا عند هبوب ريح قوية في البحر تثير الأمواج في البوغاز ، ولم يكن هذا ليعطل شيئا من نشاط السفن اليونانية التي كانت مسطحة وقليلة الارتفاع · أما سفن البربر التي كانت عالية المقدم مرتفعة الجسر ، ثقيلة الحركة تدور بجهود عظيمة فكانت هدفا لسهام اليونانيين ·

حمل هؤلاء على الأعداء حملة صادقة منفذين أوامر تيميستوكل والقواد يعلمون حق العلم ما يجب عمله ·

ركب أريامين أميرال كزرسيس وهو جندي باسل وشجاع وهو أعدل اخوة الملك ، سفينة أرسل منها السهام وابلا · يرمي بها من فوق جدار مصوبة الى الجهة التي يقاتل فيها تيميستوكل · اندفع أمينياس الديسيلي وسوزيكلس البيدي عليه بعنف حتى اصطدم بمقدمي السفينة النحاسيين وتلاصقا · قفز أريامين الى السفينة الأثينية فتلقاه الجنديان

---

(١) حضر اخيل موقعة سلامين ·

وقاتلاه بالأسنة ، وقذفا به البحر . بصر أرتاميس بجثته طافية بين الأشلاء فنقلها الى كزرسيس .

قيل انه بينما كان القتال على هذه الحال سطع نور باهر من جهة اليزيس وامتلأ السهل من أتريازى الى البحر بأصوات مضطربة كأنها أصوات جماعات عديدة من الرجال تقود فرقة باكوس الخلفية وخيل الى الأوهام رؤية سحب من الغبار تثيرها هذه الجماعات المائجة ، ترفع رويدا رويدا الى الهواء ثم تنحدر ساقطة على السفن . ويقول البعض انهم رأوا صور رجال مسلحين تتراءى تمد أيديهم من جهة جزيرة « أجين » الى سفن اليونانيين . والمظنون أن هؤلاء هم « الأياسد » الذين استغاثوا بهم قبل القتال .

كان ليكوميد الأثيني وهو رئيس سفينة أول من استولى على سفينة من سفن الأعداء فجردها من أعلامها وجعلها تقدمه لأبللون والفنفور . كانت سفن اليونانيين مساوية لسفن البربر في ساحة القتال نظرا لضيق البوغاز حيث كان هؤلاء مضطرين أن يقدموا سفنهم بالتوالى فيعطل بعضها بعضا . استمر القتال حاميا طول النهار حتى أرخى سدوله فاضطر الفرس للهرب وتم النصر كما قال سيموند فى أجل وأمجد معركة خاضها اليونانيون والبربر بفضل شجاعة الجنود وحكمة ومهارة تيميستوكل .

أراد كزرسيس بعد هذه الموقعة أن يعاود الكرة رغم هزيمته وقصد الى سد البوغاز لنقل جيشه البرى الى سلامين ويهاجم اليونانيين فاقترح تيميستوكل اختبار أريستيد أن يذهبوا الى هلسبون ويقطعوا جسر السفن قائلا : « ان هذه هي الطريقة الوحيدة لجعل آسيا فى أوروبا » لم يرق هذا الاقتراح لأريستيد . وقال : انا الى اليوم لم نقاوم سوى بربر أنهكهم الترف . ولكنا اذا احتبسناهم في يونان وقضى الخوف والضرورة الى محاربة رجل يقود جيوشا عديدة فانه لا يقعد حينذاك على محفة ذهبية يشاهد القتال مطمئنا بل يجرؤ على كل شيء ويحمل الخطر الى كل مكان فيسترد ما خسره ، عملا بنصائح أوفر حكمة . فقال تيميستوكل : اذن علينا بدل أن نقطع جسر السفن أن نقيم فى وجههم جسرا آخر لنطرد العدو بأسرع ما يمكن من أوروبا . اذا كنت ترى هذا

صوابا فلنسرع بتبادل الآراء معا ، ولندبر خطة ننقذ بها يونان من وجوده بأسرع ما يمكن ، أخذ بهذا الرأي ثم أوفد تيميستوكل كل خصي كزرسيس ، أرناس كان أسيرا ، إلى الملك ، يحمل اليه الرسالة الآتية :

ان اليونانيين بعد انتصارهم في البحر يستعدون للرحيل الى هلسبون ليقطعوا جسر السفن الذى أقاموه وأن تيميستوكل قلق على سلامة الملك لينصح له بسرعة العودة الى البحار الخاضعة لسلطانه ويعود الى آسيا وأن تيميستوكل من جهته سيجد المعاذير ليلهي الحلفاء ويؤخر مطاردتهم له · استولى الرعب على ملك البربر عند سماعه هذا الخبر وانسحب بسرعة ، أثنى ماردنيوس على حكمة تيميستوكل وأونست ، كان اليونانيون فى خطر محقق فى بلاتا على أنهم لم يحاربوا سوى جانب صغير من جيش كزرسيس ·

قال هيرودوت ان أجين تفوقت على جميع المدن فى هذا اليوم العصيب ولكن اليونانيين بالاجماع خصوا تيميستوكل بالمقام الأول بين الشجعان ولكن مع شيء من الأسف لأنهم كانوا يحسديونه على مجده · والواقع أنه عندما عاد الزعماء الى البرزخ وقدموا اليمين أمام المذبح وأعلنوا اختيارهم، نسب كل منهم المقام الاول لنفسه والثاني لتيميستوكل أما السبارطيون فانهم قادوه الى سبارطة وقدموا الى أريبياد جائزة المجد،والى تيميستوكل غصن زيتون جائزة الحكمة وأهدوا اليه أجمل مركبة في المدينة وعند سفره سار معه ثلاثمائة شاب ، اجلالا لمقامه حتى الحدود · ويقال أيضا ، انه فى الأيام الأولى للأولمبيادة التالية ظهر تيميستوكل في الساحة فنسيت النظارة المتصارعين وحولوا أنظارهم طوله النهار محدقين به مشيرين للأجانب عليه هاتفين له هتاف الإعجاب مصفقين ملء أيديهم وقد اعترف تيميستوكل في هذه الحفاوة المنعشة لأحد أصحابه ، ان هذا جزاء وفاق لكل ما احتملته من الآلام فى سبيل يونان ·

أن شغفه بالمجد كان بالغا أقصى حد كما يتبين لنا من الأحاديث المروية عنه عندما انتخبه الأثينيون قائدا للعمارة امتنع عن انجاز ما كان يرسل اليه من قضايا الناس والحكومة لوقتها يؤجلها الى يوم سفره حتى يرى الناس ما ينتحل من قضايا عديدة مخاطبا صنوفا من الناس عديدة فيكبر شأنه فى نظرهم ويعظم خطره بينهم وحدث مرة أنه كان يسير

فوق الشاطىء فرأى جثثا طافيه فوق البحر مما تحمله الأمواج وفى معاصم وعنق أكثرها أساور وبخانق من الذهب فاستمر فى سيره ولكنه قال لأحد أصحابه مشيرا الى هذه المصوغات : اذهب وخذها لك لأنك لست تيميستوكل . كان أنتيفاتسى شابا جميلا شمخا بأنفه على تيميستوكل ولكنه مذ رآه قد بلغ من الشهرة ما بلغ أخذ يتقرب اليه بلا انقطاع ، فقال له تيميستوكل : « لقد صرنا ، يا صديقى ، عقلاء فى آن واحد ولكن بعد فوات الفرصة » (متأخرين) وقال عن نفسه : « ان الأثينيين لا يضمرون له احتراما ولا اعجابا ولكنهم يستخدمونه كما يستخدمون شجرة وارفة الظلال يأوون اليها عند هبوب العاصفة ومتى انقضت أخذوا يقطعون أوراقها ويهصرون أغصانها » . قال له «سيرفى» : « لست صانع شهرتك بل اصطنعها لك وطنك » فقال تيميستوكل : « أصبت ولكنى ما كنت لأعرف المجد لو أنى ولدت فى سيريف ولا أنت ولدت فى أثينا » كان أحد الزعماء يحسب نفسه أدى الى الجمهوريه خدمات جليلة ويقارن أعماله بأعمال تيميستوكل فأجابه : « تخاصم يوم العيد مع أمه ، شكا هذا أنه لا يجد راحة وأنه ينقضى بين الشاغل على أنهم لا يعملون يوم العيد شيئا تمتعا بما جمعوا فى الأيام الأخرى » . فاجابه : « يوم العيد لك الحق ، ولكن لو لم أكن أنا لما كنت أنت » . ثم قال تيميستوكل : وأنا اذا لم أكن فأين كنتم تكونون الآن . كان ابن تيميستوكل يسىء استخدام عطف والدته ويستعملها للتحكم فى والده ، فقال تيميستوكل مازحا ان ابنه ، قدر جميع اليونانيين « والحقيقة ، أن الأثينيين يتحكمون فى جميع اليونانيين وأنا أتحكم فى اليونانيين ووالدته تتحكم فى وهو يتحكم فيها » . كان يصطنع الاغراب فى جميع شئونه، عرض أرضا للبيع وقال فى المناداة عليها : « سيكون للمشترى فوق هذه الصفقة جار طيب » . تقدم طالبان لخطبة ابنته ، ففضل الرجل الصالح على الغنى قائلا : « أريد صهرا يكون رجلا فى حاجة الى ثروة لا ثروة فى حاجة الى رجل » هذه كلمات تيميستوكل المأثورة .

بعد أن فرغ تيميستوكل من الأعمال الجليلة التى أتينا على شرحها أسرع الى العناية بإعادة بناء أثينا وتحصينها وقد تغلب على معارضة النواب بالمال . هذه رواية تيوبونت ولكن الخبر المأثور أنه استعمل الحيلة . سافر الى سبارطة بصفة سفير ولما كان السبارطيون يشكون من تحصين أثينا اعتمادا على شهادة بوليارك الذى أوفده الأثينيون خصيصا

لاتهام الأثينيين . أنكر تيميستوكل الواقع وطلب ارسال أناس الى أثينا ليتجسسوا الأمر . لم يرد بذلك سوى كسب الوقت لنهاية بقاء الجدران واعطاء الأثينيين رهائن عن نفسه فى شخص الموفدين . ثم انفرد بذلك وأدرك السبارطيون الحقيقة فكظموا غيظهم وتركوه ينسافر دون أن يمس بأذى (١) .

ثم أخذ فى تحصين بيرة ، لأنه أدرك ميزة هذا البناء . وبذلك استمال الشعب الأثينى الى البحر . سار فى ذلك على سياسة مناقضة لسياسة ملوك أثينا الأقدمين . يقال ان هؤلاء أذاعوا لابعاد الوطنيين عن التجارة البحرية والعدول بهم عن الملاحة الى الزراعة ، الخرافة القديمة المنطوية على نزاع قام بين نبتون ومنيرفا عن السيادة على أتيكا ، فقدمت منيرفا للقضاة الزيتون المقدس فكسبت القضية ، لم يلحق تيميستوكل بيرة بالمدينة كما زعم أريستوفان الهرجن ، بل ألحق المدينة ببيرة والأرض بالبحر . وبهذا العمل قوى الشعب ضد الاشراف وملأه ثقة بنفسه بأن جعل السلطة بين أيدى البحارة والنوتية والمجذفين . ومن ذلك حول الطغاة الثلاثون فيما بعد منبر بنكس الذى كان يطل على البحر الى جهة البر . لظنهم أن القوة البحرية تولد الديموقراطية فى حين أن حكومة « الجملعة » تجد مقاومة قليلة من الفلاحين .

فكر تيميستوكل لمصلحة البحرية فى مشروع غريب . كان الأسطول اليونانى بعد هزيمة كزرسيس راسيا فى باجاز حيث يقضى الشتاء . قال للاثينيين فى جلسة عمومية ان لديه مشروعا يعود عليهم تنفيذه بالفائدة والسلامة ولكنه لا يستطيع أن يفضى به الى الجمهور فأمره الأثينيون أن يبلغه الى أريستيد فاذا وافقه عليه قام بتنفيذه . قال تيميستوكل لأريستيد أنه يفكر فى احراق عمارة اليونانيين . فعاد أريستيد الى الجمعية قائلا ان المشروع الذى يفكر تيميستوكل فى تنفيذه من أجل المشاريع فائدة ولكنه فى الوقت ذاته من أشدها ظلما . فأمروه بالعدول عنه . اقترح السبارطيون على مجلس الإنفكتيون (المجلس الدولى اليونانى) اخراج المدن التى لم تشترك فى التحالف ضد الفرس

(١) اشارة الى ما جاء فى رواية « الفرسان » .

من الأنفكتيون ولكن تيميستوكل خشى أنه اذا أبعد التساليين الأدجيين والطيبيين من المجلس علا نفوذ السبارطيين ، وصاروا أصحاب الكلمة فى الانتخابات واستأثروا بالأمر فدافع عن هذه المدن واستحال الى رأيه قائلا : « لم يشترك فى الحرب ســـوى احدى وثلاثين مدينة وأكثرها بلا خطر • فمن البلاء اذا أبعدنا بقية المدن اليونانية وأن تستأثر مدينتان أو ثلاث من المدن الكبرى بالسيادة فى المجلس الدولى • صار تيميستوكل من هذا الحين غرضـــا لاســاءات السبارطيين • رفعوا سيموره الى أعلى منصب ليعادل سلطة تيميستوكل فى الحكومة •

وقد اجتلب تيميستوكل على نفسه بغض الحنفاء بسعيه فى الجزر بجمع الضرائب ، وحدث ـ لو صدق هيرودوت ـ عندما طالب أهالى أندروس بالأموال ما يأتى :

قال تيميستوكل « حضرت وبين يدى الهتان • الاقناع والقوة • فأجابوه ونحن أيضا لدينا الهتان عظيمتان وهما الفقر والحاجة يمنعانهم اعطاءه شيئا » •

وقد وجــه الشـــاعر تيموكريون الروضى فى احدي قصائده الى تيميستوكل قذعا مؤلما • يتهمه بأنه استدعى المنفيين رغبة في المال • ومن أجل المال ، تركه هو وصديقه وضيفه « اطر اذا شئت يوزانياس ، اطر كزانيت ، اطر ليوتيشيد » •

أما أنا فاني أطري أريستيد أفضل وأكرم رجل أنجبته أثينا المقدسة •

أما تيميستوكل ، ذلك الكذاب ، ذلك الظالم ، ذلك الخائن •

ان لاتورة يبغضه : وهو مضيف تيموكريون أفسده المال الحقير ، وابى أن يرد تيموكريون الى لاليسوس وطنه •

نعم من أجل ثلاثة تالانات من الفضة نشر ذلك النذل القلوع !

لرد هؤلاء ظلما ونفى أولئك وقضى بالموت على آخرين ، وأخيرا شبع من المال وفى البرزخ قدم الموائد ولكن بأس شيخ حقير ٠ قدم لحوما بارد ٠

فكان الناس يأكلون وهم يتمنون ألا يرى تيميستوكل ربيعا آخر ٠

استرسل تيموكريون فى عدائه لتيميستوكل ورماه بقوارص الهجاء ولم يبق عليه فى نشيد نظمه بعد نفيه جعل مطلعه ما يأتى :

يا عذارى امنحن هذا الغناء الشهرة التى يستحقها من اليونانيين والتى تجب عليك له ٠

يقال ان تيموكريون نفى لانضمامه الى الفرس وأن تيميستوكل أيد الحكم ولذلك عندما وقعت على تيميستوكل التهمة ذاتها قال فيه تيموكريون الأشعار الآتية ٠ لم يكن تيموكريون وحده هو الذى فاوض الفرس :

يوجد خونة آخرون ! ولست الأعرج وحدى هناك ثعالب أخرى، فألقى ألفى نفسه مضطرا لاغضابهم أكثر فأكثر ، بتكراره فى المجتمعات العمومية الوطنيون السمع لهذه الوشايات حسدا منهم لمجرد ان تيميستوكل ذكرى خدماته وأعماله فاذا شعر بتذمرهم قال : « ماذا ! أتملون قبول الحسنات ذاتها من الأشخاص ؟ » ولم يكن بناء هيكل للالهة ديانا أريستوبيل أقل ايغارا للصدور ٠ أراد بهذه التسمية الاشارة بأنه قدم الى أثينا خير النصائح ٠ بنى هذا الهيكل بالقرب من منزله فى حى « ماليت » حيث ترى اليوم الجلادين يرمون حبال التعذيب وثياب المخنوقين والقتلى والحبال التى استخدمت في تنفيذ القتل ٠ وكان يوجد فى زمنى في هيكل ديانا أريستوبيل تمثال صغير لتيميستوكل ٠ ويرى من هذه الصورة انه لم يكن لتيميستوكل نفس بطل فقط بل وكانت له ملامحه ٠ وأخيرا لجأ الأثينيون ليتملصوا من هذه السيطرة التى رأوها فوق الحد الى الحكم بنفيه بالاقتراع السرى وهو نوع من النفى ألغوه للقضاء على من يخشون سطوتهم ولا تدخل فى حدود المساواة الديموقراطية ٠ لأن الاقتراع السرى لم يكن عقابا بل ارضاء للحسد وتخفيفا

من حدته ومن هذا الحسد أن يحط من قوله الذين تبقل عليهم رفعتهم ويرى في اذلالهم سبيلا للترويح عن بغضهم ٠

كان تيميستوكل يقيم في أرجوس بعد نفيه من أثينا اذ ظهرت خيانة بوزنياس فاتخذه أعداؤه ذريعة لاتهامه ٠ اتهمه ليوبوت بن الكيمون من قرية أجرول بالخيانة ٠ وعضد السبارطيون التهمة ٠ ولئن كان بوزنياس صديق تيميستوكل الا أنه أخفى عنه في أول الأمر سر الخيانة التي كان يدبرها ٠ ولكنه لما رآه قد جرد من سلطته وأنه يتذمر من نفيه اجترأ على افشاء سره اليه ، فلجأ اليه في الانضمام الى المشروع وأطلعه على رسائل الملك وأثار حقده ضد اليونانيين ، بتهمتهم بالخبث واللؤم ونكران الجميل ٠ رفض تيميستوكل اقتراح بوزنياس ٠ وأبى الاشتراك فيه بأية حال ٠ ولكنه كتم سر المؤامرة ولم يفض به الى أحد أملا أن يعدل بوزنياس من نفسه عن هذا المشروع الجنونى الخطر الذى لا أمل في نجاحه ٠ أو أنه يفشى الأمر بطريقة أخرى ٠ وبعد أن نفذ حكم الموت في بوزنياس كما هو معروف وجدت في منزله رسائل ومكاتبات توقع تهمة الاشتراك على تيميستوكل ، ثار السبارطيون ضده وأقام أعداؤه الأثينيون عليه دعوى الاتهام وهو غائب ٠ وكان يدافع عن نفسه برسائل يبرىء نفسه من وشايات أعدائه ومما كتبه « لقد كنت أسعى للسيادة دائما لأنى لم أولد لأكون عبدا ٠ ولا أود قط أن أكون عبدا فكيف يظن أنى أسعى لألقى بنفسى وبجميع يونان بين أيدى أعداء ، بين أيدى بربر ؟ ولكن الشعب الذى امتلكه المدعون أوفد أناسا الى أرجوين للقبض عليه ، ويحضرونه الى أثينا لمحاكمته أمام مجلس من اليونانيين ٠ أحس تيميستوكل هذه النتيجة فسار الى كوربر وهى مدينة سبق له الاحسان اليها ، عين حكما في خلاف بين أهلها وبين الكورنثيين ، ففض الخلاف بالحكم على الكورنثيين بغرامة قدرها عشرون تالانا ، وجعل لوكاد ملكا مشتركا بين كوربر وكورنت ، لأنها مستعمرة المدينتين ٠

هرب من هناك الى بيرة ولما كان السبارطيون والأثينيون يتعقبونه اعتزم عزما خطرا وهو الالتجاء الى « أدميت » ملك المولوس ٠ وكان أدميت هذا فيما مضى طلب أمرا ما فى الاثينيين وكان تيميستوكل صاحب الكلمة العليا فخذله شر خذلان ٠ ولم يكن من ريب فى أنه ينتقم لنفسه

منه متى سنحت الفرصة • غير أن تيميستوكل في منفاه كان أكثر خوفا من حقد مواطنيه الجديد ، منه خوفا من عداء الملك القديم لذلك آثر أن يلقى بنفسه بين أدميت تقدم الى الملك ضارعا متوسلا ولكن بأسلوب غريب خاص بالبلاد • أخذ بين يديه ابن الملك وهو طفل وترامى على أقدامه أمام الموقد وهذه هى الضراعة المقدسة فى نظر المولوسين التى لا يجوز رفضها • ويقول البعض ان التى أوحت اليه هذه الطريقة هى « فتيا » زوجة الملك وهى التى أوقفته بذاتهـــا أمام الموقد وابنها بين يديه • ويقول البعض ان أدميت نفسه هو الذى فكر فى هذه الضراعة ليجد لنفسه عذرا أمام واجب مقدس يمنعه أن يسلم تيميستوكل الى مضطهديه لاجئا الى هذه اللعبة المسرحية •

وقد بعث أبيكرات الأشرانى اليه بامرأته وأولاده عند أدميت بعد أن أخرجهم خفية من أثينا • قدم سيمون من أجل ذلك أبيكرات الى المحاكمة وقضى عليه بالموت • هذا ما رواه ستاذمبروت ولا ندرى كيف أنه نسى ما قاله • أو انساه تيميستوكل وهو القائل ، ان أبيكرات أبحر الى (صقليه) وهناك طلب من الطاغية هيارون ابنته زوجة ، ولما أبى عليه هيارون ذلك أبحر الى آسيا • على أن هذه الرواية بعيدة عن الحقيقة ، ان هيارون بشهادة ثيوفراست فى كتابه عن الملكية أرسل خيلا الى أوليمبيا لتزاحم فى كسب جائزة الجرى • وأقام لها مظلة كأفخم ما يكون فاقترح تيميستوكل على جمعية اليونانيين أن ينزعوا مظلة الطاغية وان يمنعوا خيله دخول ميدان السباق •

ويقول توسيديد ان تيميستوكل أبحر الى بيدنا ليصل الى البحر الآخر • ولم يكن فى السفينة أحد يعرف أنه تيميستوكل الى أن هبت عاصفة قذفت السفينة الى ناكسوس وكان الأثينيون يحاصرونها • فاضطره الخطر المحدق به الى اعلان نفســه للربان والنوتى وأخذهما بالرجاء والتهديد ثم قال لهما انه يتهمهما أمام الأثينيين انهما قبلاه فى سفينتهما لا على جهل منهما بل طمعا في المال • وانتهى الى اغفال أمره والاتجاه الى آسيا • أما أمواله فقد أرسل اليه أصحابه بجانب كبير منها مما تمكنوا من اخفائه • وكل ما اكتشف منهـــا نقل الى الخزانة العمومية ويقدره ثيوبونت بمائة تالان أما ثيوفراست فانه يقدره بثمانين تالانا • على أن

ما كان تملكه تيميستوكل عند توليه الأعمال العمومية لم يكن يزيد عن ثلاثة تالانات .

وعندما وصل الى « سيما » ، لمح على الشاطىء أناسا قد رصدوا للقبض عليه لاسيما أرجوتليس وبيودور : والحقيقة أنه كان غنيمة عظيمة لمن يعتقدون أن كل الطرق صالحة للفناء وكان ملك الفرس أعلن أن يعطى من يسلمه اليه مائتى تالان فهرب الى أجيس وهى مدينة صغيرة من أيولى لا يعرفها فيها أحد سوى مضيفه نيكوجين، أكبر الأهالى ثروة وأعلاهم قدرا لدى عظماء الفرس . بقى مختفيا هناك أياما الا أنه فى ليلة هذا العشاء الذى تلته تقدمة . نهض البيوس مربى أولاد نيكوجين وألقى فجأة بالهام وبلهجة وحى ، البيت التالى بصوت عال :

« أمنح الليل صوتا أمنحه النصح والنصر » .

ذهب تيميستوكل لينام فظهر له فى الحلم تنين التف حول بطنه وطوق عنقه . وما لمس التنين وجهه حتى انقلب نسرا نشر أجنحته فوق تيميستوكل ثم حمله مسافة طويلة وألقى به على مركب ذهبية ظهرت فجأة فأحس تيميستوكل قدمه ثابتة ونفسه ناجية من خطر جسيم أرسله نيوجين الى الملك واليك الطريقة التى لجأ اليها ليجعله فى مأمن . ان المرأة لدى جميع الأمم الشرقية ولا سيما الفرس موضع غيرة وحشية قاسية . لا الزوجات فقط ، بل والرقيق المشتريات والمحظيات . لذلك يحرصون عليهن كل الحرص بحيث لا يستطيع أجنبى أن يراهن . ففى المنازل يغلق عليهن الأبواب بالأقفال . وفى السفر يحملن فى مظال محكمة ، وفى احدى هذه المظال أرسل نيكوجين ، خيفة تيميستوكل . وكان الحراس يجيبون كل سائل ، انها امرأة يونانية ، احضروها من يونيا لكبير من أصحاب الملك .

يقول توسيديد وشادون ، ولامبساك (١) ان تيميستوكل لم يصل الى الفرس الا بعد وفاة كزرسيس وانه قدم نفسه الى ابن كزرسيس .

---

(١) مؤرخ سابق لعهد هيرودوت . عرف بمؤلف لتاريخ الفرس .

ولكن أفود (١) ودينون (٢) وكلبتارك (٣) وهيركليد وغيرهم مؤكدون أنه ظهر أمام كزرسيس نفسه ، على أن رأي الأول أدنى مطابقة لجدول التاريخ وان كان قليل الدقة ولما رأى تيميستوكل نفسه في موقف حرج ، خاطب أرتابان رئيس الالف قائلا انه يوناني الجنس وأنه يريد محادثه الملك في شأن على جانب كبير من الخطورة وان الملك نفسه يتشوق لرؤيته فأجابه أرتابان قائلا : أيها الأجنبي ان شرائع الناس ليست واحدة في كل مكان ، الجميل في غير جميل في نظر الآخرين فمن الحسن واللائق بكل انسان أن يحترم ويؤدي شرائع البلاد . يقال أنكم تحترمون الحرية والمساواة فوق كل شيء . أما نحن فان أجمل شريعة عندنا من بين شرائعنا الجميلة ، هي التي تأمرنا باحترام الملك ، وأن نعبد فيه صورة الاله الذي يحمي كل شيء . فاذا أردت أن تخضع لعاداتنا وتعبده فلك كما لنا أن تراه وتحادثه . وان لم تكن على استعداد لذلك فلن تستطيع مخاطبته الا بوسيط . لأن العادة في بلاد الفرس ألا يقابل أحد الملك ما لم يقدم اليه واجب العادة .. أجاب تيميستوكل على ملاحظات أرتابان بقوله « لقد أتيت يا أرتابان لا أزيد في مجد وسيادة الملك . نعم أطيع شرائعكم بما أن هذه ارادة الاله الذي رفع العرش الى هذا المقام السامي ، على أن الملك سيرى بمساعدتي ازدياد عدد عباده ، وعليه لا يكون هناك ما يمنع ما أريد من محادثته » . قال أرتابان ، بأي اسم أقدمك ، لانني أرى عواطفك فوق العادة .. فأجابه تيميستوكل . أما اسمي فلن يعرفه ، يا أرتابان ، أحد قبل الملك . هذه رواية فانياس ، يضيف اليها اراتوستين في كتابه عن « الثروة » ان امرأة ارترية . محظيـــة أرتابان هي التي أوصـــت تيميستوكل الى خليلها ودبرت المقابلة بينهما .

ولما أدخل الى الملك سجد له ووقف صـامتا ، الى أن صـدر الأمر للمترجم أن يسأله من هو . سأل المترجم فأجاب تيميستوكل ، أنا ، أيها الملك تيميستوكل الاثيني نفاني واضطهدني اليونانيون فجئت ابحث عن

---

(١) من كوم في اليذ . وضع تاريخ يونان . وهو يعد هيرودوت وتوسيديد ، من كبار المؤرخين .

(٢) معاصر للاسكندر ، ومؤلف تاريخ للفرس لا يعرف الا قليلا .

(٣) ابن دينون وهو أيضا غير معروف .

ملجأ لديك لقد آذيت الفرس ولكنى أحسنت اليهم أيضا بمنعى اليونان من تعقبهم واذ نجت اليونان واصبحت بلادى بعيدة عن الخطر صار فى وسعى أن أقدم اليك خدمة • ان عواطفى اليوم طبق حظى ، وقد جئت اما لقبول احسانك اذا كان بغضك قد زال أو لتحويله اذا كان باقيا • ان أعدائى يشتهدون لديك بالخدمات التى قدمتها الى الفرس • لتكن نكبتى فرصة لاظهار فضلك أكثر منها لاظهار نقمتك • تخير بين أن تنقذ حياة رجل جاء اليك متوسلا وبين أن تقضى على عدو صريح لليونانيين » لم يقف تيميستوكل عند هذا الخطاب ، بل ذكر الأوامر الالهية وروى حكاية الرؤيا التى شهدها فى منزل فيكوجين ووحى جوبيتر دورون : فقد أمرنى الاله أن ألجأ الى الأمير الذى يحمل اسما كاسمه ولا يمكن أن يكون سـواك ، لأن جوبيتر وأنت وحدكما اللذان تدعوان ملكين لم يجب الملك تيميسـتوكل بشىء وبقى مأخوذا بعظمة نفسه وجرأته ولكن كان بين أصحابه يهنىء نفسه بهذا الحادث كأنه أكبر نعمة يصل اليها ورجا الى أريمان أن يبعث دائما بين أعدائه مثل هذه الأفكار ويحملهم على نفى العظماء من بينهم ويقال انه قدم للآلهة تقدمة وأقام وليمة وبلغ من شدة فرحه أنه « سمع يصيح ثلاث مرات وهو نائم » •

« عندى تيميستوكل الآثينى » •

فى الغد عند مطلع الفجر دعا أصحابه وأحضر تيميستوكل ولم يكن هذا يتوقع خيرا مذ رأى رجال البلاط وعلم أنهم عرفوا اسمه فتجمهروا له وقابلوه بالاهانة والزراية يضاف الى ذلك أن روكسان رئيس ألف من الجنود جابهه وهو مار أمامه فى حين كان الملك على عرشه والقوم فى سكوت عميق جابهه بقوله همسا « ان حظ الملك هو الذى أتى بك الى هنا يا أفعى يونان الخبيثة » ولكنه عندما ظهر أمام الملك وسجد له ثانية حياه الملك وقال له بلطف « انى مدين لك بمائتى تالان بما أنك أنت الذى قدمت نفسك الى ، فمن العدل أن تنال المكافأة التى وعدت بها من يحضر الى » ثم وعده بأكثر من ذلك وطمأن خاطره ودعاه للاعتراف صراحة عن رأيه مهما يكن فى شـئون يونان فأجاب تيميستوكل أن البيال كالبساط المنقوش لابد من نشره لاظهار صوره أما اذا بقى مطويا اختفت نقوشه وضاع تناسبها • استحسن الملك التشبيه وأذن له بما أراد من وقت •

طلب تيميستوكل سنة أخذ فى أثنائها بدراسة اللغة الفارسية ليتمكن من مخاطبة الملك مباشرة بدون حاجة الى ترجمان ٠

توهم القوم ان تيميستوكل لا يكلمه ألا فى شـئون اليونان ولكن التغيرات التى أحدثها الملك فى حاشيته والسخط الذى أنزله ببعضهم جعل تيميستوكل موضـــع بغض جمع الكبراء لاقناعهـــم انه اجترأ على التصريح للملك بما يعتقده فيهم والحقيقة ان كل ما كانـــوا يحيطون به الأجانب من التكريم لا يذكر بجانب ما ناله تيميستوكل ٠ كان يصحب الملك فى جميع رحلاته للقنص وفى جميع ملاهيه الداخلية وقد قدمه الملك الى الملكة والدته فقبلته فى صداقتها ثم صـــدر أمر الملك بتعليمه علوم المجوس ٠ وحدث أن الملك طلب من دامارات السبارطى أن يتمنى عليه ٠ فطلب منه أن يأذن بالتنزه على جواد فى السارد وعلى رأسه عقال ملوك الفرس فقبض مسترو بسينس ابن عم الملك على يده وقال له « ان ذلك العقال يا دامارات لا يجد فى رأسك مخا يغطيه : لو قبضت بيدك على الصاعقة لما صرت جونبير » غضب الملك لهذا الطلب وأغلظ لدامارات القول بحيث لم يكن هناك رجاء فى تهدئة ثائرته ٠ ولكن تيميستوكل توسط له فتمكن من مصالحتهما ٠ لذلك جرت عادة الفرس بعد ذلك كلما أرادوا استجلاب يونانى أن يعدوه بأن سوف يلقى ما لم يلقه تيميستوكل من الاجلال والتعظيم ويقال انه وهو فى نعيمه هذا وهو موضع حفاوة الجميع قـــال يوما لأولاده وقد رأى المائدة أمامه على أفخم ما يكون « يا أبنائى كنا ضعنا لو لم نكن ضعنا » ويكاد جميع الكتاب يجمعون على أن الملك منحه ثـلاث مدن « لخبزه وخمره ولحمه » وهى مانيزيا ، ولامبســاك وميونت ولكن نياتيس السـيزيكى (١) وفانياس يضيفان اليهـــا مدينتين أخريين ، وهما : بركـوث وبالسبسى تخصصان للرياش والثيـــاب ٠

واذ كان يوما نازلا الى سواحل الامبراطورية البحرية لشئون يونانية ، كمن له فارس يدعى ابيكسيس كاهن فرجيا العليا وأرصد له أناســـا

(١) معاصر اتالوس ملك برجام وله جملة مؤلفـات تاريخية ٠

يقتلونه ليلا حين يجتاز مدينة ليونتوسيفال (رأس الأسد) ، ولكن والدة الآلهة ظهرت له وهو نائم فى قيلولة الظهر وقالت له احذر يا تيميستوكل (رأس الأسد) لئلا تقع فى مخالب الأسد وأريد منك جزاء هذا التحذير أن تهب ابنتك « منسيبتوليما » لخدمتى • نهض تيميستوكل وقدم صلاته للالهه وعدل عن الطريق اجتنابا لذلك المكان المشؤوم ولم يقف حتى أسدل الليل ستاره ، سقط احد الحيوانات التى كانت تحمل خيمته فى النهر فنشر الخدم الابسطه لتجف وراها (الكامنون) ، فاسرعوا اليها مشهرين سيوفهم غير متيقنين على ضــوء القمر ، واهمين أنهــا أبســـط خيمه تيميستوكل وظنوه نائما فيها • دنوا منها ورفعوا البساط ولكن رجال تيميستوكل الذين كانوا كامنين لهم انقضوا عليهم وقبضوا عليهم • واد نجا تيميستوكل بهذا الحظ أقام ـ اعترافا بفضل الآلهه ـ هيكلا فى ماينزى باسم والديمن وجعل ابنته منسيبتوليما كاهنه له ، وبينما هو يمر بالسارد استخدم فرصة فراغه لزيارة الهياكل وكلها فخم جليل وفحص التقدمات التى تقدم فيها • رأى فى هيكل والدة الآلهة ، الفتــاة المعروفة باسم (هيدروفور) وهذا اسم تمثال نحاسى يبلغ طوله ذراعين ، وهو الذى أمامه أيام كان وكيلا للمياه فى أثينا ينفق عليه مما كان يتجمع من الغرامات التى كان يحكم بها على الذين يحولون مياه المجارى العامة الى مجار خصوصية وكان قدسها فى أحد الهياكل فلا تدرى ماذا جال بنفسه هل تألم لرؤية تقدمته فى هذا الأسر أو أراد أن يــرى الاثينيين ما يتمتع به من ثقة فى أراضى الملك لذلك خاطب ليديا فى أمر هذا التمثال وطلب اليه الاذن بارساله الى أثينا أغضب البربرى هذا الطلب وقال له انه سيكتب للملك عنه • فزع تيميستوكل واستمال محظيات الحاكم فهدأ غضبه ولكن كان درســـا لتيميستوكل تعلم منــــه التزام الحذر من غيرة البربر ، لذلك لم يزر ممالك آسيا الأخرى رغم أقوال تيوبونب ، وأقام فى مانيزيا يجنى ثمار خيرات الملك ويتمتع بما يتمتع به الكبراء من الأكرام فعاش هناك زمنا طويلا ناعم البال لأن الملك لم يفكر فى مسائل اليونان لاشتغاله بشئون أقاليم المملكة العليا •

ولكن ثورة مصر التى كان اليونان يقصدونها ، وتقدم وفود العمارة اليونانية التى تقدمت حتى بلغت قبرص وكليكيا واخيرا تمكن سيمون من

اخضـــاع جميع جوانب البحـر لفتت نظـره الى اليـــونان وعول على مقاومة اغراضهم ومنعهم من أن يقوموا ضده • سارت الجنود وأسرع القواد كل الى معسكره وأسرع البريد الى مانيزيا يحمل الى تيميستوكل باسم الملك الآمر بأن يتولى قيادة الحملة العامة ضد اليونانيين برا بوعده ولكن تيميستوكل لم يجد فى قلبه أثرا كبيرا للحقد على مواطنيه ولم ير فى المجد والسيادة التي يقدمها اليه النصر ما يحمله على الحرب وقد يكون ذلك لاعتقاده ان النصر محال لأن يونان كانت حينذاك غنية بالقواد العظام بينهم سيمون الذى كان التوفيق ملازما له فى جميع أعماله على أن العامل الذى أوقفه هو خجله من أن يلحق الخزى والعار بمـــا نال من مجـــد وما كسب من أكاليل الفخر لذلـــك اعتزم ذلك العزم المجيد أن يختم حياته بنهاية حقيقة به • قدم ضحية للآلهة وجمع أصدقاءه وودعهم الوداع الأخــــير •

شرب على رواية البعض دماء ثور ، وعلى رواية الآخرين سما زعافا ومات فى مانيزيا بالغا من العمر خمســة وستين عاما بعد حياة قضاها فى ادارة الأعمال العمومية وقيادة الجيوش ويقال ان اعجاب الملك ازداد عندما علم سبب وكيفية موته واستمر احسانه الى أسرته وأصدقائه • خلف تيميستوكل ثلاثة أبناء من أرشيف بنت ليزاندر من قرية الوبيس وهم : أرشبتوليس ، بوليكت وكليوفانت •

وقد ذكر أفلاطون الفيلسوف كليوفانت كان مروضا ماهرا ولكنه لا يستحق الذكر ، ورزق قبل هؤلاء اثنـــان آخران ، فيوكلس الذى مات وهو طفل من عضة حصان وديوكلس الذى تبناه جده ليزاندر ورزق أيضا جملة بنات : منسيبتوليما من زوجة ثانية تزوجت من أرشبتوليس أخيها من أم أخرى ، وايطاليا زوجة بانتيد من شيو ، سيبارس زوجة نيكومد اثينى ، نيكوماشــــة التى بعد موت والدها زوجها اخوتها من قرازجلس ابن أخ تيميستوكل جاء من أثينا الى مانيزيا وعنده ترتبت صغرى الأخوات وهى ازيا ، واداسيا •

ولا يزال يشاهد فى مانيزيا فى الطريق العام قبر تيميستوكل الفخم ولا يجب أن نصدق ما رواه أندوسيد (١) فى خطبة لأصحابه حيث ادعى أن الأثينتين نبشوا رفاته وذروها فى الهواء ، فما هو الا كذب أريد به اثارة الأشراف ضد الشعب وقد عمد فيلارك فى تاريخه الى حيلة مسرحية تحريكا للشفقة واثارة للقلوب فأوجد شخصين لا يعلم لهما وجود دعاهما فيوكليس وديموبوليس جعلهما أبناء تيميستوكل وما هما سوى ابنى خياله كما يبدو ظاهرا للعيان ٠

ويزعم ديودور البريجينى فى مؤلفه عن المقابر ظنا لا حقيقة أنه يوجد فى البيرة عند العودة من منعرج السيموس لسان أرض على شكل هيكل ويستشهد لذلك بقول أفلاطون المهرج فى أشعاره التالية :

ان قبرك مشيد فى مكان لائق

موضع احترام خالد فى نظر جميع المسافرين

يطل على الخارجين من الميناء والداخلين اليها ٠

ومتى اشتبكت السفن فى القتال كان ذلك مشهده وملهاه ولا يزال أبناء تيميستوكل ينعمون فى مانيزيا بكرامة خاصة مما كان ينعم به تيميستوكل ، الذى كان رفيقى وصديقى فى مدرسة أمونيوس الفيلسوف ٠

---

(١) لعله اندوسيد الخطيب ٠

كــــامى

ان أدعى شىء للدهشة والغرابة فى حياه فوريوس كامى ، أن رجلا مثله قاد الجيوش غير مرة وأحرز انتصارات باهرة غير مرة وتولى الحكم الفردى خمس مرات ونال من أكاليل النصر أربعا ودعى مؤسس روما الثانى لم يعين قنصلا ولا مرة · يرجع السبب فى ذلك الى الظروف السياسية · كان ذلك عهد مناقشات بين مجلسى الشيوخ والشعب · أبى الشعب انتخاب القناصل وعين بدلا منهم للقصاء رجالا من أنصاره المعروفين بخطباء الشــعب يتولون الســلطة القنصلية وكان حكمهم أقل فظاعة بسبب كثرة عددهم وكان العزاء لمن يفضلون حكم الجماعة أن يروا على رأس الحكومة ستة بدلا من اثنين ·

كان كامى فى ابان مجده مشهورا بأعماله الحربية · ولكنه لم يرد أن يكون قنصلا رغم ارادة الشعب مع حدوث انتخابات قنصلية فى ذلك العهد · أما المناصب الأخرى فقد تولى الكثير منها · وقد سلك فيها جميعا مســـلكا حســـنا بحيث انه حتى فى حين انفراده بالأمر كان يجعل السلطة شركة بينه وبين آخرين مع احتفاظه بالمجد لنفسه ولو كان له فيه شركاء · أفلح فى ذلك لالتزامه الاعتدال · أراد أن يتولى الحكم دون اثارة الحسد لما كان عليه من الحكمة التى جعلت له مقاما ساميا وتوفيقا لا جدال فيهما ·

لم تكن أسرة فوريوس نابهة الذكر ، فهو أول فوريوسى جعل له ذكرا ، لفتت جدارته الشخصية الأنظار اليه فى الموقعة الكبرى ضد الأيكيين والفالسكيين ، حيث كان يعمل تحت ديكتاتورية لوستوميوس توبرتوس · فهو الذى بــدأ الهجــوم ضــاربا فى الجــانبين متقــدما بين

الصـــــفوف ، جرح فخـــذه فلم يترك ســـــاحة الـــوغى بل انتزع الســـهم من الجرح واشـــتد على أشـــجع الأعـداء حتى ولوا الفرار ونال جزاء بســـالته عدة مناصب ســـامية منها منصب (المراقب) وكان فى ذلك العهد جليل الشأن ومما يذكر له بالثناء الحق فى هذا المنصب أنه تمكن بالاقناع والتهديد بالغرامات من الزام العزاب بالتزوج من العازبات اللاتى زادت الحروب المتوالية عددهن ولم يقدم الا اضطرارا على فرض الضرائب على اليتامى ، وكانوا معفين من كل التزام • كانت الضرورة قاضية بتحصيل ما تقتضيه الحروب المستمرة من النفقات •

وأشد ما لزم ذلك فى حصار مدينة الفايين الذين يدعوهم البعض الفاناتاينيين •

كانت مدينة فايين مفتاح أترووريا ، ولا تقل عن روما ذخيرة ولا جندا • عظم شأنهـا بما لها من ثروة وبذخ وجلال وملاذ فرأى فيهـا الرومانيون منافسة فى المجد والسيادة وكثيرا ما أحسوا بقدرتها • ولكنها اليوم ضعفت بما أصـابها من خسائر فى جملة مواقع • فعدلت عن مطمعها • اطمأن الفانيون لما أقاموا من أسوار وجمعوا من سيوف وسهام ومؤونة وجميع ما يلزم فصبروا للحصار آمنين • استمر الحصار زمنا طويلا لا يقل ايلاما للمحـــاصرين عن المحاصرين • والحقيقة أن الرومانيين كان من عادتهم أن لا يحاربوا الا صيفا وفى مواقع قصيرة الأجل • وأن يقضوا الشتاء فى منازلهم ولكنهم اضطروا لأول مرة اجابة لأوامر الحـكام أن ينشئوا القلاع وأن يقيموا فى معسكراتهم وأن يقضـوا الصيف والشتاء فى بلاد العدو • كانت السنة السابعة للحرب فاستاء الشعب من قواده واتهمهم بالتراخى فى الحصار فانتزع منهم القيادة وانتخب آخرين لادارة القتال وكان « كامى » بين المنتخبين ، وهى المرة الثانية لانتخابه بين محامى الشعب وخطبائه ، لم يكلف أول الأمر بالعمل فى الحصار بل عهد اليه فى محاربة الفالســـكيين والكابنيتيين ، الذين انتهزوا فرصة اشتغال الرومانيين بغيرهم فدخلوا أرضهم وأقلقوا بالهم أثناء حرب أترووريا • هزمهم كامى وأعمل فيهم الســـيف وأكرههم على الفــــرار الى داخل أســـوارهم •

كانت الحرب على أشدها عندما بدأ فى بحيرة ألبا حادث من أغرب ما رأوا فزع له الجميع لأنهم لم يعرفوا له أســـبابا عادية ولا علة طبيعية وكان ذلك فى الخريف ولم يحدث فى الصيف حيث لا أمطار غزيرة ولا رياح

جنوبية شديدة وكانت البحيرات والسواقى والينابيع الموجودة بكثرة فى ايطاليا اما ناضبة أو قليلة المياه وكانت الأنهر المنخفضة المياه صيفا ناضبة . ولكن بحيرة ألبا التى منبعها فيها وليس لها مصرف محصورة من جميع جهاتها بجبال خصبة امتلأت فجأة وزادت زيادة محسوسة بلا سبب ، ان لم تكن ارادة الآلهة ثم بلغت الجبال بلا اضطراب ولا دوى وصلت الى قممها . لم ير رعاة الغنم ولا رعاة الخنازير وهم أول من شهدوا الحادثة سوى حالة مدهشة . ولكنهم رأوا الحاجز الذى كان يمنع الفيضان من اغراق الأراضى المزروعة قد انفتح وأن سيلا جارفا من المياه ينحدر الى البحر من خلال Guerets استولى الذعر على الرومانيين وجميع سكان ايطاليا ورأوا فى هذه المعجزة اشارة الى حوادث خارقة . ولم يكن للجند المحاصر حديث غير هذا حتى بلغت الاشاعة المحاصرين أنفسهم .

من المألوف فى الحصار الطويل أن تجرى بين المتحاربين مقابلات ومحادثات . وحدث أن رومانيا صادق أحد الفايين وهو رجل عليم بالآثار ولحظ أن هذا الخبر أفرحه فرحا عظيما ، وأنه يتهكم على الحصار . فقال له ليست هذه المعجزة الوحيدة التى شهدها الرومانيون فى هذا الزمن فقد حدث ما هو أعجب منها ، وانه يريد أن يطلعه عليها ليعرف ما اذا كان هناك سبيل فى هذه النكبة العامة ليأمن على نفسه.أجابه الفايى طوعا وألقى السمع الى حديث الرومانى يتحدث وهو سائر والفايى يتبعه ولما صار على مقربة من المدينة ، انتهز الرومانى فرصة تفوقه البدنى وقبض على صديقه يعاونه بعض الجند ، أتوا اليه مسرعين واحتملوا الرجل الى القواد . لما رأى الفايى نفسه فى هذا المأزق وأيقن أنه ليس للانسان نجاة مما قدر له أفشى أسرار الوحى التى تهم وطنه ، قائلا انه لاتؤخذ الا اذا غير العدو مجرى المياه الفائضة من بحيرة ألبا واعاده الى مجراه الأصلى أو على الأقل منبع المياه أن تصب فى البحر .

ولما علم مجلس الشيوخ النبأ أوفد لتعذر الوسائل لديه يستشير وحى دلفى ، وكان الوفد مؤلفا من : كوسوس لينيوس ، وفالاريوس بوتيتيوس ، وفابيوس أموستوس ثلاثة من أعيان وكبار روما . وكانت

رحلتهم موفقة وتلقوا عدا الجواب عما أوفدوا من أجله اجابات أخرى تشير الى اهمال وقع في حملات (الأرواح اللاتينية) خلافا للعادات المتبعة • وكان جواب الوحي عن مسألة مياه بحيرة «ألبا» أن يحاولوا اجراء مياه البحر الى مجراها القديم واذا تعذر ذلك يحفرون اقنية وينشئون خنادق تتحول اليها لتنصرف بين الأراضي فعمد الكهنة بناء على هذه المشورة الى اجراء ما أغفلوه في التقدمات وشرع الشعب في العمل لوصول مياه البحيرة •

وفي السنة الثانية للحرب ، ألغى مجلس الشيوخ مناصب القضاة وولى كامي الحكم ، فاختار كورنليوس سيبون قائدا عاما لفرقة الخيالة ومنذ تولى الحكم منفردا تعهد علينا أنه اذا انتهت الحرب على خير ، يقيم الألعاب الكبرى ويكرس هيكلا للالهة التي يدعوها الرومانيون الأم ماتونا (١) ويؤخذ مما يجري فيه من المراسم ويقدم فيه من التقدمات انه عيد (ليكوتية) يدخلون الى بيت المقدس يصنعونها كنوفا ثم يطردونها خارجا • ويحمل كل بين ذراعيه لا أبناءه بل أبناء اخوته ثم يطاف ببكوس بين أيدي مرضعاته واينو تضطهدها عشيقة زوجها •

وبعد أن فرغ كامي من نذره،دخل متقلدا سلاحه أرض الفايين وهزمهم في موقعة فاصلة هم وحلفاءهم الكابنقيين ومن ثم ساروا الى حصار فايي ، وسرعان ما أدرك صعوبة ومخاطر الهجوم ، واذ كانت الأراضي المجاورة صالحة لأن تحفر حفرا عميقا بحيث يخفي العمل عن العدو فتح خنادق خفيفة • نجح عمله • وبينما كان كامي يهاجم المدينة من الخارج ليجتذب الفايين الى الأسوار تمكنت فرقة أخرى من السير في الخنادق في خفية والوصول الى القلعة حيث هيكل (جينون) أكبر هياكل المدينة وأسماها شرفا وكان قائد الأتروريين يقدم ضحية ، وصاح العراف بعد فحص أحشاء الضحية قائلا « ان الآلهة تعد النصر لمن يتمم هذه التقدمة » •

سمع الرومانيون الذين في القبور هذه الكليمات فشقوا الأرض وبرزوا في جلبة وضوضاء يقعقعون بالسلاح • استولى الرعب على الفايين

---

(١) يقع هذا العيد حسب النتائج الرومانية القديمة في ١١ من يونية ويدعى « اماترليا » •

ولاذوا بالفرار ، حمل الرومانيون أحشاء الضحية الى كامى • على أن هذه الرواية يظهر فيها الاختلاف •

ومهما يكن من الأمر فقد أخذت فايى عنوة واذ كان كامى يشهد من أعلى القلعة ما يحدث من نهب وسلب لتلك الثروات الهائلة لم يتمالك نفسه فأذرف الدمع • واذ كان من حوله يهنئونه بهذا النصر رفع يديه الى السماء ونطق بالصلاة التالية : ياجوبيتر العظيم وأنت ــ أيتها الالهة ــ التى تشهدين أعمال الناس خيرها وشرها تعلمين ان الرومانيين لم يتقلدوا السلاح ظلما بل حملتهم على ذلك ضرورة الدفاع العادل • تقلدوه ضد أعداء ألداء عابثين بكل قانون ونظام فلئن قدرت علينا قبالة هذه السعادة ويلا وشقاء فانى أضرع اليك أن تقى روما والجيش الرومانى تلك النكبات وأن توجهى ضرباتك الى أنا ، على أن لا تمحقينى •

ولما فرغ من صلاته حول وجهه الى اليمين كعادة الرومانيين فسقط أثناء التفاتته • فزع الرومانيون لهذه السقطة ولكن كامى نهض قائمـــا وهو يقول « هذا هو الأذى القليل الذى طلبته من الآلهة قبالة ما أحرزناه من سعادة عظمى » •

وبعد ان فرغ نهب المدينة عمل على اتمام نذره بنقل تمثال جينون الى روما • جمع العمال لهذه الغاية وقدم للالهة ضحية ورجاها أن تتقبل تحيات الرومانيين الحارة وأن ترخى المقام مع الالهة حاميات روما •

ويقال ان التمثال أجاب أنه راض وأن هذا الاقتراح يسره •

قال تيت ليف ان كامى أدى صلاته للاله (١) ويده على التمثال ، وانه عندما دعا الالهة للسير معه أجابه الحضور « انها راضية عن ذلك كل الرضى وان اقتراحه يسر قلبها » • ويدلل أنصار المعجزة (صواحب

---

(١) لم يتكلم « تيت ليف » عن « كامى » ، بل عن الشبان الذين جمعهم « كامى » لنقل التمثال ولا ندرى لماذا دعاهم بلوتارخوس عمالا •

التمثال) على صحة زعمهم بما أصابته روما من حظ موفق سعيد • هل يمكن أن تخرج مدينة عن أصل ضعيف حقير وتبلغ أسمى قمم المجد والقوة اذا لم تكن بعض الآلهة قد خصها بحماية دائمة باهرة وأنهم ليذكرون معجزات أخرى من هذا النوع • قائلين ألم نشاهد التماثيل تتصبب عرقا وتتنهد وتشير بعينيها • معجزات دونها الكثيرون من المؤرخين القدماء ؟ وفي وسعي أنا ــ أيضا ــ بناء على شهادات الكثيرين من معاصرى أن أثبت كثيرا من هذه الحوادث الحقيقة بالاعجاب مما لا يمكن طرحه بلا تردد • على أنه فى مثل هذه الحوادث يتساوى خطر تصديقها وعدم تصديقها • لأن ضعف الانسانية لا يعرف حدا ولا يعرف أن يسن نفسه قانونا فاما أن ينحدر الى الأخذ بالأباطيل والترهات والكبرياء أو يسف الى الاهمال واحتقار الشئون المقدسة وعليه يكون من الحكمة التزام الحرص والاعتدال •

ان عظمة هذه الحملة والاستيلاء على هذه المدينة التى كانت تناظر روما ودوام حصارها عشر سنوات حركت الألسنة بالثناء على المنتصر ثناء انتفخ له قلب كامى وأثار فيه مطامح كبيرة لحاكم الجمهورية التى يجب عليه احترام عاداتها : زاد فى أبهة موكب النصر زيادة كبرى فدخل روما على عربة يجرها أربعة جياد بيض • لم يحدث هذا قبله ولا بعده • لأن الرومانيين يعتبرون هذه العربة خاصة بملك ووالد الآلهة • فكان هذا أول سبب لاستياء الوطنيين الذين لم يعتادوا مشاهدة هذه الفخفخة المهينة • جاء بعد ذلك السبب الثانى ، وهو معارضة كامى لقانون تقسيم السكان • اقترح خطباء الشعب تقسيم الأهالى والشيوخ الى قسمين متساويين يبقى النصف فى روما والآخر حسب الاقتراح يذهب فيسكن المدينة الجديدة •

يرون فى ذلك زيادة سعادة الجميع اذ يصيرون أصحاب مدينتين عظيمتين جميلتين فيتمكنون من الدفاع عن بلادهم ومصالحهم • استقبل الشعب الذى صار كثير العدد هذا الاقتراح بفرح عظيم والتف حول المنبر وطلب بصيحات عالية الاقتراح • ولكن الشيوخ وكبار الأعيان لم يروا فى اقتراح الخطباء تجزئة روما فقط بل خرابها التام ولشدة استيائهم لجأوا الى كامى • خشى عقبى هذا الانقسام فأخذ يماطل الشعب

ويقيم فى سبيله الصعاب فيؤجل القانون من يوم ليوم ، فكان هذا سبب ما انطووا عليه من الضعف له •

على أن غضب الشعب ضده انفجر عند اثارة مسألة عشر الأسلاب ولابد هنا من الاعتراف بأنه اذا لم يكن هذا السبب عادلا كل العدل فلا يخلو من أثر • عندما سافر كامى الى فايى أنذر انه اذا استولى على المدينة أن يخص أبولون بعشر الغنيمة وعندما أخذت المدينة وأطلق الجند أيديهم بالنهب والسلب ترك لهم كل الغنيمة ، قد يكون ذلك عن خوف من غضبهم أو أن الاضطراب الذى غشاه حين ذلك أنساه نذره ولم يفض بذلك لمجلس الشيوخ الا بعد الحادثة بزمن طويل • وبعد أن غادر منصبه أعلن العرافون فى ذلك الحين أن الضحايا تنبىء بغضب الآلهة ولابد لتهدئة غضبها من كفارة وضحايا •

رأى الشيوخ من المحال أن يعودوا الى تقسيم الغنائم فتركوها لمن استولوا عليها • فاكتفوا بأن أمروا أن يرد كل عشر ما أخذ مع القسم بأن يخل بالوفاء العادل • وعليه ، اضطروا لتنفيذ هذا الأمر الى وسائل محزنة • وأن يستعملوا القسوة ضد جنود فقراء احتملوا كثيرا من الآلام فى تلك الحروب يطالبونهم بقسم كبير من أموال أنفقوها • اضطرب كامى لما وجه اليه من اللوم ، واذ لم يكن لديه عذر قيم لجأ الى أسخف الأعذار : اعترف علنا أنه نسى نذره فبلغ الغضب أشده قال الشعب ان الديكتاتور نذر ذلك اليوم أن يقدم أسلاب الأعداء وها هو يأخذه اليوم من أملاك الوطنيين ! وانتهى الأمر بأن قدم كل انسان ما طلب اليه تقديمه • ومن ثم تقرر أن يصنع من المتحصل فوهة ذهب ترسل الى دلفى ولم يكن الذهب شائعا فى روما وبينما كان الحكام يبحثون لايجاده اجتمعت النساء وقررن فيما بينهن تقديم جميع حليهن لأجل هذه التقدمة • وقد بلغ مجموعها ثمانى تالانات فقرر الشيوخ مكافأتهن مكافأة تليق بهن وبشرف قدرهن فأمر أن ترثى النساء بعد موتهن كما يرثى الرجال ولم يكن من العادة أن ترثى النساء عند جنازتهن •

ندبوا لنقل التقدمه ثلاثه من اعيان الوطنيين نقلهم مركب طويله يسيرها نخبـة من الجدافين ومحلاة بالزينـة اللائقة بالحفلات العامة وقد عانى الوفد الشدائد فى العاصفة والهدوء ـ يلاقون من الهواء ما يكاد يكون الموت حتى اذا نجوا من الخطر كانت نجاتهـم على غير أمل • خانتهم الرياح بالقرب من جزائر الأبولين فظنتهم مراكب الليبـاديين ، كورتين فهاجمتهم واذا رأوهم يمدون اليهم الأيدى ويرفعون اليهم الرجاء لم يقسوا عليهم وسحبوا مركبهم الى مينائهم وهناك أعلنوا أن ركابها من القرصان وشرعوا فى بيعهم هم وكل ما لديهـم ولم يقبلوا اخـلاء سبيلهم الا بعد عناء • والفضل فى ذلك لقائدهم تيماشيه • وزاد هذا القائد أن أرسل بعض مراكبه تصحب الوفد حتى دلفى واشترك معه فى تقديس التقدمة ، لذلك خصه الرومانيون باكرام لائق لخدمته •

قدم الخطباء قانون تقسيم أهالى روما ، ولكن حرب الفالسكيين التى جاءت فى الوقت المناسب جعلت الأشراف سادة الاقتراح واقتضت الحال الالتجاء الى قائد يجمع الى المهارة العملية السلطة والسمعة الطيبة ، ففوض كامى مندوبا حربيا مع خمسة آخرين • ووافق الشعب على الاقتراح وتغلب كامى على قيادة الجيش وأسرع بالاغارة على أرض الفالسكيين ، وحاصر فالير وهى مدينة حصينة • لم يهمل أهلها أمرا من أمور الدفاع • رأى كامى أن ليس من السهل اغتصابها وأن الحصار سيطول أمده ، ورأى من الحسن أن يبقى الرومانيون خارج المدينة ليمنعهم الثورات التى يلجأون اليها عادة أمام السلم تحت تأثير خطبائهم • ذلك هو الدواء الذى يلجأ اليه الشيوخ كما يفعل النطاسيون من الأطباء لتطهر آلهة السياسة من المفاسد التى تفسد عليها أحوالها الاقتصادية •

كان الفالسكيون واثقين من متانة حصونهم هازئين بالحصار وكان الناس ماعدا حراس الأسوار يمرحون فى المدينة بثيابهم العادية وكان الأولاد يذهبون الى مدرستهم ويخرجون بقيادة معلمهم الى التنزه حول الأسوار ويقومون بتمارينهم الرياضية ،والحقيقة أن الفالسكيين كاليونانيين يجعلون لتعليم أبنائهم معلما واحدا ليعتادوا من الصغر الغذاء والحياة معا ، أضمر هذا المعلم ان يسلم الفالسكيين الى الرومانيين بتسليم أبنائهم فبدأ بأخذ الأولاد كل يـوم الى سفح الأسوار ليستدرجهم خارج المدينة ثم

يعود بهم بعد تمارينهم ، ومن ثم صار يبعد بهم شيئا فشيئا حتى يبعد عنهم كل مظان الخوف والخطر ، وأخيرا اذ كان جميع الأولاد معه بلغ بهم عمدا محلة الحرس الرومانى وسلمهم الأولاد وطلب مقابلة كامى • فبدا اليه واذ صار بمقربة منه قال له « الى معلم مدرسة فاليرى • وقد فضلت على واجبى أن أقدم لك خدمة وقد جئت أسلم اليك تلاميذى وبذلك أجعلك تملك المدينة » غضب كامى لهذه الخيانة السوداء ، وقال لمن حوله : « ان الحرب من الأعمال المشئومة وكم تجر وراءها من المظالم والفظائع ولكن كبار النفوس يعرفون لها قوانين لا يريدون النصر عن طريق الجرائم والدنايا • أن القائد الكبير يقيم الحرب معتمدا على قوته الشخصية لا على خبث وخيانة وحقارة الآخرين » ثم أمر الجلاد أن يمزق ثياب ذلك الرجل وأن يوثق يديه الى ظهره وأن يعطى الأولاد قضبانا ومذبات ، ليقتصوا من الخائن وهم يرجعون به الى المدينة •

شعر الفالسكيون بخيانة المعلم ولا غرابة أن عم المدينة الحزن والكدر وقد رفعت النكبة كبار المدينة رجالا ونساء الى الأسوار والأبواب واذا بهم يرون الأطفال عائدين يقودون المعلم عاريا موثوق اليدين يضربونه بالعصى ويدعون كامى الههم ومنقذهم ووالدهم • تأثر الأهالى جميعا لا الآباء فقط من هذا المشهد وتملكهم اعجاب شديد بكامى ، وشملتهم الرغبة فى الاستسلام الى عدله فاجتمعوا لفورهم وأرسلوا اليه مندوبين طالبين أن يسلموا أنفسهم وأموالهم لأمره • أرسل كامى المندوبين الى روما ولما أدخلوا الى مجلس الشيوخ قالوا ان الرومانيين باثارتهم العدل على النصر علمونا أن نؤثر الهزيمة على الحرية وهم يعلنون أن قد انتصرت عليهم فضائل الرومانيين ولو أنهم ليسوا أقل منهم قدرة • أعادهم مجلس الشيوخ الى كامى يرى فيهم رأيه • فاكتفى أن طلب منهم تعويضا حربيا ثم عادوا الى روما بعد أن عقد محالفة حربية مع جميع الشعوب الفالسكية ولكن الجنود الذين كانوا يؤملون الغنم الكبير من أســـلاب فاليرى عادوا فارغى الأيدى • ما وصلوا روما حتى أخذوا يشنعون على كامى يتهمونه أنه عدو الشعب وأنه حرم الفقراء وسيلة مشروعة للثروة •

عاد خطباء الشعب الى تقديم قانون تقسيم أهالى روما وأعد الشعب لاعطاء صوته • اقتحم كامى غضب الشعب وعارض القانون بشدة وصرامة حتى رفض •

قبل الشــــعب على غير رضى وبلغ من حقده على كامى أن شمت لنكبته بفقد أحد ولديه ، ولم يهدأ غضبه عليه • أما كامى فكان طيب القلب رقيق الاحساس فقد اشتد به الحزن من هول هذه النكبة حتى دعى للمحاكمة فلم يحضر وبقى رهن بيته مع النساء •

كان المدعى على كامى رجلا يدعى لوســـيوس الوليوس ، يتهمه باختلاس جانب من غنائم أترووريا • ليستشهد لذلك بأبواب نحاسية كانت بينها وشوهدت فى منزل كامى • كان الشعب ثائرا ضده والحكم عليه منتظر لأقل حجة • دعا كامى أصدقاءه واخوانه تحت السلاح وزملاءه الأقدمين وهم عدد غير قليل وتوسل اليهم أن لا يبخلوا عليه بالدفاع أمام هذه التهم الكاذبة وأن ينقذوه من حكم ظالم ومن سخرية أعدائه • فأجابوه بعد المداولة والمناقشة أنهم لا يستطيعون منع الحكم ولكنهم اذا حكم عليه بغرامة يدفعونها عنه • ساء كامى ضعفهم ولم يصغ الا لصوت غضبه فاعتزم مغادرة المدينة وأن ينفى نفسه برضاه فعانق زوجته وابنه وخرج من البيت ومشى صامتا حتى أبواب المدينه وهناك وقف وتحول ، ثم بسط يديه نحو الكابيتول ورفع الى الآلهة الصلاة التالية :« اذا كنت بريئا وكان ظلم وحسد الشعب هو الذى أكرهنى على الخروج ذليلا من وطنى فلتكن ارادتك أن يشعر الرومانيون ويعلم العالم حاجتهم الى وتأخذهم الحسرة لغياب كامى » وبعد أن صب على مواطنيه اللعنات كما فعل أخيل أبعد عن روما - حكم عليه غيابيا بغرامة قدرهــا خمسة عشر ألف (أس) توازى بالفضة ألفا وخمسمائة دراخمة ، لأن الأس عملة صغيرة كل عشرة منه تساوى فلسا •

لم يبق رومانى لا يعتقد أن العدل الالهى تقبل صلاة كامى لوقتها ، وأن الويلات صبت على روما جزاء ظلمها الذى ذهب ضحيته ، انتقام رثى له كامى ذاته ولكنه شريف وعظيم ، لأن غضب الآلهة أنهك قوى روما واجتمع عليها الفزع والخطر والعار وسواء أكان العقاب من عمل الصدفة أم ارادة اله لا يسمح لنكران الجميل بامتهان الفضيلة بالأعقاب •

وأول نكبة نزلت بروما هى موت الرقيب يوليوس والحقيقة أن منصب الرقابة مقام محترم جدا فى نظر الرومانيين ، حتى انهم يقدسونه

أما النكبة الثانية ، فكانت سابقة لنفى كامى • ذلك أن رجلا ليس من الأشراف ولا من الشيوخ لكنـــه رجـــل محترم لفضله يدعوه ماركوس سيديتيوس أبلغ الزعماء الحربيين واقعة حسبها حقيقة بأن تنقل اليهم وتستـــحق عنايتهم أبلغهم أنه بينما كان يجتاز الليلة الماضية السكة الجديدة سمع صوتا يناديه ، التفت فلم ير أحدا ! ولكن صوتا أقوى من صوت رجل قال له يا ماركوس سيديتيوس اذهب غدا عند مطلع النهار وبلغ الزعماء الحربيين أن يتوقعوا رؤية الغاليين قريبا ، ضحك الزعماء من هذا الانذار وسخروا به ثم أخذت بعد ذلك نفى كامى •

والغاليون أمة سلتية كثر عددها وغادرت بلادها التى لم تعد تكفى لمؤنتها وذهبت تبحث عن أرض تصلح لسكناها • وهذه الأمة كثيرة الشبان البواسل تجر وراءها عددا أكبر من النساء والأطفال اخترق بعضها جبال ريفة ، وانتشروا حول الأوقيانوس الشمالى واستقروا على حدود أوروبا وأقام البعض بين البيرلينا والألب على مقربة من اليتونين والسلتورين وأقاموا زمنا طويلا وحدث أن ذاقوا لأول مرة النبيذ محمولا اليهم من ايطاليا فاستطابوا طعم هذا الشراب ولذ لهم ما أدخله عليهم من السرور فحملوا أسلحتهم واصطحبوا أهلهم وانحدروا من جهة الألب يطلبون الأرض التى تنبت ثمرا شهيا كهذا ، يرون كل أرض دونهـــا قحلاء موحشة •

أما الذى علمهم النبيذ وحرك فى نفوسهم شهوة الذهاب الى ايطاليا فهو على ما يقال رجل يدعى أرون من أترورويا معروف فى بلده ولم يكن شريرا بالطبع بل أراد الانتقام لنفسه من عار لحقه • كان مربيا لفتى يتيم يدعى لوكومون • أجمل واغنى مواطنيه تربى الفتى من نعومة أظفاره تحت اشراف أرونى ، ولما بلغ سن الشباب لزم المنزل بدعوى حبه لمربيه على أنه كان على اتصال بامرأته يحبها وتحبه :

بقيت هذه الصلة فى الخفاء زمنا طويلا ولكن الهوى المتبادل اشتد بهما حتى لم يعد فى امكانهما التغلب عليه أو اخفاءه •

اختطف الفتى زوجة أرون وأبقاها فى منزله علانية ، رفع الزوج عليه قضية ولكنه لم يستطع التغلب على لوكومون لكثرة عدد أصدقائه

ورفعة قدره ووفرة ثروته فخذل وخسر قضيته ، وحينئذ غادر وطنه وسار إلى الغاليين الذين عرفهم بما شاع عنهم وتولى قيادتهم الى ايطاليا ٠

افتتح المغيرون في وقت قصير جميع المملكة بين الألب والبحرين وهي التي كان يملكها الأترسكيون من زمن بعيد ، كما يتضح ذلك من اسماء الأماكن فالبحر الشمالى الذى يدعى الادرياتى نسبة الى ادريا وهي مدينة من مدن اترسكيا وكذلك يدعون البحر الجنوبي بحر اتروريا وكانت هذه البلاد وافرة الغرس خصبة المرعى ترويها أنهار كثيرة وكان بها ثماني عشرة مدينة جميلة عظيمة غنية في تجارتها تعيش في سعة وبذخ ٠ طرد الغاليون منها الأترسكيين وأقاموا بها ٠ حدثت هذه الغارة قبل نفي كامي بزمن طويل (١) ، ولكن ابان هذا النفى جاء الغاليون لمحاصرة كلوزيوم ، وهي احدى مدن اتروريا ٠

استصرخ أهل كلوزيوم الرومانيين يستنجدونهم طالبين منهم أن يرسلوا الى هؤلاء البربر الوفود وان يخاطبوهم فى الأمر ٠ أوفد الرومانيون ثلاثة من عائلة فابيوس ، وهم من كبار القوم أصحاب السمعة المحترمة فى روما ٠ أكرم الغاليون وفادتهم احتراما لاسم روما وأوقفوا مهاجمة الأسوار وأخذوا في مفاوضة المندوبين أى ذنب جناه الأترسكيون ضدكم حتى جئتم تحاصرون مدينتهم ! ضحك برونوس ملك الغاليين من هذا السؤال ثم قال « ان ذنبهم في نظرنا أنهم يريدون أن يمتلكوا وحدهم أراضى واسعة وهم لا يستطيعون سوى استغلال جانب صغير منها ، وأنهم يابون اقتسامها معنا ونحن غرباء كثيرو العدد فقراء ٠ وذنبهم أيها الأرمانيون هو الذنب الذى جناه ضدكم بالأمس لاليون والفدايون والأرويون وهو ما ارتكبه ضدكم الفيون والكابتيون أخيرا وأغلب الفايسكيين والنويسكيين ٠ وكل شعب يأبى عليكم مشاركته فى خيراته تسيرون اليه بسلاحكم تستعبدون رجاله وتسلبون أمواله وتهدمون مدنه ٠ لم تاتوا فى ذلك شيئا شاذا ولا ظالما بل سرتم على أقدم الشرائع التى تبيح للأقوياء أموال الضعفاء ، وهذه شرعة تبدأ بالله ذاته وتنتهي الى الضوارى ٠ لأنها تعرف أيضا ان القوى يزعم دائما ان نصيبه لابد من أن

(١) منذ قرنين تقريبا ٠

يكون أوفر من نصيب الضـعيف • فأقلعوا عن العطف على إلكلوزيين المحاصرين إذا كنتم لا تريدون أن يعطف الغاليـون على الشعوب التى استذلها الرومانيون » •

رأى الوفد الرومانى من هذا الجواب ألا سبيل الى التفاهم مع بروتوس : دخلوا كلوزيوم وأنهضـوا شجاعة المحاصرين ودفعوهم الى المهاجمة على أن يحاربوا معهم • اما رغبة فى معرفة مقدار شجاعة البربر واما لاظهار كفاءتهم • عمل الكلوزيون بنصيحتهم • حدث أثناء المعركة التى وقعت تحت أسـوار المدينة أن كنتوس أموسـتوس أحد الغـاليين الثلاثة دفع جواده ضد غالى طويل القامة فخم الهيئة طاف حوله واندفع بعيدا عن الموقعة لم يعرف لأول أمره لأن الملحمة كانت شديدة وكانت الأعين مأخوذة ببريق السيوف ولكنه بعد أن انتصر على خصمه وقتله عرفه بروتوس وهو يجرد الجثة أستشهد الآلهة على هذا العمل المخالف للشرائع الدولية والقوانين المقدسة ، قائلا : « جاء فابيوس رسولا فاجترأ أن يعمل عمل عدو • فأوقف القتال وترك الكلوزيين وسار بجيشه الى روما على أنه لم يرد أن يظهـر بمظهر من اتخذ هـذا الاعتداء ذريعة لمهاجمة الرومانيين فطلب من روما أن تسـلم اليـه الجانى لمعاقبته ولم يتقدم الا متمهـلا » •

اجتمع مجلس الشيوخ فى روما وأوقع اللوم على فابيوس وقام الكهنة المعروفون باسم فاسيو يؤيدون التهمة قائلين ان هذا الاعتداء يهم الآلهة أنفسهم وأننا بتضحيتنا بشخص واحد كفارة عن الجريمة نحول عن الشـعب كله الانتقام السماوى • وطفحة الكهنة هذه من أوضـاع نوما بومبليوس أرق وأعدل الملوك ، ليكونوا حراسا للسلام وحكما عدلا فى الأسباب التى تدعو الى حمل السلاح •

أحال مجلس الشيوخ المسـألة على الشعب وجدد الكهنة تأييدهم التهمة ضد فابيوس ، ولكن الشعب أكثر من السخرية والاحتقار لقوانين الدين المقدسة وعين فابيوس زعيما حربيا مع اخوته •

ولما علم الغاليون هذا النبأ اشتد غيظهم وساروا بلا مهل يسرعون الخطى، وكانت كثرة عددهم وقعقعة سلاحهم وقوتهم وسبورتهم ترسل الرعب

حينما سارت وكان أهالى المزارع يتوقعون تلف مزارعهم شر أنواع التلف وأهالى المدن يتوقعون خراب مدنهم، ولكن شيئا من الفظائع لم يرتكب فلم يسلبوا شيئا من المزارع ، وكانوا كلما مروا بمدينة صاحوا بأعلى صوتهم « انما نسير ضد روما ليس لنا أعداء سوى الرومانيين أما جميع الشعوب الأخرى فهم أصدقاؤنا » •

بينما كان البربر يتدافعون فى تقدمهم الى الأمام غادر الزعماء الحربيون روما وساروا لملاقاتهم ولم يكن جيشهم أقل عددا من جيش الغاليين اذ كان عدد مشاته أربعين ألفا ولكن أغلبهم حديث العهد بالحروب لم تسبق له بها خبرة ولم يقبض على السيف الا لأول مرة وقد قصر القواد فى التأكد من مساعدة الالهة فلم يقدموا الضحايا ولم يستطلعوا رأى العرافين فيما تجب معرفته فى هذه الظروف الحرجة قبل مباشرة الحرب• وكان لكثرة عدد القواد أثرها السيىء فى اضطراب الأعمال الحربية، فقد كان الرومانيون فى أقل الحروب خطرا يعينون حكما وحيدا يدعونه ديكتاتورا يعرفون له قدره فى المواقف الخطرة ، فيعمل الجميع بروح واحدة ليتولى الأمر رئيس واحد بيده السلطة العليا وله حق القضاء ولا مرد لحكمه • على أن نكبة الرومانيين الكبرى هى معاملة كامى ، تلك المعاملة الحقيرة فحرموا بابعاده قائدا جريئا على مقاومة نزعات الشعب واهدائه •

تقدم الرومانيون على مدى تسعين ستار (١) من المدينة وعسكروا على شواطىء نهر اليا عند ملتقى نهر التبر • وما لبث البربر أن ظهروا ولكن الرومانيين جبنوا فى القتال ووقع الاضطراب فى الجيش فكانت هزيمته تامة • ألقى الغاليون فى هجمتهم الأولى الجناح الأيسر فى النهر وخشى الجناح الأيمن صدمة البربر فاعتصم بالمرتفعات فكانت نكبة أقل ويلا • وتمكن بعض هؤلاء من اللجوء الى روما ولما مل الغاليون القتل تمكنت بقايا الجناح الأيسر من الهرب الى فاى ليلا موقنين ضياع روما وهلاك أهلها وقعت هذه المعركة حول الانقلاب الصيفى تقريبا حيث كان البدر فى تمامه • وفى اليوم الذى هلك فيه ثلاثمائة رومانى من عائلة

(١) تزيد قليلا على اربعة فراسخ ، والستار عبارة عن ١٨٥ر٥١٥ متر •

فابيوس بعد الأترسكي ، ولكن الهزيمة الأخيرة التي تعرف بذلك اليوم (١)، لا يزالون يدعونها يوم « أليا » ، اسم النهر الذي وقعت بجواره ٠

ولقد دققت المبحث فيما اذا كانت هناك حقيقة أيام نحس أو أن هيراكليت كان مصيبا في لومه هزيود لاعتباره وجود أيام خير وأيام نحس ٠ كأنه يجهل أن جميع الأيام سواء وقد لا يكون من الخروج عن الموضوع أن أذكر بعض حوادث تتعلق بهذا الشأن ٠ مثال ذلك أن البيوتيين يعدون من أيام الخير الخامس من شهر هيبودرو ميون الذي يدعوه الاثينيون هيكاتبنيون (يونيو - يوليو) فقد اكتسبوا في ذلك اليوم النصر مرتين انتصارات باعرة أيدت حرية يونان ٠ أحدهما انتصار ليكتر والثاني قبل ذلك بمائتي سنة انتصار جرابت حيث قهروا التلاتميين والتاليين وبالعكس من ذلك انهزم الفرس في موقعة مراتوت يوم ستة من بويدروميون (أغسطس - سبتمبر) وهزموا في بلاته وميكال يوم ٢ وهزموا في أبريل يوم ٢٥ منه وكان انتصار اليونانيين بقيادة شابوياس في موقعة باكسوس البحرية في تمام بدر هذا الشهر وفي العشرين منه غنموا موقعة سلامين كما قلت في كتاب عن الأيام (٢) وقد نزلت بالبربر في شهر تارجليوت (أبريل - مايو) نكبات عديدة ، وفي هذا الشهر انتصر الاسكندر على قواد الفرس بالقرب من جرانيك ٠ وفي الرابع والعشرين من هذا الشهر أخذت طرواده على رواية كالستين (٣) وداماست (٤) وفيلارك، وفي هذا اليوم هزم تيموليون القرطاجنيين في صقلية ، أما شهر تارجينيون (سبتمبر - أكتوبر) الذي يدعوه البيوتيون بانسيوس فلم يكن خيرا على اليونانيين ففي السابع منه هزمهم انتيباتر في فرانون في موقعة نظامية وشتت شملهم وكانوا من قبل قد هزمهم فيليب في موقعة شارونة وفي اليوم ذاته من هذ الشهر في السنة ذاتها تمكن البربر من قتل وتشتيت شمل الجيوش اليونانية التي سار بها أرخيداموس الى

---

(١) ورد بالنتائج الرومانية ١٨ من برنية باسم موقعة « اليا » سنة ٣٦١ لروما و ٣٩٠ قبل المسيح ٠ اما مذبحة « آل وبيوس » فقد وقعت قبل ذلك بثمانين سنة ٠

(٢) لم يبق لهذا المبحث اثر ٠

(٣) الذي قتله « الاسكندر » بتهمة المؤامرة ٠

(٤) مؤرخ معاصر « لدودوت » ٠ وطبقات الابطال في حرب طروادة ٠

ايطاليا • ويخشى القرطاجنيون يوم ٢٢ من هذا الشهر ، لانه يأتيهم دائما بويلات فادحة •

ولكنى لا أعلم ما اذا كان الاسكندر ضرب مدينة طيبة فى وقت الاحتفاء بالأسرار المقدسة • وفى العشرين من شهر بدروميون ، يوم الاحتفاء بأسرار الاله باخوس تلقى اللاتينيون حامية سبارطة ، وكان للرومانيين - أيضا - أيام خير وشر معا • مثال ذلك اليوم الذى هزم فيه السنبريون جيشهم الذى كان يقوده سيبيون ، حتى معسكره وهذا الذى حدث فيه أنهم تمكنوا بقيادة لوكلوس من الفوز على الأرمنين وتجراند •

وقد توفى الملكان أتالوسى وبونبيه فى يوم مولدهما ، ومن السهل ذكر عدة أيام كانت هناء وشفاء لأصحابها ولكن الرومانيين يعدون يوم هزيمة أليا من كل شـهر يوما مشـؤوما ويعدون هذا اليوم ويومين آخرين بسببه ، لان النكبة كما هى العادة تزيد الرعب والأوهام • ولقد عالجت هذا الموضوع فى بحثى المعروف باسم (المسائل الرومانية) •

لو أن الغاليين بعد الموقعة اقتفوا أثر الفارين لما كان لروما نجاة من الخراب التام ولا اهلها من مدبحه عامة • ذلك أن الهاربين فى تقهقرهم المروع ملاوا الاذهان رعبا ونشروا الفزع والاضطراب فى جميع أنحاء المدينة ولكن البربر لم يدركوا فى ذلك الوقت ان انتصارهم كان تاما عدا أنهم لفرحهم بالفوز لم يفكروا الا فى اغتنام أسلاب المعسكر الرومانى ، فمكنوا الهاربين من الأهالى من الانسحاب ومكنوا الباقين من استعادة قواهم وتحصين الدفاع • على أن هؤلاء لم يعنوا بانقاذ المدينة فاكتفوا بأن جمعوا فى الكابيتول كل أنواع السلاح واقامة المعاقل والحصون حوله وكان أول همهم نقل الأشياء المقدسة اليه •

أخذت عذارى فسـتا وهن هاربات من نار فسـتا والأشياء المقدسة التى عهدت اليهن صيانتها ، ويزعم البعض أنه لم يكن عليهن سوى تعهد النار الدائمة • أنشأ نوما هذه العبادة لأنه كان يعتبر النار جوهر كل شىء وهى بطبيعتها أشد العناصر حركة ، وكل تجدد حركة أو يصدر عن حركة وأن جميع المواد الطبيعية تنتهى متى فقدت حرارتها الى حالة جمود

لا تختلف كثيرا عن الموت وحاجتها الى عمل النار القوى كحاجتها الى الروح أو الحياة ، ومتى عملت فيها عاون الى العمل ، كأنها تحتمل ما يصيبها من أحداث المخلوقات الاخرى • هذا ما دعا نوما ، ذلك الرجل العظيم الذى بلغ من حكمه أن قيل عنه إنه كان يحادث الآلهة ، الى تقديس النار وأمر أن يحتفظ بها موقدة على الدوام رمزا لتلك القوة الخالدة التى تدير الكون • ويزعم البعض أن الرومانيين كاليونانيين يبقون النار دائما أمام الأشياء المقدسة اشارة الى طهارتها وأنه يوجد بالهيكل أشياء أخرى مقدسة لا يراها سوى عيون العذارى اللاتى تدعى (فستال) ومن الاشاعات المستفيضة أنه يوجد فى هذا الهيكل البيلاديوم الذى أحضره أنياس من طروادة الى ايطاليا ويزعم البعض أنها الهة ساموطرس ، قائلين ان درواتوس مؤسس طروادة نقلها الى مدينــة حيث أسس حفلاتها وعبادتها وأنه عند سقوط طروادة قام أنياس فانتزعهـــا سرا ونقلهـــا الى ايطاليـــا ويقول البعض ممن يدعون المعرفة انه يوجد بالهيكل برميلان (زنبلان) متوسطا الحجم أحدهما مكشوف وفارغ والآخر مغطى ومملوء • وللعذارى دون سواهن الحرية فى مشاهدتها ويكذب البعض هذه الرواية قائلين ان العذارى أخفين فى الزمبيلين أكثر الأشياء المقدسة ودفنها تحت هيكل كيرينيس ، فى المكان الذى يعرف حتى اليوم باسم دوليولا ، ثم احتملن أكثر الأشياء الدينية قداسة واحتراما وهربن بها عن طريق التبر • وحدث فى ذلك الوقت أن أحد العامة لوسيوس أبينوس كان مغادرا روما مع الهاربين وقد حمل على عربته أولاده الصغار وامرأته وأدواته الضرورية • ولما رأى العذارى يحملن فوق أذرعهن الأشياء المقدسة سائرات وحدهن بلا معين وقد أخذ منهن التعب والاعياء كل مأخذ أنزل زوجته وأبناءه وأخلى العربة من الأوانى وأجلس فوقها العذارى ، ليتمكن من الوصول الى احدى المدن اليونانية ، وقد رأين أن تقوى البينوس واكرامه الآلهة فى ظرف حرج كهذا حقيقة كان يبقى ذكرها بين الناس •

ولكن كهنة الآلهة الأخرى والشيوخ الذين كانوا قناصل أو اكتسبوا أكاليل النصر أبوا مغادرة روما ، فارتدى كل منهم ثيابه المقدسة الفاخرة وقدموا أنفسهم ضحية لوطنهم فى صلاة أعادوا فيها ما كان يقوله الحبر الأعظم فابيوس ، ومن ثم جلسوا فى ساحة الفوروم على مقاعدهم العاجية منتظرين ما قضت به الآلهة •

وصل برنوس بعد الموقعة بثلاثة أيام بجيشه الى روما ولما رأى الأبواب والأسوار بلا حراس داخله الشك وخشى أن يكون هناك كمين . ولم يخطر بباله أن الرومانيين بلغ بهم اليأس أن غادروا مدينتهم . ومن ثم تأكد ذلك فدفع جواده ودخل من باب كولين وأخذ روما بعد تأسيسها بثلاثمائة وستين سنة . هذا اذا كان من الممكن التثبت من تاريخ قديم كهذا مع ما نعرفه من الاضطراب فى تواريخ الحوادث الحديثة ، وكأن اشاعة صامتة جرت بين اليونانيين عن نكبات الرومانيين واغتصاب مدينتهم . قال هيراكليد البونتى الذى وجد بعد هذه الحوادث بزمن يسير فى (مبحثه عن التعس) ، انه جاءت أنباء من الغرب أن جيشا آتيا من البلاد القاصية غزا مدينة يونانية تدعى روما وواقعة فى الممالك الغربية غير بعيدة عن البحر الأعظم . ولست أستغرب من هيراكليد هذا الكاتب الخرافى الكذاب أن يتخيل فيزين حادثة أخذ روما الحقيقية بكلمتى القاصية والبحر الأعظم . أما أرسطو الفيلسوف ، فقد أوضح المسألة بعبارة جلية وقد سمع باغتصاب السلتيين (الغاليين) مدينة روما ، ولكنه قال ان الذى أنقذها يدعى لوسيوس مع أنه كامى مركوس لا لوسيوس ، ولم يذكر اليونانيون هذا الموضوع الا رجما بالغيب .

لما تمكن برنوس من روما حاصر الكابيتول بثلة من جنده وعاد الى الفوروم . أخذه الاعجاب بهؤلاء الشيوخ فى ملابسهم الفخمة جالسين فى صمت عميق ثابتين فى أماكنهم عند اقتراب العدو لم يبد عليهم تغير ، لا فى وجوههم ولا ألوانهم ولم يبد عليهم شىء من الرعب ! ينظرون الى بعض فى هدوء متكئين على عصيهم ، أثر هذا المنظر المهيب فى نفوس الغاليين فبقوا زمنا طويلا لا يجسرون على الدنو منهم ولا مسهم يحسبونهم ذواتا مقدسة . وأخيرا اجترأ أحدهم على الدنو من مانيوس ومد يده بلطف تحت ذقنه وأمسك بلحيته الطويلة . ضرب مانيوس ذلك البربرى بعصاه على رأسه فجرحه . استل البربرى سيفه وقتل بانيريوس وحينئذ انهال الغاليون على أولئك الشيوخ فذبحوهم جميعا . وأخذوا كل ما وصلت اليه أيديهم وقضوا أياما يسلبون وينهبون ويخربون المدينة وأخيرا أضرموا النار فيها وقلبوها رأسا على عقب ، ثائرين ضد حامية الكابيتول التى أبت التسليم . والحقيقة ، أن رجال الحامية دافعوا ببسالة

وحموا معاقلهم بشجاعة وقتلوا نفرا من الأعداء غير قليل ، لذلك خرب الغاليون المدينة وأطلقوا يدهم بقتل كل من وقع بين أيديهم لا فرق عندهم بين الجنسين ولا عبرة للسن .

طال الحصار وأعوزت الغاليين المؤونة فقسموا جيشهم جماعة تقوم بمحاصرة الكابيتول وأخرى تعيث في المزارع ونهب القرى المجاورة،ولم يسر هؤلاء جماعة بل فرقا وعصابات لما استقر في نفوسهم من كبرياء الفوز موقنين أنهم في مأمن وقد قصد أكثر هذه الفرق عددا وأكثرها مرانا على القتال الى مدينة (اردة) التي لجأ اليها كامي . حيث كان يعيش في عزلة عن المسائل العامة عيشة خاصة ولكن في ذلك الوقت دبر مشروعا عظيما لم ير من المحال تحقيقه . لم يكن همه حماية شخصه ولم يرد قط أن ينجو بنفسه من الأعداء ، ولكنه كان يفكر في أخذهم على غرة وطردهم . رأى أن الارديين أقوياء بعددهم،ولكنهم في فشل لعدم خبرة ونزالة قوادهم فبدا بمخاطبه الشبيبة قائلا « لا تعزوا هزيمة الرومانيين الى بســالة الغاليين . ان الذين لم يعملوا لنيل النصر لا يستطيعون المفاخرة بنكبات جرتها النصائح والارشادات السيئة ، ان القدر وحده هو الذي أحدث كل شيء . أي مجـد تنالون لو اقتحمتم الخطـر وطردتم البربر وأنقذتـم أنفسكم من عدو لا غرض له من النصر سوى أن يشعل النار فتلتهم كل ما تصل اليه . هيا اذا كنتم شجعانا وأردتم أن تبذلوا جهدا . اني أهيىء لكم فرصة للفوز بلا خطر » .

وقع هذا الخطاب من الشبان أحسن وقع . قابل كامي حكام اردة وشيوخها فوافقوه الى ما أراد حينئذ سلح كل من يستطيع حمل السلاح وأبقى الجميع داخل المدينة خشية ايقاظ الريبة في نفوس الأعداء الذين كانوا على مقربة منه . أما الغاليون فبعد أن عاثوا في البلاد فسادا عادوا بالغنائم الى الحقول وعسكروا في السهل بلا حذر وبغير نظام وأطلقوا لشهواتهم العنان فشربوا بلا وعي ، أرخى الليل سدوله وخيم على المعسكر سكون عميق ، ولما علم كامي ذلك من المستكشفين خرج في مقدمة الارديين واجتاز بلا ضجة المسافة التي بينه وبين الغاليين فوصل الى معاقلهم عند منتصف الليل . أمر الجند أن يرسلوا صيحات عالية من كل جانب ، وأن

يدقوا الطبول ليلقى الرعب فى نفوس البربر فلم يكن من هذه الضجة العالية سوى أن أخرجتهم بعض الشىء من سباتهم وغفوة سكرهم،ولم يتمكن من النهوض سوى قليل ، وثب مسرعا الى سلاحه وبرزوا لكامى فهلكوا وهم يقاتلون • أما الباقون الذين استغرقتهم غفوة النـوم والسكر فقد ذبحوا جميعـــا • وكذلك الذين هربوا تحت جنح الظلام وتفرقوا فى الخلاء فقد أخذتهم الخيالة فى صباح الغد وأعملت فيهم السيف •

سرعان ما انتشر خبر هذا النشر فى جميع المدن المجاورة فرأى كامى الناس يسرعون اليه ذرافات ووحدانا لا يطلبون سوى القتال تحت امرته • جاء اليه الرومانيون الذين كانوا فى فايى التى لجأوا اليها بعد هزيمة « أليا » ، وهم يحدثون أنفسهم فى أسف قائلين : « أى قائد انتزع القدر من روما • لقد أذاع كامى بانتصاراته سمعة (اردة) ، أما المدينة التى أنجبت وغذت ذلك القائد العظيم فقد ضاعت ولا معين لها • ونحن الذين لم نجد قائدا يقودنا بقينا بين أسوار أجنبية بلا عمل نخون عهد ايطاليا • لماذا لا نطلب الى الارديين قائدنا ؟ أو لماذا لا نتقلد السلاح ونسرع للحاق به ؟ لم يعد كامى منفيا ولا نحن وطنيين اذ لم يعد لنا وطن واذ أصبحت روما فى قبضة الأعداء •

وقف بهم التفكير عند هذا الحد ، فأوفدوا الى كامى يرجون اليه تولى القيادة ، فأجابهم كامى أنه لا يقبل اختيارهم هذا اذا لم يصادق عليه طبقا للشرائع الوطنيون المحاصرون فى الكابيتول وأنه يرى فيهم ما بقوا « الوطن » وأنه مستعد لتنفيذ أمرهم ولكنه لا يعمل ضد ارادتهم ، أعجبوا بوداعة كامى واخلاصه ، ولكن المشكلة هى ايجاد شخص يحمل هذا الخبر الى الكابيتول ورأوا من المحال ان ينفذ أحد الى القلعة والأعداء فى المدينـــة •

كان بين الشبان رجل يدعى بونتيوس وطنى متوسط الحال ولكنه شديد الشوق الى المجد • تقدم لحمل هذه المهمة الخطرة • لم يحمل الى الرومانيين المقيمين فى الكابيتول رسائل خشية أن يعلم الأعداء أغراض كامى اذا أخذ • سافر مرتديا ثيابا حقيرة يخفى تحتها قشورا من الألياف، سافر طول نهاره بلا عائق ووصل بالقرب من روما عند مدخل الليل

ولم يستطع اجتياز جسر التبر لأن البربر كانوا يحرسونه فلف ثيابه على رأسه لم تكن ثقيلة ولا معطلة وألقى بنفسه في النهر يقطعه سباحة بفضل ما لف حول جسمه من الألياف • اجتاز نهر التبر حتى سفح الأسوار واجتنب الأماكن التي تنبئه النيران والضجيج بيقظة حراسها ؛ وسار حتى بلغ باب كارمنتال حيث كان السكون مخيما • وفي هذا المكان كان جبل الكابيتول مرتفعا عموديا يراه الناظر صخرة ضخمة صعبة المرتقى ، تسلقه في خفية عن الأنظار وتمكن بصعوده السريع الذى عانى فيه الصعاب من الوصول الى طلائع الحراس حياهم وذكر اسمه فاستقبلوه وساروا به الى الحكام • اجتمع الشيوخ لوقتهم وأعلن بونتيوس اليهم خبر انتصار كامي الذى لم يعلموا عنه شيئا وأطلعهم على ما استقر عليه رأي الجنود وحثهم على تأييد انتخاب كامي بما أنه القائد الوحيد الذي يريد الرومانيون الذين في الخارج طاعة أوامره • قرر مجلس الشيوخ بعد المداولة تعيين كامي حاكما عاما (ديكتاتورا)، وأرسلوا اليه بونتيوس من حيث أتى • لقي من التوفيق في عودته ما لقي في رحلته ونقل الى الرومانيين قرار مجلس الشيوخ • تولى كامي القيادة برضى الجميع • كان تحت امرته عشرون ألفا من الجنود وحشد عددا أكبر من المحالفين وتهيأ للسير ضد البربر • هكذا صار كامي ديكتاتورا للمرة الثانية وسار الى فايي حيث تولى قيادة الرومانيين وجيشا أكثر منهم عددا من المحالفين واستعد لمهاجمة الأعداء •

حدث في روما ان بعض رجال البربر اجتازوا الطريق الذى سلكه بونتيوس الى الكابيتول ولاحظوا في جملة أماكن آثار الأقدام والأيدى لأن بونتيوس كان وهو يتسلق الجبل يمسك بكل ما تصل اليه يده وآثار ذلك ظاهرة في الأعشاب النابتة على جدار الجبل ، وقد انحدرت بضعة من أحجاره أبلغوا ذلك الى الملك ؛ ذهب اليها بنفسه وتعرف حقيقتها ولم يقل شيئا حينذاك ولكنه عند المساء جمع أنشط رجاله ممن يحسنون تسلق الجبال ، وخطبهم قائلا :

« ان الأعداء أرونا بأنفسهم الطريق المؤدى اليهم ، ولم نكن نعرفه • وأرونا أنه ليس صعبا ولا عسير المسلك • ويالعارنا اذا كنا بعد أن فزنا

بالبداية نضعف قبل الوصول الى النهاية ! أو تركنا المكان كأنه مما لا يؤخذ بعد أن أرشدنا الأعداء أنه مما يؤخذ !

حيث سار رجل بمفرده لا يعز على الكثيرين السير اليه جملة الواحد بعد الآخر مساعدين متعاونين على أن المكافآت الحسنة والشرف العظيم يكون جزاء كل منكم على نسبة شجاعته » .

عملت خطبة الملك عملها في النفوس ووعده الغاليون باقتحامه مستبسلين . وفي منتصف الليل بدءوا يتسلقون في صمت جملة الواحد بعد الآخر آخذين بنواتئ الصخور . كان الصعود صعبا ولكنهم وجدوه ألطف وأيسر مما كانوا يظنون . بلغ الأوائل قمة الجبل وكانوا على وشك الاستيلاء على المعاقل ومفاجأة الحراس النيام اذ لم يشعر حارس ولا كلب . ولكن كان هناك سرب من الاوز يعنون به حول هيكل جينون ، كانوا يطعمونه ايام الرخاء اما وقد أصبح الرجال في حاجه الى الغذاء ، أهملوه فكان يتضور جوعا . وهذا الطير دقيق السمع يفزع لأقل حركة وهذه الحيوانات التي أيقظها الجوع وجعل شعورها بالفزع لأقل حركة أشد أثرا أحست بدنو الغاليين . اسرعت اليهم في صيحات عاليه أيقظت جميع الرومانيين . رأى الغاليون أن قد كشف أمرهم ، فلم يخشوا احداث أية حركة وهاجموا بلا تردد . أسرع الرومانيون الى أقرب سلاح وصلت اليه أيديهم ووقفوا للعدو وكان مانيليوس وهو قنصل سابق أول من هاجم البربر وكان رجلا متين العضد وافر الشجاعة اعترضه عدوان دفعة واحدة رفع أولهما الفأس ليهشم رأسه فقابله مانيليوس بضربة سيف أطارت ساعده وصدم الآخر بدرعه فألقاه في الهاوية ثم وقف على السور مع من لحقه يدفع الآخرين من الأعداء ولم يكن عددهم كبيرا وذهبت مخاطرتهم سدى . نهض الرومانيون عند فجر الغد وقد نجوا من الخطر فألقوا الى الأعداء من أعلى الصخر بقائد حرس الليل ومنحوا مانيليوس جزاء انتصاره مكافأة تجمع بين الشرف والفائدة . منحه كل منهم غداء يوم وهو نصف رطل من حنطة البلاد وربع زجاجة يونانية من الخمر .

وفت هذا الخذلان في عضد الغاليين وبدت حاجتهم الى المؤونة ، ومنعهم الخوف من كامن من الخروج للسلب وانتشر المرض في ذلك

الجيش الذي كان يعيش بين أكداس من جثث القتلى وأطلال المنازل التي التهمتها النار • وكانت اكوام الرماد التي جففتها حرارة الشمس وأثارتها الرياح تتبخر فتفسد الهواء وتملأ الرئات بسمومها القاتلة • وقد ساعد تبديلهم معيشتهم الأولى مع انتشـــار العدوى • اعتادوا المقام في بلاد منكشفة ووارفة الظلال يجدون في ظلها مأوى لطيفا من حرارة الصيف ، وأصبحوا في بلاد منخفضة حارة لا سيما في فصل الخريف يضاف الى هذه الأسباب طول زمن الحصار ، فقد مضى اكثر من سته شهور وهم وقوف تحت سفح الكابيتول لذلك انتشر الوباء في الجيش وكثر عدد الموتى بحيث لم يعد في الامكان دفنهم على أن حـاله المحاصرين لم تكن أقل خطرا • أخذت المجاعة تشتد بينهم ، وقد فت في ساعدهم جهلهم حركات كامي • لم يستطع أحد أن ينقل اليهم أعمال كامي ورجاله ، لأن البربر كانوا يشددون الحصار على المدينة •

وفي هذه الحالة التي اشتد ويلها على الجانبين بدأت مفاوضات الاتفاق بواسطة محادثات جرت بين الطلائع ومن ثم ذهب سولبسيوس بناء على قرار كبار الوطنيين لمفاوضة ترنوس وتم الاتفاق بينهما على أن يدفع الرومانيون ألف جنيه ذهبا وزنا ، وأن الغاليين عند تسلمها يغادرون المدينة والأراضي • قبل الطرفان الاتفاق وأقسما عليه وقدم الذهب فبدأ الغاليون يغشون في الوزن ، بدءوا ذلك خفية بغش الموازين ثم علانية بامالة كفة الميزان • لم يخف الرومانيون استياءهم ولكن برنوس أضاف الى الخيانة الاهانة والسخرية فنزع سيفه ووضعه في كفة الموازين مع الزرد • ساله سولبسيوس عن معنى هذا ؟ فأجابه برنوس وأي معنى يمكن أن يكون سوى « الويل للمغلوب » فذهبت هذه الجملة مثلا •

أراد بعض الرومانيين لشدة استيائهم أن يأخذوا الذهب ويعودوا الى الكابيتول للاستمرار في حالة الحصار ، ورأى البعض احتمال الاهانة لقلة خطرها قائلين ليس العار أن ندفع أكثر مما وعدنا ولكن العار أن نقهر على الدفع ، وهذه ضرورة مخزية حتمتها علينا الظروف •

بينما كان النزاع قائما بينهم وبين الغاليين ، وبينهم وبين بعضهم كان كامي على رأس جيشه قد وصل الى أبواب روما • ولما علم بما هو

جار أمر جيشه بالمسير خفيف الخطى حريصا على النظام أما هو فسار بنخبة جيشه مسرعا وفي لحظة كان بين الرومانيين اذ رآه الجميع تفرقوا واستقبلوه كرئيسهم الأعلى بكل تجلة وفي صمت عميق • أخذ كامى الذهب الذى كانوا يزنونه وأعطاه لحراسه ، وأمر الغاليين أن يأخذوا ميزانهم وموازينهم وينصرفوا ثم قال « أن الرومانيين تعلموا من آبائهم أن يشتروا وطنهم بالحديد لا بالذهب » انتفض برنوس غضبا وقال هذا ظلم ومخالفه للمعاهدة ، فأجابه كامى : « لم تعمل تلك المعاهدة حسب القوانين والاتفاقات ملغاة • أنا المنتخب ديكتاتورا ، فكل سلطة معطلة بأمر القانون • لقد تعاقدت مع أناس لا شأن لهم فيجب أن تعرض على أنا مطالبك • لى سلطة القانون • لى أن أصفح عنك اذا توسلت ضارعا ولى أن أعاقبك كمجرم اذا لم تبد الندم » •

أغضب برنوس هذا الكلام فتقلد سيفه فجرد الجانبان سيوفهم فبدأت ملحمة عنيفة اختلط فيها الأعداء اختلاطا لم يكن منه بد بين الخرائب وفى طرق ضيقة لا يمكن فيها تنظيم القتال • عاد برنوس الى صوابه وانسحب بجيشه الى معسكره بعد خسائر قليلة ولما جن الظلام انسحب بجيشه مغادرا روما وعسكر على مسافة ستين غلوة بالقرب من طريق جابى • وفى مطلع الفجر ، كان كامى هنالك متقلدا سلاحه اللامع يتبعه الرومانيون • وقد عادت اليهم الثقة بأنفسهم نشبت هناك معركة طويلة شاقة ، تمكن كامى فيها من تمزيق شمل الأعداء وأوقع بهم هزيمة تامة واستولى على معسكرهم وكان نصيب الهاربين الذبح اذ تعقبهم الثائرون من الرومانيين ، أما الذين تفرقوا فى الخلاء والمزارع فقد تولى سكان القرى والمدن المجاورة أبادتهم •

هكذا أخذت روما بكيفية غريبة وأعيدت بكيفية أشد غرابة وقد بقيت فى أيدى البربر سبعة شهور كاملة • وصلوها فى (ايد كانيلين) وطردوا منها نحو (ايد) فبراير •

فاز كامى باكليل النصر ، ولا أقل منها لرجل انتزع وطنه من أيدى الأعداء وأعاد روما ذاتها لأن الوطنيين الذين غادروها بنسائهم وأولادهم عادوا اليها فى أثر المنتصر • وقد خرج الذين كانوا فى الكابيتول لاستقباله •

وقد كاد الجوع يقتلهم فكانوا يعانقون بعضهم البعض وهم يذرفون دموع الفرح لا يصدقون هذه السعادة التي لم تكن منتظرة وكان الكهنة وسدنة الهياكل يحملون الأشياء المقدسة التي أخفوها قبل الفرار أو احتملوها معهم وكان أكرم وأقدس مشهد في نظر الوطنيين ، خيل لمن شهد احتفاء الشعب باستقبالهم كأن الالهه ذابهم يدخلون الى روما معهم . فقدم كامى الضحايا وطهر المدينة برسوم أملاها عليه الأحبار . ثم أصلح الهياكل وبنى — عدا الموجود منها — هيكل ايوس لوكتيوس (١) في المكان الذى سمع فيه ماركوس سيتيوس ذلك الصوت الالهى الذى أنبأه بقدوم البربر . لم تكن معرفة أماكن الهياكل من الأمور الهينة ، لولا مثابرة كامى وعناية الكهنة وبحثهم الدقيق .

ولما جاءت مسألة اعادة بناء المدينة التى عمها الخراب . استولى الخمول على العقول وخارت العزائم أمام هذه المهمة . أخذ الشعب الذى كانت تعوزه جميع حاجاته الضرورية فى التسويق يوما بعد يوم .

وكان القوم بعدما ألم بهم من النكبات فى حاجة الى شيء من الراحة فقد ذهبت أموالهم ، وضعفت أجسامهم فترددوا فى القيام بهذه الأعمال وانهاك قواهم أكثر مما هى عليه ، ثم أخذت الأفكار تتحول الى ما كانت عليه من الإتجاه الى فابى لأن هذه المدينة لم تمس بسوء وتعيش فى رغد . انتهز زعماء الشعب هذه الفرصة وجعلوا منها مادة خطب وتحريضات جديدة وجعلوا كامى هدفا لهجماتهم الآثيمة وهى لم تكن فى عرفهم سوى أن كامى يأبى على الوطنيين مدينة مستعدة لاستقبالهم لغير شيء سوى اشباع شهوته لرفعة مجده الشخصى ، وأنه يكرههم على سكنى الأطلال البالية واثارة رماد تلك المحرقة الواسعة حتى لا يقال عنه فقط انه رئيس وقائد الرومانيين بل ومؤسس روما ، ولينتزع هذا اللقب من رومولوس خشى مجلس الشيوخ حدوث انقلابات فخالف القوانين رغم الحاح كامى ، وكانت تقضى ألا تزيد مدة الديكتاتورية على ستة شهور ، فلم يقبل أن يقيل الديكتاتور قبل نهاية السنة .

---

(١) اسم مؤلف من كلمتين الغول والغلام .

أخذ الشيوخ يلاطفون الوطنيين ويعزونهم ويستميلونهم بالاقناع والملاينة فكانوا يرونهم آثار ومقابر آبائهم ويذكرونهم بتلك الهياكل والاماكن المقدسه التي قدسها روموليوس ونوما وغيرهما من الملوك واصبحت وديعه بين ايديهم • اما الادله المدنيه التي كانوا يدللون بها ، فهي ذلك الراس البشرى الذى وجدوه حديثا وهم يحفرون أساس الكابيتول، فهو وعد من الاقدار للمدينه التي ستبنى في هذا المكان بأن تكون يوما ما عاصمة جميع ايطاليا ونار فستا المقدسه التى أوقدتها الكاهنات بعد الحرب وهم يريدون اطفاءها مرة ثانية بتركهم المدينة روما هذه التى ستكون عارا عليهم لو جاء شعب آخر وأقام فيها مدينة تحت أنظارهم أو بقيت خرابا ترعى فيها الماشية هذه هي الأقوال المؤثرة التى كانوا يوجهونها لكل وطني على حدة والتى كانوا يكررونها أمام الجميع فى الحفلات والاجتماعات ولكنهم كانوا من جهة أخرى متأثرين يرثون لبؤس ذلك الشعب الذى يبكى لفاقته ، ويضرع اليهم ألا يرهقوا أناسا نجوا من غرق عراة ولا معين لهم باقامة أنقاض مدينة مهدمة فى حين وجود مدينة أخرى تصلح لسكناهم •

رأى كامى أن يبدى مجلس الشيوخ رأيه فى هذه المسألة وألقى فى المجلس خطابا مستفيضا عرض فيه مصلحة البلاد • ثم سمع المجلس أقوال من اراد الكلام من الشيوخ • وشرع فى اخذ الاصوات مبتدئين بلسويوس كركراتيوس الذى جرت العادة ان يكون أول المصوتين • ثم يبدى كل رأيه حسب درجته • خيم السكوت على المجلس ، ونهض كركراتيوس للكلام واذا بالضابط المتولى حراسة النهار مار بجنده صدفة يصيح بصوت عال مخاطبا حامل العلم ، قف واغرس العلم هنا ، ثم قال : « مكان بديع لنبق هنا » عند سماع هذه الكلمات وهى أشبه ما يكون بمقتضى الحال وموضوع المباحثة والحيرة التى تقسمت النفوس ، كان كركراتيوس يعبد الآلهة (من المؤمنين) ، فقال معه الشيوخ ان رأيه رأى الوحى الذى سمعه • حدث فى ارادة الشعب تغير عجيب • أخذ يحرض بعضهم البعض على العمل برغبة وحماسة غير منتظرين لتخطيط الشوارع بل كان كل منهم يبنى فى المكان الذى يراه ملائما •

اندفع القوم في العمل بهمة ناهضة غير مبالين بتقسيم الطرق وساحة المباني فلم تمض سنة حتى برزت المدينة كاملة البناء ، أسوارها ومنازل أفرادها • أما الذين أمرهم كامي بالبحث عن الأماكن المقدسة والكشف عن حدودها ، فقد طافوا حول (بالاتيوم) ووصلوا الى هيكل مارس • ألفوا هذا المعبد كغيره مما خربه وأحرقه البربر ، ولكنهم وجدوا وهم يرفعون الأنقاض تحت كومة رماد عصا رومولوس الرمزيه • وهو قضيب محني من أحد طرفيه يدعى لبيتوس •

وكان يستخدم لتعين الأقطار السماوية عند أخذ الوحي في هذا كان يستعمله رومولوس ، ذلك الامير الضليع في علوم العرافة • ولما اختفى رومولوس ، أحد الكهنه اللبيتوس وعنوا بصيانته عنايه دينيه لا يسمحون بمسه • شأنه شأن الأشياء المقدسه • فرحوا لوجوده فرحا عظيما اذ لم تلتهمه النار كما التهمت سواه ورأوا فيه فاتحة أمل عظيم لسعادة روما ورأوا فيه اشارة تبشر المدينة بالخلود •

لم تكن تلك الأعمال قد بلغت تمامها حتى فوجىء القوم بحرب جديدة ذلك أن الآبكيين والفولسكيين واللاتينيين أغاروا بسلاحهم على أراضي روما • حاصر الاترسكيون سوتريوم وهي مدينة محالفة للرومانيين وحاصر اللاتينيون القواد الذين أقاموا جيشهم على مقربة من جبل مارسيوس ، واذ رأوا أنفسهم في خطر أرسلوا يستنجدون روما فعين كلمي ديكتاتورا للمرة الثالثة •

ولهذه الحرب روايتان مختلفتان • أبدأ بالخرافية منهما • يروى أن اللاتينيين أرادوا التذرع بحجة ما لقطع علاقاتهم مع الرومانيين أو أنهم أرادوا كما فعلوا سابقا أن يتصلوا معهم بمصاهرة جديدة • أرسلوا اليهم يطلبون زوجات من الفتيات الأحرار • شك الرومانيون في الأمر ولم يكونوا قد استراحوا بعد من المشاق والخسائر • فكانوا يخشون الحرب • وداخلتهم من جهة أخرى الريبة في أن اللاتينيين لم يقصدوا بهذا الطلب سوى الحصول على رهائن وما كلمة المصاهرة سوى غطاء

يســـترون به غرضتـــهم . تقدمت أمة تدعى توتولا ويدعوها البعض (فيلوتيس) الى الزعماء الحربيين بتصيحة أن يرسلوها مع طائفة من الاماء الحسان فى فتيات كريمات البيوت وان يعتمدوا عليها فيما بقى . قبل الحكام اقتراحها وانتخبوا العدد الذى أرادته عن زميلاتها وأفرغوا عليهن أفخر الثياب وزانوهن بالحلى الذهبية . وسلموهن الى اللاتينيين المعسكرين غير بعيد عن المدينة أسرعت هؤلاء النساء الى جمع سلاح الاعداء وصعدت نوتولا وفيلوتيس الى قمة شجرة تين بريه واسدلت خلفها ملاءة ورفعت نحو روما مشعلا موقدا . وكانت هذه علامه اتفقت عليها مع الحكام على غير علم الوطنيين . لذلك حدث اضطراب عند خروج الجند مسباء على أمر الزعماء . فكانوا يدعون بعضهم البعض وبكل مشـــقة وصلوا إلى تنظيم صفوف القتال ، ومهما يكن الأمر فقد انقضوا على مواقع الأعداء ولم يكن هؤلاء يتوقعون ذلك بل كانوا نياما . فاستولوا على معسكرهم وذبحوا منهم خلقا كثيرا . وقع هذا الحادث فى يوم عذارى يوليو المعروف بعذارى (كنتليس) ولا زالوا حتى اليوم يقيمونه فى روما عيدا تذكاريا . يخرج فيه الرومانيون فى شىء من الاضطراب ، يلفظون أشـــهر الأســـماء الرومانية بصـــوت عال . مثل كايوس ، ماركوس ، لوسيوس ، وغيرها يقلدون خروج الجند وهم يدعون بعضـــهم البعض بأسمائهم ثم تخرج الاماء فى ثياب فخمة يطفن المدينة فى مرح ، يرمين كل من يقابلنه بسوار، ثم يقمن فيما بينهن نوعا من القتال اظهارا لنصيبهن فى مقاتلة اللاتينيين . ثم يجلسن تحت ظلال أشجار التين ، حيث تقدم لهن وليمة . ويدعى هذا اليوم بيوم عذارى كابراتين وهو اسم مشتق على ما يظن من اسم شجرة التين البرى التى اعتلتها الأمة رافعة المشـــعل وذلك لأن شجرة التين البرية تدعى كابريفيكس فى لغة الرومانيين — ويزعم البعض أن ما يقال ويعمل فى هذا العيد انما هو اشارة الى اختفاء روملوس . والحقيقة أنه اختفى فى ذلك اليوم ابان عاصفة هبت فجأة صحبها ظلام حالك . أو كما يظن البعض أثناء خسوف الشمس ويكون اســـم عذارى كبراتين المطلق على هذا اليـــوم مشتق من (كابـــرا) وهذا اسم لاتينى للعنزة لأن روملوس اختفى وهو يعقد جلسة شعبية بالقرب من غدير العنزة كما ذكرت ذلك فى « حياته » .

أما الرواية الثانية التى أجمع عليها أكثر المؤرخين ، فهى علم كامى وهو ديكتاتور للمرة الثالثة أن اللاتينيين والفولسكيين حاصروا جيشى الشعب الحربيين فى معسكره فاخطر لتجنيد جيش كبير حتى ممن تجاوزوا سن الجندية وقطع دائرة طويلة حول جبل مارسيوس وعسكر بجنده خلف العدو دون أن يراه • وأوقد نارا ليعلم المحاصرين بحضوره • فأعاد هذا المشهد الشجاعة الى قلوبهم واعتزموا الخروج لمهاجمة العدو • ولكن اللاتينيين والفولسكيين بقوا فى معسكرهم وأمنوا جميع جوانبه وتربصوا فى مكانهم اذ رأوا أنفسهم بين جيشين وعولوا على انتظار جيش من يلوهم أو مساعدة الأترسكيين • أدرك كامى غرضهم وخشى أن يحاصر هو أيضا فتعجل الحوادث كانت معاقل الأعداء من الخشب وكانت تهب كل صباح رياح شديدة من الجبال • أعد كامى كمية وافرة من الحرامات • وأمر جيشه بالاستعداد عند الصباح • وامر جزءا من رجاله أن يستخدم النشاب وان يهاجم العدو من جانب صائحا صيحات عالية أما فهو ، فبقى مع حملة النيران فى المكان الذى تهب منه الرياح وانتظر الفرصة الملائمة • نشب القتال فى الجهة الأخرى وهبت الرياح عند طلوع الشمس بشدة • وعند ذلك أمر كامى رجاله أن يقذفوا السهام النارية اشتعلت النار بالأوتاد المتلاصقة التى تحميها أخشاب أخرى خلفية امتدت النار بسرعة الى جميع الحظيرة ولم يكن لدى اللاتينيين ما يرمونهم به ولا ما يوقفون به تقدمهم فالتهمت النار المعسكر كل تجمعوا أولا فى مكان ضيق ثم اضطروا الى الخروج فلقيهم جيش مصطف للقتال أمام معاقلهم • ولم ينج سوى القليل أما الباقون فقد التهمتهم النار ، أخذ الرومانيون بعد ذلك فى اطفائها وأطلقوا يدهم فى السلب والنهب •

ولما فرغ كامى من هذا ، عهد الى ابنه لوسيوس فى قيادة المعسكر وحراسة الأسرى والغنائم • ودخل أراضى الأعداء واستولى على مدينة الأيكيين وأكره الفولسكيين على التسليم • ثم أسرع بجيشه الى سوتريوم لأنه لم يكن يعلم بعد نكبة السوتريين ، واهما أن المدينة لم تكن فى حاجة الا الى نجدة سريعة وان الأترسكيين يحاصرونها ويخشى استيلاءهم عليها ، ولكن السوتريين كانوا قد سلموا المدينة الى الأترسكيين فجردوهم من كل شىء لم يتركوا لهم سوى ثيابهم • فقابلوا كامى هم ونساؤهم

واطفالهم ليكون ما حل بهم من الويلات . رثى كامى لحالهم ورأى الرومانيين يبكون رحمة وعطفا على السوتريين فعول على أن لا يؤجل الانتقام لهم وأن يسير في اليوم ذاته الى سوتريوم قائلا فى نفسه ان أناسا استولوا على مدينة غنية عظيمة لم يبقوا فيها عدوا واحدا ولا يخشون أحدا من الخارج لابد من ان يكونوا الآن منصرفين الى اللهو واللعب في غير حذر دخل أبوابها لم يخطىء فى حدسه . ولم يدخل فقط أرض سوتريوم بل وتجاوز أسوارها دون أن يشعر به أحد منهم . لم يكن هناك حراس ، بل كان الأترسكيون متفرقين فى كل ناحية يلهون ويمرحون . ما أفاقوا حتى رأوا العدو مسيطرا على المدينة . كان قد بلغ بهم المرح والخمر حتى لم يفكر أحد منهم فى الهرب . فاستسلموا بكل خزى للقتل أو التسليم بلا دفاع . وهكذا أخذت سوتريوم مرتين فى يوم واحد . طرد منها الذين استولوا عليها . واستعادها الذين طردوا منها بفضل كامى .

لم تكسبه الحملتان الأخيرتان من المجد والاجلال أقل مما فاز به في الحملتين السابقتين لم يجد اليه أعداؤه حتى الذين كانوا ينسبون انتصاراته الى القدر لا الى فضله لم يجد هؤلاء بدا من الاعتراف أمام الواقع بفضله وتقدير خبرته وحكمته وكفايتــه حق قدرها . وأنه وحده صاحب تلك الإنتصارات . كان ماركوس مانيلوس أشد أعدائه صراحة وجسدا ، وهو أول من رد غارة السلتيين فى العلقة ليلة تسلقوا جدران الكابيتول ، وكوفىء على ذلك بلقب (كليبتولينوس) . أراد مانيلوس أن يكون الأول بين مواطنيه وإذا لم يستطع التفوق على كامى بطرق شريفة عمد الى سبيل الذين يطمحون الى السيادة : كان يجتذب اليه (المثقلين بالديون) بأن تولى الدفاع عنهم ضد دائنيهم فى المحاكم وكان ينزع المدين بالقوة من دائنيه مع أن القوانين تقضى باستعباده لدائنيه . لذلك التفت حوله عصابة من البؤساء أزعجوا كبار الوطنيين فى جلسات (الفوروم) انتخب كنتوس كابيتيولوس ديكتاتورا فى هذه الأثناء فأمر بسجن مانيليوس . ولكن الشعب لبس الحداد وهى حالة لا تحدث الا عند المصائب الكبرى العامة . خشى مجلس الشيوخ الفتنة فأطلق

سراحه وبدل ان يخرج من السجن خيرا مما كان ، أثار الشعب في محنة أشد خطرا وملأ المدينه فتنة ٠

انتخب كامي زعيما حربيا وقدم مانيلوس للمحاكمة ، ولكن منظر الكابيتول كان قذى في عيون المدعين ، اذ كانوا يرون من الفوروم الميدان الذي قاتل فيه مانيلوس السلتيين ليلا ٠ وكان يمد يده الى العلقة وعيناه مغرورقتان بالدموع يذكر الرومانيين بمواقعه ٠ كان جميع الحضور يعطفون عليه وأخطر القضاة غير مرة الى تأجيل الفصل في امره ٠ لا يستطيعون تبرئته والتهمة ثابتة عليه ٠ ولا يستطيعون الحكم عليه لان الكابيتول يمثل أمام عيونهم خدمات مانيلوس ، أدرك كامي هذه الحالة فنقل المحكمة خارج المدينة في غابة باتليان حيث لا يرى الكابيتول ، وهناك نهض المدعي فاثبت التهمه ورأي القضاة ولم يكن هناك ما يذكرهم بخدمات مانيليوس ، فاخذوه بجزيرة وحكموا عليه بالموت فعادوه الى الكابيتول وقذفوا به من أعلى الصخر فكان شاهد مصرعه كما شهد عمله الجليل ٠ هدم الرومانيون منزله وبنوا مكانه هيكلا للالهه مونتيا ، وأصدروا أمرا يحرم على (الباترسن) الاشراف السكنى في جبل الكابيتول ٠

دعي كامي للمرة السادسة الى الزعامة الحربية فأبى قبولها لتقدمه في السن ولأنه خشي بعد ما أحرزه من النصر والمجد شر الحسد أو انقلاب الحظ ٠ وكان أظهر أسباب امتناعه ضعف صحته اذ كان مريضا ٠ ولكن الشعب لم يقبل عذره صائحا أنا لا نلزم القتال راجلا أو راكبا انما نريد الاستعانة بنصائحه في القتال ٠ فاضطر لتولى قيادة الجيوش ، يعاونه لوسيوس فوريوس أحد زملائه ٠ قاد الجيش لمواجهة الأعداء فتقدم البرنستيون والفولسكيون ، وعاثوا بجيش عرموم في أراضي حلفاء الرومانيين ٠ سار كامي اليهم وعسكر على مقربة من معسكر العدو وقصد الى التسويف حتى اذا حانت ساعة القتال يكون قد استرد قواه واستطاع خوض المعركة ٠ ولكن زميله لوسيوس كان يلتهب شموخا الى المجد ولم يستطع الانتظار وامتدت شهرته الى جميع الرؤساء من ضباط وحملة رماح ، وخشى كامي أن يتهم بحرمان الشبيبة حسدا من فرصة ينتصرون فيها ويظهرون تفوقهم وكفايتهم ٠ فسمح للوسيوس في أسف بالتقدم للقتال ولزم هو معسكره مع قليل من الجند ٠

هاجم لسيوس الأعداء هجمة عنيفة ولكن اضطر للتقهقر • رأى كامي الرومانيين قد لاذوا بالفرار ، فلم يطق صبرا وقفز من فراشه واسرع بمن معه من الجند الى أبواب المعسكر واخترق صفوف الغدرين وهاجموا مطارديهم فارتد الرومانيون الذين بلغوا المعسكر على أعقابهم وانضموا الى كامي ، وانضم اليه الفارون الذين كانوا فى السهل وانتظموا فى صفوف القتال يحرض بعضهم البعض لا يتركون قائدهم • وقت الأعداء فى ذلك اليوم طرادهم وفى الغد تقدم اليهم كامى بجيتشـــه ومازال يعمل فيهم السيف حتى ألجأهم الى الفرار • دخل معسكرهم مع الهاربين ولم ينج من سيفهم احد • علم بعد انتصاره أن الأترسكيين استولوا على (ساتريا) وقتلوا جميع أهلها وهم رومانيون • فأرسل الى روما المشاة والذخيرة وســـار فى نخبــه رجـاله الى الاترسكيين الذين احتلوا ساتريا • هزم الأعداء وطردهم من المدينة بعد أن هلك الكثيرون منهم فى القتال • عاد كامى الى روما يحمل الغنائم ، فكان برهانا قاطعا على أن احكم الشعوب شعب لا يخشى كبر سن أو ضعف قائد عرف بالخبرة والبسالة يؤثرونه مهما يكن مريضا ومهما تكن رغبته فى الامتناع ، على جماعة الشبان الذين يطلبون القيادة ويبذلون كل جهد للحصول عليها •

علم الرومانيون بثورة التوسكوليين ، فعهدوا الى كامى ـــ ايضا ـــ فى معاقبتهم تاركين له حرية اختيار من يريده من زملائه الخمسة • وكان كل منهم يرجو ملحـــا أن يكون المختار • ولكن كامى على غير ما كان ينتظر الجميع ترك الكل واختار لوسيوس فوريوس ، الذى ألفه قبلا قام بتلك الحملة الشعواء • وكأن كامى أراد بذلك أن يقدم لفوريوس فرصة يصلح فيها خطاه ويمحو عاره • استولى الرعب على التوسكوليين اذ علموا بقدوم كامى فعمدوا الى الحيلة يسترون بها خطاهم : نشروا الزراع والرعاة فى الحقول يحرثون الأرض ويرعون الماشية شأنهم فى وقت السلم ، وأبقوا أبواب المدينة مفتوحة • وأرسلوا أبناءها على عادتهم الى المدارس وأخذ الصناع يعملون فى مصانعهم فى طمأنينة ومشى الناس فى طرقات المدينة بثيابهم العادية وكان الحكام يسرعين هنا وهناك كأنهم يهيئون المساكن للرومانيين ، وكأنهم لا يخشون أمرا ولا مواضع للريبة فيهم • لم تذهب هذه المظاهرة بما كان يعتقده كامى من إضمارهم الثورة •

ولكنه تأثر بما بدا من مظاهر الندم والنكران · فأمرهم بالرحيل الى مجلس الشيوخ ليتقوا غضبه عليهم · أيد رجاءهم وابرأ مدينتهم من التهمة وحصل لهم على حقوق المدينة الرومانية · هذه أهم أعماله مدة زعامته السادسة ·

أحدث بعد ذلك ليسينيوس ستولون فتنة شديدة في روما محرضا الشعب ضد مجلس الشيوخ · أراد الشعب أن يكون احد القنصلين المنتخبين من الشـــعب (السوقة) بدل أن يكون من الأشراف · جرى انتخاب زعماء الشعب ومن ثم منع الشعب اجراء الاقتراع لانتخاب القنصلين · فأوشكت المدينة لعدم وجود الحكام نعمها الفوضى · عين مجلس الشيوخ (كامي) ديكتاتورا للمرة الرابعة · وكان ذلك ضد ارادة الشعب على أنه لم يقبل هذا المنصب الا بعد عناء · لم يرغب في مقابلة رجال يقولون له بحق بعد تلك الانتصارات ان ما قام به في الحروب بمعونتهم شيء آخر يختلف عن جميع الأعمال الســـياسية التى عاونه فيها الأشراف · وكان يشعر أن الأشراف لم ينتخبوه الا لأنه يغض ان الشعب ولكى يوقعوه بين أمرين اما أن يبقى نيرهم على الشعب اذا انتصر وأما أن يلاشى نفسه اذا انتصر الشعب عليه · حاول أن يجد حلا لهذه المعضلة علم اليوم الذى حدده زعماء الشعب لتقرير قانونهم فأمر ان تحشد الجيوش فى ذلك اليوم ، وذعا الشعب أن يترك الفوروم ويذهب الى حقل مارس · مهددا بايقاع غرامة على كل من يخالف أمره · قابل الزعماء التهديد بالتهديد وأقسموا أن يحكموا عليه اذا أصر على منع الشعب من تقرير مشروعه بغرامة خمسين ألف أس · انسحب كامى الى منزله خوفا من نفى جديد أو حكم بأن يصدر عليه مما يشين شيخا مثله اشتهر بأعماله الحربية أو هو رأى فى نفسه عدم الكفاية لمقاومة رغبات الجمهور وبعد التزام منزلة بأيام اعتذر باعتلال صحته وقدم استقالته من الديكتاتورية ، فعين مجلس الشـــيوخ ســـتولون خلفـــا له ، رغم الشعب قائدا للفرسان وأباح له تنفيذ قانون يثير غضب الأشراف وهو قانون يحرم على أى وطنى امتلاك أكثر من خمسمائة ذراع من الأرض · انتفخت أوداج « ستولون » بهذا الفوز ، ولكن ثبت عليه بعد قليل أنه هو يملك من الأراضى أكثر مما يبيحه للآخرين فذهب ضحية قانونه ·

بقيت بعد ذلك مسألة الاقتراع على القنصلين الشغل الشاغل وهم أسباب الفتنة وأعقد العقد . استمر النزاع قائما بين الشيوخ والشعب زمنا طويلا عدم أثناءه من مصدر ثقة أن السلتيين اجتازوا للمرة الثانية بحر الادرياتيك وهم سائرون يسرعون الخطى الى روما في جيش ضخم . سرعان ما أيدت الحوادث الأشياء ابتدأت الحرب بما نزل بالبلاد من العطب والخراب وتشتت في الجبال من لم يستطع الانسحاب الى روما . أخمد الخوف الفتنة واجتمع الشيوخ والشعب أمام الخطر وعينوا بالاجماع كامى ديكتاتورا للمرة الخامسة . وبالرغم من شيخوخته (اذ كان في الثمانين) ولم يبد عذرا ولا اعتل بعلته بل أسرع في قبول الديكتاتوريه بلا تردد غير ناظر الا الى ضرورة الحال ، أسرع بالتجنيد واذ كان يعلم بالاختبار أن أشد قوى البربر هي سيوفهم الثقيلة يديرونها في غير مهارة في قضم الأكتاف والرؤوس ، سلح جيشه بخوذات من الحديد المصقول تنزلق عليه سيوف الغاليين أو تتحطم . ولم يكن خشب دروع الرومانيين من المتانة بحيث يحتمل الصدمات فطوقها بأطواق من النحاس . ومن ثم علم الجند استخدام الرماح الطويلة يزلقونها تحت سيوف الأعداء وفقا لضرباتهم التي يرسلونها من فوق .

وقف السلتيون على مقربة من روما عند شاطىء انيو وكان معسكرهم ممتلئا من الغنائم التي أحرزوها . خرج كامى بجيشه وعسكر على تل ناعم المرتقى تتخلله المفاوز اختفى فيها معظم جيشه حتى يظهر الباقون فوق التل في هيئة المستسلم الخائف المعتصم بالمرتفعات . ولكي يدخل كامى هذا الوهم في نفوس الأعداء ، لم يمنعهم السلب حتى في سفح التل وبقي هو هادئا في معاقله الحصينة . واذ رأى الأعداء قد تفرقوا البعض لاحضار العلف والباقون يلهون ويسكرون انتهز الفرصة وأرسل جنوده الخفيفة يهاجمون البربر ويقاتلون كل من يلقونه ليمنعوهم التجمع والاصطفاف للقتال . ولما بزغ النهار نزل الى السهل وصف مشاته للقتال كثيرة العدد ممتلئة حماسا لا كما توهمها البربر قليلة العدد خائرة القوى .

خفض السلتيون بعد هذا الهجوم من كبريائهم وشعروا أن القوم لا يرهبونهم . بدأت القوات الخفيفة التي كانت تأخذهم دراكا وتمنعهم

الانتظام في صفوف القتال فوقعت بهم الفشل وأكرهتهم على القتال في غير نظام فكان كل منهم يقاتل في المكان الذي دفعته اليه الصدمة ·
واخيرا تقدم كامي بجيشه فانهال البربر على الرومانيين بسيوفهم الطويلة ،
وفاتهم هؤلاء برماحهم الطويلة معرضين لضرباتهم أجساما يغشاها الحديد فكانت سيوف البربر وهي من الحديد غير المسقى رقيقة الحدين تتحطم وتنثني وقد انغرست في دروعهم الرماح فكانت حملا ثقيلا عليهم · تركوا سلاحهم وهجموا يختطفون من الرومانيين رماحهم · واذ رآهم الرومانيون يتقدمون عزلا عمدوا الى سيوفهم وذبحوا الصفوف الأولى منهم · وأسرع الباقون الى الفرار مشتتين في السهل لأن كامي كان سبقه فاحتل التلال والمرتفعات وقد علموا أن العدو قد استولى حتما على معسكرهم · ويقال ان هذه المعركة وقعت السنة الثالثة عشرة بعد استيلائهم على روما ·
تعلم الرومانيون في هذه المعركة أن يواجهوا السلتيين في عزم وثبات ·
لأن فزعهم من أولئك البربر كان قد تمكن من نفوسهم الى درجة عزوا أكبر الفضل في هزيمتهم الأولى الى الأوباء والأمراض التي فتكت بهم لا الى شجاعتهم هم · يشهد بفرط خوفهم القانون الذي قرروه باعفاء الكهنة من الخدمة الحربية الا في محاربة السلتيين ·

كانت هذه الموقعة آخر مواقع كامي ، لأنه ما ظهر حتى استولى على فالبير بلا قتال ولكن المشاكل السياسية كانت تخبيء له صراعا عنيفا كثير المخاطر · اشتد ساعد الشعب بهذا النصر فالح رغم القانون القائم أن ينتخب أحد القنصلين من الشعب · وكان الشيوخ يقاومونه بشدة · وحرموا على كامي الاستقالة من الدكتاتورية ، آملين أن يساعدهم مقامهم في حماية امتيازات الأشراف · حدث يوما اذ كان كامي يقضي وقتا في الفوروم أن تقدم اليه جلاد موفد من قبل زعماء الشعب وأمره أن يتبعه واضعا عليه يده كأنه يقوده بالقوة · فحدث شغب بين الحاضرين لم يسبق له مثيل · دافع الذين حول كامي ذلك الرسول الى ما وراء المحكمة ، ولكن الشعب كان يصيح أن ينزع الديكتاتور ·

حار كامي في أمره ازاء هذا الموقف ، ولكنه لم يشتغل بل سار ومن معه من الشيوخ الى مجلس الشيوخ · وقبل أن يدخل حول وجهه الى الكابيتول وتضرع للآلهة أن تجعل خاتمة هذا الشقاق المشئوم خيرا

وندر — لو انتهى الخصام — أن يقيم هيكلا (للوفاق) (كونكوردا) . أحدث تباين الآراء فى المجلس جدلا عنيفا . ثم تقلبت روح الاعتدال فاجيب الشعب الى طلبه . وسمح له بانتخاب أحد القنصلين من الشعب . أعلن الديكتاتور فى جلسة الشعب قرار المجلس . فكان بطبيعة الحال فرح الشعب عظيما جدا وتصالح مع الشيوخ . وساروا بكامى الى منزلة بين الهتاف والتهليل والتصفيق . اجتمعوا فى اليوم التالى وقرروا اقامة هيكل للوفاق فى مكان يطل على الفوروم ومحل الاقتراع،وفاء بنذر كامى وتخليدا لذكرى الصلح . وان يقاسى يوما الى أيام الاعياد اللاتينية يحتفى بها مدة أربعة أيام . وان يذهب الجميع لهورهم يقدمون الضحايا للآلهة فى حفلة يحضرها جميع الرومانيين تتوج رؤوسهم أكاليل الزهر .

تولى كامى رياسة حفلة انتخاب القنصلين ، فكان ماركوس أمبليوس عن الأشراف ولوسيوس سيكتيوس عن الشعب وهو أول قنصل اختير من العامة . أصيبت روما فى السنة التالية بوباء الطاعون فقضى على كثيرين من الشعب وأفنى جميع الحكام تقريبا . وقضى به كامى ولكن كان كبير السن وحياته ملأى بما لم تنله حياة أى انسان غير ان الحزن لوفاته كان عاما عميقـــا لا تعدله وفاة جميع من ذهبوا ضـحية ذلك الوبـــاء .

بركليس

رأى قيصر جماعة من سراة الأجانب فى مدينة روما يحملون كلابا وقردة صغيرة يداعبونها فسأل : ألا تلد نساء هؤلاء ؟ عبارة ملكية تشف عن تقريع أولئك الذين يخصون الحيوانات بتلك العاطفة التى أودعتها الطبيعة قلوبنا وجعلتها خصيصا للناس اذا كانت أنفسنا تواقة بطبيعتها للمعرفة أفلا يكون من الصواب أن نلوم أولئك الذين يسيئون الى هذه الحالة النفسية بتحويلها الى ما لا يليق بعنايتنا واهتمامنا ، متعامين عن الجميل منها والنافع حقا ؟ ان الحواس تتأثر بملامسة الأشياء الخارجية ، وعليه يكون من الضرورى أن يقف أمامها متأثرة بما يمسها أنافعا كان أم غير نافع .

أما الفطنة فمن السهل اذا أردنا استخدامها أن نوجهها الى ما يرضينا من الأغراض أو نحولها عنه . فالواجب المتعين علينا هو أن نقتفى أثر الأحسن والأفضل ولا يكفى أن نتأمل الغرض بل يجب أن نكون له عادة النظر انما هى مزيج من اللطافة والجاذبية : فلنتخير لعقولنا مناظر بهجة نقودها الى الحسن الخاص بها . كالأعمال الفاضلة التى تثير فيها القدوة الصالحة وتحملنا على الاقتداء بها على أن اعجابنا بالشىء لا يحملنا دائما على الاتيان بمثله ، فقد نعجب بالعمل ونحتقر العامل تسرنا الروائح الزكية ورؤية الأرجوان ، ولكنا نضع صناعهما فى مهنة العمال . وهذا ما قصد اليه من عبارته التالية التى لا تخلو من معنى . أثنى أمامه على أسمانياس بأن يحذق اللعب على المزمار . فقال « حسن الا أنه رجل لا يصلح لشىء والا لما كان زمارا حاذقا » . وحدث أن الاسكندر وقع على العود نغمات شجية توقيع خبير فنان ، فقال له فيليب : « ألا تخجل من أن تحسن التوقيع هذا الاحسان » . الحقيقة أنه

كفى أن يشرف الملك المغنين بالاصغاء اليهم اذا سمحت له شواغله وكفاه تكريما لآلهة الشعر أن يشهد تحاملها ٠

كل عمل صناعى يدلنا أن كل من يشتغل بعمل غير نافع لا يعنى بالجمال الحقيقى ٠ فما من شاب طيب المنبت يحس لمجرد رميته جوبيزيز أو جومون أرغوس بالرغبة فى أن يكون فيدياس أو بوليكليت ، أو أن يكون أناكريون أو فيلامون أو أرخيلوك ، اذا طالع قصدهم بشهية ولذة وليس من الحتم أن يحملنا الاعجاب بعمل لرقته ودقته على احترام منشئيه ٠ فلا يفيد الناظر الى بدائع الأعمال شيئا اذا لم تحدث فيه الرغبة فى النسج على منوالها ٠ أما الفضيلة فأثرها فينا مباشر وهو على العكس من ذلك ٠ نعجب بالمثل الأعلى ونحسن الرغبة فى الاقتداء بأصحابها ٠ نحب من الثروة امتلاكها والتمتع بها ونحب من الفضيلة الجرى على سنن الفضيلة ذاتها لذلك نؤثر أن تنال حسنات الثروة من الغير ونحب أن يأخذ الغير عنا حسنات الفضائل ٠ ان الجمال يجتذبنا اليه بقوة تحدث فينا همة ناهضة ليست غريزة التقليد بل هى الفطنة يجتذبها ما تحدثه فينا مشاهدة الجمال من أثر يدفعها الى العمل ٠

هذا ما دعانى الى الاستمرار فى كتاب سير العظماء وأضع هذا المؤلف العاشر الذى يضم حياة بركليس وماكسيموس الذى حارب هنيبال : رجلان فضائلهما واحدة وأخلاقهما واحدة كلاهما عادل وكلاهما قد احتمل صنوف التعب وزملاءه ٠ وكلاهما أدى لوطنه أجل الخدمات ٠ أيحق لنا التقريب بينهما على هذا النحو ؟ هذا ما يتضح من سرد سيرة كل منهما ٠

بركليس من قبيلة اكامنتيد من قرية شولارج وهو من جهتى والده ووالدته سليل أسرة عظيمة عريقة ٠ تزوج أكزاتيب الذى قهر قواد ملك الفرس فى ميكاد ، من أجارست سليلة كليستين الذى طرد البزيستراتين وقضى على الاستبداد وسن الشرائع وأعاد الى اثينا الوئام والطمأنينة بما أدخله الى الحكومة من الأصلاحات الحكيمة ٠ حلمت أجارست أن ولدت أسدا ، وبعدها بأيام وضعت بركليس ٠ جاء المولود متناسق الأعضاء غير أن رأسه كان من الضخامة بحيث لا يتناسب مع تكوينه ٠ لذلك تعمد

المثالون عند اقامة التماثيل له أن يبقوا على رأسه الخوذة . خشية ابراز ذلك العيب . ولكن الشعراء كانوا يدعونه علانية (شينوسيفال) يريدون الفصيلة البحرية . وقد عنى كراتينوس (١) فى احدى رواياته بقوله : أولد ساتورن القديم اله « الغواية » مستبدا كبيرا دعتـه الآلهة « سيغاله جيراتاس » (صاحب الرأس الضـخم) وقوله فى رواية « دنيمازيس » تعـال يا جوبيتر المضيف بأصحاب الرأس السعيد أو الضـخم (٢) . وقال (تالاكليد) (٣) « ان بركليس كان حائرا فى أمر نفسه لا يدرى مسيره تارة يجلس فى المدينـة مستندا رأسه الثقيل بين يديه . وتارة تفور من رأسه ضجة تشبه ضجيج الرعد » . وكان أوبوليس (٤) يزعم أن زعماء الشـعب يعودون الى العالم . واذ كان يستعرضهم الواحد بعد الآخر ويسأل قائده عن اسم كل . وكان بركليس آخرهم .

« قال أخيرا خرج الرأس من الجحيم » .

أجمع أكثر المؤرخين ان دامون أستاذ بركليس فى الموسيقى ولكن ارسطو يقول انه تعلم الموسيقى فى مدرسة بيتوكليد . والظاهر أن دامون كان سوفسطائيا ماهرا (أستاذا بارعا فى فنون الكلام) يخفى تحت ستار لقب الموسيقى عن العامة نزعته الحقيقية . لزم بركليس كما يلزم معلمو السـلاح ومدلكو الزيت ، المصارع . ولكنه كان يعلم الصراع السياسى . وأخيرا على ان « مظهره » لم يكن سوى ستار خداع يخفى دونه مؤامراته المريبـة وميله للاستبداد . نفى بالاقتراع السرى وصار اسمه مضغة فى أفواه الهازلين من الشعراء . ووجهه اليه أفلاطون (٥) فى احدى رواياته على لسان احدى مخاطبيه العبارة التالية :

أرجو اليك أن تقول لى قبل كل شىء ، ألست أنت ياشيرون ، الذى يقال عنك انك مهذب بركليس ؟ .

---

(١) شاعر روائى قديم .
(٢) تحتمل الكلمة اليونانية المدنيين .
(٣) شاعر روائى آخر أقل شهرة من كراتينوس .
(٤) هو و « اريستيوفان » و « كراتينوس » أشهر الشعراء الروائيين القدماء .
(٥) شاعر هزلى معاصر له ..

كان بركليس يحضر دروس زينــون (الأيلى) فدرس الطبيعة فى مدرسة بارمينيد . وكان زينون هذا يحذق صناعة الجدل ، اذا جادل أفحم خصمه قال عنه تيمون الفيليازى ما يأتى : صاحب اللسانين ، قدرة لا تغلب ، زينون . القاهر فى كل خصام » .

ولكن الذى كان بركليس يكثر من مباشراته ، ذلك الذى تصــفه رقيق اللهجة وسمو العاطفة ونفخ فى نفسه روح تلك الكبرياء التى لا تليق بحكومة ديموقراطية . وغرس فى أخــلاقه وأساليبه تلك النبالة . والاباء هو أناجزاكور الكليزوميتى ، الذى كان يدعوه معاصروه العقل لاعجــابهم بنفوذ بصره الى ما يفوق الحدود البشرية ودقة معرفتــه بالطبيعة ولأنه أول من عزا تكوين العالم ونظامه لا الى الصدفة ولا الى الضرورة بل لقدرة روحية طاهرة لا يمازجهــا شيء . وهى التى أخرجت من الخلاء (الكاوس) جميع العناصر المتشابهة وجمعت بينها (١) .

كان بركليس كثير الاحترام لأناجزاكور الذى أخذ عنه علم الأجواء والطبيعة . وعليه تأدب فكان له ذلك السمو والرزانة العقليــة ونبالة العبارة وخلوها من تكلف خطباء المنابر وخسة التراكيب المبتذلة . تنطق ملامح وجهه بالجد وتبعث الهيبة لا تمر بها ابتسامة . متئدا فى سيره وانطلاق صــوته دائما فى اتساق وانتظام معتدل فى موقفه وحركاته لا يغير من ثيابه اذا تكلم لا يتأثر لشيء مهما تنازعته الأهواء . وأخيرا كل ما جعل من بركليس موضع اعجاب عام . حدث يوما أن شابا فاسد الخلق خسيس التربية أهانه وأكثر من ســبابه فى المنتدى العمومى . فلم يعمل بركليس سوى انه استمر فى عمله ينظر ما بين يديه ويصرف شئونه المستعجلة ولم يجب بكلمة على تلك المثالب ومتى غربت الشمس عاد الى منزله هادىء البال وذلك الشاب يتبعه بصيحاته وسبابه ، ولما بلغ باب منزله أمر أحد اتباعه أن يحمل مشعلا وينير سبيل الفتى حتى بيتــه .

---

(١) الجزء الأول من كتاب « ما وراء الطبيعة » لارسطو .

كان الشاعر يون (١) كثير الكبرياء والاباء كثير الدعوى يزدرى الناس ، أما سيمون فكان رجلا وديعا لطيفا يلين لكل شيء ويرضى جميع الناس • لندع الشاعر يون الذى يحسب أن الفضيلة تمثيل روائى لابد أن يكون للهزل فيه نصيب (٢) ، على أن زينون كان على العكس من ذلك اذا سمع أحدا يقول ان الجلال الذى يصطنعه بركليس ليس سوى قحة وفخفخة دعا القائل ان يصطنع مثلها لأن التكلف يصير بنا الى كاف بالعظمة الحقيقية فنعتادها على غير علم منا •

ليس هذا وحده ما فعله بركليس من معاشرة أناجزاكور فقد تعلم منه المزراية بذلك الخوف الوهمى الذى تحدثه التقلبات الجوية فى نفوس الجهال الذين لا يعرفون أسبابها فتغشاهم لجهلهم صور القلق والاضطراب واعتبر أنها من علامات غضب الآلهة • أما المستنير الذى يعلم قوانين الطبيعة ، فانه يحترم الآلهة بين الطمأنينة والأمل بدلا من العبادة الخرافية الوجلة •

حدث يوما أن أحضر الى بركليس من الحقل رأس كبش ليس به سوى قرن واحد • لاحظ العراف لاميون أن القرن نابت فى وسط الجبين وأنه قوى ومتين • وقيل فى تأويل هذا الحادث « ان توسيديد (٣) وبركليس يديران اليوم شئون الحكومة • ولكن السلطة كلها ستجتمع بين يدى من وجدت فى حقله هذه المعجزة » • ولكن اناجزاكور شق هذا الرأس وأظهر أن المخ لا يملأ الفراغ المعد له • وأنه غير متصل بحواشى الجوف فانكمش واستطال فى شكل بيضة فى النقطة التى تنبت فيها أصول القرن • أعجب الناس أولا بما شرحه أناجزاكور ، ثم عادوا بتأويل لاميون لأن حزب توسيديد تلاشى وأصبحت الحكومة كلها فى قبضة بركليس • ومن الغرائب النادرة ان يتفق العراف والعالم الطبيعى فى بيان صادق • شرح أحدهما سبب هذه الظاهرة والآخر ما انطوت عليه

(١) شاعر تراجيدي (ماساوى) معاصر لبركليس •

(٢) كانت العادة في ذلك العصر ان يقدم الشعراء أربع روايات تكون احداها هزلية مجانية ، تقوم بتمثيلها فرقة من المهرجين المجانيين •

(٣) قائد أثينى • غير المؤرخ المعروف بهذا الاسم •

من نبوءة . بحث الأول عن العلة والكيفية التى أحدثت هذه الظاهرة . وبحث الآخر عن الغرض وما ينبىء به . فالذين يدعون أن اكتشاف سبب المعجزة يبطل المعجزة . ومعناها ، لا يدركون أنهم بقولهم هذا يبطلون العلامات التى ترسلها الينا السماء ، والعلامات العرفية التى خلقتها يد الانسان كصوت الدف وضوء الفوانيس : كل شيء لغرض أعد له .

على أن هذه آراء ليس هنا محل بحثها .

كان بركليس فى أول شبابه شديد النفور من الشعب . وكانوا يرون فى وجهه ملامح الطاغيه بسيستراتوس ولاحظ شيوخ المدينة أنه يشبهه فى رقة صوته وسهولة كلامه وبلاغة عباراته وكانوا يخشونه ويخافونه . غنى ، سليل بيت عظيم وثيق الصلة بعظماء الدولة . داخل بركليس الخوف من أن ينفى بالاقتراع السرى ، فلم يتدخل فى السياسة ولكنه فى الحروب لا يدخر وسعا يخوض مخاطرها غير مبق على نفسه . مات اريستيد ونفى تيميستوكل وسيمون فى شغل شاغل بحملاته البعيدة عندما ابتدأ بركليس الاشتغال بالأعمال العمومية . انضم الى حزب الشعب مفضلا الكثرة الفقيرة لوفرتها على الارستقراطية (حزب النبلاء) لقلة عدد أفرادها . وليس معنى هذا أنه شعبى بطبيعته ، الا أنه خشى الاتهام بالرغبة فى السيادة المطلقة . وقد رأى سيمون مخلصا للأرستقراطية ومعبود الطبقات العليا والأشراف ، فارتمى فى حضن الشعب ليطمئن على سلامته ، ويتخذ منه عضدا وأداة ضد سيمون .

ومن هذا العهد أخذ نفسه بعادات جديدة . لم يره أحد فى شوارع المدينة الا ذاهبا الى مجتمعات الشعب أو مجلس الشيوخ . وقد عدل عن الولائم والحفلات والمسامرات ولم يتناول العشاء وهو على رأس الحكومة على طول مدتها ، عند أحد من أصدقائه الا أنه حضر مرة وليمة عرس ابريتوليم ابن عمه على أنه بارح المكان بعد غسيل الأيدى مباشرة . والحقيقة أن ليس اضر بالعظمة من الاختلاط ، فيجب على من يطلب احترام الناس الا يبذل نفسه وهذا أجمل وأكرم ما فى الفضيلة الحقة . لئن اعجب جمهور الناس بحياة العظماء الخاصة فما اعجاب أصدقائهم

بحياتهم الداخلية بأقل من ذلك . كان بركليس يخشى أن يوجه الناس اذا رأوه على الدوام فكان يباعد بين مواضع الظهور . لا يتكلم فى كل شأن ولا يتقدم دائما يبقى على نفسه للمواقف الحرجة كأنه كما قال كريتولاوس سفينة سلام . وفى غير ذلك ينيب عنه أصدقاءه والمخلصين له من الخطباء مثله فى ذلك مثل « افيالت » الذى اضعف نفوذ الاريوباج (المجلس الأعلى لحكومة الشعب) الذى قال عنه افلاطون (١) انه ملأ الكاس دهاقا من الحرية الخالصة وقدمها للشعب ، ويقول المهرجون من الشعراء ان الشعب قد ثمل وصار جوادا لا حنك له لا يعرف الطاعه . فعض على أوبه . ووثب على الجزائر .

عمد بركليس لتقويم بيانه وجعله أداة صالحة لأفكار ، أن يستقى من معين أناجزاكور فأكسبت العلوم الطبيعية بيانة متانة وقوة واذ كانت الطبيعة قد حبته عواطف سامية وارادة صابرة نافذة كما كان يقول أفلاطون الالهى (٢) التى استمدها من الفلسفة الطبيعية يضيف اليها مهارته فى استخدام كل شىء عندما يريد التدليل على أمر يتصد اليه . وبهذا بز جميع خطباء عصره . ولعل هذا سبب تلقيبه بالأولمبى يظن البعض ان السبب فى ذلك هو كثرة مازائدية المدينة من التماثيل . ويظن البعض أن ذلك يرجع الى مهارة فى ادارة الحكومة والحروب ولا مانع أن يكون سبب هذا للشعب راجعا الى جميع هذه الخلال الكريمة النادرة . على أن هذا لم يخله من عنت الهجائين فما أكثر ما قالوا فيه جدا وهزلا . وكلهم مجمعون على أن فصاحته هى التى أكسبته هذا اللقب ، فمن أقوالهم أنه اذا اعتلى المنبر ارعد وأبرق وأن صوته كالصاعقة . ومما يؤثر حكمة توسيديد من ميلازيوس عن قدرة بركليس فى الخطابة كان توسيديد من أشهر أعيان أثينا وكان ذأبه معارضة بركليس . سأله أرخيداموس ملك سبارطة (لاسيدومتيا) يوما : أيهما أشد بطشا فى المصارعة هو أو بركليس ؟ فقال : « اذا صرعته صاح لم أسقط ، أرى الجميع الواقع ولكنهم ينتهون الى تصديقه واعتباره غالبا » .

(١) فى الكتاب الثامن من الجمهورية .
(٢) فى آخر فيدر .

على انه لم يتكلم الا حذرا جدا وكل مرة علا المنبر توسل قبلها للآلهة إلا تزلف منه كلمة ضد ما يقصد اليه ٠ لم يخلف شيئا مكتوبا سوى مراسيم ٠ ولا يروى عنه سوى القليل من الكلمات النابغة مثال ذلك قوله عن جزيرة اجين « يجب ازالة هذه النقطة عن عين بيرة » وقال في مقام آخر : « أرى الحرب تركض من البينوبونيز » اطرى سوفوكل زميله في قيادة البحرية أمامه محاسن فتى ، فقال : « ان القائد يا سوفوكل يجب أن يكون طاهر اليدين والعينين أيضا » وقال ستازمبروت ان بركليس في الخطبة التي القاها تأبينا لقتلى حرب ساموس قال : « لقد صاروا خالدين كالآلهة ، انا لا نرى الآلهة ٠ ولكن القربان التي تقدم اليهم والحسنات التي ننالها منهم تشعرنا أنهم خالدون ٠ هذه حال الوطنيين الذين يموتون فداء وطنهم » ٠

مثل لنا توسيديد (١) حكومة بركليس كأنها شكل من أشكال الأرستوقراطية أطلقت عليه كلمة ديموقراطية وما هي الا امارة يديرها رئيس الحكومة ٠ ويقول البعض ان « بركليس » أول من أدخل الشعب في توزيع الأراضي المنتجة واعطاه المال لحضور الحفلات والقيام بواجباته المدنية (٢) فأفسده وعلمه الاسراف والخروج عن الطاعة وافقده الميل الى الحكمة والعمل : وسبب هذا التغير ناجم عن الحوادث ذاتها ٠ رأينا أن بركليس حرصا على سمعته ازاء سيمون تقرب الى الشعب . ولكن سيمون كان على ثروة عظيمة كثيرة الموارد يستخدمها في اعانة الفقراء ، يقيم الموائد لكل زائر يكسو الشيوخ ، حتى انه رفع الحواجز عن أملاكه ليستطيع كل انسان الدخول اليها يجني ما شاء من ثمارها ٠ ولكن بركليس كان أقل منه مالا ولذلك اقل شهرة عمد الى النماء يبذله من الأموال العمومية عملا بنصيحة ديمونيد الأيوى على رواية أرسطو وزع النقود على الجمهور ليمكنه من حضور الحفلات والمحاكم وغيرها ، [illegible] (٣) وبذلك أغرى الشعب ٠ وصار الشعب في يده اداة يستخدمها ضد مجلس الحكم الأعلى الذي لم يمده الحظ قط أن يكون

(١) المؤرخ في الكتاب الثاني من « تاريخ حرب بيلوبونيز » ٠

(٢) انظر « ارسطو والسياسة » من ١ ــ ١٩ ٠

(٣) المتعهدون هم الذين ينفقون على الولائم والحفلات التي يتعهدونها ٠

أحد أعضائه • ولا حكما ولا رئيسا للضحايا ولا polématgin • وهذه مناصب لا تنال الا بالاقتراع تسمح لمن نالها وقام بشئونها خير قيام ان يكون فى عداد أعضاء المجلس الأعلى • اغتنم بركليس ذلك المقام السامى الذى رفعه اليه الشعب وأوقع الاضطراب فى المجلس وحرمه بواسطة افيالت معرفة الكثير من الأعمال • ونفى سيمون بالاقتراع السرى بحجة أنه من أنصار اللاسيديموتين (السبارطيين) وأنه شديد المقاومة لمصالح الشعب • نفى الشعب سيمون وهو من أكبر الأسر الشريفة وأغناها فى أثينا وهو القائد الذى قهر الأعداء وانتصر عليهم انتصارات باهرة • وملأ المدينة من الغنائم والاسلاب كما روينا فى تاريخ حياته • الى هذا الحد بلغ نفوذ بركليس على الشعب !

حدد القانون مدة النفى (بالاقتراع السرى) عشر سنوات ولكنه حدث بعد خمس سنوات من نفى سيمون أن جيشا عظيما من السبارطيين اعتدى على أرض تانجر فهب الأثينيون لملاقاته •

رأى سيمون ليغسل عن نفسه تهمة الميل الى السبارطيين أن يخرق حكم النفى فقدم الى مقاتلة السبارطيين مع رجال قبيلته يشارك قومه فيما يعرضون له من المخاطر • ولكن أصدقاء بركليس أوقفوه وأكرهوه على الانسحاب بحجة أنه منفى • فاضطر بركليس أن يبذل أقصى جهده وأن يستبسل فى القتال الى ما فوق طاقته حتى لا يفوقه أحد • أما أصدقاء سيمون الذين اتهمهم بركليس ــ أيضا ــ بالميل الى السبارطيين فقد استهدفوا للموت حتى ماتوا جميعا فى ذلك اليوم •

دارت الدائرة على الأثينيين عند حدود أتيكا وتوقعوا حربا مهلكة فى الربيع القادم فندموا على ما قرروه بشأن سيمون وأسفوا لغيابه • أدرك بركليس عليهم ذلك فلم يتشدد فى مقاومتهم وأسرع فكتب بنفسه مرسوما باستدعائه وحمل المجلس على قبوله • ما عاد سيمون حتى انتهز فرصة عطف السبارطيين عليه وكانوا يحبونه بقدر بغضهم لبركليس وغيره من ملقنى الشعب وزعمائه فعقد معاهدة صلح بين الجمهوريتين ويقول الكثيرون من الكتاب ان بركليس لم يكتب طلب اعادة سيمون الا بعد أن عقد معه بواسطة البينيس أخت سيمون اتفاقا سريا • تعهد فيه سيمون بقيادة

مائتي سفينة حربية والسير لمحاربة ملك الفرس · وأن يبقى بركليس في آتينا يتولى السلطة كلهـا · والظاهر أن سيمون وقع يـوما تحت تهمـة الخطر فنهضت البينيس الى استمالة بركليس أحد من أنابهم الشعب في اتهام أخيها · قابلته وتوسلت اليه مستعطفة فقال لها « يا البينيس انك أكبر سنا من ان تظفري بقضية هامة كهذه » · ومع كل لم يتكلم سوى مرة واحدة وكان كلامه في موضوع التهمة كمضطر الى أداء واجب ثم انسحب وكان أقل المدعين على سيمون شدة · فكيف نصدق بعد هذا دعوى أدومنيه (ضد بركليس يتهمه بقتل افيالت غيرة · وهو صديقه وشريكه في مشروعاته السياسية ألا ندرى من أين أتى ادومنيه بهذه الفرية ضـــد رجل لا يقول ، بلا عيب في جميع أعمـــاله بل ضد رجل عرف بعواطفه الشريفة وشـــدة حبه للمجد مما لا يتفق مع وحشـــية كهـــذه ·

أوقع افيالت الرعب فى نفوس أنصار الأوليجاركية (حكم طائفة من الرجال) فكان يضطهد ويتعقب كل من شكا الشعب منه ، سقط في كمين فطعنه سفاح مستأجر · يدعى أريستوديكوس من تانجر ، بخنجر · هذه رواية أرسطو · أما سيمون فقد لقى حتفه فى جزيرة قبرص أثناء قيـــادته ·

لما رأى الاشراف أن بركليس أصبح أول وأعظم رجل في الدولة بحثوا عن رجل يقف له يضعف من سلطانه ويمنعه التحول الى ملكية مطلقة أقاموا له توسيديد من الوبيس وهو رجل قوى العارضة وصهر سيمون كان أقل من قريبه كتابة فى فنون الحرب ولكنه أقدر منه في فنون الخطابة وادارة الأعمال العمومية · واذ كان يسكن المدينة فلم يحتج لأكثر من مساجلة بركليس على منبر الخطابة مرات حتى استقر التوازن بين طبقتى الدولة · لم يكن لمن ندعوهم رجال الخير والنبل أى الأشراف هيئة نظامية · بل كانوا مشتتين في كل ناحية ممتزجين بالشعب تتلاشى قدرتهم وجدارتهم بين الجماهير · منع هذا المزج وفرز الاشراف وجمعهم

---

(١) من « لامبساك » كتب تاريخ تلاميذ « سقراط » وتاريخ « ياموطراس » وعاش فى القرن الرابع قبل الميلاد ·

فى هيئة منظمة . وكل من كان نفوذهم قوة تعادل نفوذ بريكليس . كان التمييز بين الأسر قديما ولكنه كان ضائعا كقشة فى كتلة من حديد . لا تدل على اختلاف الأجناس الا دلالة خفية ، الشعب والأشراف . ولكن المنافسة والطمع تفشـيا بين هؤلاء الأشخاص ، فشـطرا الشـعب الى شطرين بارزين الشعب . والنبلاء .

ولهذا السبب أطلق بركليس للشعب العنان ، لا يهمه سوى رضاه يملأ المدينة أعيادا وحفلات وولائم يعوده عادات لا تخلو من أناقته . يرسل كل سنة ستين مركبا عليها عدد عظيم من الأثينيين ويقدرون على الأعمال البحرية مدة ثمانيـة شهور تدفع لهم أجـور ثم أرسل ألفا الى شرسونيز وخمسمائة الى ناكسوس ومائتين وخمسين الى أندروس وألفا أخرى الى تراس فى بلاد اليزالتين ثم عمر سيباريس من ايطاليا التى أعيد بناؤها باسم توريوم وبذلك أخلى المدينة من العاطلين الذين تثيرهم أهواء خبيثة وسد حاجة الفقراء وأقام بين الحلفاء ما يشبه الحاميات تلزم الرعاية وتمنعهم الاقدام على حدث جديد .

ولكن ابهج من سر قلب أثينا وحلاها بأجمل ما تزدان به . وكان موضع اعجاب العالم ، ذلك الشىء الوحيد الذى يشهد اليوم بتحقيقه ما يقال عن عظمة اليونان ومجدها السابق هو تلك المبانى الفخمة التى شادها بركليس . وهذه الآثار كانت موضع شـكاة وتذمر خصـومه وأكثر ما شنعوا به على ادارته . يجهرون بذلك فى المجتمعات ويرفعون أصواتهم بالاحتجاجات . ومن أقوالهم : « لقد امتهن الشعب وارندى الخاصة لقد حرمنا بركليس من أقوى حجة كنا نقف بها فى وجه من العار بسحبه من دالوس أموال اليونان العامة . يستخدمها لمصلحته يتهمنا وهى انا كنـا نخفى أموالنا فى دالوس خشية أن يستولى عليها البربر . الا يـكون لليونان الحق أن تعـد من الاهانة والظلم أن تأخذ الأموال التى اختزنتها للانفاق على الحروب الوطنية ، فنصرفها فى تجميل وتزيين مدينتنا نحن حتى نجعلها كغانية مثقلة بالجواهر والعقود الثمينة لاقامة تماثيل وبناء هياكل بلغت نفقات أحدها ألف تالان ؟ .

أما بركليس ، فله فى ذلك رأى آخر . ومن أقواله للشعب :« لست مدينا لأحد من الحلفاء بحساب عن أمواله . بما أنكم أنتم وحدكم تحاربون عنهم . وتبعدون البربر عن يونان . لا يقدمون اليكم جوادا ولا سفينة ولا رجلا سوى أموالهم . ومتى أعطى المال أصبح ملك الذى تسلمه لا الذى أعطاه ، على شرط أن يقوم المتسلم من تعهد به عند تسلمه . ونقد وفيتم عهودكم فى الحروب ، وتوافر لكل كل ما يلزمكم لها . فاذا امتلأت الخزائن ألا يكون العدل أن تنفقوا المدخر فى تشييد المجد الخالد لمدينتكم تنعم بعد أثينا بعد انجازه برخاء يسمح لها برقى صناعاتها فى كل فن . لقد نشأت حاجات جديدة أشغلت جميع القرائح والأيدى وجعلت الوطنيين جميعا أجراء الدولة . وعليه تكون المدينة قد استمدت من نفسها جمالها ومادة حليتها . يتناول كل من تسمح له سنه وقوته بالخدمة العسكرية أجره من الخزانة العامة أما الصناع الذين تعفيهم صناعاتهم من الخدمة العسكرية فقد لا يحرمون من الفائدة بلا كسل ولا خمول . لهذه الأسباب ولمصلحة الشعب شرعت هذه المبانى التى تتطلب جملة الفنون والصنائع وستطلبه زمنا طويلا . وهكذا ينال المقيمون هن الأهالى حقوقهم من الايرادات العامة كالذين يجوسون البحار بعمارتنا والذين يحرسون قلاعنا والذين يحاربوننا . لدينا الحجارة ، والنحاس والعاج والذهب والأبنوس . وقد عملت فى هذه المعادن جميع أيدى الصناع . من نجارين وبنائين وحدادين وحجارين وصباغين وصياغ ونقاشين وبراذين وخراطين . وتستعمل فى البحر لنقل هذه المواد السفن التجارية . وبحارة ونوتية الدولة . وتستعمل فى السبر الحمالين وسوقة العربات ومن ثم جميع أرباب الصناعات والمهن . ولكل صناعة جيش من العمال لا يملك ذراعه فهو أداة وقوة يستخدمها رؤساء المعامل . هكذا يوزع العمل الى هنا يوفر أسباب السعادة فى كل مكان بين جميع الطبقات من كل سن وفى كل ظرف .

برزت هذه المبانى فى عظمة حقيقة بالاعجاب بين الجمال والدقة اللتين لا مثيل لهما . لأن الصناع كانوا يتنافسون فى اتقان دقة الفن وجمال البناء فى جملته . وكان أعجب ما يعجب له سرعة الانجاز والحقيقة أن جميع هذه الأعمال التى يحتاج كل منها الى جملة سلالات متعاقبة

لاتمامها وانجزت وتمت في حكومة رأجـل واحد • وحينئذ فاخر المصـور أجاترك بالسرعة والسهولة التى مثـل بهـا الحيوانات فاجابه زوكسيس قائلا « وانا افخر ببطئى » • والحقيقة أن السرعة والسهولة لا تجعـلان العمل متينا ثابتـا ولا تكسبانه جمـالا محكما : فالوقت والمواظبـة على العمل يكفلان بقاءه قرونا لذلك يشعر من يشهد آثار بركليس باعجاب عميق بعد ما مر من القرون مع أنها أنجزت فى ذلك الزمن القصـير • ما انتهى أحدها حتى يشعر مشاهدها لدقة جمالها أنها من الآثار القديمة ويرى فى طلاوتها متانتها فمن يراها اليوم يحسبها من صنع اليوم • لايقاعها كزهرة يانعة تملأ العين بهجة • لا تذبلها يد الزمن • كأن روح الحياة لا تفارقها وأودعتها فلا يدركها الكبر • وكان فى أثينا حينذاك طائفة من مهرة المهندسين والصناع تولى فيدياس ادارة ورقابة جميع الأعمال • وشاد كاليكرات واكتينوس المبنى المعروف باسم « بارتينون » هيكاتبنيدون • أما هيكل أسوار الوزيس فقد شرعه كوروبوس وأقام الطابق الأول من الأعمدة ورسم التصميم واذ توفى قبل اتمـــامه ، تولى العمل فيه ماتاجينس من جزيبت وحاطه بسور وأقام الطابق الثانى من الأعمدة وأنجز حيزتوكلس من شولارج قمة المقدس • أما السور العظيم الذى قال سقراط انه سمع بالشروع فيه فقـد تولى بنـاءه كاليكرات ولكنه تمهل طويلا فى انجازه فعرض به كراتينوس فى احدى رواياته • قائلا : بجهد بركليس نفسـه فى الحث على العمل كلاما • أما عمـلا فلا شىء •

أما الأوديون وكان فى داخله جملة صفوف من المقاعد والأعمـدة فكان سقفه متمنيا على نفسه ليتسامى الى نقطة ويقال انه مبنى على مثال ضاحية ملك الفرس • وان بركليس نفسه هو الذى وضع رسمه بيده • وقد أشـــار كراتينوس الى ذلك فى رواية « التراسيات » بالعبارات الآتيـــة :

هاك جوبيتر شينوسيفال (كبير الرأس)
بركليس على رأسه أوديونه • •
شامخا بأنفه لنجاته من الاقتراع السرى •

واذ ذاك أصدر بركليس رغبة فى ازدياد الشهرة · مرسوما بأمر الشعب أن توزع فى أعياد باناتنبيذ جوائز عن الموسيقى · وكان هذا حادثا جديدا · عين حكماء فحدد كل نوع : المزمار والغناء والعود (المزهر) جرت المسابقة فى اوديون ولا تزال تجرى هناك المسابقات الموسيقية ·

أنجز المهندس منفريكلس فى خمس سنوات · وقد وقع فى خلالها حادث لا يدل على قبول الآلهة ورضاها فقط بل ويدل على رغبتها فى الاشتراك والعمل على انجازه · والحادث أنه بينما كان أمهر العمال وأنشطها فى أعلى الستار زلت قدمه وهوى الى الأرض وبلغ من شدة الصدمة ان يئس الأطباء من شفائه · اغتم له بركليس غما شديدا ولكن الآلهة تراءت له فى حلم وعلمته دواء ، اذ استخدمه للمصاب كان شفاؤه سريعا وبلا عناء · كذلك أمر بركليس أن يصنب تمثال مينرفا « الشافية » برونزا ، وأقامه فى الأكربول بالقرب من المذبح الذى يقال انه كان هناك ·

أما الذى صنع التمثال الذهبى للآلهة فهو فيدياس وقد نقش اسمه على القاعدة · وهو كان كما قدمنا متوليا ادارة جميع الأعمال ورقابة العمال · وهذا شرف يرجع الفضل فيه لما كان بينه وبين بركليس من الصداقة · وكان هذا سببا لتلك الأكاذيب والمفتريات والمختلقات التى تحدث بها الخصوم يلصقونها بهذا وذاك · من أن فيدياس كان يستقبل النساء الطليقات اللاتى كن يأتين بحجة مشاهدة الأشغال فيلقى بهن بين يدى بركليس واتخذ المهرجون من الشعراء هذه الأراجيف عدة للتهكم والزراية ببركليس · ومن أقوالهم ، أنه يعاشر امرأة مايتبوس صديقه ووكيله · وأن ببريلامب صديق بركليس الحميم يربى العصافير والطاووس ليقدمها هدايا للنساء اللاتى ينعم بهن بركليس · ولا موضع للغرابة من أناس اصطنعوا الفرية يبخرون بها أمام بغض الشعب كما يبخرون لاله شرير افتراء على كل عظيم · كيف نعجب لرجل مثل ستارزميروت الناموسى يرمى بركليس بأشنع التهمة مدعيا عليه إنه يعاشر امرأة ابنه : فمن أصعب ما يعانى المؤرخ فى البحث عن الحقيقة حقائق تؤله فى الماضى رآها مختفية تحت حكم أهواء عصرها · ولو أرادها فى

الحاضر رأى أهواء البغض والحسد من ناحية وأهواء التملق والتقرب من ناحية اخرى تقضى على معالمها ·

اشتد خطباء حزب توسيديد فى تقريع بركليس يتهمونه بالتبذير والتبديد فى الأموال العمومية وتقدم بركليس الى الشعب يسأله ، هل يظنه أسرف فى الانفاق · فأجابه الشعب ، بقوله « اسرف فوق الحد » فقال بركليس : حسن أتحمل أنا وحدى النفقات على شرط أن ينقش على كل من هذه الآثار اسمى « أنا وحدى » فما سمع الشعب هذا الكلام حتى صـــاح مدفوعا بعامل التأثر من عظمة نفســه أو رغبته فى أن لا يترك للأجيال القادمة هذا المجد له وحـــده ، قائلا خذ من الخزنة ما شئت وأنفقه كما تريد بلا حساب · اشتدت الخصومة بين بركليس وتوسيديد ، حتى رأى ذلك أن يعرض نفسه لخطر الاقتراع السرى ، هزم توسيديد وبدد بركليس شمل أنصار خصمه أمحى العداء السياسى ولم يبق فى أثينا سوى عاطفة واحدة ونفس واحدة حتى صح القول ان أثينا هى بركليس · الحكومة والمالية والجيش والسـفن والسـيادة على الجزر والبحار والسلطة المطلقة على اليونانيين ، والسلطة المطلقة على الأمم المتوحشة والشـــعوب الخاضعة الصامتة تعين عليها صداقة ومعاهدة الملوك القوية · اجتذب اليه كل شىء وقبض على كل شىء ولكنه لم يبق على ما كان عليه ، لم يبق هو ذلك « الديماجوجى » الملق الشعبى الحائر بين الأهواء الشعبية · المخلص السـهل الذى يسـلم بكل ما يشتهيه الشعب · فبعد أن كانت حكومة محلولة العـرى متراخية كأنها مزهـر لا تحدث أوتاره سوى أصوات ناشزة مهملة قبض على أعنتها بقوة جديدة وشدها بيد تكاد تكون ملكية · لا يستعمل للوصول الى الغرض الأسمى سوى وسائل مستقيمة لا مأخذ عليها · يجتذب الشعب الى وجهة نظره بقوة التعقل والاقناع واذا تعنت الشعب استعمل الشدة والاكراه ليعود به الى الصواب كأنه طبيب يعالج مريضـــا أزمن داؤه وانتابته عوارض مختلفة · فتارة يسمح للمريض بتناول ما يرضيه ولا يضره · وتارة يسقيه دواء مرا يعيد اليه الصحة وما أكثر أسباب الثورات فى مملكة مترامية الأطراف وكان وحده القدير على طب هذه الأدواء السياسية يحرك العقول بين الأمل والخوف يدير هذه الدفة المزدوجة بمهارة فيرجع الشعب عن

تورنه اذا اهتاجه الغضب وينهض عزيمته اذا خارت قواه . أثبت بركليس ان الخطابة كما قال أفلاطون (١) صناعة امتلاك العقول وانها قائمة قبل كل شيء على معرفة الميول والأهواء وهي أصوات ورنات النفس يخرجها لمس يد الصناع .

لم ينل بركليس هذه السلطة العظمى بفضل بلاغته فقط ، بل يرجع الفضل فيها كما قال توسيديد (٢) لشهرته والثقه التي كسبها . لم يكن للمال أثر في نفسه ولا للافساد سبيل اليها ذلك الرجل الذي وجد وطنه عظيما ناعما فرفعه الى قمة العظمة والسعادة . وكان أقدر من الملوك والطغاة والذين أورثوا أبناءهم الملك ، فلم يزد دراخمة واحدة على ثروة البلاد التي ورثوا ملكيا عن آبائهم . أبان لنا توسيديد في وضوح وجلاء سيادة بركليس ، ولكن الهازلين من الشعراء صبوا عليه عباراتهم المتأنمة، قائلين ان حان الوقت أن نأخذ عليه عهدا ألا ينادي بنفسه ملكا مطلقا لأن سلطته نقلت على ديموقراطية لا يحتملها . وقال تاليكليد ان الأثينيين سلموا اليه ايرادات مدنهم ومدنهم ذاتها يقيد بعضها ويحل رباط البعض، وأسوار من الحجر يبنيها ثم يهدمها .

وأطلقوا يده في عقد المعاهدات ، والجيوش والسلطة والصلح ، والمالية وكل ما يتعلق بسلامتهم وسعادتهم .

لم تكن حكومة بركليس فرصة عارضــة أو قدرة عابرة لقــد بقي أربعين سنة وهو في المقام الأول من وطنه وفيه كثير من أمثال فيالت ، ولبــوكرات وميرونيــد ، وسيمون وتولميد ، وتوســـيديد وبعـــد نفي توسيديد نشبت حرب ، وبقي بركليس خمس عشرة سنة في منتصف الرياسة بينما كان القواد الآخرون يبدلون كل سنة . وبقيت له القيادة العليا والحكم بلا انقطاع لم تخدعه فيها شهوة مالية وليس معنى هذا أن شيئا من أمواله الخاصة وأملاكه الشرعية تأثر باهماله المالية أو أنه كان لا يعنى بدقائقها الا أنهـا لم تكن لتشغله عن مهامه السـياسية ، صـان

(١) في فيدر .

(٢) الكتاب الثاني من تاريخـه .

ريعه بابسط الطرق وهى الاقتصاد المنزلى يبيع حاصلاته كلها ثم يشترى ما يلزم على قدر ايراده وبذلك يحفظ التوازن بين الايرادات والمصروفات اليومية ولم يكن هذا ليرضي أبناءها الذين صاروا رجالا ولا نساءهم يرونه شحيحا مقترا يعيبون عليه هذه الدقة فى المصروفات اليومية · وهذا الحساب الدقيق وعدم السعة التي تحق لبيت غني وكان يتولى هذه الادارة وكيله ايفنجيلوس رجل حبته الطبيعة الكفاية لمثل هذا العمل أو أن بركليس دربه عليه ·

ان هذا المسلك لا يتفق فى شيء مع فلسـفة أناجزاكور ، لقد اشتد هوس العالم بهذا الفيلسوف يوما فنزل من بيته وترك حقله مرتعا لقطعان الغنم يرعون عشية مباحا لمن يشاء · ولكن هذا ليس شأن فيلسوف دقيق الحسـاب مهمته السـياسة العمومية · لا يعنى ذاك بغير الجمال الأدبي لا تهمه الماديات ولا الوسائل الخارجية · أما الذى وقف همه على خدمة مصالح الناس المادية فلا يرى المال ضرورة لازمة فقط بل فضلة نافعة مرغوبة · فبركليس كان غنيا وكان عونا لكثير من الفقراء ويحكى أنه بينما كان بركليس غارقا فى أعماله كان أناجزاكور قد كبر سـنا عالية ولزمته الفاقة والحاجة فستر رأسه بردائه واعتزم الموت جوعا · علم بركليس بذلك فأسرع اليـه ضارعا اليه أن لا يقضي على نفسه · « اني أبكي لا عليك بل على نفسى لأني بفقدك أحرم خير مستشار لادارة أعمالى » · فرفع اناجزاكور الرداء على نفسه وقال : « يا بركليس على الذين يحتاجون الى سراج أن يصبوا فيه زيتا » ·

نظر السبارطيون الى نمو عظمة أثينا بعين الحسد وكان بركليس قد أدخل الى نفوس مواطنية الثقة بكفايتهم حتى أيقنـوا أنهم معدون لسيادة أعظم · فاقترح واستصدر قرارا أن ترسل جميع المدن اليونانية كبيرها وصغيرها ، الأوروبية والأسيوية مهما يكن شأنه ، نوابا يحضرون جمعية عمومية تعقد في أثينا للبحث في اعادة بناء الهياكل التى أحرقها البربر · والقرابين المنذورة للآلهة لصيانة وسلام يونان أثناء الحرب ضد الفرس ، والطرق الواجبـة لتقرير حـرية كل انسـان وتأمين الحرية البحرية · وتقرير السلام العام · وانتخب لهذه الرسالة عشرين ممن

تجاوزوا سن الخمسين وجه منهم خمســـة الى ايطاليا لدى اليونانيين والروسيين وسكان الجزر حتى ليسبوس ورودس • وخمسة الى أقاليم هلسنيونت وترافيا حتى بيزنطة • وخمسة الى باوتيا وفوسيد وبيلوبونيز يخترقونهـــا الى لوكريد على القارة المجـــاورة يتعدونها الى أكارنانيـــا وأمبراسى ، والباقون الى أوروبا وشعوب أوتـــا وخليج مالياك وفوتيودى واشاى وتساليا • ذهبوا داعين جميع الشعوب لحضور الجمعية العمومية للمداوله فى السلام العام لجميع اليونان • وكان شيئا من ذلك لم يحدث ولم ترسل المدن نوابا ويقال ان سبارطة منعتهم لأن المشروع أحبط فى البيلوبونيز وقد أشرت الى هذا اظهـــارا لعظمة فكر بركليس وســـمو عقـــله •

كان بركليس بصفته قائدا موضع ثقة عامة • لأنه لم يخاطر فى شىء • ولم يقدم على حرب لا يرى النصر فيها محققا أو يراه غالى الثمن لم يستشعر الغيرة من الضباط الذين أحرزوا انتصـــارات بمخاطراتهم ولم يفكر فى الاقتداء بهم مهما يكن المجد الذى ينالونه لشـــدة بأسهم وعنادهم • ولأنه كان يقول لمواطنيه لو اتبعتم مشـــورتى لكنتم خالدين • انتفخ توليدين تولمايوس كبرا لما أحرز من نصر ونال من شهرة فى مواقعه الحربية • أعد نفسه لمهاجمة بابوتيـــا بلا سبب واجتذب ألفا من شباب أثينا المولعين بالمجد الى جيشـــه والاشـــتراك فى الحملة حاول بركليس منعهم والعدول بهم عن عزمهم • ولهذه المناسبة قال فى الجمعية كلمته المشـــهورة •

« اذا كنتم لا تريدون الاصغاء الى بركليس فانكم لا تخسرون شيئا اذا انتظرتم نصيحة أحكم ناصح ، الزمن » • لم يلتفت أحد الى هذه الكلمة ولكنهم بعد ذلك بأيام ، عندما علموا أن توليد كان نصيبه الفشل والموت فى موقعة بالقرب من كوروثية • وأن كثيرا من الأبطـــال لقوا حتفهم ، تذكر الجميع كلمة بركليس وزادوه احتراما وعرفوا فيه الرجل العاقل حقا • والصديق المخلص لبلاده حقا •

واصدق ما استصوبه الجميع من حملاته حملته فى شيرسونيز التى نال يونانيو الحزرة بفضلها السلام والطمأنينة قاد ألف مهاجر اثينى

وحصن المدن بزيادة أهلها ثم حمى ممر البرزخ باقامة المتاريس وتقوية القلاع الممتدة من بحر الى آخر • وسد الطريق فى وجه التراسيين المنتشرين حول شيرسونيز • ومنع الحروب المهلكة التى كانت تعانى تلك البلاد ويلاتها وغارات البربر المجاورين وعبث اللصوص الذين يسكنون حدودها ومنعها حروبها الداخلية •

وقد ذاع صيته ونبه ذكره فى البلاد الأجنبية ذاتها بحملته الحربية حول بيلوبونيز •

أبحر من بيج فى ميجاريه بمائة سفينة • ولم يكتف بسلب المدن حتى لا يفاجئوه بهجماتهم • ولكن أهالى سبسيون اجترأوا على الوقوف له وانتظاره فى غاية ثبة وقاتلوه • فاقتحم مواقعهم عنوة وشتت شملهم وأقام على المكان أثرا للنصر • وبعد أن أخذ من أشايا حليفة أثينا نجدة لعمارته انتقل الى الشاطىء الآخر للخليج وسار بسفنه فى مجرى أخيلاوس وعاث فى أكارنافيا وحبس أهالى أونة فى أسوارهم • وعاث بجميع البلاد الأعداء تخريبا • ثم عاد الى أثينا بعد أن أوقع فى نفوس أعداء بلاده أنه قائد رهيب الجانب وفى نفوس مواطنيه أنه حام أمين شديد الغيرة على حياتهم وأموالهم • ولم يصب جيشه بشىء يضره عمدا ولا قدرا •

ومن هناك أقلع الى « البونت » بعمارة كبيرة معدة أحسن اعداد • وهناك أدى لليونانيين كل ما يطلبونه من خدم وقد أحسن معاملتهم كل الاحسان، وهو يظهر لجميع الأمم المتوحشة المجاورة ولملوكها وأمرائها • عظمة الأثينيين والطمانينة التى يبحرون بها فى جميع الممرات حينما شاءوا • واليقين الذى استقر فى نفوسهم بفضل سيادتهم على البحار • وترك لأهالى سينوب ثلاث عشرة سفينة برجالها • ليعينوهم فى محاربة الطاغية تامازيليون ، ولما طرد الطاغية وأصحابه من المدينة أصدر أمرا بنقل جالية يونانية عددها ستمائة متطوع الى سينوب ليمتزجوا بالأهالى ويقتسموا معهم منازل وأراضى حزب الطاغية •

على أنه لم يستسلم لأهواء مواطنيه وكان يحذر السقوط معهم عندما استولت عليهم العماية والكبرياء لما نالوا من فوز ونصر • رآهم

يميلون لافتتاح مصر ومهاجمة الاقاليم البحرية الخاضعة لملك الفرس تملكت الكثرة شهوة امتلاك صقلية لشدة حبهم لها وكانت تلك الشهوة تعسة وشؤما أهاجها السيبياد فيما بعد فى قلوب الأهالى بما ألقى من خطب مثيرة • وكان منهم من يفكر فى غزو أترورِيا وقرطاجنة • ولم تكن أمامهم هذه عارية عن الصواب لو نظرنا الى عظمة مملكتهم واستمرار سعادتها •

تمكن بركليس من كبح هذه الشهوات وتعطيل هذه المشروعات باشغاله جميع قوات أثينا بحراسة ما امتلكوه • موقنا أنه يكفيهم منع السبارطيين من التقدم أو زيادة سلطانهم وقد أظهر فى جملة مناسبات أنه العدو اللدود للسبارطيين وبوجه خاص فى الحرب المقدسة • ذهب السبارطيون بسلاحهم الى دلفى ، واغتصبوا من القوسيين وكالة الهيكل ومنحوها الى الدلفيين • وما كادوا ينسحبون حتى نهض بركليس بحملة ورد الى القوسيين وكالة الهيكل • وكان الدلفيون قد خصوا السبارطيين بحق التقدم فى استشارة الوحى ونقش هؤلاء هذا الحق على جبين الذئب النحاسى • أيد بركليس هذا الحق للأثينيين وحفره على الجانب الأيمن من الذئب النحاسى ذاته •

كان على حق فى احتفاظه بجميع قوات يونان فى أثينا كما اثبتته الحوادث • نهضت أوبا لثورة خطرة فى جيش كبير • وفى الوقت ذاته علم أن الميجاريين أعلنوا العداء لأثينا ، وأنهم يعسكرون بجيشهم على حدود أتيكا بقيادة بليستوناكس ملك سبارطة • فغادر أوبا مسرعا للدفاع عن أتيكا • لم يجسر على مقاتلة جيش كثير العدد معروف ببسالته • وقد علم أن بليستوناكس شاب حدث لا يعمل شيئا الا بارشاد كلياندريداس الذى ندبه النواب ليكون وصيا وقائدا ثانيا لحداثة سن الملك • سبر غور الوصى واستماله بالمال على ان يسحب جيش السبارطيين من أتيكا • انسحب الجيش وتشتت الجند فى المدينة • ولكن السبارطيين ساءهم هذا العمل فحكموا على ملكهم بغرامة فادحة لم يستطع دفعها • فغادر وطنه • وكان كلياندريدس قد هرب ، فحكموا عليه بالموت • وكان هذا الرجل والد جيليب الذى قهر الأثينيين فى صقلية • وكان الطمعة أودعت قلب

جيليب حب المال كداء وراثى • لأنه كان عبدا للمال ، وثبتت فضائح مخجلة فنفى من سبارطة وقد شرحنا ذلك فى سيرة ليزاندر • أثبت بركليس ضمن نفقات هذه عشرة تالانات،مكتفيا بقوله أنفقت فى مصروفات ضرورية • وافق الشعب على الحساب بلا التفات الى هذا المبلغ ولا سؤال عما يكتمه • ولكن الكتاب وبينهم الفيلسوف ثيوفواست يقولون انه كان يرسل كل سنة عشرة تالانات الى سبارطة يوزعها بسخاء بين الحكام لمنع الحرب يشترى بذلك لا السلم بل الزمن الذى يمكنه من اعداد ما يلزم للاقدام على الحرب باستعداد يكفل النصر • التفت بعد ذلك الى الثائرين فسار الى أوبا بخمسين سفينة وخمسة آلاف جندى فأخضع المدن وأعادها الى التزام الواجب • وطرد من « شالسى » كبار الأغنياء والأعيان المعروفين باسم (هبولوث) مربى الخيول • وأخرج من « هستيا » جميع الأهالى واستعاض عنهم بجاليات من الأثينيين : وكان شديد القسوة على الهستيين لأنهم أسروا مركبات أثينية وذبحوا جميع ركابها •

عقد بعد ذلك عهد سلام بين أثينا وسبارطة لمدة ثلاثين سنة • ثم قرر بركليس حملة بحرية ضد ساموس بحجة أن أهالى هذه الجزيرة خالفوا الأوامر الصادرة اليهم من أثينا بالكف عن قتال « ميلة » • وبما أنه لم يقدم على هذه الحرب الا ارضاء لاسبازيا ، فيحق لنا أن نبحث عن سر وقدرة هذه المرأة على اصطياد أعظم سياسى فى عصره • وما كان يكتبه عنها الفلاسفة من عبارات التكريم والاحترام •

أجمع الكل أنها من « ميلة » وأنها ابنة أجزيوكوس ويقال انها كانت تتصيد العظماء اقتداء بمحظية قديمة من يونيا تدعى تراجيليا • وتراجيليا هذه امرأة حسناء جمعت بين لطافة الجسم وذكاء العقل وكانت متينة الصلة بكثير من عظماء يونان ، استمال الى ملك الفرس جميع من يعاشرونها • وبواسطتهم نشرت فى المدن الروح الفارسية ، لأنها لم تكن تستهوى سوى عظماء المدن وكبار رجالاتها • أما اسبازيا فيقال ان بركليس كان يميل اليها لقوة عقلها وقدرتها على فهم المسائل السياسية • وكان سقراط يزورها مع أصحابه • وكان الذين يعاشرونها يصطحبون نساءهم ليسمعن حديثها، مع أن حياتها لم تكن المثل الأعلى للأدب والعفاف

اذ كانت تدرب الحسان على صناعة التحظى • وقال أشين ان لبركليس • تاجر أغنام خشن الطبع بمولده وتربيته صار أول وطنى فى أثينا لأنه كان يسكن الى « اسبازيا » بعد وفاة « بركليس » • وقال أفلاطون فى مقدمة « مانكسين » مع ما هو معروف عنه من رقة الأسلوب ان كثيرا من الأثينيين كانوا يذهبون الى منزلها ليتعلموا أساليب الفصاحة والبلاغة • ومهما يكن من كل هذا فانا نحسب أن الذى كان يجتذب « بركليس » اليهـا هو الحب • كان متزوجا احـدى ذوات قرباها وكانت من قبل زوجة هيبونيكوس ولهـا منه ولد وهو كالياس الغنى وقد رزقت من بركليس ولدين اكسانيت وبارالوس ، واذ وقع النفور بينهما أخـلى سـبيلها فتزوجت من سـواه وتزوج هو من اسـبازيا التى كان شـديد الولع بحبها ويقال انه كان يودعها عند خروجها صباحا بقبلة ومتى عاد حياها بقبـلة •

أما الأزلون من الكتاب فكانوا يدعونها سحابة ، أو مقال ، داجيفير ، جوتون ، وقد دعاها كراينوس محظية •

« لقد ولدت له جوتون اسبازيا ، تلك المحظية المبتذلة التى غينها عين كلبة » •

ويظهر أن بركليس أولدها ابنا سفاحا ، لأن أويوليس يمثل بها فى رواية ذيموصيس مسائلا :

وابنى الذى رزقته حراما • ألا يزال على قيد الحياة ؟ فيجيبهم بيروميداس •

« وكان فى وسعه أن يتزوج من زمن ، لو أنه لم يخش أن يتزوج مومسـا » •

لقد بلغ من شهرة أسبازيا ان سيروس الذى نازع أخاه ملك الفرس المملكية لقوة السيف أطلق على أحب محظياته اليه اسم اسبازيا وكانت تدعى قبلا ملتوا • وهذه اتية هرموتيم وهى من قوسه • ولما هلك سيروس فى الموقعة سمت الى الملـك وكان لهـا عليه سلطان نافذ •- عرضت لى هذه الاشارة الخارجية من الموضوع لمناسبة ذكر اسبازيا فلم أود أن أرد اغفالها •

يتهم بركليس باعلانه الحرب على اتســـاموس لمصلحة الميلاتيين اجابة لرجاء اسبازيا • وقعت الحرب بين ساموس وميلا وسببها برين ، احرز السامويسون انتصارا باهرا ، فى حين أن الأثينيين دعوهم الى وقف الحرب والحضــور لعرض مطالبهم فلم يأبهوا • لهذه الدعــوة • أبحــر بركليس الى ســـاموس فحل الحكومة الاوليجاركيه وأخذ رهائن قمش من الاشراف ومثلهم من الأطفال وأرسلهم وديعة فى لمفوس • ويقال ان كلا من هؤلاء الرهائن قدم اليه تالانا فدية • وقدم اليه الدين لا يرغبون فى الحكومة الديموقراطية فى بلدهم هدايا أخرى • وان ينســـونيس الفارسى صديق الساموسيين أرسل اليه عشرة آلاف قطعة ذهبية لارضائه عنهم رفض بركليس كل هذا ونفذ فى الساموسيين ارادته ، وأقام فى بلادهم حكومة ديموقراطية ثم عاد الى أثينا • وما كاد يرحل حتى أسرع بسوثنيس وأطلق سراح أسرى الساموسيين واستعدوا للحرب • عاد اليهم بركليس فألفاهم فى غير دهشـــة ولا وجل مصممين على القتـــال يريدون السيادة على البحر • نشبت بينهم حرب البحرية الضروس بالقرب من جزيرة تارجية وانتصر بركليس انتصارا عظيما لأنه بأربع وأربعين سفينة هزم سبعين ، منها عشرون ملأى بالجنود •

ولما تم له النصر تعقب الساموسيين الى مينائهم واستولى عليه وحاصر المدينة • استبسل المحـــاصرون فى الدفاع ثم فتحوا أبوابهم وتقدموا للقتال أمام معاقلهم : وفى هذه الأثناء وصلت الى بركليس عمارة أوفر عددا من الأولى فحاصر المكان ثم اتخذ ستين سفينة وغادر الجزيرة قاصدا على ما يقول أكثر المؤرخين ، لملاقاة أسطول أرســله الفينقيون حلفــاء ساموس ، أراد بذلك القتال بعيدا عن الجزيرة • ويزعم ستاز ميروت أنه أراد الحملة على قبرص • والظاهر أن هذا غير صحيح • ومهما تكن نيته فقد أثبتت الحوادث أنه أخطأ • ذلك أنه ما ابتعد حتى ينهض الفيلسوف ماليسيوس بن أتاجانيس قائد الساموسيين استخفى بالسفن الباقية أو بقوادها فأمر مواطنيه بمهاجمة المحاصرين فهاجموهم وانتصروا وقتلوا من أعدائهم خلقا كثيرا وأغرقوا الكثير من سفنهم • واذ صار البحر حرا احتلوا المدن والذخائر الى مدينتهم ميدان التى كانوا محرومين منها ، وقال بركليس ، ان ماليســيوس ســبق له أن انتصر عليــه قبل هذه

الموقعة • أهان الساموسيون ، الأثينيين بمثل ما أهانوه • طبعوا على جبين كل منهم صورة نومة ، كما طبع الأثينيون على جبين كل من رجالهم صورة « ساموسية » وهى سفينة وطيئة المقام عريضة مجوفة ، مما يجعلها سريعة السير خفية • وقد رعيت ساموسته لأن الأولى من نوعها بقيت فى ساموس بأمر الطاغية بوليقراط •

الى هذا الطابع أشار أرسطوفان بقوله : ان شعب ساموس قدير فى طباعة الحروف •

علم بركليس بهذا الخذلان فأسرع العودة الى رجاله ، قاتل ماتيسيوس وقهره وألزمه الفرار • واعتزم التغلب على مقاومة المحاصرين والاستيلاء على مدينتهم ولكنه فضل التفريط فى المال والزمن عن التضحية بالرجال • فأحاط المكان بسور دائر • مل الأثينيون الحصار وألحوا فى طلب القتال ولم يبق فى الامكان منعهم • فقسم بركليس جيشه الى ثمانى فرق • وألقى بينها القرعة • فالفرقة التى يكون نصيبها فولة بيضاء ترتاح وتنعم • ويكون نصيب الأخرى القتال • ولهذه الحادثة يقول الذين يقضون يومهم بين الراحة واللذة أنهم قضوا يوما أبيض اشارة الى قوله ساموس البيضاء • ويقول « أفور » ان بركليس استخدم فى هذه الحرب آلات حربية لأنه كان مولعا بهذا الاختراع الجديد الذى ابتدعه المهندس الميكانيكى أرتمون • وكان أرتمون هذا أعرج يحمل على محفة الى حيث يقتضى العمل وجوده • لذلك أطلقوا عليه لقب « لبوريفوريت » (١) •

وقد كذب هيراكليد البونتى دعوى أفور مستشهدا بأشعار قالها أناكريوت ذكر فيها رجلا يدعى أرتمون بريفوريت •

قبل حصار ساموس بعدة قرون • وأرتمون الذى ذكره الشاعر رجل رقيق خامل جبان لم يكن يجرؤ على الخروج من منزله ، يبقى فيه جالسا يظلله خادمان بالدروع خشبية أن يسقط عليه شىء • واذا اضطر للخروج حمل على محفة وطيئة ، ولذلك دعى بوريفوريت •

---

(١) مؤلفة من كلمتين (برى) و (فرو) • (الذى يحمل من مكان الى مكان) •

سلم الساموسيون بعد حصار دام تسعة شهور فهدم بركليس أسوار المدينة وأخذ جميع السفن وضرب عليهم غرامة فادحة • دفعوا منها لفورهم جانبا وتعهدوا بدفع الباقي أقساطا فى مواعيد محددة وقدموا الرهائن ضمانا • اتهم دوريسن الساموسى الاثينيين وبركليس بالتفنن فى ضروب القسوة مما لم يذكره توسيديد وافور ولا أرسطو يزعم والواقع يكذبه ان بركليس جاء بضباط السفن والبحارة وأوقفهم فى ساحة ميلة مشدودين الى أعمدة حيث بقوا عشرة أيام ولما خارت قواهم أمر بقتلهم ضربا بالعصى • وطرح جثته بلا دفن • ولكن دوريسن لم يكن من طبعه تحرى الحقيقة فيما يكتب حتى فيما لا يمسه فلا غرابة أن يغالى فى وصف بكنه وطنه تشنيعا على الأثينيين •

تمت هزيمة ساموس وعاد بركليس الى أثينا وأقام لضحايا الحرب حفلة جليلة حيث ألقى خطبة التأبين بين تصفيق الجميع وعندما نزل عن المنبر قدمت اليه النساء التيجان والأكاليل كأنه مصارع مبرز ولكن البينيس دنا منه • وقال نعم يا بركليس انه لمما يستحق الاعجاب ولما يستحق هذه الأكاليل أن تهلك أولئك الوطنيين البواسل لا فى محاربة الفينيقيين أو الفرس كما فعل أخى سيمون بل فى خراب مدينة مليفة مدينة هى شقيقة أثينا ! » اصغى اليه بركليس دون أن يبدى حركة ثم أجابه باسما يقول أرخيلوك : « أيتها العجوز لازلت تتضمخين بالطيب » •

وقال الشاعريون انه بعد انتصاره على الساموسيين امتلأ اعجابا بنفسه واستعظم قدرته ومن أقواله : « صرف أجا ميمنون عشر سنوات للاستيلاء على مدينة بربرية • ولم أصرف سوى تسعة شهور للاستيلاء على أولى مدن يوفى وأقدرها » • والحقيقة أن له من هذه الحرب ، ما يدعو للمفاخرة بما وقع أثناءها من الشدائد والمخاطر حتى قال توسيديد ان الساموسيين كادوا يسلبون الأثينيين سيادة البحار •

رأى بعد هذه الحملة أن أمواج الحرب البلوبونيزية أخذت فى الارتفاع فدعا قومه الى نصرة الكورسيريين اذا اعتدى عليهم الكورنثيون ؟ أراد بذلك أن يكسب فرقته صداقة جزيرة قوية بسفنها فى وقت يوشك

فيه أهالى بيلوبونيز أن يضروا أعداءهـا . قبل اقتراحـه فأرسـل الى كورسير ، لاسيد مونيوس بن سيمون أمكربه . ولم يعطه سـوى عشر سفن لعلمه ان صلات الود بين أسرة سيمون والبيلوبونيزيين ونيقه،فاذا قام هذا القائد بعمل باهر مجيد تذرع بذكره لاتهامه بالتواطؤ معهم لذلك لم يعطه سوى القليل من السفن وكلفه القيادة رغم أنفه . وكان كل همه الحط من قدر أبناء سيمون بدعوى أنهم وطنيون غرباء ، دخلاء ، أجانب حتى فى أسمائهم ، وكان أحدهم يدعى لاسيدمونيوى . والآخر تسـاليوس والثالث ألايوس والمعروف ان والدتهم أركادية .

أحس بركليس بما وجه اليه الناس من اللوم لاقتصاره على ارسال عشر سفن وهى عدة لا تغنى فى المساعدة وتجعل اليد العليـا لخصومه السياسيين . فأتبع الحملة أسطولا ضخما لم يصل الا بعد نهاية الموقعة . استاء الكورنثيون فرفعوا شكاتهم ضد الأثينيين الى سبارطة ، وانضم اليهم المجاريون متظلمين من أن جميع أسواق أثينا وموانيها مقفلة فى وجوههم خلافا للحقوق المشتركة والعهود المتبادلة المعقودة بين جميع اليونانيين . لم يجرؤ الأجنبيون على الجهر بالشـكوى مما عده امتهـان الأثينيين لهم واستعمال العنف فى معاملتهم،فأرسلوا شكاتهم سرا الى سبارطة . فى هذا الوقت ثارت بوتيدة وهى مستعمرة كورنثية ولكنها خاضعة لأثينا . قام الاثينيون بمحاصرتهم فكان عملهم استعجالا للحرب . أوفدت الرسل الى أثينا وكان أرخيلاموس قد سـوى جميع وجـوه الخلاف وهدأ ثائـرة الحلفاء ، وكاد الصلح العام يتم . ولم يكن الأثينيون ليشبوا نار الحرب . نظرا لما نسب اليهم من الأخطـاء ، لو أنهم قبلوا سـحب قرارهم ضد ميجاريا وصالحوا الميجاريين .

ولكن بركليس أبى عليهم سحب القرار وحث الشعب على احتقان العداوة للمجاريين ولذلك تلقى مسئولية الحرب عليه وحده .

جاء وفد سبارطى الى أثينا ، فقدم بركليس قانونا يحـرم تحطيم اللوحة التى كتب عليها القرار . فقال بوليارسيس أحـد رجال الوفد ، حسن لا تحطمها ، اقبلها القانون لا يمنع ذلك .

جاءت هذه الكلمة مرضية ولكن بركليس أصر على عناده • فمن المحتمل ان كان يحقد على الميجاريين لشـأن خاص • ولكنـه أراد ستر حقده تحت ستار المصلحة العامة التى يمكن اعلانها فاتهمهم بالاعتداء على أرض مقدسة حرم حرثها وقرر ارسال مندوب من قبل الدولة يعرض عليهم الشكوى ثم يذهب الى سبارطة لتأييد التهمة • وكان القرار الذى اصدره بركليس مفرغا فى قالب الرقه والاعتدال ولكن أنتيموكريت الذى أرسل المهمة مات أثناء تأديتهـا • نسب موته الى الميجاريين وأصـدر شـاربنوس قرارا أنه من الآن فصـاعدا يكون البدء بين أتينا وميجاريا عدوا لا صلح معه ولا هدنة • وأن كل محاربى (المجاريين) يضع قدمه على أرض أتيكا يكون عقابه الموت • وأن يقسـم القواد عنـد الحلف القانونى أن يقوموا فى سنة قيادتهم بحملتين على ميجاريدة • وأن يدفن أنتيموكريت بالقرب من الأبواب التربازية المعروفة اليوم باسم « ديبيل » (الباب المزدوج) •

ينفى المجاريون تهمة موت أنتيموكريت عن أنفسهم وينسبونهـا الى بركليس واسبازيا مستندين الى ما جـاء برواية الاشارنيين (١) ولاكته الألسن ، وهو : يذهب شبان الى ميجاريا ويسكرون ثم يطغون المحظية سيماته • فيدفع الألم الميجاريين محظيتين من محظيات أسبازيا •

وعليه ليس من السهل ان نعرف السبب الحقيقى للحرب ولكن المؤرخين مجمعون على أن بركليس وحده هو الذى منع سـحب القرار • وينسب البعض ذلك الى عظمة نفسه وحدة بصيرته فى مصالح بلاده تلك البصيرة التى أرته فى الحاح السبارطيين فى هذه المسألة نية محاولتهم اخضاع أثينا حتى اذا تنازلت كان ذلك اعترافا منها بضعفها • ويذهب الى أن الذى حمله على الاسـتهانة بانذارات سبارطة هو الأنانية والرغبة فى اظهار قوته • ولكن أخبث ما قيل من الأسباب لهذه الحرب وأكثرها رواية هو ما يأتى :

---

(١) كومديه لارشوفان (سولوده) •

كان المثال فيدياس على ما ذكرنا قائما بصنع تمثال منيرفا ٠ وكان صديقا لبركليس ينعم بثقته التامة ٠ أوغرت هذه الصداقة عليه نفوس جماعة من حساده ٠ وحاول البعض ان يعمل به ما يعمله الشعب ببركليس اذا قدم للمحاكمة ٠ استمالوا أحد عمال فيدياس وكان يدعى مانون ، ذهب مانون هذا الى الساحة العمومية ووقف وقفة الضارع المتوسل وطلب الأمان لمقاضاة فيدياس واتهامه ٠ قبل الشعب طلب هذا الرجل وعرضت القضية أمام المجلس العام لكن خصومه لم يستطيعوا أن يثبتوا عليه تهمة السرقة التى نسبوها اليه وذلك لأن فيدياس حسب اشارة بركليس يضع جميع القطع الذهبية الداخلة فى التمثال بحيث يسهل نزعها ووزنها ٠ وهذا ما أمر بركليس المدعين باختياره ٠ وهناك سبب لبغضهم فيدياس وهو شهرته ٠ لاسيما عندما مثل نفسه على درع الآلهة فى حرب الامازون أصلع يرفع حجرا بيديه ٠ ولأنه أقام تمثالا بديع الصورة لبركليس يحارب أمازونية (مترجلة) كانت يده المرفوعة لرماية السهم تغطى على نوع ما ، جانبا من وجهه ٠ ولكن هذه اليد وضعت وضعا فنيا بديعا كأنها تريد اخفاء النسبه ولكن التشبيه كان بارزا من الجانبين على اسمه ٠ زج فيدياس فى السجن حيث قتله المرض أو كما يقول بعض الكتاب ، سم أعدائه ٠ افتعلوا هذه الفعلة وقيعة ببركليس ٠ أما المدعي مانون فقد أعفاه الشعب بناء على طلب جايكون من الضرائب وأمروا الحراس بحمايته ٠

وفى هذا الوقت كانت أسبازيا تدفع عنها تهمة منكرة وجهها اليها الشاعر الماجن هرمييوس (١) ، والتهمة أنها تأوي نساء حرائر تقدمهن الى بركليس وقدم أيوبيت قانونا يأمر كل الناس بالتبليغ عن كل من لا يؤمن بآلهة الدولة أو يتناول الحوادث العمومية بشرح ٠ أراد بذلك القاء الشبهة على بركليس لاتصاله بأناجزاكور ٠ قبل الشعب القانون راضيا وأباح اتخاذ الاجراءات ٠ وقدم داركونتيدس مرسوما آخر بأن يقدم بركليس حساب ادارته المالية ٠ وأن يحكم القضاة فى ذلك بالمدينية فى هيكل منيرفا ٠ ولكن أنيون عدل المشروع بأن استبدل البند الثانى وجعله

---

(١) أحد شعراء الكوميديا القديمة ٠

ان يعهد بالحكم فى ذلك الى ألف وخمسمائة رجل · وأن يعين المدعى أحد لجريمة · اسقاط · أو غش أو خطأ ·

قال أشين (١) ان اسبازيا لم تنج من الحكم الا بفضل دموع بركليس وتضرعاته لجميع القضاة أثناء النظر فى القضية · ولخوفه على أناجزاكور أخرجه من المدينه وصحبه بنفسه حتى خارج أسوارها · أما قضية فيدياس فقد أضعفت شهرة بركليس : واذ داخله الريب فيما يتهدده من حكم نفخ فى موقد الحرب الذى كان على وشك الاشتعال . أملا أن يقضى بذلك على الدعاوى ويضعف حدة الغيرة والحسد لأنه متى اشتدت الضائقة على أثينا وأحدق بها الخطر ، ألقت بنفسها بين يديه لما أحاط به نفسها من سلطان ورعاية · هذه هى الأسباب التى يعللون بها منعه الشعب عن اجابة السبارطيين الى طلبهم على أنه لا يمكن معرفة أسباب الحرب معرفة حقيقية ·

ولما كان السبارطيون اذا تمكنوا من قلب سلطانه أصبح الأثينيون ألين جانبا طلبوا الى هؤلاء أن ينفوا من المدينة كل نجس · اعتمادا على قول توسيديدان بركليس يرجع بنسب والدته الى جنس حقت عليه اللعنة ولكن حيلتهم عادت بنتيجة عكسية خابت معها آمالهم · ذلك أن الأثينيين بدل أن يصفوا اليهم ويستحيوا نقتهم من رئيسهم وينفوه ازدادوا به ثقة واحتراما اذ رأوا الأعداء تبغضه وتخشاه · لذلك قبل أن يهاجم ارخيداموس اتيكا بجيوشه ، أعلن بركليس الاثينيين انه اذا احتاج الأعداء الحقول ولم يمسوا أملاكه سواء أكان ذلك رعاية لعلاقات المودة والضيافة التى تربط أهلها برئيسهم أقصد اعطاء خصومه السياسيين فرصة للتشنيع عليه ، فانه يمنح الجمهورية جميع حقوله ومزارعه ·

أغار الملك ارخيداموس بجيش عرمرم من السبارطيين وحلفائهم على اتيكا واجتاحوا المزارع وعسكروا بالقرب من اشارنة اعتقادا منهم أن الاثينيين لا يطيقون صبرا وأن ثورة الغضب ستدفعهم الى القتال ·

---

(١) الخطيب المشهور مناظر « ديموسينوس » ·

ولكن بركليس رأى من الخطر أن يعرض المدينة لقتال تحارب فيه ضد ستين ألف جندى عدا دول الجيش من البيوتيين والسبارطيين . ولكن الاتينيين هاجهم ما راوا من العبث بمزارعهم ، فطلبوا حوض عمار الحرب ، ولكنه كان يهدىء ثائرتهم بقوله ان الأشجار اذا قطعت نبتت ثانية أما الرجال اذا ماتوا فلا تسهل اعادتهم الى الحياة . ولم يدع جمعية الشعب خشية ان يضطر الى العمل على غير ما رسمه . ان لغوبى الحكيم اذا فاجأته العاصفة سعى الى تنظيم كل شىء ويستعد للمقاومه غير معول الا على خبرته لا يبالى بدموع الركاب الذين أخذهم دوار البحر واستولى عليهم الفزع . لذلك كان بركليس بعد أن أحكم حياته مداخل المدينة ووزع الحرس على أماكن الدفاع ومكن أسباب الطمأنينه لا يصغى الا لحكمته وخبرته غير مبال بشكوى وانفعالات المحاصرين ولا بالحاح أصدقائه ولا تهديد أعدائه . كان الكل يزيد الأهاجى ضده ساخرين بشخصيته يتهمونه بالنذالة والجبن محقرين شأنه متهكمين على قيادته التى تركت كل شىء نهبا للسالبين . وقد بلغ من كلاون أن اشتد عليه وانتهز فرصة هياج الشعب وشق لنفسه طريقا بينة حيث علت كلمته ، كما يستفاد من قول هرميبوس : « يا ملك الكلام لماذا لا تحمل الرمح ، وتقصر جهدك على خطب تلقيها عن الحرب ، وقلبك فى الشجاعة كقلب فليس ، أيها الذنب الصلد الذى يشحذ السيف لماذا تفزع لرؤيته فأس الحرب . وتدع كلاون المنقذ غيره يعضك ؟ » .

بقى بركليس لا يتزعزع متحملا الاهانة والعداء بصبر وطول أناة . أرسل الى سبارطة عمارة مؤلفة من مائة سفينة وبدل أن يتولى قيادتها بنفسه بقى فى مدينة حرصا على بقائها فى قبضته الى أن ينسحب الجيش السبارطى . واذا كانت الحرب قد أثارت النفوس عمد الى بهدئنها بتوزيع الأموال واهدار المراسيم بتقسيم الأراضى المكتسبة : طرد الايجيين من جزيرتهم واقترع على أملاكهم بين الاثينيين .

وقد وجد هؤلاء عزاء فيما أصاب أعداءهم من الأذى طافت العمارة أنحاء بيلوبونيز تخرب وتتلف المزارع والقرى والمدن الصغيرة . ثم هاجم بريكليس الميجاريد سرا ، واكتسبها فاذا كان السبارطيون قد أضروا

بالاثينيين فانهم لم ينجوا من الضرر فلا يستطيعون الاستمرار على القتال ولم يكن لهم بد من العدول عنها كما ارتأى بركليس ، لو لم تدخل قوة علوية فعطلت وأفسدت تدبير الانسان • انتشر الطاعون فحصد زهرة وقوة الشبيبة الاثينية • وابتلى الأجسام والنفوس فثار الكل في وجه بركليس ثورة المرضى المحمومين في وجـه أطبـائهم • فعـاملوه بالعسـف والاساءة • وقد أدخل خصومه في نفوس الشعب أن سبب هذا البلاء أنه نقل الى المدينة عددا كبيرا من سكان الريف يسكنون مكدسين ابان حرارة الصيف في مساكن ضيقة لا هواء فيها حيث يجتمعون طول نهارهم بلا عمل وهم معتادون استنشاق الهواء الطلق النقى • والذى افتعل ذلك هو الذى أحدث هذه الحرب وهو الذى حشد هذه الجماهير بين أسـوارنا حيث لا عمل لهم تحشرهم حشر البهـائم في الحظيرة • تفشو بينهم العدوى ولم يعن بتغير حالهم أو نقلهم الى ما اعتادوه من الهواء الطلق •

أعد بركليس تفاديا من هذا الخطر ونكاية بالأعداء مائة وخمسين سفينة جهزها بالأبطال من المشاة والفرسان فملأ قلوب الأعداء فزعا وقلوب الاثينيين أملا ، وفيما كان كل شيء قد أعده والجيش على أتمه وبركليس على سفينته كسفت الشمس ، فاستولى الفزع على الجميع لهذا الظلام الفجائي وحسبوه نذير سوء • رأى بركليس نوتى السفينة مبهوتا حائرا يئسا فنشر رداءه أمام عينيه ولف به رأسه وسأله هل يرى فى هذا داعيا المخوف أو التشاؤم ؟ فقال النوتى : كلا • فقال : وما الفرق بين هذا وذلك ،غير أن الذى أحدث هذا الظلام أكبر من ردائى ؟ هذا ما يروى فى مدارس الفلاسـفة •

أبحر بركليس ولكن النتيجة التى انتهى اليها لم تتفق مع هذا الاستيلاء عليها أخطأهم التوفيق • ذلك أن الطاعون فشـا فى الجيش ولم يقض على الأثينيين بل وعلى كل من يدخـل المعسـكرات أو يدنو منها • اتهموه بأنه علة هذا البلاء فحاول تعزيتهم وتشجيعهم ، ولكنه لم يستطع تهدئة الخواطر أو تغيير نفوسهم • رفعوا ضده الدعوى وأخذوا

الأصوات فحكمت الغالبية بتجريده من القيادة والحكم عليه بغرامة . يقول بعض المؤرخين انها خمسه عشر تالانت ويقول البعض انها خمسون . ويقول اروماتيه ان المدعى هو كلاون ويقول نيوفراست انه اسيمياس ويقول هيراكليد انه لاكراتيداس .

لم يطل زمن المعاكسات ، لقد أصابه الشعب بجرح أدمى قلبه ولكنه ابقى غضبة في جرحه ، لوهم هذا التعبير . غير ان بركليس وقع تحت ضربات حزن عائلية . خرمه الطاعون كثيرا من اصدقائه . والمه الشقاق المتحكم في منزله . كان اكسانتيب بكر أبنائه الشرعيين مسرفا بطبيعتـــه وتزوج امرأة مبذره . وهي أمينه اراندرابيليكوس ، ســاء هذا الولد حرص والده وشحه اقترض من أحد أصحابه باسم والده مبلغا من المال فأقرضه . ولما جاء يطالبه برد المبلغ أنكره بركليس وقاضاه غضب الولد وسار في المدينة يشنع على والده متعمدا السخرية بوالده يروى لكل من قـابله أحاديث عن حيـاته العائليـة . وأحاديثـه مع السوفسطائيين ومن رواياته عنه أن مصرع قتل غير متعمد حصان ابيميوس بسهم أرداه . فقضى بركليس يوما كاملا في البحث مع بروتاجوراس عمن يصح اتهامه عقلا أهو السهم أو الذى رمى به . أم الأخونوتيت . ويقول ستازمبروت ، ان الذى أشاع ما يروى عن امرأة اكسانيتب هو اكسانيتب نفسه. وانه مات قبل أن يصالح والده. أهلكه الطاعون. فقد بركليس شقيقه وأكثر أهله وأصحابه ممن كان معتمدا على مشورتهم في حكومته. ولكن كل هذه النكبات لم تكن تفل من عزمه أو تذهب بشيء من عظمة نفسه. فلم ير أبدا باكيا ولم يقم مأتما ولا وقف على قبر عزيز. ولكن عندما احتسب في بارالوس آخر أبنائه الشرعيين. حاول التجلد عبثا وذهب جهده في الاحتفاظ بعزيمته سدى ، خارت قواه وعندما تقدم الى الجثة يضـع عليهـا اكليلا خانه جلده واستولى عليه الحزن وعلا صـوته بالشهق وسالت عيونه بالدموع وكانت هذه أول مرة في حيـاته رآه الناس مستسلما لليأس .

جرب الاثينيون الكثير من الضباط والخطباء لقيادة هذه الحرب ولكن ما من أحد منهم كان لها كفؤا . فأسفوا عليه واستدعوه الى المقر ورياسة

الجند . ولكنه كان قد لزم بيته مكتئبا حزينا ولكن ألسيبياد وأصدقاءه حضوه على الظهور ، واحتذر الشعب عن جموده وأعيد انتخاب بركليس قائدا عاما وعاد تولى شئون الحكومة ، وكان همه اعادة النظر فى قانون الأبناء لغير الشرعيين الذى وضعه قبلا أراد أن تبقى ضياع ذكره اذ لم يبق له أبناء شرعيون • وضع هذا القانون ابان مجده الأول حين كان له أبناء شرعيون • وفحواه ان لا يكون الانسان اثينيا الا اذا كان أبوه وأمه أثينيين • وحدث أن ملك مصر أهدى الى الشعب أربعين ألف (مد) مديوم من القمح هاجت النفوس عند توزيعها وكثرت الشكاوى ضد من لا يستحقون حتى بلغ عدد هؤلاء خمسة آلاف تعددت التهم الكاذبة ، هذا ابن غير شرعى ، وهذا عبد بيع ، وقد لقى الكاذبون جزاءهم على أن التعداد أثبت ان ليس فى المدينة من يستحق لقب وطنى أثينى سوى اربعة عشر ألفا وأربعين •

وانه لمن الحوادث الخطيرة أن قانونا لهذا نفذ بتلك الشدة يلفيه من أصدره • ولكن الأثينيين رثوا لمصابه وعدوه جزاء سماويا له على شدة ابائه وكبريائه واعتقدوا أن السماء تولت عقابه وأنه يستحق العطف ، فسمحوا له أن يقيد ابنه غير الشرعى فى عداد الوطنيين وأن يمنحه لقبه • هزم هذا الولد عمارة بيلوبونيز فى جزائر أرجينوس ، ولكن لقى حتفه فى أثينا ، حيث حكم الشعب عليه وعلى زملائه القواد بالمـــوت •

حينئذ أصيب بركليس بالطاعون ولكنه لم يفتك به فتكه السريع بسواه ، بل كان فعله بطيئا وطال به عهده فى عوارض مختلفة يهزل بدنه ويضعف نفسه روى ثيوفراست فى بحثه « الخلقى » ، هل تغير الحوادث خلق الرجل وهل تبدله أهواء الجسم فتبعد به عند الفضيلة : زار صديق بركليس أثناء مرضه فأراه تميمة علقتها النساء في عنقه مستدلا بقبوله هذه السخافة على أنه فى حالة زرية جدا •

كان كبار الوطنيين والباقون من أصحابه حول فراشه عند موته يتحدثون بما له من قدر وما كان له من سلطان وما غنم الاثينيون من نصر تحت امرته يعدون من مفاخره تسنعة أكاليل تخلد ذكره . كانوا يتحدثون بذلك واهمين أنه فقد صوابه وأنه لا يعنى ما يقولون . ولكنه كان مصغيا لحديثهم وقاطعهم على فجأة منهم بقوله : انه يعجب لهم اذ يثنون عليه بانتصارات للحظ فيها نصيبه ويشاركه فيها غيره من القواد ، ولكنهم لا يذكرون له أجل وأجمل ما عمل فى حياته . ذلك : « انى لم ألبس أثينيا ثوب الحداد » .

علينا أن نعجب كل العجب باللطف والدعة اللذين كانا حليته ابان مهامه العديدة حيث كان غرضا لمختلف الضغائن والأحقاد . انا لنعجب به لهذه العواطف السامية التى جعلته يعتقد أن أسمى مفاخره أنه مع ما كان له من سلطان طويل الأمد لم يلن لحقد ولا غضب ولم يقس على عدو : ولم يكن هذا اللقب على ضخامته وجلاله ، لقب الأولمبى ليمنع عنه حسد الحاسدين ويجعله حقيقا بركليس . لولا دماثة أخلاقه وطهارة حياته فى حكمه ونقاء سيرته التى لم تشبها شائبة . لذلك نعتقد أن الآلهة ملوك وسادة جميع المخلوقات ينابيع خير لا شر فيها . انا لا نشوش أفكارنا بما يدعيه الشعراء من أقوال وتعاليم كلها هوش واضطراب . انهم يمثلون لنا ما يدعونه مساكن الآلهة مواطن يسودها الهدوء التام لا يتسرب اليه ، هياج ولا رياح ولا غيوم تحيط بها الروعة وينيرها صفاء دائم . هذا ما يجب أن تكون عليه مساكن الطوباويين (الخالدين) . ولكن هؤلاء الشعراء يمثلون لنا الآلهة فى اضطرابات مستمرة وأحقاد وانفعالات وأهواء لا تليق بالعقلاء من الناس . ولكن هذا البحث حقيق بمؤلف خاص .

هذبت الحوادث التى تلت بركليس نفوس الأثينيين فعرفوا للرجل قيمته وأسفوا لموته فى غير مواربة . وقد اعترف الذين كانوا ينقمون عليه تفوقه بعد موته وبعدما خبروا غيره من القواد والخطباء ان لم يكن مثله رجل جمع بين الاعتدال والعظمة والرقة والجلال .

وذلك السلطان الذى حفظ عليه القلوب ذلك الذى كانوا يدعونه ملكية واستبدادا • علموا أخيرا أنها لم تكن سبيلا للسلام • انغمست الحكومة بعده فى المفاسد والشهوات التى كان يكرهها على الانزواء ويكره من شرتها بما كان يلقى عليها من الزراية والهوان مضارات مما لا يستعصى شفاؤه •

صدر من هذه السلسلة

أولاً: الموسوعات والمعاجم

ليونارد كوتريل، الموسوعة الأثرية العالميه
ويليام بيتر، معجم التكنولوجيا الحيوية
ج.كارفيل، تبسيط المفاهيم الهندسية
ب. كوملان، الأساطير الإغريقية والرومانية
و. د. هاملتون وآخرون، المعجم الجيولوجي المصور في المعادن والصخور والحفريات
حسام الدين زكريا، المعجم الشامل للموسيقى العالمية (ج١)
خيرية البشلاوى،معجم المصطلحات السينمائية
دونالد نيكول، معجم التراجم البيزنطية

ثانياً: الدراسات الاستراتيجية وقضايا العصر

د.محمد نعمان جلال، حركة عدم الانحياز في عالم متغير
إريك موريس؛ آلان هو، الإرهاب
ممدوح عطية، البرنامج النووى الإسرائيلى
د. لينوار تشامبرز رايت، سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إزاء مصر
إزرا .ف. فوجل، المعجزة اليابانية
د. السيد نصر السيد، إطلالات على الزمن الآتى
بول هاريسون، العالم الثالث غداً
مجموعة من العلماء، مبادرة الدفاع الاستراتيجى: حرب الفضاء
و. مونتجمرى وات، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر
هادى أونيمود، أفريقيا الطريق الآخر
فانس بكارد ، إنهم يصنعون البشر (٢ج)
مارتن فان كريفلد،حرب المستقبل
ألفين توفلر ، تحول السلطة (٢ج)
ممدوح حامد عطية ، إنهم يقتلون البيئة
د.السيد أمين شلبي، جورج كينان
يوسف شرارة ، مشكلات القرن الحادى والعشرين والعلاقات الدولية
د. السيد عليوة، إدارة الصراعات الدولية
د. السيد عليوة، صنع القرار السياسى
جرج كاشمان، لماذا تنشب الحروب(٢ج)
إيمانويل هيمان، الأصولية اليهودية
أنجيلو كودفيلا، المخابرات وفن الحكم
آلان أنترسان، اليهود (عقائدهم الدينية وعباداتهم)

ثالثاً: العلوم والتكنولوجيا

ميكائيل أليى، الانقراض الكبير
فيرنر هيزنبرج، الجزء والكل: محاورات في مضمار الفيزياء الذرية
فريد هويل، البذور الكونية
ويليام بينز، الهندسة الوراثية للجميع
د. جوهان دورشنر، الحياة في الكون كيف نشأت وأين توجد
إسحق عظيموف، الشموس المتفجرة (أسرار السوبرنوفا)
روبرت لافور، البرمجة بلغة السى باستخدام تيربوسى (٢ج)
إدوارد ايه فايجينباوم، الجيل الخامس للحاسوب

د. محمود سرى طه، الكمبيوتر فى مجالات الحياة

د. مصطفى عنانى، الميكروكمبيوتر

ى. رادو نسكاياى ، الإلكترونيات والحياة الحديثة

جلال عبد الفتاح، الكون ذلك المجهول

إيفرى شاتزمان، كوننا المتمدد

فرد س. هيس، تبسيط الكيمياء

كاتى ثير، تربية الدواجن

د.محمد زينهم، تكنولوجيا فن الزجاج

لارى جونيك ومارك هوبليس، الوراثة والهندسة الوراثية بالكاريكاتير

جينا كولاتا، الطريق إلى دوللى

دور كاس ماكلينتوك، صور أفريقية: نظرة على حيوانات أفريقيا

إسحق عظيموف، أفكار العلم العظيمة

د.مصطفى محمود سليمان، الزلازل

بول دافيز، الدقائق الثلاث الأخيرة

ويليام هـ... ماثيوز، ما هى الجيولوجيا؟

إسحق عظيموف، العلم وآفاق المستقبل

ب. س. ديفيز، المفهوم الحديث للمكان والزمان

د. محمود سرى طه، الاتجاهات المعاصرة فى عالم الطاقة

بانش هوفمان، آينشتين .

زافيلسكى ف. س.، الزمن وقياسه

ر .ج. فوربس، تاريخ العلم والتكنولوجيا (ج٢)

د.فاضل أحمد الطائى، أعلام العرب فى الكيمياء

رولاند جاكسون، الكيمياء فى خدمة الإنسان

إبراهيم الفرصاوى، أجهزة تكييف الهواء

ديفيد ألدرتون، تربية أسماك الزينة

أندريه سكوت، جوهر الطبيعة

إيجور إكيموشكين، الإيثولوجي

بارى باركر، السفر فى الزمان الكونى

ديمترى ترايفونوف، ظلال الكيمياء

بول ديفز، جونز جريبين، أسطورة المادة

جيفرى ماوسايف ماسون، حين تبكى الأفيال

ليونارد أ. كول، السلاح الحادى عشر

و. جراهام ريتشاردز، أسرار الكيمياء

د. زين العابدين متولى، وبالنجم هم يهتدون

رابعاً: الاقتصاد

ديفيد وليام ماكدوال، مجموعات النقود (صيانتها، تصنيفها، عرضها)

د. نورمان كلارك، الاقتصاد السياسى للعلم والتكنولوجيا

سامى عبد المعطى، التخطيط السياحى فى مصر

جابر الجزار، ماستريخت والاقتصاد المصرى

ولت ويتمان روستو، حوار حول التنمية الاقتصادية

فيكتور مورجان، تاريخ النقود

د. تشارلز سى مانز، إدارة الأعمال بلا مديرين

خامساً: مصر عبر العصور

محرم كمال، الحكم والأمثال والنصائح عند المصريين القدماء

فرانسوا ديماس،آلهة مصر

سيريل ألدريد، إخناتون

موريس بيربير، صناع الخلود .

بكنت أ. كتشن، رمسيس الثانى: فرعون المجد والانتصار
ألن شورتر، الحياة اليومية فى مصر القديمة
ونفرد هولمز، كانت ملكة على مصر
جاك كرابس جونيور، كتابة التاريخ فى مصر
نفتالى لويس، مصر الرومانية
عبده مباشر، البحرية المصرية من محمد على للسادات (١٨٠٥ ــ ١٩٧٣)
د. السيد طه أبو سديرة، الحرف والصناعات فى مصر الإسلامية
جابرييل باير، تاريخ ملكية الأراضى فى مصر الحديثة
عاصم محمد رزق، مراكز الصناعة فى مصر الإسلامية
ت. ج. هـ. جيمز، كنوز الفراعنة
حسن كمال، الطب المصرى القديم
أ. أ. س. إدواردز، أهرام مصر
سومرر كلارك، الآثار القبطية فى وادى النيل
كريستيان ديروش نوبلكور، المرأة الفرعونية
بيل شول وأدبنيت، القوة النفسية للأهرام
جيمس هنرى برستد، تاريخ مصر
د. بيارد دودج، الأزهر فى ألف عام
أ. سبنسر، الموتى وعالمهم فى مصر القديمة
ألفريد ج. بتلر، الكنائس القبطية القديمة فى مصر (ج٢)
رور أليندم، الطفل المصرى القديم
ج. و. مكفرسون، الموالد فى مصر
جون لويس بوركهارت، العادات والتقاليد المصرية من الأمثال الشعبية
سوزان راتييه، حتشبسوت

مرجريت مرى، مصر ومجدها الغابر
أولج فولكف، القاهرة مدينة ألف ليلة وليلة
د. محمد أنور شكرى، الفن المصرى القديم
ت.ج. جيمز، الحياة أيام الفراعنة
إيفان كونج، السحر والسحرة عند الفراعنة
تشارلز نيمس، طيبة (آثار الأقصر)
رندل كلارك، الرمز والأسطورة فى مصر القديمة
ديمترى ميكس، الحياة اليومية للآلهة الفرعونية
محمد عبد الحميد بسيونى، بانوراما فرعونية
حمدى عثمان، هؤلاء حكموا مصر
جوزيف دلى، العمارة العربية فى مصر
ميكل ونتر، المجتمع المصرى تحت الحكم العثمانى
بربارة واترسون، أقباط مصر
إيريك هورنونج، فكرة فى صورة
بيير جرانديه، رمسيس الثالث

سادساً: الكلاسيكيات

جاليليو جاليليه، حوار حول النظامين الرئيسين للكون (٣ج)
وليم مارسدن، رحلات ماركو بولو (٣ج)
أبو القاسم الفردوسى، الشاهنامة (٢ج)
إدوارد جيبون، اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها (٣ج)
ناصر خسرو علوى، سفر نامة
فيليب عطية، ترانيم زرادشت
جورج جاموف، بداية بلا نهاية
محمد كرد على، بين المدنية العربية والأوربية

سابعاً: الفن التشكيلى والموسيقى

عرير الشوان، الموسيقى تعبير نغمى ومنطق
ألوين جرايتر، موتسارت

شوكت الربيعي، الفن التشكيلي المعاصر في الوطن العربي
ليوناردو دافنشي، نظرية التصوير
د.عبريال وهبه، أثر الكوميديا الإلهية لدانتي في الفن التشكيلي
روبين جورج كولنجوود، مبادئ الفن
مارتن جك، يوهان سباستيان باخ
ميخائيل ستيجمان، فيفالدي
هيربرت ريد، التربية عن طريق الفن
أدامر فيليب، دليل تنظيم المتاحف
حسام الدين زكريا، أنطون بروكنر
جيمس جينز، العلم والموسيقى
هوجو لا يختنتريت، الموسيقى والحضارة
محمد كمال إسماعيل، التحليل والتوزيع الأوركسترالي
د.صالح رضا، ملامح وقضايا في الفن التشكيلي المعاصر
إدموندو سولمي، ليوناردو
سيونايد ميرى روبرتسون، الأشغال الفنية والثقافة المعاصرة

ثامناً: حضارات عالمية

جاكوب برونوفسكي، التطور الحضاري للإنسان
س. م. بورا، التجربة اليونانية
جوستاف جرونيباوم، حضارة الإسلام
أ. د. جرنى، الحيثيون
ل. ديلابورت، بلاد ما بين النهرين
ج. كونتنو، الحضارة الفينيقية
آدم متز، الحضارة الإسلامية (٢ج)
جوزيف نيدهام، تاريخ العلم والحضارة في الصين
ستيفن رانسيمان، الحضارة البيزنطية
سبتينو موسكاتي، الحضارات السامية

تاسعاً: التاريخ

جوزيف داهموس، سبع معارك فاصلة في العصور الوسطى
هنرى بيرين، تاريخ أوربا في العصور الوسطى
أرنولد توينبى، الفكر التاريخي عند الإغريق
بول كولز، العثمانيون في أوربا
جوناثان ريلى سميث، الحملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية
د. بركات أحمد، محمد واليهود
ستيفن أوزمنت، التاريخ من شتى جوانبه (٣ج)
و. بارتولد، تاريخ الترك في آسيا الوسطى
فلاديمير تيسمانيانو، تاريخ أوربا الشرقية
د.ألبرت حوراني، تاريخ الشعوب العربية (١ج)
نويل مالكوم، البوسنة
جارى. ب. ناش، الحمر والبيض والسود
أحمد فريد رفاعي، عصر المأمون (٢ج)
آرثر كيستلر، القبيلة الثالثة عشرة ويهود اليوم
ناجاى منشيو، الثورة الإصلاحية في اليابان
محمد فؤاد كوبريلى، قيام الدولة العثمانية
د. إبرار كريم الله، من هم التتار؟
ستيفن رانسيمان، الحملات الصليبية
آلبان ويدجرى، التاريخ وكيف يفسرونه (٢ج)
جوسيبى دى لونا، موسوليني
جوردون تشيلد، تقدم الإنسانية
هـ. ج. ولز، معالم تاريخ الإنسانية (٤ج)
هـ. سانت موس، ميلاد العصور الوسطى
يوهان هويزنجا، اضمحلال العصور الوسطى

هـ . ج. ويلز، موجز تاريخ العالم
لورد كرومر، الثورة العرابية
و. مونتجمرى وات، محمد فى مكة

عاشراً: الجغرافيا والرحلات

ت.و فريمان، الجغرافيا فى مائة عام
ليستر ديل راى، الأرض الغامضة
رحلة جوزيف بتس (الحاج يوسف)
إميليا إدواردز، رحلة الألف ميل
رحلات فارتيما (الحاج يونس المصرى)
رحلة بيرتون إلى مصر والحجاز (٣ج)
رحلة عبد اللطيف البغدادى فى مصر
رحلة الأمير رودلف إلى الشرق (٣ج)
يوميات رحلة فاسكو داجاما
س . هوارد، أشهر الرحلات إلى غرب أفريقيا
إريك أكسيلون، أشهر الرحلات فى جنوب أفريقيا
وليم مارسدن، رحلات ماركو بولو (٣ج)

حادى عشر: الفلسفة وعلم النفس

جون بورر، الفلسفة وقضايا العصر(٣ج)
سوندراى، الفلسفة الجوهرية
جون لويس، الإنسان ذلك الكائن الفريد
سدنى هوك، التراث الغامض: ماركس والماركسيون
إدوارد دو بونو، التفكير المتجدد
رونالد دافيد لانج، الحكمة والجنون والحماقة
د.توماس أ. هاريس، التوافق النفسى: تحليل المعاملات الإنسانية
د. أنور عبد الملك، الشارع المصرى والفكر
نيكولاس ماير، شارلوك هولمز يقابل فرويد
أنطونى دى كرسبينى، أعلام الفلسفة المعاصرة
جين وروبرت هاندلى، كيف تتخلصين من القلق؟
هـ ج. كريل، الفكر الصينى
د. السيد نصر السيد، الحقيقة الرمادية
برتراند راسل، السلطة والفرد
مارجريت روز، ما بعد الحداثة
كارل بوبر، بحثا عن عالم أفضل
ريتشارد شاخت، رواد الفلسفة الحديثة
جوزيف داهموس، سبعة مؤرخين فى العصور الوسطى
د. روجر ستروجان، هل نستطيع تعليم الأخلاق للأطفال؟
إريك برن، الطب النفسى والتحليل النفسى
بيرتون بورتر، الحياة الكريمة (٢ج)
فرانكلين ل. باومر، الفكر الأوربى الحديث (٤ج)
هنرى برجسون، الضحك
إرنست كاسيرر، فى المعرفة التاريخية
و. مونتجمرى وات، القضاء والقدر
إدوارد دو بونو، التفكير العملى

ثانى عشر: العلوم الاجتماعية

د.محيى الدين أحمد حسين، التنشئة الأسرية والأبناء الصغار
م. و ثرنج، ضمير المهندس
رايموند وليامز، الثقافة والمجتمع
روى روبرتسون، الهيروين والإيدز
بيتر لورى، المخدرات حقائق نفسية
د.ليو بوسكاليا، الحب
برنسلاو مالينوفسكى، السحر والعلم والدين

بيتر ر. داى، الخدمة الاجتماعية والانضباط الاجتماعى
بول جيرهارت، تعليم المعوقين
أرنولد جزل، الطفل من الخامسة إلى العاشرة
رونالد د. سمبسون، العلم والطلاب والمدارس

ثالث عشر: المسرح

لويس فارجاس، المرشد إلى فن المسرح
برونو باشينسكى، حفلة ماتيكان
جلال العشرى، فكرة المسرح
جان بول سارتر؛ جورج برناردشو؛ جان أنوى مختارات من المسرح العالمى
د.عبد المعطى شعراوى، المسرح المصرى المعاصر: أصله وبدايته
توماس ليبهارت، فن المايم والبانتومايم
زيجمونت هبنر، جماليات فن الإخراج
أوجين يونسكو، الأعمال الكاملة (٢ج)
آلان مكدونالد، مسرح الشارع
نك كاى، ما بعد الحداثية والفنون الأدائية
بيتر بروك، التفسير والتفكيك والإيديولوجية
أندريه فيليبه، الممثل الكوميدى
لى ستراسبرج، تدريب الممثل
جلال جميل محمد، مفهوم الضوء والظلام فى العرض المسرحى

رابع عشر: الطب والصحة

بوريس فيدوروفيتش سيرجيف، وظائف الأعضاء من الألف إلى الياء
د.جون شندلر، كيف تعيش ٣٦٥ يوما فى السنة
ناعوم بيتروفيتش، النحل والطب

م. هـ. كنج، التقنية فى البلدان النامية

خامس عشر: الآداب واللغة

برتراند رسل، أحلام الأعلام وقصص أخر
ألدس هكسلى، نقطة مقابل نقطة
جول ويست، الرواية الحديثة: الإنجليزية والفرنسية
أنور المعداوى،على محمود طه: الشاعر والإنسان
جوزيف كونراد، مختارات من الأدب القصصى
تاجور شين ين بنج وآخرون، مختارات من الآداب الآسيوية
محمود قاسم، الأدب العربى المكتوب بالفرنسية
جابرييل جارسيا ماركيز، الجنرال فى متاهة
سوريال عبد الملك، حديث النهر
د.رمسيس عوض، الأدب الروسى قبل الثورة البلشفية وبعدها
مختارات من الأدب اليابانى: الشعر، الدراما، الحكاية، القصة القصيرة
ديفيد بشبندر، نظرية الأدب المعاصر
نادين جورديمر وآخرون، سقوط المطر وقصص أخرى
رالف ئى ماتلو، تولستوى
والتر ألن، الرواية الإنجليزية
هادى نعمان الهيتى، أدب الأطفال
مالكوم برادبرى، الرواية اليوم
لوريتو تود، مدخل إلى علم اللغة
د. جابرييل جارسيا ماركيز، سيمون بوليفار
ديلاسى أوليرى، الفكر العربى ومكانه فى التاريخ
د. على عبد الرءوف البمبى، مختارات من الشعر الإسبانى فى العصور الوسطى (ج١)

ب. إفور إيفانز، موجز تاريخ الدراما الإنجليزية
ج. س. فريزر، الكاتب الحديث وعالمه (٢ج)
جورج ستاينر، بين تولستوى ودستويفسكى (٢ج)
ديلان توماس، مجموعة مقالات نقدية
فيكتور برومبير، ستندال
فيكتور هوجو، رسائل وأحاديث من المنفى
يانكو لافرين، الرومانتيكية والواقعية
د.نعمة رحيم الغزاوى، أحمد حسن الزيات كاتبا وناقداً
ف.برميلوف، دستويفسكي
لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة، الدليل البيليوجرافى:روائع الآداب العالمية (ج١)
محسن جاسم الموسوى، عصر الرواية : مقال من النوع الأدبى
هنرى باربوس، الجحيم
ميجيل دى ليبس، الفئران
روبرت سكولز وآخرون، آفاق أدب الخيال العلمى
يانيس ريتسوس، البعيد (مختارات شعرية)
ب. إفور ايفانز، مجمل تاريخ الأدب الإنجليزى
فخرى أبو السعود، فى الأدب المقارن
سليمان مظهر، أساطير من الشرق
ف.ع. أدينكوف، فن الأدب الروائى عند تولستوى
د. صفاء خلوصى، فن الترجمة
بلدوميرو ليلو وآخرون، قصص من أمريكا اللاتينية

سادس عشر: الإعلام

فرانسيس ج. برجير، الإعلام التطبيقى
بيير ألبير، الصحافة
هربرت شيلر، الاتصال الهيمنه الثقافية

سابع عشر: السينما

هاشم النحاس، الهوية القومية فى السينما العربية
ج.دادلى أندرو، نظريات الفيلم الكبرى
روى آرمز ، لغة الصورة فى السينما المعاصرة
هاشم النحاس، صلاح أبو سيف (محاورات)
جان لويس بورى وآخرون ، فى النقد السينمائى الفرنسى
محمود سامى عطا الله ، الفيلم التسجيلى
ستانلى جيه سولومون ، أنواع الفيلم الأمريكى
جوزيف وهارى فيلدمان، ديناميه الفيلم
قدرى حفنى، الإنسان المصرى على الشاشة
مونى براح، السينما العربية من الخليج إلى المحيط
حسين حلمى المهندس، دراما الشاشة: بين النظرية والتطبيق للسينما والتليفزيون (٢ج)
إدوارد مرى، عن النقد السينمائى الأمريكى
جوزيف م. يوجز، فن الفرجة على الأفلام
سعيد شيمى، التصوير السينمائى تحت الماء
دوايت سوين ، كتابة السيناريو للسينما
هاشم النحاس، نجيب محفوظ على الشاشة
يوجين فال، فن كتابة السيناريو
دانييل أريخون، قواعد اللغة السينمائية
كريستيان ساليه ، السيناريو فى السينما الفرنسية
آلان كاسبيار، التذوق السينمائى
تونى بار، التمثيل للسينما والتليفزيون
بيتر نيكولز، السينما الخيالية
بول وارن، خفايا نظام النجم الأمريكى
دافيد كوك، تاريخ السينما الروائية

ثامن عشر: كتب غيرت الفكر الإنساني

سلسلة تلخيص التراث الفكرى الإنسانى فى صورة عروض موجزة لأهم الكتب التى ساهمت فى تشكيل الفكر الإنسانى وتطوره مصحوبة بتراجم لمؤلفيه وقد صدر منها ۹ أجزاء

تاسع عشر: الأعمال المختارة

يوهان هويزنجا، أعلام وأفكار

د.مصطفى طه بدر، محنة الإسلام الكبرى

ت. كويلر ينج، الشرق الأدنى

جيمس نيومان، ميشيل ويلسون، رجال عاشوا للعلم

ابن زنبل الرمال، آخرة المماليك

د. محمد عوض محمد، نهر النيل

آرثر كريستنسن، إيران فى عهد الساسانيين

أوجست دييس، أفلاطون

يعقوب فام، البراجماتية

بلوطرخوس، العظماء

روبرت ديبو جراند وآخرون، مدخل إلى علم لغة النص

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ٢٠٠٢/١٤٨٢٦

I.S.B.N. 977 — 01 — 8071 — 8

لاشك فى أن مؤلفات بلوطرخوس الفلسفية خلاصة عظيمة لجميع ضروب الحكمة القديمة، ولكن مؤلّفه فى سير العظماء له فوق ذلك ميزة جلية: أنه يصور الطبيعة الإنسانية بسذاجة بلغت غاية الإبداع، فترى فى أسلوبه شيئاً من آثار ذلك البيان الخلاب المستعار من مدارس السوفسطائيين فى بلاد اليونان وروما.

لقد كان ما كتبه بلوطرخوس عن العظماء، من أكبر الآثار العلمية من حيث التدقيقات التاريخية، ومن أثمن ما اهتدى إليه الباحثون من الآداب القديمة التى وصلت إلينا مبتورة، فلا غرو أن يستمد منه شكسبير أعظم وأروع مشاهده فى روايات كوريولانوس ويوليوس قيصر، وأن يتأثر به مونتنى ومنتسكيو وروسو.

إن براعة أسلوبه واختياره أجلّ الموضوعات شأناً من حيث التخيل والتفكير، جعلا مؤلفاته التاريخية موضع إعجاب الجميع وعنايتهم على مر العصور.



٤٥٠ قرشاً مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب